السيرة النبوية

لابن هشام

الجزء الثالث

المكتبة العلمية
بيروت - لبنان

تراث الإسلام

حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها

مصطفى السقا
الأستاذ بكلية الآداب
جامعة القاهرة

ابراهيم الابياري
مدير إدارة إحياء
التراث القديم

عبد الحفيظ شلبي
مدير المكتبات الفرعية
بدار الكتب المصرية

الجزء الثالث

المكتبة العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر أسرى قريش يوم بدر

(من بنى هاشم) :

قال ابن إسحاق : وأسر من المُشركين من قُريش يومَ بدر ، من بنى هاشم بن عبد مناف : عَقِيلُ[1] بن أبى طالب بن عبد المطَّلب بن هاشم ؛ ونوفل[2] بن الحارث بن عبد المطَّلب بن هاشم[3] .

(من بنى المطلب) :

ومن بنى المطَّلب بن عبد مناف : السَّائبُ بنُ عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطَّلب ؛ ونُعْمان بن عمرو بن عَلْقمة بن المطَّلب . رجلان .

---

(1) أسلم عقيل عام الحديبية وحسن إسلامه ؛ وقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا يزيد ، إنى أحبك حبين : حبا لقرابتك منى ، وحبا لما أعلم من حب عمى إياك . وقد سكن عقيل البصرة ، ومات بالشام فى خلافة معاوية .

(2) أسلم نوفل عام الخندق ، وهاجر ؛ وقيل : بل أسلم حين أسر ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : افد نفسك ؛ قال : ليس لى مال أفتدى به ! قال : افد نفسك بأرماحك التى بجدة ؛ قال : والله ما علم أحد أن لى بجدة أرماحا غير الله ، وأشهد أنك رسول الله . وهو من ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، وأعان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الخروج إليها بثلاثة آلاف رمح ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : كأنى أنظر إلى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين .

ومات نوفل بالمدينة سنة خمس عشرة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما .

(3) قال أبو ذر : « ولم يذكر معهما العباس بن عبد المطلب ، لأنه كان أسلم ، وكان يكتم إسلامه خوف قومه » .

(من بنى عبد شمس وحلفائهم) :

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : عمرو بن أبى سفيان بن حرب بن أمية ابن عبد شمس ؛ والحارث بن أبى وجزة [١] بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس . ويقال : ابن أبى وحرة ، فيما قال ابن هشام [٢] .

قال ابن إسحاق : وأبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن (عبد) [٣] شمس ؛ وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس .

ومن حلفائهم : أبو ريشة بن أبى عمرو ؛ وعمرو بن الأزرق؛ وعقبة بن عبد الحارث بن الحضرمى . سبعة نفر .

(من بنى نوفل وحلفائهم) :

ومن بنى نوفل بن عبد مناف : عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل ؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخى غزوان بن جابر ، حليف لهم من بنى مازن بن منصور ؛ وأبو ثور ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

(من بنى عبد الدار وحلفائهم) :

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ؛ والأسود بن عامر ، حليف لهم . ويقولون : نحن بنو الأسود بن عامر ابن عمرو بن الحارث بن السباق . رجلان .

(من بنى أسد وحلفائهم) :

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : السائب [٤] بن أبى حبيش بن المطلب ابن أسد ؛ والحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد .

قال ابن هشام : هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد .

---

(١) فى م ، ر : «وجرة» وهو تصحيف .

(٢) قال أبو ذر «كذا قيده الدارقطنى كما قال ابن هشام» .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) والسائب هذا ، أخو فاطمة بنت أبى حبيش المستحاضة ، وهو الذى قال فيه عمر بن الخطاب : ذاك رجل لا أعلم فيه عيبا ، وما أحد إلا وأنا أقدر أن أعيبه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قيل : إن هذه المقالة قالها عمر فى ابنه عبد الله بن السائب . (راجع الروض الأنف) .

قال ابن إسحاق : وسالم بن شَمَّاخ ، حليف لهم . ثلاثة نفر .

(من بنى مخزوم) :

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرّة : خالدُ بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله ابن عُمر بن مَخْزوم [١] ؛ وأُميَّة بن أبى حُذيفة بن المُغيرة والوليد بن الوليد بن المُغيرة ؛ وعُثمان بن عبد الله بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ؛ وصَيْفِى ابن أبى رِفاعة بن عابد [٢] بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ؛ وأبو المنذر [٣] بن أبى رفاعة ابن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ؛ وأبو عَطاء عبد الله بن أبى [٤] السَّائب بن عَبد الله بن عُمر بن مخزوم ، والمُطَّلب بن حَنْطب بن الحارث بن عُبيد بن عمر بن مَخْزوم ؛ وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، وهو كان — فيما يذكرون — أوّل من ولّى فارّا منهزما ، وهو الذى يقول :

ولسْنا على الأدبارِ تَدْمَى كُلُومنا ... ولكنْ على أقدامنا يَقْطُرُ الدّمُ [٥]

تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويروى : « لَسْنا على الأعْقابِ » .

وخالد بن الأعلم ، من خُزاعة ؛ ويقال : عُقَيلىّ .

(من بنى سهم) :

قال ابن إسحاق : ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : أبو وَداعة ابن ضُبيرة [٦] بن سَعيد بن سَعْد بن سَهم ، كان أوّل أسير أفتُدِى من أسرى بدر افتداه ابنُه المطَّلب بن أبى وَداعة ؛ وفَرْوة بن قَيْس بن عَدىّ بن حُذافة

---

(١) قال السهيلى : « وذكره — يريد خالدا — بعضهم فى المؤلفة قلوبهم » .

(٢) كذا فى ا هنا وفيما سيأتى ، وفى سائر الأصول : « عائذ » قال أبو ذر : « كل ما كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد ، يعنى بالباء والدال المهملة ، وكل من كان من ولد عمران بن مخزوم فهو عائذ ، يعنى بالياء المهموزة والذال المعجمة » .

(٣) قال أبو ذر : « ويروى أيضا : المنذر بن أبى رفاعة . وكذا قال فيه موسى بن عقبة فى المغازى » .

(٤) فى ا : « عبد الله بن السائب » والظاهر أنه تحريف ؛ إذ المعروف أن أبا السائب هو ابن عائذ ابن عبد الله ، وأن له ابنا يقال له : السائب .

(٥) الكلوم : الجراحات .

(٦) فى م ، ر : « صبيرة » بالصاد المهملة وهما روايتان فيه .

ابن سعد [١] بن سهم؛ وحَنْظلة بن قبيصة بن حُذافة بن سَعْد بن سهم، والحجّاج [٢] ابن قَيْس بن عدىّ بن سَعْد بن سهم. أربعة نفر.

(من بنى جمح):

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبدُ الله [٣] بن أُبَىّ بن خلف ابن وهب بن حُذافة بن جُمح؛ وأبوعزّة عمرو بن عبد بن عُثمان بن وُهيب [٤] بن حُذافة بن جُمح؛ والفاكه، مولى أُميَّة بن خلف، ادّعاه بعد ذلك رَبَاح بن المُغترف، وهو يزعُم أنه من بنى شَمّاخ بن مُحارب بن فهر — ويقال: إن الفاكه: ابنَ جَرْول بن حِذْيم بن عوف بن غَضْب بن شَمّاخ بن مُحارب بن فِهر — ووَهْب [٥] بن عُمَيْر بن وهب بن خَلَف بن وهب بن حُذافة بن جُمح؛ وربيعة ابن دَرّاج بن العَنْبس بن أُهْبان بن وَهب بن حُذافة بن جُمح. خمسة نفر.

(من بنى عامر):

ومن بنى عامر بن لُؤَىّ: سُهيل [٦] بن عمرو بن عبد شَمس بن عبد وُدّ بن نَصْر ابن مالك بن حِسْل بن عامر، أسره مالك بن الدُّخْشُم، أخو بنى سالم بن عَوْف؛ وعبد [٧] بن زَمْعة بن قَيْس بن عبد شَمس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ وعبد الرحمن بن مَشنوء [٨] بن وَقْدان بن قَيْس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر. ثلاثة نفر.

---

(١) فى الأصول هنا وفيما سيأتى فى نسب الحجاج: «سعيد» وهو تحريف. وقد تقدم الكلام على هذا فى الجزء الأول من هذه الطبعة.

(٢) قال السهيلى: «وأحسب ذكر الحجاج فى هذا الموضع وهما، فإنه من مهاجرة الحبشة، وقدم المدينة بعد أحد، فكيف يعد فى أسرى المشركين يوم بدر!».

(٣) أسلم عبد الله هذا يوم الفتح وقتل يوم الجمل.

(٤) فى م، ر: «أهيب».

(٥) أسلم وهب بعد أن جاء أبوه عمير فى فدائه، فأسلما جميعا.

(٦) أسلم سهيل ومات بالشام شهيدا، وهو خطيب قريش.

(٧) هو أخو سودة بنت زمعة، أسلم. وهو الّذى خاصمه سعد بن أبى وقاص فى أخيه من أبيه عبد الرحمن ابن زمعة بن وليدة زمعة. وهو الّذى قال فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم: هو لك يا عبد بن زمعة. (راجع الروض الأنف والاستيعاب فى ترجمتى عبد بن زمعة وعبد الرحمن أخيه).

(٨) فى ا: «منشوء».

(من بنى الحارث) :

ومن بنى الحارث بن فِهر : الطُّفَيل بن أبى قُنَيع ، وعُتْبة بن عمرو بن جَحْدم . رجلان .

قال ابن إسحاق : فجميع من حُفِظ لنا من الأسارى ثلاثة وأربعون رجلا .

(ما فات ابن إسحاق ذكرهم) .

قال ابن هشام : وقع من جُملة العدد رجل لم نذكر اسمه ، وممن لم يَذكر ابن إسحاق من الأسارى :

(من بنى هاشم) :

من بنى هاشم بن عبد مَناف : عُتْبة ، حليف لهم من بنى فِهْر . رجل .

(من بنى المطلب) :

ومن بنى المطَّلب بن عبد مناف : عَقيل[1] بن عَمرو ، حليف لهم ، وأخوه تَميم بن عمرو ، وابنه . ثلاثة نفر .

(من بنى عبد شمس) :

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن أسيد بن أبى العيص ، وأبو العريض يَسار ، مولى العاص بن أُميّة . رجلان .

(من بنى نوفل) :

ومن بنى نَوفل بن عبد مناف : نَبْهان ، مولى لهم . رجل .

(من بنى أسد) :

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى : عبدُ الله[2] بن حُميد بن زُهير بن الحارث . رجل .

(من بنى عبد الدار) :

ومن بنى عبد الدّار بن قُصىّ : عَقِيل ، حليف لهم من اليمن . رجل .

---

(١) ق م ، ر : « طليل » .

(٢) قال السهيلى : « المعروف فيه : عبيد الله بن حميد ، وكذلك ذكره ابن قتيبة وأبو عمرو الكلاباذى وأبو نصر ، وهو مولى حاطب بن أبى بلتعة » .

(من بنى تيم) :

ومن بنى تَيْم بن مُرّة : مُسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كَعب بن سعد بن تَيْم ؛ وجابر بن الزّبير ، حليف لهم . رجلان .

(من بنى مخزوم) :

ومن بنى مخزوم بن يقظة : قَيْسُ بن السّائب . رجل .

(من بنى جمح) :

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن أُبَىّ بن خَلَف ؛ وأبو رُهْم بن عبد الله ، حليف لهم ؛ وحليف لهم ذهب عنى اسْمُه ؛ ومَوْليان لأُمَيَّة بن خَلَف ، أحدهما نِسطاس [1] ؛ وأبو رافع ، غلام أُميَّة بن خَلَف . ستة نفر .

(من بنى سهم) :

ومن بنى سهم بن عمرو : أسْلَم ، مولى نُبيه بن الحجّاج . رجل .

(من بنى عامر) :

ومن بنى عامر بن لُؤىّ : حبيب بن جابر ؛ والسائب بن مالك . رجلان .

(من بنى الحارث) :

ومن بنى الحارث بن فِهْر : شافع وشَفيع ، حليفان لهم من أرض اليمن . رجلان .

ماقيل من الشعر فى يوم بدر

قال ابن إسحاق : وكان ممّا قيل من الشعر فى يوم بدر ، وترادّ به القومُ بينهم لما كان فيه ، قولُ حمزة بن عبد المطّلب يرحمه الله :

— قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها — :

ألم تَرَ أمْرًا كان من عَجَبِ الدهرِ ... وللحَيْنِ أسبابٌ مبَيّنـةُ الأمْرِ [2]

---

(١) أسلم نسطاس بعد أحد ، فيما يقال .

(٢) الحين : الهلاك .

وما ذاكَ إلا أنَّ قَوْمًا أفادَهم فحانوا تواصٍ بالعُقوق وبالكُفْرِ[1]
عَشِيَّةَ راحُوا نحو بَدْرٍ بجَمْعِهم فكانوا رهُونًا للرَّكِيَّةِ مِن بَدْرِ[2]
وكنَّا طلَبْنا العيرَ لم نَبْغِ غيرَها فساروا إلَيْنا فالتَقَيْنا على قَدْرِ
فلمَّا التَقَيْنا لم تكُن مَثْنَوِيَّةٌ لنا غير طَعْنٍ بالمثقَّفة السُّمْرِ[3]
وَضَرْبٍ ببِيضٍ يَخْتلى الهامَ حَدُّها مُشَهَّرَةِ الألوان بيِّنَة الأُثْرِ[4]
ونحن تَرَكنا عُتْبة الغَيِّ ثاويا وشَيْبَةَ فى القَتْلى تَجَرْجَمُ فى الجفْرِ[5]
وعمْرو ثوى فيمن ثَوَى من حُماتِهم فشُقَّتْ جيُوب النَّائحات على عمرو
جيُوبُ نِساءٍ من لُؤَىِّ بن غالِب كِرام تَفَرَّعْن الذَّوائبَ من فِهْرِ[6]
أولئك قَوْمٌ قُتِّلوا فى ضَلالهم وخلَّوا لواءً غيرَ مُحْتَضر النَّصْر
لِواء ضَلال قاد إبليسُ أهلَه فخاس بهم ، إنَّ الخبيث إلى غَدْرِ[7]
وقال لهم ، إذ عاينَ الأمرَ واضحا بَرِئت إليكم ما بِىَ اليومَ من صَبْر
فانى أرَى ما لا تَرَوْنَ وإنِّى أخاف عِقاب الله والله ذو قَسْرِ[8]
فقَدَّمهم للحَيْن حتى تورَّطوا وكان بما لم يَخْبُر القومُ ذا خُبْرِ[9]
فكانوا غَداةَ البِئْر ألفا وجَمْعُنا ثلاثُ مِئِينٍ كالمُسَدَّمة الزُّهْرِ[10]
وفينا جُنُود الله حين يُمِدُّنا بهم فى مَقامٍ ثَمَّ مُسْتَوْضَح الذِّكْرِ[11]
فشَدَّ بهم جبريلُ تحتَ لوائنا لدى مَأزِقٍ فيه مناياهُم تَجْرى[11]

---

(1) أفادهم : أهلكهم ، يقال : فاد الرجل : إذا مات . وتواص ، تفاعل ، من الوصية ، وهو الفاعل للفعل (أفادهم) .

(2) الرهون ، جمع رهن . والركية : البئر غير المطوية .

(3) مثنوية : أى رجوع وانصراف . والمثقفة : الرماح المقومة .

(4) يختل : يقطع . والهام : الرؤوس . والأثر (بضم الهمزة) : وشى السيف وفرنده .

(5) ثاويا : مقيما . وتجرجم : تسقط . والجفر : البئر المتسعة .

(6) تفرعن : علون . والذوائب : الأعالى .

(7) خاس : غدر .

(8) القسر : القهر والغلبة .

(9) تورطوا : وقعوا فى الهلكة .

(10) المسدمة : الفحول من الإبل . والزهر : البيض .

(11) فى ا : « منايا بهم تجرى » .

فأجابه الحارث بن هشام بن المُغيرة ، فقال :

ألا يا لقومى[١] للصَّبابة[٢] والهَجْــر ... والحزْن منّى والحَرارة فى الصَّدْرِ
وللدَّمْع من عيْنىَّ جَوْداً كأنّه ... فريدٌ هوَى من سِلْك ناظِمه يَجْرى[٣]
على البَطَل الحُلْو الشّمائل إذ ثوى ... رَهِــينَ مقامٍ للرَّكيَّة من بَدْر
فلا تَبْعُدَنْ يا عمرو من ذى قَرابة ... ومن ذى نِدامٍ كان ذا خُلُق غَمْر[٤]
فإنْ يكُ قومٌ صادفوا منك دَوْلةً ... فلا بُدَّ للأيام من دُوَل الدَّهْر
فقد كنتَ فى صَرْف الزّمان الذى مضى ... تُرِيهم هوَانا منك ذا سُبُل وَعْر
فإلاَّ أَمُتْ يا عَمْرو أتْرُكْك ثائرًا ... ولا أُبْقِ بُقْيا فى إخاءٍ ولا صهْر[٥]
وأقطَعُ ظهرًا من رجال بمَعْشر ... كرامٍ عليهم مثل ماقطعوا ظَهْرى
أغرهم ما جمَعوا من وشيظة ... ونحن الصَّميم فى القبائل من فِهْر[٦]
فيالَ لُؤىّ ذَبِّبوا عن حَرِيمكم ... وآلهة لاتتركُوها لذى الفَخْــر[٧]
تَوارثها آباؤكُمْ ووَرِثْــتُم ... أواسِيَها والبيتَ ذا السَّقْف والسِّتْر[٨]
فما لِحَلــيمٍ قد أراد هَلاكَكم ... فلا تَعْذِرُوه آلَ غالبَ من عُذْر[٩]
وجِدّوا لمن عادَيْــتُم وتَوازرُوا ... وكونُوا جميعا فى التأسّى وفى الصَّبر[١٠]
لَعلَّكُمُ أنْ تَثْأرُوا بأخيكُمُ ... ولا شىءَ إن لم تثْأرُوا بذَوِى عمرو[١١]

---

(١) فى ا : « ألا يالقوم » .

(٢) الصبابة : رقة الشوق .

(٣) الجود : الكثير : يقال : جادت السماء تجود جودا (بالفتح) : إذا كثر مطرها . والفريد : الذهب والدر .

(٤) كذا فى ا . والغمر : الواسع الخلق ؛ يقال : رجل غمر الخلق : إذا كان واسعها حسنها . وفى سائر الأصول : « عمرو » وهو تحريف .

(٥) ثائر : ذو ثأر . وفى ا : « ثابرا » . والثابر : الخاسر .

(٦) الوشيظة : الأتباع ومن ليس من خالص القوم . والصميم : الخالصون فى أوليائهم .

(٧) ذبوا : ادفعوا وامنعوا .

(٨) الأواسى : جمع آسية ، وهى ما أسس عليه البناء .

(٩) غالب (هنا) : اسم قبيلة ، ولذلك لم يصرفه .

(١٠) توازروا : تعاونوا .

(١١) تثأروا بأخيكم ، أى تأخذوا بثأره .

بمُطَّرِدات في الأكُفِّ كأنَّها وَميضٌ تُطيِّر الهامَ بيِنــة الأثْر[1]
كأنَّ مَــدَبَّ الذرِّ فوق مُتونها إذا جُرِّدت يوما لأعدائها الخُزْر[2]

قال ابن هشام : أبْدَلْنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابنُ إسحاق ، وهما « الفخر » في آخر البيت ، و« فما لحليم » ، في أوّل البيت ، لأنه نال فيهما من النبيّ صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقال عليّ بن أبي طالب في يوم بدر :

قال ابن هشام : ولم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يَعْرفها ولا نَقيضَتَها ، وإنما كَتبناهما لأنه يقال : إن عمرو بن عبدالله بن جُدْعان قُتل يوم بدر ، ولم يذكره ابن إسحاق في القتلى ، وذكره في هذا الشعر :

ألم تَرَ أنّ الله أبْلَى رسُــولَه بلاءَ عزيزٍ ذي اقتدار وذي فَضْلِ[3]
بما أنْزلَ الكُفَّارَ دار مَــذَلَّة فلاقَوْا هَوانا مِن إسارٍ ومن قَتْلِ
فأمسى رسولُ الله قد عزَّ نَصْرُه وكان رسول الله أُرْسِل بالعَــدْلِ
فجاء بفُرْقانٍ مِنَ الله مُنْزَلٍ مُبَيَّنَةٌ آياتُه لذوى العَقْــلِ
فآمَن أقوامٌ بذاك وأيْقنــوا فأمْسَوْا بحمدالله مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ
وأنكر أقوامٌ فزاغت قلوبُهم فزادهمُ ذوالعَرْش خَبْلا على خَبْلِ[4]
وأمْكَنَ منهم يومَ بَدْرٍ رسولَهُ وقوما غِضابا فِعْلُهم أحسنُ الفِعْلِ
بأيْديهم بيضٌ خِفافٌ عَصَوا بها وقد حادَثوها بالجِــلاء وبالصَّقْلِ[5]
فكم تركوا من ناشئٍ ذي حَمِيَّــة صَريعا ومن ذي نَجْدَة منهمُ كَهْلِ

---

(١) بمطردات ، أي بسيوف مهتزات . والوميض : ضوء البرق . والهام : الرءوس .

(٢) الذر : صغار النمل . والخزر : جمع أخزر ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه كبرا وعجبا .

(٣) أبلى : أي من عليه وأنعم ، وصنع له صنعا حسنا . قال زهير :

فأبلى هما خير البلاء الذي يبلو

(٤) زاغت : مالت عن الحق . والخبل : الفساد .

(٥) بيض خفاف ، يعني السيوف . وعصوا بها : ضربوا ، يقال : عصيت بالسيف ، إذا ضربت به . وحادثوها : تعهدوها .

تَبِيتُ عيونُ النّائحاتِ عليهمُ ... تَجُودُ بإسْبالِ الرَّشاشِ وبالوَبْلِ[1]
نَوائحَ تَنْعَى عُتْبَةَ الغَيّ وابنَه ... وشَيْبَةَ تَنْعاه وتَنْعَى أباجَهْلِ
وذا الرِّجلِ تَنْعَى وابنَ جُدْعانَ فيهمُ ... مُسَلِّبَةً حَرَّى مبيَّنةَ الثُّكْلِ[2]
ثَوَى[3] منهم فى بئرِ بدرٍ عصابةٌ ... ذَوِى نَجَداتٍ فى الحُروبِ وفى المَحْلِ
دعا الغَيُّ منهم مَنْ دعا فأجابه ... وللغَيِّ أسبابٌ مُرمَّقةُ الوَصْلِ[4]
فأضْحَوْا لدَى دارِ الجحيمِ بمَعْزِلٍ ... عن الشَّغْبِ والعُدوانِ فى أشغلِ الشُّغْلِ[5]

فأجابه الحارث بن هشام بن المُغيرة ، فقال :

عَجِبْتُ لأقوامٍ تَغَنَّى سَفيهُهُم ... بأمرٍ سَفَاهٍ ذى اعتراضٍ وذى بُطْلِ
تَغَنَّى بقَتْلَى يومَ بدرٍ تَتابعوا ... كِرامِ المَساعى من غُلامٍ ومن كَهْلِ
مَصاليتَ[6] بيضٍ من لُؤَىِّ بنِ غالبٍ[7] ... مَطاعينَ فى الهَيْجا مَطاعيمَ فى المَحْلِ[8]
أُصيبوا كِرامًا لم يَبِيعُوا عَشيرةً ... بقومٍ سِواهم نازِحى الدّارِ والأصلِ
كما أصبحتْ غَسّانُ فيكم بِطانةً[9] ... لكم بَدَلًا منّا فيالكَ من فِعْلِ
عُقُوقًا وإثمًا بَيِّنًا وقَطيعةً ... يَرَى جَوْرَكم فيها ذَوُو الرأى [و]العقلِ
فإن يكُ قومٌ قد مَضَوْا لسبيلِهم ... وخيرُ المَنايا ما يكونُ من القَتْلِ
فلا تَفْرَحوا أن تَقْتُلوهم فقَتْلُهم ... لكم كائنٌ خَبْلًا مُقيمًا على خَبْلِ
فإنكم لن تَبْرَحوا بعدَ قَتْلِهم ... شَتِيتًا[10] هَواكم غيرَ مُجْتَمِعى الشَّمْلِ

---

(١) الإسبال : الإرسال ؛ يقال : أسبل دمعه ، وذلك إذا رسله . والرشاش : المطر الضعيف . والوبل : الكثير ، واستعارها هنا لقليل الدمع وغزيره .

(٢) يريد « بذى الرجل » : الأسود الذى قطع حمزة رجله عند الحوض . والمسلبة : التى لبست السلاب ، وهى خرقة سوداء تلبسها الثكلى . وحرى : محرقة الجوف من الحزن . والثكل : الفقد .

(٣) فى ا : « ترى » .

(٤) مرمقة : ضعيفة ، من الرمق ، وهو الشىء اليسير الضعيف .

(٥) الشغب : التشغيب .

(٦) المصاليت : الشجعان .

(٧) فى ا : « من ذؤابة غالب » وذؤابة كل شىء : أعلاه .

(٨) مطاعين ، جمع مطعان ، وهو الذى يكثر الطعن فى الحرب . والهيجاء (بالمد ، وقصر الشعر) : الحرب . والمطاعيم : جمع مطعام ، وهو الذى يكثر الإطعام . والمحل : القحط والجدب .

(٩) بطانة الرجل : خاصته .

(١٠) الشتيت : المفترق .

بِفَقْد ابن جُدْعان الحميد فِعالُه ... وعُتْبَةَ والمدْعُوّ فيكم أباجَهْل

وشَيْبَةَ فيهم والوليد وفيهمُ ... أُميَّةَ مَأْوَى المُعْترين وذوالرِّجْل[1]

أولئك فابْكِ ثم لا تَبْكِ غيرَهم ... نَوائحُ تَدْعو بالرزيَّة والثُّكْل

وقُولوا لأهْلِ المكَّتَيْنِ تحاشَدُوا ... وسيروا إلى آطام يَثْرِبَ ذى النَّخْل[2]

جميعا وحامُوا آل كَعْبٍ وذَبِّبوا ... بخالصة الألْوان مُحْدَثة الصَّقْل[3]

وإلا فبيتُوا خائفين وأصْبِحوا ... أذلَّ لوطْءِ الواطئين من النَّعْلِ

على أنَّنى واللاتِ يا قومُ فاعلمُوا ... بكم واثقٌ أن لاتُقيموا على تَبْل[4]

سِوى جَمْعكم للسَّابغات وللقَنا ... وللبَيض والبِيضِ القواطع والنَّبل[5]

وقال ضِرار بن الخطَّاب[6] بن مِرْداس، أخو بنى مُحارب بن فِهر، فى يوم بدر:

عجِبتُ لفَخْر الأوْس والحَيْنُ دائرٌ ... عليهم غداً والدَّهر فيه بصائرُ

وفَخْرِ بنى النَّجَّار إن كان معشرٌ ... أُصيبوا ببَدْر كلُّهم ثَمَّ صابرُ

فان تكُ قَتْلى غُودِرت من رجالنا ... فإنَّا رجالٌ[7] بعدهم سنُغادِرُ

وتَرْدِى بنا الجُرْد المناجيجُ وَسْطكم ... بنى الأوْس حتى يَشْفِى النفسَ ثائر[8]

ووَسْطَ بنى النَّجار سوف نَكُرّها ... لها بالقَنا والدارعين زوافِر[9]

فنترك صَرْعَى تَعْصِبُ الطيرُ حولهم ... وليس لهُم إلا الأمانىَّ ناصِر[10]

---

(١) المعترون: المحتاجون المتعرضون للمسألة. ويروى: «المقترون» والمقتر: الفقير. وذو الرجل: الأسود الذى قطع حزة رجله عند الحوض.

(٢) مكتين: أى مكة والطائف. والآطام: جمع أطم، وهو الحصن.

(٣) ذببوا، أى امنعوا وادفعوا.

(٤) التبل: العداوة وطلب الثأر.

(٥) السابغات: الدروع.

(٦) فى م: «الخطيب» وهو تحريف.

(٧) فى م: «رجالا» وهو تحريف.

(٨) تردى: تسرع. والجرد: الخيل العتاق القصيرات الشعر. والمناجيج: جمع منجوج، وهو الطويل السريع. والثائر: الطالب بثأره.

(٩) الزوافر: جمع زافرة، وهى الحاملات الثقل.

(١٠) تعصب: تجتمع عصائب عصائب.

وتبكيهم من أهل يثرب نسوة — لهن [١] بها ليلٌ عن النوم ساهر
وذلك أنّا لا تزال سيوفنا — بهن دمٌ ممّن [٢] يحاربن مائر [٣]
فان تظفروا فى يوم بدر فإنما — بأحمد أمسى جدّكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه — يحامون فى اللأواء والموتُ حاضر [٤]
يُعَدّ أبو بكر وحمزة فيهم — ويُدعى علىّ وسْط مَن أنت ذاكر
ويُدعى أبو حفص وعثمان منهم — وسعدٌ إذا ما كان فى الحرب حاضر
أولئك لا مَن نتّجت فى ديارها — بنو الأوس والنجّار حين تفاخر [٥]
ولكنْ أبوهم من لؤىّ بن غالب — إذا عُدّت الأنساب كعبٌ وعامر
هم الطاعنون الخيل فى كل معرك — غداة الهياج الأطيبون الأكاثر [٦]

فأجابه كعبُ بن مالك ، أخو بنى سلمة ، فقال :

عجبتُ لأمر الله والله قادرٌ — على ما أراد ، ليس لله قاهر
قضى يوم بدرٍ أن نلاقىَ معشرًا — بغوْا وسبيل البغْى بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم — من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا — بأجمعها كعبٌ جميعا وعامر
وفينا رسولُ الله والأوسُ حوله — له معقلٌ منهم عزيزٌ وناصر [٧]
وجمعُ بنى النجّار تحت لوائه — يمشّون [٨] فى الماذىّ والنقعُ ثائر [٩]
فلمّا لقيناهم وكلٌّ مجاهد — لأصحابه مستبسلُ النفس صابر
شهدنا بأنّ الله لا ربّ غيره — وأنّ رسولَ الله بالحقّ ظاهر

---

(١) فى م : « لهم » وهو تحريف .
(٢) فى م : « مما » .
(٣) مائر : سائل .
(٤) اللأواء : الشدة .
(٥) نتجت : ولدت .
(٦) فى م ، ر : « الأكابر » .
(٧) المعقل : الموضع الممتنع .
(٨) ويروى : « يميسون » . والميس : التبختر والاختيال .
(٩) الماذى : الدروع البيض اللينة . والنقع : الغبار .

وقد عُرِّيَت بِيضٌ خِفافٌ كأنها ... مَقابِيسُ يُزْهِيها[1] لعَيْنَيك شاهر
بهنَّ أَبَدْنا جمعَهم فتبدَّدوا[2] ... وكان يُلاقِى الحَيْنَ مَنْ هو فاجر
فكُبَّ أبو جَهل صَريعا لوَجْهه ... وعتبةُ قد غادَرْنه وهو عاثر[3]
وشَيْبة والتَّيْمىّ غادَرْن فى الوَغَى ... وما منهم[4] إلا بذى العَرْش كافر
فأمْسَوْا وَقُودَ النّار فى مُسْتَقَرِّها ... وكلٌّ كَفور فى جَهنّم صائر
تلظَّى عليهم وهى قد شبّ حَمْيُها ... بزُبْر الحَديد والحِجارة ساجر[5]
وكان رسول الله قد قال أقْبِلوا ... فولَّوا وقالُوا: إنّما أنْتَ ساحِر
لأمْرٍ أراد الله أن يَهلِكُوا به ... وليس لأمْرٍ حَمَّه الله زاجر[6]

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهمىّ يبكى قَتْلَى بدر :

قال ابن هشام : وتروى للأعشَى بن زُرارة بن النبَّاش ، أحد بنى أُسَيد ابن عمرو بن تَميم ، حليف بنى نَوْفل بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : حليفُ بنى عبد الدار :

ماذا على بَدْرٍ وماذا حَوْلَه ... من فِتْيَةٍ بيض الوُجُوه كِرامِ
تركوا نُبَيْها خَلْفَهم ومُنَبِّها ... وابنَى رَبِيعة خَيْرَ خَصْمٍ فِئام[7]
والحارثَ الفَيَّاضَ يَبْرُق وَجهه ... كالبدر جلَّى ليلَةَ الإظْلام[8]
والعاصِىَ بنَ مُنَبِّهٍ ذا مِرّة ... رُمْحا تَميما غيرَ ذى أوْصام[9]

---

(١) يزهيها : يستخفها ويحركها .

(٢) أبدنا : أهلكنا .

(٣) كذا فى الأصول . والعاثر : الساقط . ويروى : « عافر » بالفاء ، وهو الذى لصق بالعفر ، وهو التراب .

(٤) فى ا : « وما منهما » .

(٥) تلظى : تلتهب . وشب : أوقد . وزبر الحديد (بفتح الباء وسكون الزاى) : قطعه . وساجر : موقد ؛ يقال : سجرت التنور : إذا أوقدته نارا .

(٦) حمه الله : قدره .

(٧) الفئام : الجماعات من الناس .

(٨) الفياض : الكثير العطاء .

(٩) المرة : القوة والشدة . والتميم (هنا) : الطويل . والأوصام : العيوب ؛ الواحد : وصم .

تَنْمى به أعراقُه وجُدُوده ومآثر الأخْوال والأعْمام[1]
وإذا بكَى باكٍ فأعْوِلْ شَجْوَه فعَلى الرئيس الماجِد ابن هشام[2]
حيَّا الإله أبا الوَليد ورَهْطَه رَبُّ الأنام ، وخصَّهم[3] بسَلام

فأجابه حسَّان بن ثابت الأنصاريّ ، فقال :

ابْك بَكَت عيناك ثم تبادَرَتْ بدَم تُعَلّ غُرُوبُها سَجَّام[4]
ماذا بَكيتَ به الذين تَتابعوا[5] هَلا ذكَرتَ مكارِم الأقْوَام
وذكرْتَ منَّا ماجِدًا ذا هِمَّة سَمْحَ الخَلائق صادق الإقْدام
أعنِى النبيّ أخا المكارم والنَّدَى وأبر من يُولى على الإقْسام[6]
فلمِثْله ولمثل ما يَدعو له كان المُمدَّحَ ثَمّ غيرَ كَهام[7]

(شعر حسان فى بدر أيضا) :

وقال حسَّان بن ثابت الأنصاريّ أيضًا :

تَبلَتْ فؤادَكَ فى المَنام خَرِيدة تَسْقى[8] الضَّجيع ببارد بسَّام[9]
كالمسْك تَخْلطه بماء سَحابة أو عاتق كدَم الذَّبيح مُدام[10]
نُفُجُ الحقيبَة بُوصُها متنضِّد بَلْهاءُ غيرُ وشيكة الأقْسام[11]

(١) المآثر : جمع مأثرة ، وهى ما يتحدث به عن الرجل من خير وفعل حسن .

(٢) الإعوال : رفع الصوت بالبكاء . والشجو : الحزن .

(٣) فى م : «وخصه» .

(٤) تعل : تكرر . مأخوذ من العلل ، وهو الشرب بعد الشرب . والغروب : جمع غرب . وهو مجرى الدمع . والسجام : السائل .

(٥) تتابعوا ، أى ألقوا بنفسهم فى التهلكة .

(٦) يولى : يحلف .

(٧) الكهام : الضعيف .

(٨) كذا فى الديوان . وفى الأصول : «تشفى» .

(٩) تبلت : أسقمت . والخريدة : الجارية الحسنة الناعمة .

(١٠) العاتق: الخمر القديمة . قال أبو ذر : «ومن رواه بالكاف ، فهو أيضا الخمر القديمة التى حرت . والقوس إذا قدمت واحمرت قيل لها : عاتكة ، وبها سميت المرأة» . والمدام: اسم من أسماء الخمر.

(١١) نفج (بالجيم) : مرتفعة . ويروى بالحاء المهملة ، ومعناه : متسعة ، والأول أحسن . والحقيبة:

بُنِيت على قَطَنٍ أجَمَّ كأنَّه ... فُضُلاً إذا قَعَدَتْ مَدَاكُ رُخامِ[١]

وتكادُ تَكسَلُ أنْ تَجىء فِراشَها ... فى جِسْمِ خَرْعَبَةٍ وحُسْنِ قَوَامِ[٢]

أمَّا النهارَ فَلا أُفَتِّرُ ذِكْرَها ... واللَّيْلَ تُوزِعُنِى بها أحلامى[٣]

أقْسَمْتُ أنْساها وأترُكُ ذِكْرَها ... حتى تُغَيَّبَ فى الضَّرِيح عظامى[٤]

يا مَنْ لعاذِلةٍ تَلومُ سَفاهةً ... ولقد عَصَيْتُ على الهَوَى لُوَّامى

بَكَرَتْ علَىَّ بسُحْرةٍ بعد الكَرَى ... وتَقارُبٍ مِنْ حادِثِ الأيَّامِ

زَعَمَتْ بأنَّ المَرْء يكرُبُ عُمْرَه ... عَدَمٌ لمعتَكِرٍ من الأصْرامِ[٥]

إن كنتِ كاذبةَ الذى حَدَّثْتِنِى ... فنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هشامِ

تَرَكَ الأحِبَّةَ أن يُقاتِلَ دونَهُم ... ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ ولِجامِ[٦]

تذر العَنَاجِيجَ الجيادَ بقَفْرةٍ ... مرَّ الدَّمُوكِ بمُحْصَدٍ ورِجامِ[٧]

= ما يحمله الراكب وراءه ، فاستعارها هنا لردف المرأة . والبوص (بالضم وبالفتح) : الردف . ومتنضد ، أى علا بعضه بعضا ، من قولك : نضدت المتاع ، إذا جعلت بعضه فوق بعض . وبلهاء : غافلة . ووشيكة . سريعة . والأقسام (بالفتح) : جمع قسم ، وهو اليمين ؛ (وبالكسر) المصدر من أقسم .

(١) القطن : ما بين الوركين إلى بعض الظهر . وأجم : ممتلىء باللحم غائب العظام . والمداك : الحجر الذى يسحق عليه الطيب .

قال السهيلى : « نصب فضلا على الحال ، أى كأن قطنها إذا كانت فضلا ، فهو حال من الهاء فى كأنه ، وإن كان الفضل من صفة المرأة لا من صفة القطن ، ولكن لما كان القطن بعضها صار كأنه حال منها ، ولا يجوز أن يكون حالا من الضمير فى « قعدت » ، لاستحالة أن يعمل ما بعد إذا فيما قبلها . والفضل من النساء والرجال : المتوشح فى ثوب واحد » .

(٢) الخرعبة : اللينة الحسنة الخلق . وأصل الخرعبة : الغصن الناعم .

(٣) توزعنى : تغرينى وتولعنى .

(٤) وأنساها : لا أنساها . الضريح : شق القبر ؛ يقال : ضرح الأرض : إذا شقها .

(٥) يكرب : يحزن ، من الكرب ، وهو الحزن . وعمره ، أى مدة عمره . ويروى : « يومه » ، كما فى ديوان حسان . والمعتكر : الإبل التى ترجع بعضها على بعض ، فلا يمكن عدها لكثرتها . والأصرام : جمع صرم (بكسر ففتح) ، وصرم : جمع صرمة (بالكسر) . وهى القطعة من الإبل .

(٦) الطمرة : الفرس الكثيرة الجرى . وزاد الديوان بعد هذا البيت :

جرداء تمزع فى الغبار كأنها ... سرحان غاب فى ظلال غمام

(٧) العناجيج : جمع عنجوج ، وهو الطويل السريع . والدموك : البكرة بآلتها . والمحصد : الحبل الشديد الفتل . والرجام : حجر يربط فى الدلو ، ليكون أسرع لها عند إرسالها فى البئر .

قال السهيلى : « والرجام : واحد الرجامين ، وهما الخشبتان اللتان تلقى عليهما البكرة » .

مَلأتْ به الفَرْجَيْن فارمــدَّتْ به ... وثَوَى أحبَّتُــه بشَرِّ مقام[١]

وبنُو أبيــه ورَهْطُه فى مَعْرك ... نَصَرَ الإلهُ به ذوى الإســلام

طَحَنَتْهُمُ ، واللهُ يُنْفِذُ أمرَه ، ... حَرْبٌ يُشَبُّ[٢] سَــعِيرُها بضرام[٣]

لولا الإلهُ وجَــرْيُها لتَركْنه ... جَزَرَ السباع ودُسْنه بحَوَامى[٤]

مِن بين مَأْسور يُشَــدّ وَثاقُهُ ... صَقْرٍ إذا لاقى الأســنَّةَ حامِى[٥]

ومجــدَّلٍ لا يستجيب لدَعْوة ... حتى تَزُولَ شوامخُ الأعْــلام[٦]

بالعارِ والذلِّ المُبــيَّنِ إذ[٧] رأى ... بِيضَ السُّيوف تَسُوق كلَّ هُمَامِ[٨]

بيدَىْ أغَــرَّ إذا انتمى لم يُخْزِه ... نَسَبُ القِصار سَمَيْدَعٍ مِقْــدام[٩]

بيضٌ إذا لاقتْ حَديداً صَمَّمَتْ ... كالبَرْق تحت ظلال كلِّ غمام

(شعر الحارث فى الرد على حسان) :

فأجابه الحارث بن هشام ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

اللهُ أعــلمُ ما تركتُ قِتالَهــم ... حتى حَبَوْا مُهْرِى بأشْقَرَ مُزْبِدِ[١٠]

وعرفتُ أنّى إن أقاتِلْ واحــداً ... أُقْتَلْ ولا يَنْكِى[١١] عَدُوِّىَ مَشْهدى

فصَدَدْتُ عنهم والأحِبَّةُ فيهمُ ... طَمَعاً لهم بعقاب يوم مُفْسِــد[١٢]

قال ابن إسحاق : قالها الحارثُ يعتذر من فِراره يوم بدر .

---

(١) الفرجان (هنا) : ما بين يديها وما بين رجليها . وارمدت : أسرعت . وثوى : أقام

(٢) كذا فى ا . ويشب : يوقد . وفى سائر الأصول : « يشيب » .

(٣) الضرام : ما توقد به النار .

(٤) دسنه : وطئنه ، والحوامى : جمع حامية ، وهى ما عن يمين سنبك الفرس وشماله .

(٥) رواية هذا البيت فى الديوان :

من كل مأسور يشد صفاده ... صقر إذا لاقى الكتيبة حامى

(٦) المجدل : الصريع على الأرض . والأعلام : جمع علم ، هو الجبل العالى .

(٧) فى م ، ر : « إذا » .

(٨) الهمام : السيد الذى إذا هم بأمر فعله .

(٩) القصار : الذين قصر سعيهم عن طلب المكارم ، ولم يرد بهم قصار القامات . والسميدع : السيد.

(١٠) يريد « بالأشقر » : الدم . والمزبد : الذى قد علاه الزبد .

(١١) ينكى : يؤلم ويوجع .

(١٢) يريد « بالأحبة » من قتل أو أسر من رهطه وإخوته .

قال ابن هشام : تركنا من قصيدة حسّان ثلاثة أبيات من آخرها، لأنه أقذع فيها [1] .

(شعر لحسان فيها أيضا) :

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضا :

لقد علِمَتْ قريشٌ يومَ بَدْرٍ   غداةَ الأسْرِ والقَتْلِ الشّديد
بأنّا حينَ تَشْتَجِر العَوَالِى   حُماةُ الحَرْب يومَ أبى الوَليد [2]
قَتَلْنا ابْنَىْ ربيعة يومَ سارا   إلَيْنا فى مُضاعَفَة الحَديد [3]
وفرّ بها حكيمٌ يومَ جالَتْ   بنو النجّار تَخْطِرُ كالأُسُود [4]
وولّتْ عند ذاك جُمُوع فِهْرٍ   وأسْلَمَها الحُوَيْرِثُ مِنْ بعيد
لقد لاقَيْتُمُ ذُلّاً وقَتْلاً   جَهِيزًا نافذًا تحتَ الوَرِيد [5]
وكلُّ القَوْمِ قَدْ وَلَّوْا جميعا   ولم يَلْوُوا على الحَسَبِ التّليد [6]

وقال حسّان بن ثابت أيضا :

يا حار قد عَوّلْتَ غيرَ مُعَوَّلٍ   عند الهِياج وساعةَ الأحْساب [7]
إذ تَمْتَطِى سُرُحَ اليَدَيْن نَجِيبةً   مَرْطَى الجِراء طويلة الأقْراب [9]
والقومُ خَلْفَك قد تركتَ قتالهم   تَرْجو النَّجاءَ وليس حينَ ذَهاب

(١) فى الديوان بعد هذا البيت خمسة أبيات لا ثلاثة .

(٢) تشتجر : تختلط وتشتبك . والعوالى : أعالى الرماح . وقد ورد هذا الشعر بين أبيات سبعة للحارث فى شرح الحماسة ببعض اختلاف .

(٣) يريد « بمضاعفة الحديد » : الدروع التى ضوعف نسجها .

(٤) فر ، قال أبو ذر : من رواه بالقاف ، فهو من باب التقريب ، وهو فوق المشى ، ودون الجرى . ومن رواه بالفاء ، فهو من الفرار ، وهو معلوم . وتخطر : تهتز وتتبختر فى المشى إلى لقاء أعدائها .

(٥) جهيزا : سريعا ، يقال : أجهز على الجريح ، وذلك إذا أسرع قتله . والوريد : عرق فى صفحة العنق .

(٦) التليد : القديم .

(٧) عولت : عزمت . والهياج : الحرب .

(٨) تمتطى : تركب . وسرح اليدين ، أى سريعة اليدين ، ويريد بها فرسا . والنجيبة : العتيقة . ومرطى : سريعة : يقال : هو يعدو المرطى : إذا أسرع . والجراء : الجرى . والأقراب : جمع قرب ، وهى الخاصرة وما يليها .

أَلاَّ عَطَفْتَ على ابنِ أُمِّكَ إذ ثَوَى[1] قَعْصَ الأَسِنَّةِ ضائِعَ الأسْلابِ[2]
عجلَ المليكُ له فأهْلَكَ جَمْعَه بشَنَارِ مُخْزِيَةٍ وسُوءِ عذابِ[3]

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدًا أقْذَع فيه .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

– قال ابن هشام : ويقال : بل قالها عبد الله بن الحارث السَّهمى[4] :

مُسْتَشْعِرِى حَلَقِ المَاذِىِّ يقدُمُهم جَلْدُ النَّحِيزة ماضٍ غيرُ رِعْدِيدِ[5]
أعنِى رسولَ إلهِ الخَلْقِ[6] فَضَّلَه على البريَّة بالتَّقْوَى وبالجُودِ
وقد زَعمتم بأن تَحْمُوا ذِماركم وماءُ بَدْرٍ زعمتم غيرُ مَوْرُودِ
ثُمَّ وَرَدْنا ولم نَسْمَعْ لقَوْلكم حتى شَرِبْنا رَوَاءً غير تَصْرِيدِ[7]
مُسْتَعْصِمين[8] بحَبْلٍ غير مُنْجذِم[9] مُسْتَحكَمٍ مِن حبالِ الله مَمْدودِ
فينا الرَّسولُ وفينا الحَقُّ نَتْبعه حتى المَمات ونَصْرٌ غيرُ مَحْدودِ[10]
وافٍ وماضٍ شِهابٌ يُستَضاء به بَدْرٌ أنار على كلِّ الأماجِيدِ[11]

قال ابن هشام : بيته : « مُسْتعصمين بحَبْل غير مُنجذم » عن أبى زيد الأنصارىّ .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

---

(١) فى م ، ر : « توى » (بالتاء المثناة) . وتوى : هلك .

(٢) القعص : القتل بسرعة . والأسلاب : جمع سلب ، وهو ما سلب من سلاح أو ثوب أو غير ذلك .

(٣) الشنار : العيب والعار .

(٤) جاءت هذه القصيدة فى ديوان حسان منسوبة إليه من غير اختلاف فى ذلك .

(٥) يقال : استشعرت الثوب ، وذلك إذا لبسته على جسمك من غير حاجز ، ومنه : الشعار ، وهو ما ولى الجسم من الثياب . والماذى : الدروع البيض اللينة . والنحيزة : الطبيعة والرعديد : الجبان .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « الحق » .

(٧) الرواء (بفتح الراء) : الثملؤ من الماء . (وبكسر الراء) : جمع رِىّ . والتصريد : تقليل الشرب .

(٨) هذا الشطر والشطر الأخير من البيت السابق ساقطان فى ا .

(٩) منجذم : منقطع .

(١٠) غير محدود ، أى غير ممنوع .

(١١) الأماجيد : الأشراف .

خابتْ[١] بنو أسَدٍ وآبَ غَزِيُّهم ... يومَ القَليب بسَوءةٍ وفُضُوحِ[٢]
مِنهم أبو العاصى تجدَّلَ مُقْعَصًا ... عن ظَهْرِ صادقةِ النَّجاء سَبُوحِ[٣]
حَيْنًا له من مانع بسلاحه ... لمَّا ثوَى بمقامه المَذْبوحِ
والمرءُ زَمْعةُ قد تركْنَ ونَحرُه ... يَدْمَى بعانِد مُعْبَطٍ مَسْفُوحِ[٤]
مُتوسِّدًا حُرَّ الجبين مُعفَّرًا ... قد عُرَّ مارِنُ أنفِه بقَبُوحِ[٥]
ونَجا ابنُ قَيْسٍ فى بقيَّة رَهْطه ... بشَفا الرَّماق مُوَليًا بجُروحِ[٦]

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا :

ألا ليتَ شِعْرى هل أتى أهلَ مكَّةٍ ... إبارتُنا الكُفَّار فى ساعة العُسْرِ[٧]
قتَلْنا سَراة القَوْم عند مَجالِنا ... فلم يَرْجعوا إلا بقاصِمةَ الظَّهْرِ[٨]
قتَلْنا أبا جَهْلٍ وعُتْبةَ قبْلَه ... وشَيْبَة يَكْبو لليَدَين وللنَّحْرِ[٩]
قتَلْنا سُوَيْدًا ثم عُتْبَة بعْدَه ... وطُعْمة أيضًا عند[١٠] ثائرة القَتْرِ[١١]
فكم قد قتَلْنا من كَريم مُرزَّإٍ ... له حَسَبٌ فى قَوْمه نابِه الذِّكرِ
ترَكْناهمُ للعاويات يَنُبْنَهُم ... ويَصْلَوْن نارًا بعدُ حامية القَعْرِ[١٢]

---

(١) قال أبو ذر : « خابت » ، من رواه بالخاء المعجمة ، فهو من الخيبة ، ومن رواه (حانت) بالحاء المهملة ، فهو من الحين ، وهو الهلاك .

(٢) الغزى : جماعة القوم الذين يغزون .

(٣) تجدل : صرع على الأرض . واسم الأرض : الجدالة . ومقعصا : أى مقتولا قتلا سريعا . ويريد « بصادقة النجاء » : فرسا سريعة . والنجاء : السرعة . والسبوح : التى تسبح فى جريها كأنها تعوم .

(٤) العاند : الذى يجرى ولا ينقطع ، والمعبط : الدم الطرى . والمسفوح : السائل المنصب .

(٥) معفرا ، أى لا صقا بالعفر ، وهو التراب . وعر : لطخ . ومارن الأنف : مالان منه .

(٦) شفا كل شىء : حده وطرفه . والرماق : بقية الحياة .

(٧) إبارتنا ، أى إهلاكنا ؛ تقول : أبرنا القوم : أى أهلكناهم .

(٨) سراة القوم : سادتهم وخيارهم . ويريد « بقاصمة الظهر » : الداهية التى تقصم الظهور ، أى تكسرها فتبينها . يقال : قصم الشىء إذا كسره فأبانه ، فإذا لم يبنه قيل : فصمه (بالفاء) .

(٩) يكبو : يسقط .

(١٠) فى م ، ر : « عبد » .

(١١) يريد « بثائرة القتر » : ماثار من الغبار وارتفع . والقتر : الغبار .

(١٢) العاويات : الذئاب والسباع . وينبنهم ، أى يأتونهم مرة بعد مرة . ويروى : ينشنهم ، أى يتناولنهم .

لَعَمرك ما حامَتْ فوارسُ مالك وأشياعُهم يوم التَقَيْنا على بَدْرِ[١]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارىّ بيته :

قَتَلْنا أبا جَهْلٍ وعُتْبَةَ قَبْلَه وشَيْبَة يَكْبو لليَـديْن وللنَّحرِ

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضًا :

تَجَلَّى حَكَيِماً يومَ بَدْرٍ شَـدُّهُ كنَجاءِ مُهْرٍ من بنات الأعْوجِ[٢]

لمَّا رأى بَدْرًا تَسِيلُ جِلاهُهُ بكتيبةٍ خَضْراءَ مِن بَلْخَزْرَجِ[٣]

لا يَنْكُلُون إذا لَقُوا[٤] أعـداءَهم يمشـون عائلة الطَّريق المَنْهَجِ[٥]

كم فيهمُ من ماجدٍ ذى مَنْعَـةٍ[٦] بَطَلٍ بمَهْلَكَة الجَبان المُحْرَجِ[٧]

ومُسَوَّدٍ يُعْطِى الجَزِيلَ بكفِّهِ حَمَّال أثقال الدّيات مُتَـوَّجِ

زَيْنِ النَّدِىّ معاودٍ يوْمَ الوَغَى ضَرْبَ الكُماة بكلّ أبيض سَلْجَجِ[٨]

قال ابن هشام : قوله سَلْجج ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسّان أيضًا :

فما نَخْشَى بحَوْلِ[٩] الله قَوْمًا وإن كثُروا وأُجمِعت الزُّحُوفُ[١٠]

---

(١) قال أبو ذر : « ما حامت » ، من رواه بالخاء المعجمة ، فمعناه : جبنت . ومن رواه بالحاء المهملة ، فهو من الحماية ، أى الامتناع » . وقد ورد هذا الشعر فى ديوان حسان طبع أوربة باختلاف كثير فى ألفاظه وبعض أبياته عما هاهنا .

(٢) الشد (هنا) : الجرى . والأعوج : اسم فرس مشهور فى الجاهلية .

(٣) الجلاه : ما استقبلك من حروف الوادى ؛ الواحدة : جلهة (بالفتح) ، وخضراء ، أى سوداء لما يعلوها من الحديد . والعرب تجعل الأسود أخضر ، فتقول : ليل أخضر .

(٤) فى م ، ر : « بقوا » بالباء الموحدة .

(٥) عائلة الطريق : حاشيته . والمنهج : المتسع .

(٦) المنعة : الشدة والامتناع ، ويروى : « ميعة » بالياء ، وهى النشاط .

(٧) المحرج : المضيق عليه .

(٨) الندى : المجلس ، والوغى : الحرب . والأبيض : السيف . والسلجج : الماضى الذى يقطع الضريبة بسهولة .

(٩) فى ا : « بجمد » .

(١٠) الزحوف : جمع زحف ، وهى الجماعة تزحف إلى مثلها ، أى تسرع وتسبق .

إذا ما أَلَبُوا جَمْعا علَيْنا كَفَانا حَــدَّهم ربّ رَءُوف[1]
سَمَوْنا يَوْمَ بَدْرٍ بالعَــوالى سِراعا ما تُضَعْضِعنا الحُتُــوف[2]
فلَم تَر عُصْبةً فى النّاس أنكى لمن عادَوْا إذا لَقِحت كَشُوف[3]
ولكنّا توكّلْنا وقُلْنــا مآثِرُنا ومَعْقِلنا السُّــيوف[4]
لَقِيناهُم بها لَمّا سَمَــوْنا ونحنُ عِصابةٌ وهُــمُ أُلوف

وقال حسّان بن ثابت أيضًا ، يهجو بنى جُمَحَ ومن أُصيب منهم :

جَمَحَت بنو جُمَحٍ لشِقْوة جدّهم إنّ الذّليــل مُوكَّل بذليلِ[5]
قُتِلَت بنو جُمَحٍ ببَدْرٍ عَنْوَةً وتخاذَلوا سَــعْيا بكلّ سَبيل[6]
جَحَدوا الكِتاب وكذّبوا بمحمّد واللهُ يُظْهِر دين كلّ رَسول
لعَنَ الإلهُ أبا خُزَيْمَــة وابنَه والخالدَيْن ، وصاعِدَ بن عَقِيل

(شعر عبيدة بن الحارث فى قطع رجله) :

قال ابن إسحاق : وقال عُبيدة بن الحارث بن المُطّلب فى يوم بدر ، وفى قَطْع رِجْله حين أُصيبت ، فى مُبارزته هو وحمزة وعلىّ حين بارزوا عدوّهم — قال ابن هشام ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكرها لعُبيدة :

ستَبْلُغُ عنّا أهلَ مكّةَ وَقْعَةٌ يَهُبّ لها مَن كان عن ذاك نائيا[7]
بعُتْبة إذ وَلّى وشَــيْبَة بعْدَه وما كان فيها بِكْرُ عُتْبة راضِيا[8]

---

(١) ألبوا : جمعوا .

(٢) ماتضعضعنا ، أى ماتذلنا ولا تنقص من شجاعتنا . والحتوف : جمع حتف ، وهو الموت .

(٣) لقحت : حملت . والكشوف (بفتح الكاف) : الناقة التى يضربها الفحل فى الوقت الذى لا تشتهى فيه الضراب ، فاستعارها (هنا) للحرب . ولقحت الحرب : إذا هاجت بعد سكون .

(٤) المآثر : جمع مأثرة ، وهى ما يتحدث به عن الإنسان من خير أو فعل حسن . والمعقل : الممتنع الذى يلجأ إليه .

(٥) جمحت ، أى ذهبت على وجهها فلم ترجع . والجد : الحظ والبخت .

(٦) عنوة ، أى قهرا وغلبة ، وقد تكون العنوة : الطاعة ، فى لغة هذيل . قال كثير :

فما أسلموها عنوة عن مودة ولكن بحد المشرفى استقالها

(٧) يهب : يستيقظ . والنائى : البعيد .

(٨) يريد «بكر عتبة» : ولده الأول .

فان تَقْطَعُوا رِجْلى فإنىَ مُسْلِم ... أُرجِّى بها عَيْشا مِن الله دانيا
مَع الحُور أمثال التماثيل أُخْلِصَت ... مع الجنَّة العُلْيا لمن[1] كان عاليا[2]
وبِعْتُ بها عَيْشا تعرَّقْتُ صَفْوه ... وعالجتُه حتى فقدتُ الأدانيا[3]
فأكْرَمَنى الرَّحمنُ من فَضْل مَنِّه ... بثَوْبٍ مِنَ الإسْلام غَطَّى المَساويا
وما كان مَكْروها إلىَّ قِتالُهُم ... غداةَ دعا الأكْفاءَ مَنْ كان داعِيا
ولم يَبْغ إذ سالوا النبىَّ سَواءنا ... ثَلاثَتنا حتى حَضَرْنا المناديا
لَقِيناهم كالأُسْد تَخْطِر بالقَنا ... نُقاتل فى الرَّحمن من كان عاصيا
فمَا بَرِحَتْ أقْدامُنا من مَقامنا ... ثَلاثتنا حتى أُزِيروا المَنائيا[4]

قال ابن هشام: لما أصيبت رِجْلُ عُبيدة قال: أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنى أحقُّ منه بما قال حين يقول:

كَذبتم وبيتِ الله يُبْزَى[5] محمدٌ ... ولمَّا نُطاعن دونَه ونُناضِل
ونُسْلِمه حتى نُصرَّع حَوْلَه ... ونذهَل عَن أبْنائِنا والحَلائل

وهذان البيتان فى قصيدة لأبى طالب، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب.

(رثاء كعب لعبيدة بن الحارث):

قال ابن إسحاق: فلما هلك عُبيدة بن الحارث من مُصاب رِجْله يوم بدر. قال كعب بن مالك الأنصارىّ يَبْكيه:

أيا عَيْن جُودى ولا تَبْخَلى ... بدمْعك حقًّا ولا تَنْزُرِى[6]
على سَيِّد هَدَّنا هُلْكُه ... كَريمَ المَشاهِد والعُنْصر

---

(١) فى م، ر: «العليا من ....».
(٢) التماثيل: جمع تمثال، وهى الصورة تصنع أحسن ما يقدر عليه. وأخلصت: أحكم صنعها وأتقن هذا إذا كان مرجع الضمير إلى التماثيل، وإذا رجع الضمير إلى الحور، فمعناه خص بها. قال أبو ذر: وهو أحسن.
(٣) كذا فى أكثر الأصول. وتعرقت (بالقاف): مزجت، يقال: تعرق الشراب، إذا مزجه، وفى ا: «تعرفت».
(٤) المنائيا: يريد المنايا. قال أبوذر: «وقد تكون هذه الهمزة منقلبة عن الياء الزائدة. التى فى منية.
(٥) أى لايبزى، أى يقهر ويستذل. (اللسان: بزا).
(٦) لا تنزرى، أى لا تقلى من الدمع.

جَرِىءِ المقدَّم شاكى السِّــلاح كريم النَّثا طيِّب المَكْسِر[١]
عُبَيْدةُ أمسَى ولا نَرْتجِيــه لعُــرف عرَانا ولا مُنْكر
وقد كانَ يَحْمى غَداةَ القِتا ل حاميَــة الجَيْش بالمِبْــتَر[٢]

(شعر لكعب فى بدر) :

وقال كعب بن مالك أيضا ، فى يوم بدر :

ألا هل أتى غَسَّانَ فى نأى دارِها وأخْــبَرُ شىءٍ بالأمُور علَيمها
بأن قد رَمَتْنا عن قِسِىّ عَــداوةٍ مَعَــدّ معا جُهَّالُها وحَليمها[٣]
لأنَّا عَبَدْنا اللهَ لم نَرْجُ غــيرَه رَجاء الجِنان إذْ أتانا زَعيمها[٤]
نبىّ له فى قَوْمه إرْثُ عــزَّة[٥] وأعراقُ صدْق هَذَّبَتْها أرُومها[٦]
فساروا وسِرْنا فالتَقَيْنا كأنَّنا أُسُــود لِقاءٍ لا يُرَجَّى كَليمها[٧]
ضَربناهُم حتى هَوى فى مكرّنا لمَنْخر[٨] سَوْء من لُؤَىّ عَظيمها
فولَّوْا ودُسْــناهم ببِيض صَوارم سَواءٌ علَيْنا حِلْفُها وصَميمها[٩]

وقال كعب بن مالك أيضا :

لَعَمْر أبيكُما يابَنِى لُؤَىّ على زَهْوٍ لدَيْكم وانْتِخاءِ[١٠]

---

(١) شاكى السلاح ، أى حاد السلاح . والنثا : ما يتحدث به عن الرجل من خير وشر . وطيب المكسر ، أى أنه إذا فتش عن أصله وجد خالصا . ويروى : « طيب المكشر » (بالشين) ، أى طيب النكهة .

(٢) يريد « بالمبتر » : السيف ، اسم آلة من البتر ، وهو القطع .

(٣) القسى : جمع قوس ، وهو معروف .

(٤) الزعيم : الرئيس والضامن . ويريد به هنا النبى صلى الله عليه وسلم .

(٥) فى ا : « عزه » بالحاء المهملة .

(٦) هذبتها : أخلصتها . والأروم : جمع أرومة ، وهى الأصل .

(٧) الكليم : الجريح .

(٨) فى م ، ر : « لمنحر » .

(٩) دسناهم : وطئناهم . والصوارم : السيوف القواطع . وحلفها ، أى من كان حليفا فيهم وليس منهم . والصميم : الخالص من القوم .

(١٠) الانتخاء : الإعجاب والتكبر

لَمَّا حامَتْ فوارسُكم ببـدْرٍ ... ولا صَـبروا به عنـد اللِّقاء[1]
ورَدْناه بنـور الله يَجْـلو ... دُجَى الظَّلْماء عَنَّا والغِطاء
رسولُ الله يَقْـدُمنا بأمْرٍ ... مِن امْرِ الله أُحكِمَ بالقَضاء
فما ظفرتْ فوارِسكم ببدر ... وما رَجعوا إليكم بالسَّواء
فلا تَعْجَل أبا سُفْيان وارقُبْ ... جِياد الخَيْـل تَطْلُعُ من كَداء[2]
بنَصْر الله روحُ القُدْس فيها ... وميكالٌ ، فياطِيبَ المَـلاء[3]

(شعر طالب فى مدح الرسول وبكاء أصحاب القليب):

وقال طالبُ بن أبى طالب ، يمدح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويبكى أصحاب القَليب من قُرَيش يوم بدر :

ألا إنّ عَيْنى أنفدتْ دمْعها سكْبا ... تُبَكِّى على كعب وما إن ترى كَعبا
ألا إنّ كَعْبا فى الحروب تخاذَلوا ... وأرْدامُ ذا الدَّهرُ واجْتَرَحوا ذَنْبا[4]
وعامر تبْكى للمُلِمَّات غُدْوَةً ... فياليت شِعْرى هل أرى لهما قُرْبا
هما أخَوايَ لن يُعَـدَّا لِغَيَّةٍ ... تُعَدُّ ولن يُسْتام جارُهما غَصْبا[5]
فيا أخَوَيْنا عَبْـدَ شَمْسٍ ونَوْفَلا ... فِدًى لكما لا تَبْعثوا بيْننا حرْبا
ولا تُصْبِحُوا من بعد وُدٍّ وأُلْفةٍ ... أحاديثَ فيها كلُّكم يَشْتكى النَّكْبا[6]
ألم تعلموا ما كان فى حَرْب داحسٍ ... وجيش أبى يكْسوم إذ مَلَئُوا الشِّعْبا[7]
فلَوْلا دِفاعُ الله لاشَىْءَ غيرُهُ ... لأصْبحتُم لا تمْنعون لكم سِرْبا[8]

---

(١) حامت : امتنعت ، من الحماية ، وهى الامتناع .

(٢) كداء (بفتح الكاف والمد) : موضع بمكة .

(٣) الملاء ، أراد الملأ ، وهم أشراف القوم وسادتهم .

(٤) أردام : أهلكهم . واجترحوا : اكتسبوا ؛ ومنه قوله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » .

(٥) يقال : هو لغية ، إذا كان لغير أبيه ؛ كما يقال : هو لرشدة ، إذا كان لأبيه .

(٦) النكب : يريد نكبات الدهر .

(٧) داحس : اسم فرس ، كانت حرب بسببه . وأبو يكسوم : ملك من ملوك الحبشة ، وقد مر حديثه فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٨) السرب (بالفتح) : الإبل الراعية . والسرب (بالكسر) : القوم ، ويقال النفس ومنه الحديث : « أصبح آمنا فى سربه » .

فما إنْ جنَينا فى قُريش عظيمةً ... سوى أن حَمَيْنا خيرَ مَنْ وطئ التُّرْبا
أخا ثِقَةٍ فى النائباتِ مُرَزَّأً ... كريمًا نثاه لا بخيلا ولا ذَرْبا[1]
يُطيف به العافُون يَغْشَوْن بابَه[2] ... يَؤُمُّون[3] بحرا لا نَزُورا ولا صَرْبا[4]
فوالله لا تنفكُّ نفسى حزينةً ... تَمَلْمَلُ حتى تَصْدُقوا الخَزْرجَ الضَّرْبا[5]

(شعر ضرار فى رثاء أبى جهل) :

وقال ضرار بن الخطَّاب الفهرى ، يرثى أبا جهْل :

ألا مَنْ لعينٍ باتت اللَّيلَ لم تَنَمْ ... تُراقبُ نَجْما فى سوادٍ من[6] الظُّلَمْ
كأنَّ قذًى فيها وليس بها قذًى ... سوى عَبْرة من جائل الدمع تَنْسَجِم[7]
فبَلِّغْ قُرَيْشا أنَّ خَيْرَ نَدِيِّها ... وأكرمَ مَن يمشى بساقٍ على قَدَم[8]
ثوَى يوم بدرٍ رَهْنَ خَوْصاءَ رَهْنُها ... كريمُ المساعى غيرُ وَغْدٍ ولا بَرِم[9]
فآليتُ لا تَنْفكُّ[10] عينى بعَبْرة ... على هالكٍ بعد الرَّئيس أبى الحَكَم
على هالكٍ أشْجَى لُؤَىَّ بن غالب ... أتَتْه المَنايا يوم بدْرٍ فلم يَرِم[11]
ترى كِسَرَ الخَطِّىِّ فى نَحْر مُهْرِه ... لَدَى بائنٍ من لحمه بينها خِدَم[12]
وما كان ليثٌ ساكنٌ بَطْنَ بِيشةٍ ... لدى غَلَلٍ يَجْرى ببَطْحاء فى أَجَم[13]

---

(١) الذرب : الفاسد . ومنه يقال : ذربت معدته ، إذا تغيرت .
(٢) العافون : الطالبون المعروف .
(٣) كذا فى م ، ر . وفى سائر الأصول : « يؤمون نهرا » أى يقصدون ويرجون .
(٤) النزور : القليل . والصرب : المنقطع .
(٥) تململ : أى لا تستقر على فراشها .
(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « مع » .
(٧) القذى : ما يسقط فى العين وفى الشراب والماء ، وتنسجم : تنصب .
(٨) الندى : المجلس .
(٩) الخوصاء (هنا) : البئر الضيقة . والوغد : الضعيف من القوم ، والبرم : البخيل الذى لايدخل مع القوم فى الميسر لبخله .
(١٠) فى ا : لاتنهل .
(١١) أشجى : أحزن ، من الشجو ، وهو الحزن . ولم يرم ، أى لم يبرح ولم يزل .
(١٢) الخطى : الرماح . والخذم (بالخاء) أو بالجيم : قطع اللحم .
(١٣) بيشة : موضع تنسب إليه الأسود ، والغلل (بالغين المعجمة) : الماء الجارى فى أصول الشجر . والأجم : جمع أجمة ، وهى الشجر الملتف ، وهى موضع الأسود .

بأجرأ منــهُ حين تختلف القنا ... وتُدعى نزالِ فى القماقمة البُهم[1]

فلا تجزعوا آلَ المغيرة واصبروا ... عليه ومَنْ يجزع عليــه فلم يُلم[2]

وجِدّوا فانّ الموت مكرُمةٌ لكم ... وما بعده فى آخر العيش من نَدَم

وقد قلتُ إنّ الريح طيّبةٌ لكم ... وعزّ المقام غــير شكّ لذى فَهَم[3]

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لِضرار .

(شعر الحارث بن هشام فى رثاء أبى جهل) :

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام ، يبكى أخاه أبا جَهل :

ألا يا لهفَ نفسى بعد عمْرو ... وهل يُغنى التّلهّفُ من قَتيلِ[4]

يُخــبّرنى المُخبّر أنّ عمْراً ... أمام القوم فى جَفْرٍ[5] مُحيــلِ[6]

فقِدْماً كنتُ أحسب ذاك حقّاً ... وأنتَ لمَا تقــدَّم غيرُ فيــلِ[7]

وكنتُ بنعمــة مادُمْتَ حَيّاً ... فقد خُلِّفْتُ فى دَرَج المَســيلِ[8]

كأنى حــين أُمْسِى لا أراه ... ضعيفُ العَقْــد ذو همّ طويلِ[9]

على عمْرو إذا أمْسيْتُ يوما ... وطَرْفٍ من تذكُّره كَليلِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهاللحارث بن هشام ؛ وقوله : « فى جفر » عن غير ابن إسحاق .

---

(١) القماقمة : السادة الكرماء ؛ واحدهم : قمقام . والبهم : الشجعان ؛ الواحد : بهمة .

(٢) فلم يلم ، قال أبو ذر : « من رواه بكسر اللام ، فمعناه : لم يأت بما يلام عليه ؛ ومن رواه بفتح اللام ، فمعناه : لم يعاتب ، من اللوم ، وهو العتاب » .

(٣) يريد « بطيب الريح » : النصر . قال تعالى : « وتذهب ريحكم » .

(٤) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . والفتيل (بالفاء) : الذى يكون فى شق النواة يضرب به المثل فى الشيء القليل ، ومنه قوله تعالى : « لا يظلمون فتيلا » . وفى سائر الأصول : « قتيل » بالقاف .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . والجفر : البئر التى لا بناء لها ، وفى ا : « حفر » .

(٦) المحيل : القديم المتغير .

(٧) غير فيل ، أى غير فاسد الرأى ؛ يقال : رجل فيل الرأى ، وفال الرأى ، وفائل الرأى : إذا كان غير حسن الرأى .

(٨) يريد « بدرج المسيل » : موطن الذل والقهر ؛ يقال : تركته درج المسيل ، إذا تركته بدار مذلة ، وهو حيث لا يقدر على الامتناع .

(٩) العقد (هنا) : العزم والرأى .

(شعر ابن الأسود فى بكاء قتلى بدر) :

قال ابن إسحاق : وقال أبو بكر بن الأسود بن شَعُوب اللَّيْثى ، وهو شَدَّاد ابن الأسود :

تُحَيِّي بالسَّلامة أمُّ بَكْر وهل لى بعد قومى مِنْ سلامِ
فماذا بالقَلِيب قَلِيبِ بَدْر من القَيْنات والشَّرْب الكِرَام[1]
وماذا بالقَلِيب قَلِيب بَدْر من الشِّيزَى تُكَلَّل بالسَّنام[2]
وكم لكِ بالطَّوِىّ طَوِىِّ بَدْر مِن الحَوْمات والنَّعَم المُسام[3]
وكم لكِ بالطَّوِىّ طوِىّ بَدْر من الغايات والدُّسُع العِظام[4]
وأصحابِ الكَريم أبى علىّ أخى الكاس الكريمة والنِّدَام
وإنَّكِ لو رأيْتِ أبا عَقِيل وأصحابَ الثَّنِيَّة مِن نَعام[5]
إذًا لَظَلِلْتِ مِن وَجْد عليهم كأُمّ السَّقْب جائلةِ المَرَام[6]
يُخَبِّرُنا الرَّسُولُ لسَوْفَ نَحْيا وكيف لقاءُ أصداءٍ وهَام ؟[7]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبيدة النحوىّ :

يُخَبِّرُنا الرَّسولُ بأنْ سَنَحْيا وكَيْفَ حَياةُ أصداءٍ وهامِ

قال : وكان قد أسلم ثم ارتدّ .

---

(١) القليب : البئر . والقينات : الجوارى . والشرب : جماعة القوم الذين يشربون .

(٢) الشيزى : جفان تصنع من خشب ، وإنما أراد أصحابها الذين يطعمون فيها . والسنام : لحم ظهر البعير

(٣) الطوى : البئر المطوية بالحجارة . والحومات : جمع حومة ، وهى القطعة من الإبل . والمسام : المرسل فى المرعى ؛ يقال : أسام إبله ، إذا أرسلها ترعى دون راع .

(٤) الدسع (هنا) : العطايا .

(٥) الثنية : فرجة بين جبلين . ونعام : موضع .

(٦) السقب : ولد الناقة حين تضعه .

(٧) الأصداء : جمع صدى ، وهى بقية الميت فى قبره ، وهى أيضا طائر ، يقولون هو ذكر البوم . والهام جمع هامة ، وهو طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل إذا قتل فيصيح : اسقونى اسقونى ؛ فلا يزال يصيح كذلك حتى يؤخذ بثأره ، فحينئذ يسكت .

(شعر أمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر) :

وقال ابن إسحاق : وقال أُميّةُ بن أبي الصّلت ، يرثي من أُصيب من قُرَيش يوم بدر :

أَلاَّ بَكَيتِ على الكِرَا م بَني الكِرام أُولي المَمادحْ
كبُكا الحَمام على فُرو ع الأَيْك في الغُصُن الجَوانِح[1]
يَبْكين حَرَّى مُسْتَكِيناتٍ[2] يرُحْن مع[3] الرَّوائح
أمثالهُنّ الباكِيا ت المُعْوِلاتِ من النَّوائح[4]
مَنْ يَبْكِهِم يَبْكِ على حُزْن ويَصدُق كلُّ مادح
ماذا ببَدْرٍ فالعَقَنْقَل من مَرازِبةٍ جَحاجِح[5]
فمَدافع البَرقَيْن فالحَنّان من طَرَف الأَواشِح[6]
شُمْطٍ وشُبّان بِها لِيلٍ مَغاوِيرٍ وَحاوِح[7]
ألا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى ولقد أَبانَ لكُلّ لامح
أن قد تَغَيَّر بَطْنُ مكّة فهْي مُوحشة الأباطح
من كُلّ بِطْريقٍ لِبِطْريق نَقِيّ القَون واضِح[8]
دُعْمُوص أَبْوابِ المُلو ك وجائبٍ لِلْخَرْق فاتح[9]

---

(١) الأيك : الشجر الملتف ؛ واحده : أيكة . والجوانح : الموائل ؛ يقال : جنح : إذا مال .

(٢) حرى : يعني اللائي تجدن من الحزن . ومستكينات : خاضعات .

(٣) في م ، ر : « من » .

(٤) المعولات : الرافعات الصوت بالبكاء .

(٥) العقنقل : الكثيب من الرمل المنعقد . والمرازبة : الرؤساء ؛ الواحد : مرزبان ، وهي كلمة أعجمية . والجحاجح : السادة ؛ واحدهم : جحجاح .

(٦) يريد « بمدافع البرقين » : حيث يندفع السيل . والبرقين : موضع . والحنان : الكثيب من الرمل . والأواشح : موضع .

(٧) الشمط : الذين خالطهم الشيب . والبهاليل : السادة ؛ الواحد : بهلول . والمغاوير : جمع مغوار ؛ وهو الذي يكثر الغارة . والوحاوح : جمع وحوح ، وهو الحديد النفس .

(٨) البطريق : رئيس الروم .

(٩) الدعموص : دويبة تغوص في الماء . يريد أنهم يكثرون الدخول على الملوك . والجائب : القاطع . والخرق : الفلاة الواسعة .

مِنَ السَّراطمة[1] الخَـلا جمة الملاوثة المَناجيح[2]

القائلـين الفاعليـن الآمرين بكلّ صالح

المُطْعِمين الشَّحْمَ فوْ ق الخُبْز شحمًا كالأنافح[3]

نُقُل الجفان مع الجفا ن إلى جِفانٍ كالمناضح[4]

ليْسَت بأصْفار[5] لِمَن يَعْفو ولا رَحّ رحارح[6]

للضَّيْف ثم الضَّيْف بعـد [الضيف][7] والبُسُط السَّلاطح[8]

وهُبُ المِئين من المئيـنَ إلى المئين من اللّواقح[9]

سَوْق المُؤَبَّل للمُؤَبَّل صادرات عن بَلادح[10]

لكِرامهم فوقَ الكِرا م مزيّةٌ وزْنَ الرّواجح

كتثاقُل[11] الأرطال بالقسطاس[12] في الأيدي[13] المَوائح[14]

خذَلَتْهُمْ فِئَةٌ وهم يَحْمُون عَوْرات الفَضائح

---

(١) كذا في أكثر الأصول. والسراطمة: جمع سرطم، وهو الواسع الحلق. وفي ا: «الشراطمة».

(٢) الخلاجمة: جمع خلجم، وهو الضخم الطويل. والملاوثة: جمع ملواث، وهو السيد. والمناجيح: الذين ينجحون في سعيهم ويصلحون فيه.

(٣) الأنافح: جمع أنفحة، وهي شيء يخرج من بطن ذي الكرش داخله أصفر، فشبه به الشحم.

(٤) المناضح: الحياض، شبه الجفان بها في عظمها.

(٥) أصفار: جمع صفر، وهو الخالي من الآنية وغيرها. ويعفو: يقصد طالبا المعروف.

(٦) كذا في ا. ورح رحارح، أي واسعة من غير عمق. وفي سائر الأصول: «رح وجارح» وهو تحريف.

(٧) زيادة عن ا.

(٨) السلاطح: الطوال العراض.

(٩) يريد «باللواقح»: الإبل الحوامل.

(١٠) المؤبل الإبل الكثيرة. وصادرات: راجعات. وبلادح: موضع.

(١١) في م، ر: «كتاقل».

(١٢) القسطاس: الميزان الكبير.

(١٣) في م، ر: «في أيدي».

(١٤) كذا في شرح السيرة لأبي ذر. والموائح: التي تمايل لثقل ما ترفعه. وفي ا، ط: «المراثح». وفي سائر الأصول: «المواتح». ولا يستقيم بهما المعنى.

الضَّـــاربين التَّقْدُمِيَّـــةَ بالمُهَنَّدة الصَّـــفائح[١]
ولَقَدْ عَنَانى صَـوْتُهم مِن بين مُسْتَسْقٍ وصائح[٢]
لله دَرُّ بَـنِى عَـــلىٍّ أَيِّمٍ منهُـم وناكِح[٣]
إن لم يُغِـيروا غارةً شَعْواءَ تُجْحِرُ[٤] كُلَّ نابح
بالمُقْرَبات ، المُبْعَـــدا ت ، الطَّامحات مع الطَّوامح[٥]
مُرْدًا على جُـرْدٍ إلى أُسْـدٍ مُكالِبَةٍ كوالح[٦]
ويُلاقِ قِـرْنٌ قِرْنَهُ مَشْىَ المُصافِحِ للمُصافِح[٧]
بزُهاءِ أَلْفٍ ثمَّ أَلْــفٍ بين ذى بَدَنٍ ورامح[٨]

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأنشدنى غيرُ واحد من أهل العلم بالشعر بيتَه :

ويُلاقِ قِـرْنٌ قِرْنه مَشْىَ المُصافح للمُصافح

وأنشدنى أيضًا[٩] :

وهُبُوُ المِشينَ منَ المِئِيـنَ إلى المِئِين مِنَ اللَّواقح
سَـوق المُؤَبَّل للمُؤَبَّـــل صادرات عن بلادح

قال ابن إسحاق : وقال أُمَيَّة بن أبى الصَّلْت ، يبكى زَمَعَة بن الأسود ، و قتْلَى بنى أَسَد :

---

(١) يريد « بالتقدمية » التقدم أى يضربون متقدمين فى أول الجيش . والمهند : السيوف المطبوعة من حديد الهند ؛ الواحد : مهند . والصفائح : العراض .

(٢) عنانى ، أى أحزننى وشق على .

(٣) الأيم : الذى لم يتزوج .

(٤) كذا فى ا ، ط . وتجحر : تلجئه إلى جحره . وفى سائر الأصول : « تجسر » .

(٥) المقربات : الخيل التى تقرب من البيوت لكرمها . والمبعدات : التى تبعد فى جريها أو فى مسافة غزوها . والطامحات : التى ترفع رءوسها .

(٦) الجرد : الخيل العتاق . والمكالبة : هم الذين بهم شبه الكلب ، وهو السعار ، يعنى حدتهم فى الحرب . والكوالح : العوابس .

(٧) القرن : الذى يقاوم فى قتال أو شدة .

(٨) البدن : الدرع .

(٩) هذه الكلمة « أيضا » ساقطة فى ا .

عَيْنُ بَكِّى بالمُسْبِلاتِ أبا الحارث لا تَذْخَرى على زَمَعه[١]

وابكى عقيلَ بن أسودٍ أسَدَ البأسِ ليَوْمِ الهياج والدَّفَعه[٢]

تلك بنُو أسَدٍ إخْوَةُ الجَوْزاءِ لا خانَةٌ ولا خَدَعَه[٣]

هُمُ الأُسْرَةُ الوسيطة من كَعْبٍ وهُم ذِرْوَةُ السَّنام والقَمعه[٤]

أنْبتوا مِن معاشرٍ شَعَرَ الرأسِ وهُم ألحقوهُمُ المَنَعَه

أمْسَى بنو عمِّهم إذا حَضَرَ البأسُ أكْبادُهم عليهمُ وَجِعه

وهُم المُطْعمون إذْ قَحط القَطْرُ وحالَتْ فلا ترى قَزَعه[٥]

قال ابن هشام: هذه الرواية لهذا الشعر مُخْتلطة، ليست بصَحيحة البناء؛ لكن أنشدنى أبو مُحْرِز خلف الأحمر وغيره، روى بعضٌ ما لم يَرْوِ بعض:

عَيْنُ بَكِّى بالمُسْبَلاتِ أبا الحارث لا تَذْخَرِى على زَمَعه

وعَقِيلَ بن أسْوَدٍ أسدَ البأسِ ليَوْمِ الهياج والدَّفعَه

فعلَى مثلِ هُلْكِهم خوَتِ الجَوْزاءِ، لا خانةٌ ولا خَدَعه

وهُمُ الأسْرَةُ الوَسيطةَ مِن كَعْبٍ، وفيهم كذِرْوة القَمَعه

أنْبتُوا مِنْ مَعاشرٍ شَعَرَ الرأسِ، وهم ألْحقوهم المَنَعه

فبنو عمِّهم إذا حَضَرَ البأسُ عليهم أكبادُهم وجِعَه

وهُمُ المُطْعِمون إذ قَحط القَطْرُ وحالَت فلا ترى قَزَعه

(شعر أبي أسامة):

قال ابن إسحاق: وقال أبو أُسامة، معاويةُ بن زُهير بن قَيْس بن الحارث

---

(١) المسبلات: الدموع السائلة، يقال: أسبل الدمع: إذا جرى؛ وأسبله هو: إذا أجراه. ولا تذخرى، أى لا تدخرى.

(٢) كذا فى أكثر الأصول. وفى ا: «الدقعة» بالقاف. وقال أبو ذر: «من رواه (بالفاء) فهو جمع دافع: ومن رواه (بالقاف)، فهو من الدقعاء، وهو التراب، ويعنى به الفقر. وقد يجوز أن يكون «الدقعة» هنا: جمع داقع، وهو الفقير؛ فيقول: «ابكيه للحرب والجود».

(٣) الجوزاء: اسم نجم. وخانة: جمع. خائن. وخدعة: جمع خادع.

(٤) الأسرة: رهط الرجل. والوسيطة: الشريفة. وذروة السنام: أعلاه. والقمعة: السنام.

(٥) القزعة: سحاب متفرق.

ابن سعد بن ضُبَيّعة بن مازن بن عدىّ بن جُشَم بن مُعاوية حليف بنى مخزوم ـ قالَ ابن هشام : وكان مُشركا وكان مَرّ بهُبَيْرة بن أبى وَهْب[1] وهم مُنهزمون يوم بدر ، وقد أعيا هُبَيْرة ، فقام فألقى عنه درْعه وحمله فمضى به ، قال ابن هشام : وهذه أصحّ أشعار أهل بدر :

ولمّا أنْ رأيْتُ القَوْم خَفّوا ... وقد زالت[2] نعامتُهم لنَفْــرِ
وأنْ تُرِكَتْ سَراةُ القَوْم صَرْعَى ... كأنّ خيارَهم أذْباحُ عِــتْرِ[3]
وكانَتْ جُمّــةٌ[4] وافتْ حِماما ... ولُقِّينا المَنايا يَوْمَ بَدْرِ
نَصُــدّ عَنِ الطّريق وأدْرَكونا ... كأنّ زُهاءَهم غَطَيانُ بَحْــرِ[5]
وقال القائلونَ : مَنِ ابنُ قَيْس ؟ ... فقُلْتُ : أبو أُسامَةَ ، غير فَخْرِ
أنا الجُشَــمِىّ كيما تَعرِفوني ... أُبَــيِّنُ نِسْــبَتِى نَقْرًا بنَقْرِ[6]
فإن تَكُ فى الغَلاصِمِ من قُرَيْش ... فإنّى من مُعاوية بن بَكْرِ[7]

---

(١) فى م ، ر : (وهم) .

(٢) كذا فى ا ، وشرح السيرة ، والروض . وفى سائر الأصول « شالت » . قال السهيلى : « العرب تضرب زوال النعامة مثلا الفرار ، وتقول شالت نعامة القوم : إذا فروا وهلكوا . والنعامة (فى اللغة) : باطن القدم ، ومن مات فقد شالت رجله ، أى ارتفعت ، وظهرت نعامته . والنعامة (أيضا) : الظلمة . وابن النعامة : عرق فى باطن القدم . فيجوز أن يكون قوله : زالت نعامتهم ، كما يقال ، زال سواده ، وضحا ظله : إذا مات . وجائز أن يكون ضرب النعامة مثلا ، وهو الظاهر فى بيت أبى أسامة ، لأنه قال : زالت نعامتهم لنفر . والعرب تقول : أشرد من نعامة وأنفر من نعامة . . . . فإذا قلت : زالت نعامته ، فمعناه : نفرت نفسه التى هى كالنعامة فى شرودها » .

(٣) سراة القوم : خيارهم . والعتر : الصنم الذى يذبح له .

(٤) كذا فى أكثر الأصول ، وفى ا : « حمة » بالحاء المهملة ، قال أبو ذر : « من رواه بالجيم : فمعناه الجماعة من الناس ، وأكثر ما يقال فى الجماعة الذين يأتون يسألون فى الدية ؛ ومن رواه : حمة بالحاء المهملة ، فمعناه : قرابة وأصدقاء ، من الحميم ، وهو القريب » . وقال السهيلى : « الجمة : السواد والجمة : الفرقة ؛ فإن كان أراد بالجمة سواد القوم فله وجه ؛ وإن كان أراد الفرقة منهم فهو أوجه » .

(٥) غطيان بحر ، أى فيضانه .

(٦) قال السهيلى : النقر : الطعن فى النسب ، يقول : إن طعنتم فى نسبى وعبتموه بينت الحق ، ونقرت فى أنسابكم ، أى عبتها وجازيت على النقر بالنقر . وقالت جارية من العرب : مروا بى على بنى نظرى ـ تعنى الفتيان الذين ينظرون إليها ـ ولا تمروا بى على بنات نقرى . تعنى النساء اللواتى ينقرن ، أى يعبن .

(٦) الغلاصم : الأعالى من النسب . وأصل الغلصمة : الحلقوم الذى يجرى عليه الطعام والشراب .

فأبْلغ مالكا لَمَّا غَشِينا ... وعندك مال ـ إن نبَّأتَ ـ خبِّرى[1]
وأبْلغ إنْ بلغتَ[2] المرْءَ عنَّا ... هُبيرة ، وهو ذو علْمٍ وقَدْر
بأنى إذ دُعِيت إلى أُفَيْد ... كَرَرْتُ ولم يَضِقْ بالكَرِّ صدْرى[3]
عَشِيَّةَ لا يَكَرّ على مُضافٍ ... ولا ذى نَعْمَةٍ منهُم وصِهْر[4]
فدُونَكُم بنى لَأْىٍ أخاكُم ... ودونك مالكا يا أمَّ عَمْرو[5]
فلولا مَشْهدى قامتْ عليْه ... مُوَقَّفَةُ القَوائم أمُّ أجْرِى[6]
دَفُوعٌ للقُبُور بمَنْكِبَيْها ... كأنَّ بوَجْهها تَحْميمَ قِدْر[7]
فأُقْسِم بالذى قد كان ربِّى ... وأنْصابٍ لَدَى الجَمَرات مُغْر[8]
لسَوْف ترَوْن ما حَسَبى إذا ما ... تبدَّلت الجُلُود جلودَ نمْر
فما إنْ خادِرٌ من أُسْد تَرْج ... مُدِلٌّ عَنْبَسٌ فى الغِيل مُجْرِى[9]
فقَدْ أحْمى الأَباءة من كُلافٍ[10] ... فما يَدْنُو له أحَدٌ بقفْر[11]

---

(١) مال ، يريد : مالك ، فرخم ، وحذف حرف النداء من أوله .

(٢) فى ا : « عرضت » .

(٣) أفيد ، قال أبو ذر : « أفيد (بالفاء والقاف) : اسم رجل » . وقال السهيلى : « أفيد : تصغير وفد ، وهم المتقدمون من كل شىء من ناس أو خيل أو إبل ، وهو اسم الجمع مثل ركب ، ولذلك جاز تصغيره ؛ وقيل : أفيد ، اسم موضع » .

(٤) المضاف : الخائف المضطر المضيق عليه .

(٥) بنى لأى ، يريد : بنى لؤى ، فجاء به مكبرا على الأصل ، ولؤى تصغير لأى . (عن الروض الأنف) .

(٦) يريد « بالموقفة » : الضبع ، من الوقف وهو الخلخال ، لأن فى قوائمها خطوطا سودا . وأجر : جمع جرو ، وهو ولدها .

(٧) التحميم : التلطيخ بالسواد .

(٨) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لها . والجمرات : موضع الجمار التى يرمون بها . ومغر : جمع أمغر ، وهو الأحمر ؛ يريد : أنها مطلية بالدم .

(٩) الخادر : الأسد الذى يكون فى خدره ، وهى أجمته . وترج : جبل بالحجاز كثير الأسد . وعنبس أى عابس الوجه . والغيل (بالكسر) : الشجر الملتف . ومجرى ، أى له جراء ، يعنى أشبالا ، أى أولادا .

(١٠) أحمى : جعلها حمى لا تقرب . والأباءة (بفتح الهمزة) : أجمة الأسد . وكلاف ، قال أبو ذر : « كلاف (بالفاء) : اسم ، موضع » . وقد ذكره ياقوت ، وقال : إنه واد من أعمال المدينة . وقال السهيلى : « لعله أراد من شدة كلفه بما يحميه ، فجاء به على وزن فعال ، لأن الكلف إذا اشتد كالهيام والعطاش . ولعل كلافا : اسم موضع . وقال أبو حنيفة : الدينورى الكلاف : اسم شجر » .

(١١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « بنفر » بالفاء .

بِحَلٍّ تعجِزُ الحُلَفاءُ عنه يُواثِبُ كلَّ هَجْهَجَةٍ وزَجْرِ[1]
بأوْشَكَ سَوْرةً منّى إذا ما حَبَوْتُ له بقَرْقَرةٍ وهَدْرِ[2]
ببِيضٍ كالأسِنَّةِ مُرْهَفاتٍ كأنَّ ظُباتِهنّ جَحِيمُ جَمْرِ[3]
وأكلَفَ مُجْنَإٍ من جِلدِ ثَوْرٍ وصَفْراءِ البُرايةِ ذاتِ أزْرِ[4]
وأبيَضَ كالغَديرِ ثَوَى عليه عُمَيْرٌ بالمَداوِسِ نِصْفَ شَهْرِ[5]
أُرَفِّلُ في حَمائلِه وأمْشِي كَمِشْيةِ خادِرٍ لَيْثٍ سِبَطْرِ[6]
يقُولُ لى الفتى سَعْدٌ هَدِيًّا فقلتُ: لعلَّه تقريبُ غَدْرِ[7]
وقلتُ أبا عَدِىٍّ لا تَطُرْهم وذلك إنْ أطَعْتَ اليومَ أمْرِى[8]
كدَأْبِهمُ بفَرْوةَ إذْ أتاهم فظَلَّ يُقادُ مَكْتُوفا بضَفْرِ[9]

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو مُحْرِز خلف الأحمر :

تَصُدُّ عَنِ الطَّرِيقِ وأدْرَكونا كأنَّ سِراعَهم تَيّارُ بَحْرِ

وقوله : . . مدلٌّ عَنْبَسٌ فى الغِيلِ مُجْرِى — عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو أُسامة أيضا :

---

(١) الحل : الطريق فى الرمل . والحلفاء : الأصحاب المتعاضدون . والهجهجة : الزجر ؛ يقال : هجهجت بالسبع : إذا زجرته ، وهو أن تقول له : هج هج .

(٢) بأوشك : بأسرع . والسورة ؛ الحدة والوثبة . وحبوت : قربت . والقرقرة والهدر : من أصوات الإبل الفحول .

(٣) يريد « بالبيض » : السهام . والظباة : حدها ؛ الواحدة : ظبة .

(٤) وأكلف ، قال أبو ذر : « من رواه باللام ، فإنه يعنى ترسا أسود الظاهر ؛ ومن رواه بالنون ، فهو الترس أيضا ؛ مأخوذ من كنفه ، أى ستره » . والمجنأ : الذى فيه اجتناء أى انحناء . ويريد « بصفراء البراية » : قوسا . والبراية : ما يتطاير منها حين تنحت .

(٥) يريد « بأبيض كالغدير » : سيفا . وعمير : اسم صيقل . والمداوس : جمع مدوس ، وهى الأداة التى يصقل بها السيف .

(٦) أرفل : أطول . وسبطر ، أى طويل ممتد .

(٧) الهدى ، قال أبو ذر : « الهدى هنا : الأسير » . وقال السهيلى : « الهدى : ما يهدى إلى البيت ، والهدى (أيضا) : العروس تهدى إلى زوجها ، ونصب (هديا) هنا على إضمار فعل ، كأنه أراد : أهد هديا » .

(٨) لا تطرهم : لا تقربهم ، مأخوذ من طوار الدار ، وهو ما كان ممتدا معها من فنائها .

(٩) كدأبهم : كعادتهم . وفروة : اسم رجل . والضفر : الحبل المضفور .

أَلا مَنْ مُبلغٌ عنى رَسولاً مُغَلْغَلةً يُثَبِّتُها لَطِيفُ[1]

أَلم تَعْلَم مَرَدِّى يومَ بَدْرٍ وقد بَرَقَتْ بِجَنْبيك الكُفُوفُ[2]

وقد تُرِكت سَراةُ القوم صَرْعَى كأنّ رُءوسَهم حَدَجٌ نَقِيفُ[3]

وقد مالَتْ عليك بِبَطْن بَدْرٍ خِلافَ القَوْم داهيةٌ خَصيفُ[4]

فنجَّاه من الغَمَرات عَزْمى وعونُ الله والأمرُ الحَصِيف

ومُنْقَلبى من الأبْواء وَحْدِى ودونك جَمْعُ أَعداء وُقوفُ[5]

وأنت لمن أَرادك مُسْتَكينٌ بِجَنْب كُراش مكلومٌ نَزِيفُ[6]

وكنتُ إذا دعانى يومَ كَرْب من الأصحاب داعٍ مُسْتَضيفُ[7]

فأسْمعنى ولو أَحْبَبْتُ نَفْسى أخٌ فى مثل ذلك أو حَليف

أَرُدّ فأكشِف الغُمّى وأَرْمِى إذا كَلَح المَشافِرُ والأُنُوفُ[8]

وقِرْنٍ قد تركْتُ على يديه يَنُوء كأنه غُصْن قَصيفُ[9]

دَلفْتُ له إذا اختَلَطوا بحَرَّى مُسَحْسَحة لعاندها حَفِيفُ[10]

---

(١) المغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد . واللطيف : الرقيق الحاذق فى الأمور .

(٢) برقت : لمعت .

(٣) الحدج : الحنظل ؛ الواحدة : حدجة . والنقيف : المكسور .

(٤) الخصيف : المتلونة ألوانا ؛ وقيل : المتراكة .

(٥) الأبواء : موضع ، وبه قبر أم الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٦) كراش (بضم الكاف والشين المعجمة) : اسم جبل لهذيل ؛ وقيل : ماء بنجد لبنى دهمان . (راجع معجم البلدان) . ومكلوم : جريح . ونزيف : سائل جميع دمه .

(٧) مستضيف : ملجأ مضيق عليه .

(٨) الغمى : الأمر الشديد . وكلح : عبس . والمشافر : الشفاه ، للذوات الخف ، وهى الإبل ؛ فاستعارها هنا للآدميين .

(٩) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا ، ر : «قطيف» . قال أبو ذر : «من رواه بالصاد المهملة ، فمعناه : مكسور ، تقول : قصفت الغصن : إذا كسرته . ومن رواه «قطيف» بالطاء المهملة ، فهو الذى أخذ ما عليه من الثمر والورق» .

(١٠) دلفت : قربت . وبحرى : أى بطعنة موجعة . ومسحسحة : كثيرة سيلان الدم . والعاند : العرق الذى لا ينقطع دمه . والحفيف : صوته .

فذلك كان صَنْعى يومَ بَدْرٍ ... وقبلُ أخو مداراة عَزَوفُ[1]

أخوكم فى السِّنين كما علمتم ... وحَرْبٍ لا يزَالُ لها صَرِيفُ[2]

ومِقْدامٌ لكُمْ لا يَزْدَهِينى ... جَنانُ اللَّيْلِ والأَنَسُ اللَّفيفُ[3]

أخُوضُ الصَّرَّةَ[4] الجَمَّاءَ[5] خَوْضًا ... إذا ما الكَلْبُ ألجأَهُ الشَّفيفُ[6]

قال ابن هشام: تركت قصيدةً لأبى أُسامة على اللام، ليس فيها ذكر بَدْرٍ إلا فى أوّل بيت منها والثانى، كراهيةَ الإكثار.

(شعر هند بنت عتبة):

قال ابن إسحاق: وقالت هندُ بنت عُتْبة بن ربيعة تبكى أباها يوم بدر:

أعَيْنَىَّ جُودا بدَمْعٍ سَرِبْ ... على خيرِ خِنْدِفَ لم ينقلِبْ

تَداعَى له رَهْطُه غُدْوَةً ... بنُو هاشمٍ وبنُو المطَّلِب

يُذيقونه حَدَّ أسْيافِهم ... يَعُلُّونه بعد ما قد عَطِب

يجرونه وعفيرُ التُّراب ... على وَجْهه عاريا قد سُلِب

وكانَ لنا جَبَلًا راسيا ... جميلَ المَرَاةِ كثيرَ العُشُب[7]

وأمَّا[8] بُرَىٌّ فلم أعْنِه ... فأُوتِىَ من خير ما يحْتَسِب[9]

وقالت هندُ أيضًا:

---

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «عروف». قال أبو ذر: «من رواه بالزاء، فهو الذى تأبى نفسه الدنايا. ومن رواه بالراء، فمناه أيضا: الصابر، هاهنا».

(٢) يريد «بالسنين»: سنين القحط والجدب. والصريف: الصوت.

(٣) جنان الليل: ظلمته. والأنس: الجماعة من الناس، واللفيف: الكثير.

(٤) الصرة: الجماعة، وقد تكون الصرة (أيضا): شدة البرد، وإياها عنى، لذكره الشفيف فى آخر البيت.

(٥) كذا فى شرح السيرة. وفى جميع الأصول: «الجماء» قال أبو ذر: «الجماء (بالجيم): الكثير ومن رواه: الحماء، بالحاء المهملة، فمعناه: السود».

(٦) الشفيف (بالشين المعجمة): الريح الشديدة البرد.

(٧) جميل المراة، أرادت مرآة العين، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن، فلحيت الهمزة.

(٨) فى م، ر: «فأما».

(٩) تريد «برى»: البراء، وهو رجل، فصغرته.

يَرِيبُ علَيْنا دَهْرُنا فيَسُوءنا ... ويأْبَى فمَا نأتِي بشيْءٍ يُغالِبُه

أبعدَ قتيلٍ من لُؤَىِّ بن غالبٍ ... يُراعُ امرؤٌ إنْ ماتَ أو ماتَ صاحبُه

ألا رُبَّ يومٍ[1] قد رُزِئتُ مُرَزَّأً ... تَروحُ وتَغْدو بالجزيلِ مَواهبُهْ

فأبْلِغْ أبا سُفيانَ عنِّى مَألُكا ... فإن ألْقَه يوما فسوفَ أُعاتِبُه[2]

فقد كان حربٌ يَسْعَرُ الحربَ إنَّه ... لكلِّ امرئٍ فى الناسِ مَوْلًى يُطالِبُه[3]

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لِهنْد .

قال ابن إسحاق : وقالت هنْد أيضًا :

لله عيْنا مَنْ رأى ... هُلْكا كَهُلْكِ رِجالِيَهْ

يا رُبَّ[4] باكٍ لى غدًا ... فى النّائِباتِ وباكِيَهْ

كَمْ غادَرُوا يوْمَ القَلِيـ ... ـبِ غداةَ تلكَ الواعِيَه[5]

مِنْ كُلِّ غَيْثٍ فى السِّنيـ ... ـنَ إذا الكَواكِبُ خاوِيَه[6]

قد كُنْتُ أحْذَرُ ما أرَى ... فاليَوْمَ حَقَّ حَذارِيَه

قد كُنْتُ أحْذَرُ ما أرَى ... فأنا الغَداةَ مُوامِيَه[7]

يا رُبَّ قائِلَةٍ غَدًا ... يا وَيْحَ أُمِّ مُعاوِيَه

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها لِهنْد .

---

(١) فى شرح السيرة : « ألا رب رزء قد رزئت مرزأ » . قال أبو ذر : المرزأ : الكريم الذى يرزؤه القاصدون والأضياف ، أو ينتقصون من ماله » .

(٢) المألك : جمع مألكة ، وهى الرسالة التى تبلغ باللسان .

(٣) حرب : هو والد أبى سفيان . ويسعر : يهيج .

(٤) فى م ، ر : « بل رب » .

(٥) الواعية : الصراخ .

(٦) إذا الكواكب خاوية ، يعنى أنها تسقط فى مغربها عند الفجر ، ولا يكون معها أثر ولا مطر ، على مذهب العرب فى نسبتهم ذلك إلى النجوم .

(٧) مواميه ، قال أبو ذر : « أى مختلطة العقل » . وقال السهيلى : « موامية ، أى ذليلة . وهى مؤامية ، بهمزة ، ولكنها سهلت فصارت واوا وهى من لفظ الأمة . تقول : تأميت أمة أى اتخذتها ويجوز أن تكون من المواءمة ، وهى الموافقة ، فيكون الأصل : مواءمة ؛ ثم قلب فصار موامية ، على وزن مفالعة . تريد أنها قد ذلت فلا تأبى ، بل توافق العدو على كره » .

قال ابن إسحاق : وقالت هند أيضا :

يا عَيْنُ بكِّى عُتُبَهْ شيخا شديد الرَّقَبَهْ[١]
يُطْعِمُ يوم المَسْغَبه يدفع يومَ المَغْلَبه[٢]
إنِّى عليه حَرِبه مَلْهوفةٌ مُسْتَلَبه[٣]
لَنَهْبِطَنَّ يَثْرِبه بغارةٍ مُنْثَعِبه[٤]
فيها الخيولُ مُقْرَبه كلُّ جَوَادٍ سَلْهَبَه[٥]

(شعر صفية) :

وقالت صَفِيَّةُ بنتُ مُسافر بن أبى عمرو بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، تبكى أهلَ القَليب الذين أُصيبوا يوم بدر من قُرَيش : (وتذكر مصابهم) [٦] :

يا مَنْ لِعَيْنٍ قَذَاها عائرُ الرَّمَدِ حَدَّ النَّهارِ وقَرْنُ الشمس لم يَقِدِ[٧]
أُخْبِرْتُ أنَّ سَراةَ الأكْرَمين مَعًا قد أحْرَزَتْهم مَنَاياهُم إلى أمَدِ
وفَرَّ بالقَوْم أصحابُ الرِّكاب ولم تَعْطِفْ غَداتئذٍ أُمٌّ على وَلَدِ
قَوْمى صَفِىَّ ولا تَنْسَى قَرابَتَهم وإن بَكَيْتِ فما تَبْكين من بُعُدِ
كانُوا سُقُوبَ[٨] سماءِ البيتِ فانقصفت فأصبح السَّمْكُ منها غيرَ ذى عَمَدِ

قال ابن هشام : أنشدنى بيتها : « كانوا سقوب[٨] » بعضُ أهل العلم بالشعر.

قال ابن إسحاق : وقالت صفيَّة بنت مُسافر أيضًا :

---

(١) عتبه ، أرادت : عتبة ، (بإسكان التاء) إلا أنها أتبعتها العين .

(٢) المسغبة : الجوع والشدة .

(٣) حربة : حزينة غضبى . ومستلبة : مأخوذة العقل . قال السهيلى : « الأجود فى مستلبة ، أن يكون بكسر اللام ، من السلاب ، وهى الخرقة السوداء التى تختمر بها الثكلى ».

(٤) كذا فى الأصول . ومثعبة : أى سائلة بسرعة ؛ يقال : انثعب الماء : إذا سال . ويروى : منشعبة ، أى متفرقة .

(٥) المقرب من الخيل : الذى يقرب من البيوت لكرمه . والسلهبة : الفرس الطويلة .

(٦) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٧) القذا : ما يقع فى العين والشراب . والعائر : وجع العين ؛ ويقال : هو قرحة تخرج فى جفن العين. وحد النهار : الفصل الذى بين الليل والنهار . وقرن الشمس : أعلاها . ولم يقد ، أى لم يتمكن ضوءه .

(٨) كذا فى أكثر الأصول . والسقوب (بالباء) : عمد الخباء التى يقوم عليها . وفى ا : « سقوف ».

ألا يا مَنْ لِعَيْنٍ التَّبكَّى دَمْعُها قانٍ[1]
كَغَرْبَىْ دالج يَسْقِى خِلال الغَيْثِ الدَّانْ[2]
وما لَيْثُ غَرِيفٍ ذو أظافيرٍ وأسْنانْ[3]
أبو شِبْلَيْنِ وَثَّابٌ شديدُ البَطْشِ غَرْثانْ[4]
كَحِبِّى إذْ تولَّى و وُجُوهُ القَوْمِ ألْوانْ
وبالكَفِّ حُسام صا رِم أبْيَضُ ذُكْرانْ[5]
وأنت الطَّاعن النَّجلا ءِ منها مُزْبِدٌ آنْ[6]

قال ابن هشام : ويروون قولها : « وما لَيْث غريفٍ » إلى آخرها ، مفصولا من البيتين اللذين قبله .

(شعر هند بنت أثاثة) :

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت أُثاثة بن عبَّاد بن المطَّلب تَرْثى عُبيدة بن الحارث بن المطَّلب :

لقد ضمّن الصَّفْراءُ مجدًا وسُودُدًا وحِلْما أصيلاً وافرَ اللُّبّ والعَقْلِ[7]
عُبَيْدةَ فابْكيه لأضْيافِ غُرْبةٍ وأرملة تَهْوِى لأشْعَثَ كالجِذْلِ[8]
وبَكِّيه للأقْوام فى كلّ شَتْوةٍ إذا احْمرّ آفاقُ السَّماء من المَحْلِ[9]
وبَكِّيه للأيْتام والرِّيحُ زَفْزَفٌ[10] وتَشْبيب[11] قِدْرٍ طالما أزْبدت تَغْلى[12]

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى شرح السيرة لأبى ذر : « قانى » ، أى أحمر ، وكان الأصل أن تقول ، قانئ : بالهمزة ، فخففت الهمزة . تريد أن دمعها خالطه الدم .

(٢) الغرب : الدلو العظيمة . والدالج : الذى يمشى بدلوه بين البئر والبستان .

(٣) الغريف : موضع الأسد ، وهى الأجمة .

(٤) غرثان : جائع .

(٥) ذكران : أى سيف طبع من مذكر الحديد .

(٦) مزبد ، أى دم له زبد ، أى رغوة . وآن : حار .

(٧) الصفراء : موضع بين مكة والمدينة .

(٨) الأشعث : المتغير . والجذل (بالجيم والذال المعجمة) : أصل الشجرة وغيرها . تصفه بالثبات والقوة .

(٩) المحل : القحط .

(١٠) الزفزف من الرياح : الشديدة السريعة المرور .

(١١) كذا فى ا . والتشبيب : إيقاد النار تحت القدر ونحوها . وفى سائر الأصول : « تشتيت » .

(١٢) أزبدت : رمت بالزبد ، وهى الرغوة .

فإن تُصبح النِّيران قد مات ضَوْءُها ... فقد كان يُذْكِيهن بالحَطَب الجَزْل[1]

لطارقِ ليْـلٍ أو لمُلتمس القِرَى ... ومُسْتنبحٍ[2] أضحَى لديْه على رِسْل

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لهِنْد.

(شعر قتيلة بنت الحارث):

قال ابن إسحاق[3]: وقالت قُتَيلة[4] بنت الحارث، أختُ[5] النَّضْر بن الحارث، تبكيه:

يا راكبا إنّ الأُثَيْل مظنّةٌ ... من صُبْح خامسةٍ وأنت مُوفَّقُ[6]

أبْلِغ بها مَيْتا بأنّ تحيّـةً ... ما إن تزالُ بها النَّجائب تخْفِق[7]

منّى إليك وعَبْرةً مَسْفوحةً ... جادتْ بوَاكفها وأُخْرى تخْنُق[8]

هل يَسْمَعَنّى النَّضرُ إن ناديتُه ... أم كيف يَسْمع ميّتٌ لا يَنْطق

أمحمد يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ[9] ... في قومها والفَحْلُ فحلٌ مُعْرِق[10]

---

(١) الجزل: الغليظ.

(٢) المستنبح: الرجل الذى يضل بالليل فيتكلف نباح الكلب وحكايته لتجاوبه كلاب الحى المتوهم نزولهم فى طريقه، فيهتدى بصياحه، والرسل (بالكسر): اللبن.

(٣) فى ا، ر: «قال ابن هشام».

(٤) قال السهيلى: «الصحيح أنها بنت النضر لا أخته، كذلك قال الزبير وغيره، وكذلك وقع فى كتاب الدلائل».

(٥) كانت قتيلة هذه تحت الحارث بن أبى أمية الأصغر، فهى جدة الثريا بنت عبد الله بن الحارث، التى يقول فيها عمر بن أبى ربيعة حين خطبها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف:

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان؟

هى شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يمانى!

(٦) الأثيل: موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء. ومظنة: أى موضع إيقاع الظن.

(٧) النجائب: الإبل الكرام. وتخفق: تسرع.

(٨) الواكف: السائل.

(٩) الضنء: الأصل. ورواية هذا الشطر فى الروض.

أمحمد ها أنت ضنء نجيبة

والضنء: الأصل والولد.

(١٠) المعرق: الكريم.

ماكان ضرَّك لو مَنَنْتَ وربما مَنَّ الفتى وهو المَغيظ المُحْنَق[١]

أو كنتَ قابلَ فديةٍ فلْيُنفقن بأعزّ ما يَغْلو به ما يُنْفق[٢]

فالنّضر أقربُ مَنْ أسَرت قرابةً وأحقُّهم إن كان عتق يُعْتق

ظلَّت سُيُوفُ بنى أبيه تَنُوشُه لله أرحامٌ هُناكَ تُشَقَّق[٣]

صَبْراً[٤] يُقاد إلى المنيّة مُتْعبا رسْفَ المقيَّدِ وهُوعانٍ موثق

قال ابن هشام : فيقال ، والله أعلم : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا بلغه هذا الشِّعرُ ، قال : لو بلغنى هذا قبل قتله لمَنَنْتُ عليه .

(تاريخ الفراغ من بدر) :

قال ابن إسحاق : وكان فراغُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من بدر فى عقب شهر رمضان أو فى شوّال .

غزوة بنى سليم بالكدر

قال ابن إسحاق : فلما قدِم (رسولُ الله صلى الله عليه وسلم)[٦] لم يُقم بها إلا سبعَ ليالٍ (حتى)[٦] غزا بنفسه ، يريد بنى سُليم .

قال ابن هشام : واستعملَ على المدينة سباع بن عُرْفُطة الغفارىّ ، أو ابن أمّ مكتوم .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماءً من مياههم ، يقال له : الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث ليالٍ

---

(١) المحنق : الشديد الغيظ .

(٢) كذا فى الأصول . ورواية هذا البيت فى الأغانى (ج ١ ص ١٩ طبع دار الكتب المصرية) :

أو كنت قابل فدية فلنأتين بأعز ما يغلو لديك وينفق

(٣) تنوشه : تتناوله . وتشقق : تقطع .

(٤) فى شرح السيرة : « قسرا » . والقسر : القهر والغلبة .

(٥) الرسف : المشى الثقيل ، كمشى المقيد ونحوه . والعانى : الأسير . وقد وردت هذه الأبيات فى الأغانى ، (ج ١ ص ١٩ طبع دار الكتب والحماسة ص ٤٣٧ طبع أوربة) باختلاف فى ترتيبها وبعض ألفاظها .

(٦) زيادة عن : ا .

ثم رجع إلى المدينة ، ولم يَلْقَ كيداً ، فأقام بها بقيّة شوّال وذا القعدة ، وأفدى في إقامته تلك جُلّ الأسارى من قُرَيْش[١] .

غزوة السويق

(عدوان أبي سفيان وخروج الرسول في أثره) :

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : حدثنا زيادُ بن عبد الله البكّائي ، عن محمد بن إسحاق المُطلبي ، قال : ثم غزَا أبوسُفيان بن حَرْب غَزْوة السّويق في ذي الحجة ، وولي تلك الحجة المُشركون من تلك السنة ، فكان أبوسفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزّبير ، ويزيد بن رُومان ، ومن لا أتّهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ، ورجَع فَلُّ[٢] قُرَيْش من بدر ، نذَر أن لا يمسّ رأسَه ماءٌ من جَنابة[٣] حتى يَغْزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج في مئتَيْ راكب من قُرَيْش ، ليَبَرّ يمينَه ، فسلك النَّجْدية ، حتى نزل بصدْر قَناة إلى جبَل يقال له : ثَيْب[٤] ، من المدينة على بَريد أو نحوه ، ثم خرج من اللّيل ، حتى أتى بني النَّضير تحت اللّيل ، فأتى حُيَيّ ابن أخْطب ، فضرب عليه بابَه ، فأبى أن يفتح له بابَه وخافَه ، فانصرف عنه إلى سلاّم بن مِشْكَم ، وكان سيّد بني النَّضير في زمانه ذلك ، وصاحبَ كنزهم[٥] ، فاستأذن عليه ، فأذِن له ، فقَرَاه[٦] وسقَاه ، وبَطَن[٧] له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابَه ، فبعث رجالاً من قُرَيْش إلى المدينة ، فأتَوْا ناحية

---

(١) إلى هنا ينتهي الجزء العاشر من أجزاء السيرة من تقسيم المؤلف.

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

(٣) قال السهيلي : « إن الغسل من الجنابة كان معمولا به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل ، كما بقي معهم الحج والنكاح » .

(٤) في م ، ر : « نيب » .

(٥) يريد « بالكنز » : المال الذين كانوا يجمعونه لنوائبهم وما يعرض لهم .

(٦) قراه : أي صنع له القرى ، وهو طعام الضيف .

(٧) بطن له ، أي أعلمه من سرهم

منها ، يقال لها : العُرَيْض ، فحرقوا فى أصْوار[1] من نخل بها ، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفا له فى حَرْث لهما ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين[2] ، ونَذِر بهم الناسُ . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طَلَبهم ، واستعملَ على المدينة بَشير بنَ عبدِ المنذر ، وهو أبو لُبابة ، فيما قال ابن هشام[3] ، حتى بلغ قَرْقَرَة[4] الكُدْر ، ثم انصرف راجعا ، وقد فاته أبوسفيان وأصحابُه ، وقد رأَوْا أزوادا من أزواد القوم قد طَرحوها فى الحَرْث يتخفَّفون منها للنجاء[5] ، فقال المسلمون ، حين رجع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ، أتَطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

(سبب تسميتها بغزوة السويق) :

قال ابن هشام : وإنما سُمِّيت غزوة السَّويق[6] ، فيما حدَّثنى أبو عُبيدة : أنَّ أكثر ماطرح القومُ من أزْوادهم السَّويقُ ، فهجم المسلمون على سَويق كثير ، فسُمِّيت غزوة السويق .

(شعر أبى سفيان فيها) :

قال ابن إسحاق : وقال أبوسُفيان بن حَرْب عند مَنْصرفه ، لما صنع به سلام ابن مشكم :

وإنى تخـيَّرتُ المدينةَ واحــدا ... لِحلْفٍ فلم أندَم ولم أتلَوَّمِ[7]

---

(١) الأصوار : جمع صور بفتح الصاد ، وهو جماعة النخل .

(٢) مكان هذه العبارة من قوله : « واستعمل على المدينة » إلى قوله « فيما قال ابن هشام » متأخر فى « ا » .

(٣) إلى آخر القصة نذر بهم الناس : علموا بهم .

(٤) قرقرة الكدر : موضع بناحية المعدن ، بينها وبين المدينة ثمانية برد . (راجع معجم البلدان) .

(٥) النجاء : السرعة .

(٦) السويق : هو أن تحمص الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ، ثم تطحن ، ثم يسافر بها ، وقد تمزج باللبن والعسل والسمن وتلت ، فإن لم يكن شىء من ذلك مزجت بالماء .

(٧) المدينة ، أراد : من المدينة ، فحذف الجر . ولم أتلوم ، أى لم أدخل فيما ألام عليه .

سقانی فرَّوانی کُمَیْتا مُـــدامة[١] على عَجَلٍ منی سلام بن مشکم[٢]
ولمَّا تولَّی الجیْشُ قلتُ ولم أکُنْ لِأُفْرِحَه : أبشرْ بعــزّ ومَغْنَمِ[٣]
تأمَّلْ فانّ القومَ سرّ وإنهم صریحُ لُؤَیّ لا شَمَاطیطُ جُرْهُمِ[٤]
وما کان إلا بعض لیلة راکبٍ أتى ساعیا[٥] من غیر خلّة مُعْدِمِ

غزوة ذی أمر

فلمَّا رجع رسولُ الله صلی الله علیه وسلم من غَزْوة السَّویق ، أقام بالمدینة بقیة ذی الحجة أو قریبا منها ، ثم غزا نجدًا ، یرید غَطَفان، وهی غزوة ذی أمَرّ، واستعمل علی المدینة عثمان بن عفَّان ، فیما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بنَجْد صفرًا کلَّه أو قریبا من ذلك ، ثم رجع إلی المدینة ، ولم یَلْقَ کیدا . فلَبِث بها شهر ربیع الأوّل کُلَّه ، أو إلا قلیلاً منه .

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا (رسولُ الله)[٦] صلی الله علیه وسلم ، یرید قریشا، واستعمل علی المدینة ابنَ أمّ مکتوم ، فیما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتی بلغ بَحرانَ ، مَعْدِنا بالحجاز من ناحیة الفُرُع[٧] ، فأقام بها شهر ربیع الآخر وجُمادی الأولی ، ثم رجع إلی المدینة ولم یلْق کیدًا .

---

(١) الکمیت : من أسماء الخمر.

(٢) سلام بن مشکم ، قال أبو ذر : « إنه أراد أن یقول : سلاّم بن مشکم ، بتشدید اللام ، لکنه خففة لضرورة الشعر ، ولم یذکر الدارقطنی سلاما بالتخفیف إلا فی عبد الله بن سلام وحده » . وذکر السهیلی أنه بتخفیف اللام وتشدیدها .

(٣) لأفرحه ، أی لأشق علیه .

(٤) سر القوم . خالصهم ؛ وکذلك الصریح منهم . والشماطیط : المختلطون .

(٥) ساعیا ، قال أبو ذر : « من رواه ساعیا ، فهو من السعی ، وهو معلوم . ومن رواه : ساغبا ، فالساغب : الجائع ومن رواه : شاعبا ، فهو من التفرق » .

(٦) زیادة عن ا .

(٧) الفرع (بضمتین) : قریة من ناحیة المدینة ، ویقال : هی أول قریة مارت إسماعیل وأمه التمر بمکة

أمر بنى قينقاع

(نصيحة الرسول لهم وردهم عليه):

(قال)[1]: وقد كان فيما بين ذلك، من غَزْو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرُ بنى قَيْنُقاع، وكان من حديث بنى قَيْنقاع أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسُوق (بنى)[1] قَيْنقاع، ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثلَ ما نزل بقُريش من النِّقْمة، وأسْلموا، فإنكم قد عرَفتم أنّى نبىّ مُرْسل، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم؛ قالوا: يا محمد، إنك ترَى أنّا قومُك! لايغرَّنك أنك لقيتَ قوما لاعلم لهم بالحرب، فأصبْتَ منهم فُرصةً، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن الناس.

(ما نزل فيهم):

قال ابن إسحاق: فحدثنى موْلى لآل زيد بن ثابت عن سَعيد بن جُبير، أو عن عكْرمة عن ابن عباس، قال: مانزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: «قُلْ للَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وتُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ وبِئْسَ المِهادُ. قَدْ كانَ لَكُمْ آيَةٌ فى فِئَتَيْنِ الْتَقَتا»: أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقريش «فِئَةٌ تُقاتِلُ فى سَبِيلِ اللهِ، وأُخْرَى كافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رأْىَ العَيْنِ، واللهُ يُؤَيِّدُ بنَصْرِهِ مَنْ يَشاءُ، إنَّ فى ذلكَ لَعِبْرَةً لأُولى الأبْصارِ».

(كانوا أول من نقض العهد):

قال ابن إسحاق: وحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة: أن بنى قَيْنقاع كانوا أوّل يهودَ نقضوا مابينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد.

(سبب الحرب بينهم وبين المسلمين):

قال[2] ابن هشام: وذكر عبدُ الله بن جعفر بن المِسوَر بن مَخْرمة، عن

---

(١) زيادة عن ا.

(٢) فى ا: «وقال وحدثنا ابن هشام».

أبى عَوْن ، قال : كان من أمر بنى قَيْنقاع أن امرأةً من العرب قدمتْ بجَلَب[1] لها ، فباعته بسوق بنى قَيْنقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يُريدونها على كَشْف وجهها ، فأبَت ، فعَمد الصائغ إلى طَرَف ثوبها فعَقده إلى ظَهْرها ، فلما قامت انكشفت سَوْءَتها ، فضَحِكوا بها ، فصاحتْ . فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهوديًّا ، وشدّت اليهود على المُسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهلُ المُسلم المسلمينَ على اليهود ، فغَضِب المسلمون ، فوَقع الشرّ بينهم وبين بنى قَيْنُقاع .

(ما كان من ابن أبى مع الرسول) :

قال ابن اسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمربن قتادة ، قال : فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نَزَلوا على حُكْمه ، فقام إليه عبدُ الله بن أُبىّ بن سَلُول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال : يامحمد ، أحسنْ فى مَوالىَّ ، وكانوا حُلفاء الخَزْرج ؛ قال : فأبطأ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يا محمد أحْسنْ فى موالىّ ، قال : فأعرض عنه . فأدْخل يدَه فى جَيْب دِرْع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذات الفُضول .

قال ابن إسحاق : فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أرْسلنى ، وغَضِب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظُللا[2] ، ثم قال : ويحك ! أرْسلنى ؛ قال : لاوالله لاأُرسلك حتى تُحْسن فى موالىّ ، أربعمئة حاسر[3] وثلاث مئة دارع[4] قد مَنعونى من الأحمر والأسود، تَحْصدهم فى غَداة واحدة ؛ إنّى والله امرؤٌ أخشَى الدَّوائر ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

---

(١) الجلب (بتحريك اللام) : كل ما يجلب للأسواق ليباع فيها .

(٢) الظلل : جمع ظلة ، وهى السحابة فى الأصل ، فاستعارها هنا لتغير الوجه إلى السواد إذا اشتد غضبه ويروى : ظلالا ، وهى بمعناها .

(٣) الحاسر : الذى لا درع له .

(٤) الدارع : الذى عليه الدرع .

(مدة حصارهم) :

قال ابن هشام : واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في مُحاصرته إيَّاهم بَشير بن عبد المُنذر ، وكانت مُحاصرته إياهم خمسَ عشرَة ليلة .

(تبرؤ ابن الصامت من حلفهم وما نزل فيه وفي ابن أبي) :

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاقُ بنُ يَسار ، عن عُبادة بن الوَليد بن عبادة ابن الصَّامت ، قال : لما حاربت بنو قَيْنُقاع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، تشبَّث بأمرهم عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلُول ، وقام دونهم . قال : ومشى عُبادة بن الصامت إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحدَ بني عوف ، لهم من حِلفه مثلُ الذي لهم من عبد الله بن أُبيّ ، فخلعهم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حِلْفهم ، وقال : يا رسولَ الله ، أتولى اللهَ ورسوله صلى الله عليه وسلم والمُؤمنين ، وأبرأ من حِلْف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : ففيه وفي عَبد الله بن أُبيّ نزلت هذه القصة من المائدة « يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصارَى أوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أوْلِياءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإنَّهُ مِنْهُمْ ، إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » أي لعبد الله [1] بن أُبيّ وقوله : إني أخشى الدوائر « يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أنْ يَأْتِيَ بالفَتْحِ أوْ أمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ ، فَيُصْبِحُوا على ما أسَرُّوا فِي أنْفُسِهِمْ نادِمِين. وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أهَؤُلاءِ الَّذِينَ أقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أيمانِهِمْ » ، ثم القصة إلى قوله تعالى : « إنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ » . وذكر [2] لتولي عُبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرئه من بني قَيْنقاع

(١) كذا في ا ، ط . وفي سائر الأصول : « كبد » .

(٢) في م ، ر : « وذلك » .

وحِلفهم وولايتهم : « ومَنْ يَتَوَلَّ اللهَ ورَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فانَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ » .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

(إصابة زيد العير وإفلات الرجال) :

قال ابن إسحاق : وسَرِيَّةُ زيد بن حارثة التى بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها ، حين أصاب عيرَ قُرَيش ، وفيها أبوسفيان بنُ حَرْب ، على القَرَدة ، ماء من مياه نجد . وكان من حديثها : أنّ قريشا خافُوا طريقَهم الذى كانوا يسلكون إلى الشأم ، حين كان من وَقْعة بدر ما كان ، فسلكوا طريقَ العراق ، فخرج منهم تُجّار ، فيهم : أبوسفيان بن حرب ، ومعه فضّة كثيرة ، وهى عُظْم تجارتهم ، واستأجروا رجلا من بنى بكر بن وائل ، يقال له : فُراتُ بن حيّان [١] يدُلُّهم فى ذلك على الطريق .

قال ابن هشام : فُرات بن حيّان ، من بنى عِجْل ، حليف لبنى سَهْم .

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلَقِيهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزَه الرجالُ ، فقَدِم بها على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

(شعر حسان فى تأنيب قريش) : —

فقال حسّان بن ثابت بعد أُحُد فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا لأخذهم تلك الطريق :

دَعُوا فَلَجاتِ الشامِ قد حال دونها جِلادٌ كأفْواه المَخاض الأوارِكِ [٢]
بأيْدِى رجال هاجَرُوا نحو ربِّهم وأنصارِه حَقًّا وأيْدِى الملائك

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « حبان » بالباء الموحدة . وهما روايتان فيه ، إلا أن ما أثبتناه أشهر .

(٢) الفلجات : جمع فلجة ، وهى العين الجارية . والمخاض : الإبل الحوامل . والأوارك : التى ترعى الأراك ، وهو شجر تتخذ من أغصانه المساويك .

إذا سَلَكتْ للغَوْرِمن بَطْنِ عالِجٍ فقُولا لها ليس الطَّريقُ هنالكِ [١]

قال ابن هشام :وهذه الأبيات فى أبيات لحسَّان بن ثابت ، نقضَها عليه أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطَّلب ، وسنذكرها ونقيضَها إن شاء الله (فى) [٢] موضعها .

مقتل كعب بن الأشرف

(استنكاره خبر رسول الرسول بقتل ناس من المشركين) :

قال ابن إسحاق : [٣] وكان من حديث كَعْب بن الأشرف : أنه لما أُصيب أصحاب بدر ، وقدم زيدُ بن حارثة إلى أهل السَّافلة ،وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بَشيريْن، بعثهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله عزّ وجلّ عليه ، وقَتْل مَنْ قُتل من المُشركين ،كما حدثنى عبدُ الله بن المُغيث بن أبى بُرْدة الظَّفَرى ، وعبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزْم، وعاصم بن عمر بن قَتادة ،وصالح بن أبى أُمامة بن سَهل ، كلّ قد حدّثنى بعضَ حديثه ، قالوا :قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلا من طيِّئ ، ثم أحدَ بنى نَبْهان ، وكانت أمُّه من بنى النَّضير ، حين بلغه الخبرُ : أحقٌّ هذا ؟ أتَرَوْن محمَّدا قتل هؤلاء الذين يُسمِّى هذان الرجلان — يعنى زيدًا وعبدالله بن رواحة — فهؤلاء أشْراف العرب وملوكُ الناس، والله لئن كان محمَّد أصابَ هؤلاء القوم ، لبَطْنُ الأرض خيرٌ من ظهرها .

(شعره فى التحريض على الرسول) :

فلما تيقَّن عدوّ الله الخبرَ ، خرج حتى قَدِم مكَّة ، فنزل على المطَّلب بن أبى وَداعة بن ُضبيرة السَّهْمى ،وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرِّض على رسولِ اللهِ

---

(١) الغور : المنخفض من الأرض . وعالج : موضع به رمل كثير .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) زادت م ، ر قبل هذه الكلمة : «وقال كعب بن الأشرف» .

صلى الله عليه وسلم ، ويُنْشد الأشعار ، ويبكى أصحاب القَلِيب من قُرَيش ، الذين أُصيبُوا ببدر ، فقال :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لمَهْلك أهله ولمثْلِ بدْرٍ تَسْتَهِلُّ وتَدْمَعُ[1]

قُتلتْ سَراةُ الناس حول حياضِهم لا تَبْعَدوا إنّ المُلوك تُصَرَّع

كم قد أُصيب به من ابْيَض ماجدٍ ذى بَهْجة يأوِى إليه الضُيَّع[2]

طَلْق اليَدَيْن إذا الكواكبُ أخلفتْ حَمَّالُ أثقالٍ يَسُود ويَرْبَع[3]

ويقول أقْوَامٌ أُسَرُّ بسُخْطهم إنّ ابنَ الأشرف ظلّ كعبًا يَجْزَع

صدقوا فليتَ الأرض ساعةَ قُتّلوا ظلَّت تَسُوخ بأهلها وتُصَدَّع

صار الذى أثَر الحديثَ بطَعْنه أو عاش أعمى مُرْعَشا لا يَسْمَعُ

نُبِّئْت أن بَنِى المُغيرة كلَّهم خَشَعوا لقَتْل أبى الحَكيم وجُدِّعوا[4]

وابْنا ربيعة عنده ومُنَبِّهٌ ما نال مثْل المُهْلكين وتُبَّع[5]

نُبِّئْتُ أنّ الحارث بن هشامهم فى الناس يَبْنى الصَّالحات ويجْمع

لِيَزورَ يثْرِبَ بالجُمُوع وإنما يَحْمِى على الحَسَب الكريمُ الأرْوَع[6]

قال ابن هشام : قوله « تُبَّع » ، « وأسر بسُخْطهم » . عن غير ابن إسحاق .

(شعر حسان فى الرد عليه) :

قال ابن إسحاق : فأجابه حسَّان بن ثابت الأنصاريّ ، فقال :

---

(١) رحى الحرب : معظمها ومجتمع القتال . وتستهل : تسيل بالدمع .

(٢) الضيع : جمع ضائع ، وهو الفقير .

(٣) طلق اليدين ، أى كثير المعروف . وأخلفت : أى لم يكن معها مطر على ما كانت العرب تنسب إلى هذه الكواكب . ويربع : أى يأخذ الربع ، أى أنه كان رئيسا ، لأن الرئيس فى الجاهلية كان يأخذ ربع الغنيمة .

(٤) التجديع : قطع الأنف . وأراد به هنا : ذهاب عزهم .

(٥) تبع : ملك من ملوك اليمن .

(٦) الأروع : الذى يروعك بحسنه وجماله .

أبكَى لكَعْب[١] ثم عُلَّ[٢] بعَبْرة ... منه وعاش مُجَدَّعا لايَسْمَعُ[٤]

ولقد رأيتُ ببَطن بدرٍ منهمُ ... قتلى تَسُحّ لها العيون وتَدْمَعُ[٣]

فابكى فقد أبكيتَ عبدًا راضعا ... شِبْهَ الكُلَيْب إلى الكُلَيْبة يَتْبَعُ

ولقد شَفَى الرحمن منا سيِّدًا ... وأهانَ قوْما قاتلوه وصُرِّعُوا

ونجا وأُفْلِت منهُم من قلبُه ... شَغَفٌ[٤] يظلّ لخوْفه يتصَدّعُ

قال ابن هشام: وأكثر أهلِ العلم بالشّعر يُنكرها لحسّان[٥]. وقوله «أبكى لكعب» عن غير ابن إسحاق.

(شعر ميمونة فى الرد على كعب):

قال ابن إسحاق: وقالت امرأةٌ من المسلمين من بنى مُرَيْد[٦]، بطن من بَلِيّ، كانوا حلفاء فى بنى أُميَّة بن زيد، يقال لهم: الجعادرة، تُجيب كعبا — قال ابن إسحاق: اسمها ميمونة بنت عبد الله، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها، وينكر نَقِيضتَها لكعب بن الأشرف:

تَحَنَّن هذا العبدُ كلَّ تَحَنُّن ... يُبَكّى على قتْلى وليس بناصبِ

بكتْ عينُ من يبكى لبَدر وأهله ... وعُلَّتْ بمثليها لُؤَىّ بن غالبِ

فليتَ الذين ضُرِّجوا بدِمائهم ... يَرى مابهم من كان بين الأخاشب[٧]

فيَعلَم حقًّا عن يقين ويُبْصِروا ... مجَرَّهم فوق اللِّحَى والحواجب

---

(١) كذا فى أكثر الأصول. وفى ا: «أبكاه كعبا». وفى الروض: «بكى كعبا». قال السهيلى: «وفيه دخول زحاف على زحاف، وهو غريب فى الزحاف، فإنه زحاف سهل زحافا، ولولا الزحاف الذى هو الإضمار ماجاز ألبتة حذف الرابع من متفاعلن».

(٢) عل، من العلل، وهو الشرب بعد الشرب، يريد البكاء بعد البكاء.

(٣) تسح: تصب.

(٤) كذا فى الأصول. قال أبو ذر. من رواه بالعين المهملة، فمعناه: محترق ملتهب. ومن رواه بالغين المعجمة، فمعناه: أن الحزن بلغ إلى شغاف قلبه، والشغاف: حجاب القلب.

(٥) قد بحثنا فى شعر حسان فلم نجد هذه القصيدة.

(٦) يروى بفتح الراء وكسرها، والصواب الأول.

(٧) ضرجوا: لطخوا. والأخاشب: يريد: الأخشبين، وهما جبلان بمكة، وجمعهما هنا مع ما حولهما.

(شعر كعب فى الرد على ميمونة) :

فأجابها كَعب بن الأشرف ، فقال :

ألا فازجُرُوا منكم سفيها لتَسلَموا	عن القول يأتى منه غيرَ مُقارِبِ[1]
أتَشتُمُنى أن كنتُ أبكى بعَبرة	لقَومٍ أتانى ودُّهم غيرُ كاذب
فإنى لباكٍ ما بقيتُ وذاكر	مآثرَ قوم مَجدُهم بالجباجب[2]
لعَمرى لقد كانت مُرَيدٌ بمَعزِل	عن الشرّ فاحتالت[3] وُجوهَ الثّعالب
فحُقّ مُرَيدٌ أنْ تُجَدّ[4] أنوفُهم	بشتمهمُ حَيى لؤَىّ بن غالب
وَهَبتُ نَصيبى من مُرَيد لجَعدَر	وفاءً وبيتُ الله بين الأخاشب

(تشبيب كعب بنساء المسلمين والحيلة فى قتله) :

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فَشبّب[5] بنساء المُسلمين حتى آذاهم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبدُ الله بن المُغيث بن أبى بُردة مَنْ لى بابن الأشرف ؟ فقال له محمدُ بنَ مَسلمة ، أخو بنى عبد الأشهل: أنا لك به يا رسولَ الله ، أنا أقتُله ؛ قال : فافعل إن قدرتَ على ذلك[6] . فرجع محمد بن مَسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعلّق به نفسه ، فذُكر ذلك لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه ، فقال له : لم تركتَ الطعام و الشراب ؟ فقال :

---

(١) يريد « بالسفيه » : ميمونة ، قائلة الشعر السابق ، وذكر لأنه حمل ذلك على معنى الشخص ، والشخص يذكر ويؤنث .

(٢) الجباجب : منازل مكة .

(٣) كذا فى م ، ر . واحتالت : تغيرت . وفى سائر الأصول « فاختالت » بالخاء المعجمة ، وهو من الاختيال ، بمعنى الزهو . ويروى : « فاجتالت » بالجيم ، واجتال الشىء : تحرك . ونصبت « وجوه الثعالب » على الذم .

(٤) فى ا : « تجد » .

(٥) يروى أنه شبب بأم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، فقال :

أراحل أنت لم ترحل لمنقبة وتارك أنت أم الفضل بالحرم

فى أبيات له .

(٦) قال السهيلى : وفى هذه من الفقه وجوب قتل من سب النبى صلى الله عليه وسلم وإن كان ذا عهد ، خلافا لأبى حنيفة رحمه الله ، فإنه لا يرى قتل الذمى فى مثل هذا » .

يا رسولَ الله ، قالت لك قولا لاأدرى هل أفَيَنَّ لك به أم لا؟ فقال : إنما عليك الجهد ؛ فقال : يا رسولَ الله ، إنه لابدَّ لنا من أن نقول : قال : قولوا مابدا لكم ، فأنتم فى حلٍّ من ذلك . فاجتمع فى قتله محمد بن مَسْلمة ، وسِلْكان بن سلامة بنَ وَقْش ، وهو أبو نائلة ، أحد بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كَعْب بن الأشرف من الرَّضاعة ، وعبَّاد بن بِشْر بن وقش ، أحدُ بنى عَبْد الأشهل ، والحارث بن أوس ابن مُعاذ ، أحد بنى عبد الأشهل ، وأبوعَبْس بن جَبْر[1] ، أحد بنى حارثة ؛ ثم قدَّموا إلى عدوّ الله كَعْب بن لأشرف ، قبل أن يأتوه ، سِلْكان بن سلامة ، أبا نائلة ، فجاءَه ، فتحدَّث معه ساعة ، وتناشدُوا شعرًا ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ، ثم قال : ويحك يابن الأشرف ! إنى قد جئتُك لحاجة أُريد ذكرها لك ، فاكتم عنى ؛ قال : أفعلُ ؛ قال : كان قُدُوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ، عادَتْنا به العربُ ، وَرَمَتْنا عن قوس واحدة ، وقَطَعت عنَّا السُّبُل حتى ضاع العيال ، وجُهِدت الأنفس ، وأصْبحنا قد جُهِدْنا وجهد عيالُنا ؛ فقال كعب : أنا ابنُ الأشْرَف ، أما والله لقدكنتُ أُخبرك يابن سلامة أنَّ الأمرسيَصير إلى ما أقول ؛ فقال له سِلْكان : إنى قد أردتُ أن تَبيعنا طعاما ونَرْهنَك ونُوثِقَ لك ، وتُحْسِن فى ذلك ؛ فقال : أتَرْهنونى أبناءَكم ؟ قال : لقد أردتَ أن تَفْضَحنا إنَّ معى أصحابا لى على مثل رأيى ، وقد أردتُ أن آتيك بهم ، فتَبيعهم وتُحْسن فى ذلك ، ونرْهنك من الحَلْقة[2] ما فيه وَفاء ، وأراد سِلْكان أن لايُنكر السِّلاح إذا جاءوا بها ؛ قال : إن فى الحَلْقة لوَفاء ؛ قال : فرجع سِلْكان إلى أصحابه فأخبرهم خبرَه ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم يَنْطلقوا فيَجْتمعوا إليه ، فاجتمعُوا عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ويقال : أترهنونى نساءكم ؟ قال : كيف نَرْهنك نساءَنا ، وأنت أشبّ أهل يَثْرِب وأعْطرهم ، قال : أتَرْهنونى أبناءكم ؟

قال ابن إسحاق : فحدَّثنى ثَوْر بن زَيْد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال

---

(١) فى م : « حبر » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . (راجع الاستيعاب) .

(٢) يريد « بالحلقة » : السلاح كله ، وأصلها فى الدروع .

مشى معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرْقد ، ثم وجَّههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ؛ اللهمّ أعنْهم ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو فى ليلة مُقْمِرة ، وأقْبلوا حتى انتهوا إلى حِصْنه ، فهتَف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعُرْس ، فوثب فى [١] مِلْحفته ، فأخذت امرأتُه [٢] بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤٌ محارب ، وإن أصحاب الحَرْب لاينْزلون فى هذه السَّاعة ؛ قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدنى نائما لما أيقظنى ؛ فقالت : والله إنى لأعرف فى صَوْته الشرّ ؛ قال : يقول لها كَعْب : لو يُدْعَى الفتى لطَعْنة لأجاب . فنزل فتحدّث معهم ساعة ، وتحدّثوا معه ، ثم قال : هل لك يابن الأشرف أن تَماشَى إلى شعْب العَجوز [٣] ، فنتحدّث به بقيَّة ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يَتَماشَوْن ، فمَشَوا ساعة ، ثم إن أبانائلة شامَ [٤] يده فى فَوْد رأسه ، ثم شمّ يده فقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطرَ قطُّ ، ثم مَشَى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأنّ ، ثم مشى ساعةً ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفَوْد رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوّ الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه [٥] أسيافهم ، فلم تُغْنِ شيئا .

قال محمد بن مَسْلمة : فذكرتُ مِغْوَلاً [٦] فى سيْفى ، حين رأيتُ أسيافَنا لاتُغْنى شيئا ، فأخذتُه ، وقد صاح عدوّ الله صيحة لم يبقَ حولنا حِصْنٌ إلا وقد أُوقِدتْ عليه نارٌ قال : فوضعته فى ثُنَّته [٧] ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ عانتَه فوقع عدوُّ الله ، وقد أُصيب الحارث بنُ أوس بن مُعاذ ، فجُرِح فى رأسه أو فى رجله ، أصابه بعضُ أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلَكنا على بنى أُميَّة بن زيد ،

---

(١) فى ر : « عليه » . وفى م : « إن » . وهو تحريف .
(٢) فى م ، ر : « امرأة » .
(٣) شعب العجوز : بظاهر المدينة .
(٤) شام يده : أدخلها .
(٥) فى م ، ر : « عليهم » .
(٦) المغول : السكين التى تكون فى السوط .
(٧) الثنة : ما بين السرة والعانة .

ثم على بنى قُرَيظة ، ثم على بُعاث حتى أسْنَدْنا [١] فى حَرّة [٢] العُرَيْض [٣] ، وقد أبْطأ علينا صاحبُنا الحارث بن أوْس ، ونَزَفه [٤] الدمُ ، فوقفْنا له ساعة ، ثم أتانا يتّبع آثارنا . قال : فاحتملناه فجئنا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم آخرَ الليل ، وهو قائم يصلّى ، فسلّمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرْناه بقتْل عدوّ الله ، وتفَل على جُرح صاحبنا ، فرجَع ورَجعْنا إلى أهلنا فأصْبحنا وقد خافتْ يهود لوَقْعتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهودىّ إلا وهو يَخاف على نفسه .

(شعر كعب بن مالك فى مقتل ابن الأشرف) :

قال ابن إسحاق : فقال كَعْب بن مالك :

فغُودِر منهمُ كعبٌ صريعا ... فذَلّتْ بعد مَصْرَعه النَّضيرُ

على الكفَّين ثَمّ وقد علَتْه ... بأيْدينا مشهَرةٌ ذكُور

بأمر محمد إذ دسّ ليلاً ... إلى كَعْب أخا كَعب يَسير

فماكَرَه فأنزله بمَكْر ... ومحمودٌ أخُو ثِقَة جَسُور

قال ابن هشام : وهذه الأبياتُ فى قصيدة له فى يوم بنى النَّضير ، سأذكرُها إن شاء الله فى حديث ذلك اليوم .

(شعر حسان فى مقتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق) :

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت يذكر قتلَ كَعْب بن الأشرف وقتْلَ سَلاّم بن أبى الحُقَيق :

لله دَرُّ عِصابة لاقيتَهم ... يابن الحُقَيق وأنت يابن الأشْرفِ

يَسْرُون بالبِيض الخِفاف إليكمُ ... مَرَحا كأُسْد فى عَرِين مُغْرِف [٥]

حتى أتوكم فى مَحَلّ بِلادكم ... فسقَوْكم حتْفا ببِيض ذُفّفِ [٦]

(١) أسندنا : ارتفعنا .

(٢) الحرة : أرض فيها حجارة سود .

(٣) العريض : وادى المدينة .

(٤) نزفه : أضعفه بكثرة سيلانه .

(٥) العرين : موضع الأسد . ومغرف : ملتف الشجر .

(٦) يريد « بالبيض » : السيوف . وذفف : سريعة القتل .

مُسْتَنْصِرين لنَصْر دين نبيِّهم مُسْتَصغِرين لكُل أمرٍ مُجحِفِ

قال ابن هشام : وسأذكر قتلَ سلاّم بن أبي الحُقَيق في موضعه إن شاء الله .
وقوله : « ذفّف » ، عن غير ابن إسحاق .

أمر محيصة وحويصة

(لوم حويصة لأخيه محيصة لقتله يهوديا ثم إسلامه) :

قال ابن إسحاق : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ ظفرتم به من رجال يهود فاقتُلوه ، فوثب مُحيصة بن مَسْعود — قال ابن هشام : (مَحيصة) [١] ، ويقال : مُحَيِّصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدىّ بن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرج بن عمرو بن مالك بن الأوس — على ابن سُنَيْنة — قال ابن هشام : ويقال سُبَيْنة [٢] — رجلٍ من تجّار يهود ، كان يُلابسهم ويُبايعهم فقتله وكان حُوَيِّصة بن مَسْعود إذ ذاك لم يُسْلِم ، وكان أسنَّ من مُحَيِّصة ، فلما قتله جعل حُوَيِّصة يَضْربه ، ويقول : أى عدوّ الله ، أقتلتَه ، أما والله لرُبَّ شحمٍ فى بطنك من ماله . قال مُحيِّصة ، فقلت : والله لقد أمرنى بقتْله من لو أمرنى بقتْلك لضربتُ عنقك ؛ قال : فوالله إن كان لأوّل إسلام حويِّصة قال : آولله لو أمرك محمد بقتْلى لقتلتَنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضَرْب عُنقك لضربتُها ! قال : والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حُوَيِّصة .

قال ابن إسحاق : حدّثنى هذا الحديث مولًى لبنى حارثة ، عن ابنة مُحيِّصة ، عن أبيها مُحَيِّصة .

(شعر محيصة فى لوم أخيه له) :

فقال مُحَيِّصة فى ذلك :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « شينة » وظاهر أن كليهما محرف عن « شنينة » بنونين . (راجع الروض الأنف) .

يَلُومُ ابنُ أُمّى لو أُمِرْتُ بقتله لطبّقتُ ذِفْراه بأبيض قاضبِ(١)
حُسامٍ كلَون الملح أُخلص صقلُه متى ما أُصَوِّبْه فليس بكاذب
وما سَرّنى أنى قتلتُك طائعا وأنّ لنا ما بين بُصْرى ومأرِب

(رواية أخرى فى إسلام حويصة) :

قال ابن هشام : وحدثنى أبوعُبيدة عن أبى عمرو المدنى ، قال : لما ظفر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببنى قُريظة أخذ منهم نحوًا من أربع مئة رجلٍ من اليهود ، وكانوا حلفاءَ الأوس على الخزرج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأن تُضرب أعناقُهم ، فجعلت الخزرجُ تضرب أعناقَهم ويسرّهم ذلك ، فنظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ووجوهُهم مستبْشِرة ، ونظر إلى الأوس فلم يَرَ ذلك فيهم ، فظنّ أن ذلك للحِلْف الذى بين الأوس وبين بنى قُريظة ولم يكن بقِىَ من بنى قُريظة إلا اثنا عشَر رجلاً ، فدفعهم إلى الأوس، فدفع إلى كلّ رجلين من الأوس رجلاً من بنى قُريظة وقال : ليضربْ فلانٌ وليذفِّف فلان فكان ممّن دفع إليهم كعبُ بن يَهوذا ، وكان عظيما فى بنى قُريظة ، فدفعه إلى مُحيِّصة بن مَسْعود ، وإلى أبى بُرْدة بن نِيار — وأبوبُردة الذى رخص له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أن يذْبح جَذَعا من المَعز فى الأضحى — وقال : ليضربه مُحيِّصة وليذفِّف عليه أبوبُردة ، فضربه مُحيِّصة ضربةً لم تقطع ، وذفّف أبوبُردة فأجْهز عليه . فقال حُويِّصة ، وكان كافرا ، لأخيه محيِّصة : أقتلتَ كعب ابن يهوذا ؟ قال : نعم ؛ فقال حُويِّصة : أما والله لرُبَّ شحْم قد نبَت فى بطنك من ماله ، إنك للئيم يا مُحيِّصة ؛ فقال له محيِّصة : لقد أمرنى بقتْله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك ؛ فعَجب من قوله ثم ذهب عنه متعجِّبا . فذكروا أنه جعل يتيقَّظ من الليل : فيعجب من قول أخيه مُحيِّصة . حتى أصبح وهو يقول : والله إن هذا لَدين . ثم أتى النبىَّ صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال محيِّصة فى ذلك أبياتا قد كتبناها.

(المدة بين قدوم الرسول بحران وغزوة أحد) :

قال ابن إسحاق : وكانت إقامةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، بعد قُدومه، من

---

(١) طبق : قطع وأصاب المفصل. والذفرى : عظم ناتىء خلف الأذن. والأبيض القاضب : السيف القاطع .

بنجْران ، بجمادى الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان، وغزَتْه قُريشٌ غزوةَ أُحُد فى شوّال سنة ثلاث .

غزوة أحد

وكان من حديث أُحُد ، كما حدثنى محمد بن مُسْلم الزُّهْرى ومحمد بن يَحْيى ابن حبّان وعاصم بن عمر بن قتادة والحُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مَعاذ وغيرهم من علمائنا ، كلُّهم قد حدّث بعضَ الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثُهم كُله فيما سقتُ من هذا الحديث عن يوم أُحُد قالوا ، أو من قاله منهم :

(التحريض على غزو الرسول) :

لما أُصيب يوم بدر من كُفّار قُريش أصحاب القَليب ، ورجَع فَلُّهم إلى مكة ، ورَجع أبو سُفيان بن حَرب بِعيره ، مَشَى عبدُ الله بن أبى ربيعة ، وعِكْرمةُ بن أبى جَهل ، وصفْوان بن أُميّة ، فى رجال من قُرَيش ، ممن أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سُفيان بن حَرْب ، ومن كانت له فى تلك العير من قُريش تجارة ، فقالوا : يامَعْشَر قُرَيْش ، إن محمدا قد وَتَرَكم ، وقتَل خِيارَكم ، فأعِينُونا بهذا المال على حَرْبه ، فلعلّنا نُدْرِك منه ثأْرنا بمن أصاب منّا ، ففعلوا .

(ما نزل فى ذلك من القرآن) :

قال ابن إسحاق : ففِيهم ، كما ذكر لى بعضُ أهل العلم ، أنزل الله تعالى : « إنّ الّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونها ثُمّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ، ثُمّ يُغْلَبُون والّذين كَفَرُوا إلى جَهَنّمَ يُحْشَرُون » .

(اجتماع قريش للحرب) :

فاجتمعت قريشٌ لحرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سُفيان

ابن حَرْب ، وأصحابُ العير بأحابيشها[1] ؛ ومَنْ أطاعها من قبائل كنانة، وأهل تِهامة . وكان أبوعَزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ قد مَنّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى فقال : إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتَها فامنُنْ عليّ صلى الله عليك وسلم ؛ فمَنّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فقال له صفوان بن أُميّة : يا أبا عَزّة إنك امرؤ شاعرٌ ، فأعِنّا بلسانك ، فاخرُج معنا ؛ فقال : إن محمداً قد منّ عليّ فلا أُريد أن أُظاهر عليه ؛ قال : (بلى)[2] فأعِنّا بنفسك ، فلك اللهُ عليّ إن رجعتُ أن أُغْنيك ، وإن أُصِبْتَ أن أجعل بناتِك مع بناتي ، يُصيبهنّ ما أصابهنّ من عسْر ويُسْر . فخرج أبوعَزّة في تِهامة ، ويدعو بني كِنانة ويقول :

إيها[3] بني عبد مناةَ الرُّزّام أنتم حُماةٌ وأبوكم حام[4]

لاتعدُوني نَصْرَكم بعدَ العام لا تُسْلموني لا يَحِلّ إسْلام

وخرج مُسافع بن عبدمناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح إلى بني مالك بن كنانة ، يحرّضهم ويَدْعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يا مالِ ، مالِ الحسب المُقدَّم أنشُد ذا القُربى وذا التَّذمُّم[5]

مَن كان ذا رُحْم ومن لم يَرْحَم الحِلْفَ وَسْط البلد المحرَّم

عند حطيم الكعْبة المُعظَّم

ودعا جُبَيْر بن مُطْعِم غلاما له حَبَشيّاً يقال له: وَحْشي ، يَقْذِف بحربة له قَذْف الحبشة ، قلّما يُخطئ بها ، فقال له: اخرُج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عمّ محمد بعمّي طُعَيمة بن عَدِيّ ، فأنت عتيق .

(خروج قريش معهم نساؤهم) :

(قال)[2] فخرجت قُرَيش بحَدّها وجَدّها وحَديدها وأحابيشها ، ومن تابعها

---

(١) يريد « بأحابيشها » : من اجتمع إلى العرب وانضم إليهم من غيرهم .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا في ا : وفي سائر الأصول « أيا » .

(٤) الرزام : جمع رازم ، وهو الذي يثبت ولا يبرح مكانه . يريد أنهم يثبتون في الحرب ولا ينهزمون .

(٥) يامال : أراد : يا مالك ، فحذف الكاف للترخيم . وذو التذمم : هو الذي له ذمام ، أي عهد .

من بنى كِنانة ، وأهل تِهامة، وخرجوا معهم بالظُّعُن[1] التماسَ الحَفيظة، وألا يفروا . فخرج أبوسُفيان بنُ حَرْب ، وهو قائدُ الناس ، بهنْد بنة عتبة وخرج عِكْرِمة بن أبى جَهل بأمّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المُغيرة وخرج الحارث ابن هشام بن المُغيرة بفاطمة بنت الوَليد بن المُغيرة ،وخرج صَفْوان بن أُميَّة بِبَرْزة بنت مَسْعود بن عمرو بن عُمير الثَّقَفيَّة، وهى أم عبد الله بن صَفْوان ابن أُميَّة .

قال ابن هشام : ويقال : رقيَّة .

قال ابن إسحاق : وخرج عمرو بن العاص بريْطة بنت مُنَبِّه بن الحجَّاج وهى أم عبد الله بن عمرو، وخرج طَلْحة بن أبى طَلْحة وأبوطَلْحة عبدُ الله بن عبدُ العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار ، بسُلافة بنت سَعد بن شُهَيد الأنصاريَّة وهى أمّ بنى طَلْحة : مُسافع والجُلاس وكِلاب، قُتِلوا يومئذ(هم) [2] وأبوهم ؛ وخرجت خُناس بنت مالك بن المُضرب إحدى نساء بنى مالك بن حِسْل مع ابنها أبى عزيز بن عُمَير ، وهى أمّ مَصْعب بن عمير ؛ وخرجت عَمْرة بنت عَلقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة . وكانت هِنْد بنت عُتْبة كلَّما مرّت بوَحْشِىّ أو مرّ بها ، قالت : وَيْها [3] أبا دَسْمة اشف واستَشْف ، وكان وَحْشِىّ يُكنَى بأبى دَسْمة ، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَين ، بجَبَل ببطن السَّبْخة من قناة على شَفِير الوادى ، مقابل المَدينة .

(رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم) :

(قال) [2] فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا حيثُ نزلوا ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين: إنى قد رأيت والله خيرا ، رأيتُ بقرًا ، ورأيتُ فى ذُباب سيفى ثَلْما، ورأيتُ أنى أدْخلتُ يدى فى درْع حَصينة ، فأوّلتُها المدينة .

(١) يريد « بالظعن » : النساء فى الهوادج .
(٢) الزيادة عن ا .
(٣) ويها : كلمة معناها الإغراء والتحضيض .

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العِلم ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت بقَرًا لى تُذْبح ؟ قال : فأما البقر فهى ناس من أصحابى يُقتلون ، وأما الثَلْم الذى رأيتُ فى ذُباب سَيْفى ، فهو رَجُل من أهل بَيْتى يُقتل .

(مشاورة الرسول القوم فى الخروج أو البقاء) :

قال ابن إسحاق : فان رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدعُوهم حيث نزلوا ، فان أقاموا أقاموا بشَرّ مُقام ، وإن هم دَخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأىُ عبد الله بن أُبَىّ ابن سَلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يَرَى رأيَه فى ذلك ، وألا يخرج إليهم ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَكْره الخُروج ، فقال رجال من المسلمين ، ممن أكْرم الله بالشّهادة يوم أُحُد وغيره ، ممّن كان فاته بدرٌ : يارسول الله ، اخرُجْ بنا إلى أعدائنا ، لايَرَوْن أنا جَبُنّا عنهم وضَعُفنا ؟ فقال عبدُ الله بن أُبىّ بن سَلول : يا رسول الله ، أقِمْ بالمدينة لا تَخرُجْ إليهم ، فوالله ما خرَجنا منها إلى عدوّ لنا قطُّ إلا أصاب مِنّا ، ولا دخلها علينا إلا أصبْنا منه ، فدعْهم يارسولَ الله ، فان أقامُوا أقامُوا بشرّ مَحْبِس وإن دَخلوا قاتلهم الرجالُ فى وجُهِهم ، ورماهم النِّساء والصِّبْيان بالحجارة من فَوْقهم ، وإن رجَعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزَل النّاسُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين كان من أمرهم حبُّ لِقاء القوم ، حتى دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيته[1] ، فلَبس لأْمته ، وذلك يومَ الجُمعة حينَ فرغ من الصلاة . وقد مات فى ذلك اليوم رَجلٌ من الأنصار يُقال له : مالك بن عمرو ، أحد بنى النجّار ، فصلّى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكْرهْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرج عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا رسولَ الله : استكْرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فان شئتَ فاقعُد صلى الله عليك ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مايَنْبغى لنبىّ إذا لَبِس لأْمته أن يَضَعها حتى يُقاتل ، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ألفٍ من أصحابه.

(١) زيادة من ا .

قال ابن هشام : واستعمل [1] ابنَ أُمِّ مكتوم على الصَّلاة بالناس .

(انخذال المنافقين) :

قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين المدينة وأُحد، انخزل عنه عبدُ الله بن أُبىّ بن سَلول بثُلث الناس ، وقال : أطاعهم وعَصانى ، ما ندْرى علامَ نَقْتُل أنفسنَا هاهنا أيها الناس فرَجع بمن اتَّبعه من قومه من أهل النِّفاق والرَّيْب ، واتَّبعهم عبدُ الله بن عَمرو بن حَرَام ، أخو بنى سلمة ، يقول : ياقوم ، أذكِّركم اللهَ ألاّ تخذُلوا قومَكم ونبيَّكم عند ما حَضَر من عدوِّهم ؛ فقالوا : لونعلم أنَّكم تُقاتِلون لَما أسْلمناكم ، ولكنَّا لانَرى أنه يكون قتالٌ . قال : فلما استَعْصَوْا عليه وأبَوْا إلا الإنصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيُغْنى الله عنكم نبيَّه .

قال ابن هشام : وذكر غير زياد ، عن محمد بن إسحاق عن الزّهرى : أن الأنصار يوم أُحد ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ألا نَسْتعين بحُلَفائنا من يَهود ؟ فقال : لاحاجة لنا فيهم .

(حادثة تفاءل بها الرسول) :

قال زياد : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم حتى سَلك فى حَرَّة بنى حارثة ، فذَبَّ [2] فرس بذنبه ، فأصاب كُلاَّبَ سيْف [3] فاستلَّه .

قال ابن هشام : ويقال : كِلاب سيف [4] .

قال ابن إسحاق : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحبّ الفأْل ولا يَعْتاف [5] ، لصاحب السيف : شِم سيفك [6] ، فانى أرى السُّيوف ستُسَلّ اليوم .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٢) ذب بذنبه ، أى حركه ليذب به الطير .

(٣) الكلاب : مسمار يكون فى قائم السيف ، وفيه الذؤابة لتعلقه بها .

(٤) لعله : « كلب سيف » بالفتح ، إذ الكلاب والكلب بمعنى واحد .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . ولا يعتاف : لا يتطير . وفى ا : « يحتان بالنون » .

(٦) شم سيفك : أى أغمده . وهذا الفعل من الأضداد .

(ما كان من مربع حين سلك المسلمون حائطه) :

ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : مَنْ رجلٌ يخرُج بنا على القوم من كَثَب : أى من قرب ، من طريق لايمُرّ بنا عليهم؟ فقال أبو خَيْثمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فنفَذ به فى حَرّة بنى حارثة ، وبين أموالهم ، حتى سَلك فى مال لمِربَع بن قَيْظىّ ، وكان رجلاً منافقا ضرير البَصر ، فلمّا سمع حسّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه من المسلمين ، قام يَحثى فى وُجوههم التراب ، ويقول : إن كنتَ رسول الله فانى لاأُحلّ لك أن تدخل حائطى . وقد ذُكر لى أنه أخذ حَفْنة من تراب فى يده ، ثم قال: والله لوأعلم أنى لاأصيب بها غيرك يامحمد لضربتُ بها وجهك. فابتدره القومُ ليقتُلوه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لاتقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلْب ، أعمى البَصَر . وقد بَدَر إليه سعدُ بن زَيد ، أخو بنى عبد الأشهل، قبل نَهْى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضربه بالقوس فى رأسه ، فشجّه .

(نزول الرسول بالشعب وتعبيته للقتال) :

قال : ومضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشّعب من أُحد ، فى عُدْوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظَهره وعسكره إلى أُحد، وقال : لايقاتلنّ أحدٌ منكم حتى نأمره بالقتال . وقد سَرّحت قريش الظّهر والكُراع[1] فى زروع كانت بالصَّمغة[2] ، من قَناة للمُسلمين : فقال رجلٌ من الأنصار حين نَهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن القِتال : أتُرْعى زُروع بنى قَيْلة[3] ولما نُضارب ! وتعبّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للقِتال ، وهو فى سَبْع مئة رجل ، وأمّر على الرُّماة عبدَالله بن جبير ، أخا بنى عَمْرو بن عوف وهو مُعْلَم يومئذ بثياب بيض ، والرُّماة خمْسون رجلا ، فقال : انضَح[4] الخيل عنّا بالنّبْل ،

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

(٢) الصمغة : أرض قرب أحد .

(٣) بنو قيلة : هم الأوس والخزرج وقيلة : أم من أمهات الأنصار نسبوا إليها .

(٤) انضح الخيل ، أى ادفعهم .

لا يأتونا مِن خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبُت مكانك لا نُؤْتَيَنَّ من قِبَلك.
وظاهَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين دِرْعين[١] ، ودَفع اللّواء إلى مُصْعب ابن عمير ، أخي بني عبد الدّار .

(من أجازهم الرسول وهم في الخامسة عشرة) :

قال ابن هشام : وأجاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سَمُرة بن جُنْدب الفَزاريّ ، ورافع بن خَديج ، أخا بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردّهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعا رامٍ ، فأجازه ؛ فلما أجاز رافعا ، قيل له : يا رسول الله ، فإن سمرة يَصْرع رافعا ، فأجازه . وردّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أُسامة بن زيد ، وعبدَ الله بن عمر بن الخطّاب ، وزيد بن ثابت ، أحد بني مالك بن النجّار ، والبراء بن عازب ، أحد بني حارثة ، وعمرو بن حَزم ، أحد بني مالك بن النجّار ، وأُسيد بن ظُهَير ، أحد بني حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق : وتَعبّأتْ قُرَيشٌ ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس قد جَنَبوها[٢] ، فجعلوا على مَيْمنة الخيل خالدَ بن الوليد ، وعلى مَيْسرتها عِكرمةَ بن أبي جهل .

(أمر أبي دجانة) :

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيفَ بحقّه ؟ فقام إليه رجالٌ ، فأمسكه عنهم ؛ حتى قام إليه أبو دُجانة سماك بن خَرَشة ، أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقّه يا رسولَ الله ؟ قال : أن تَضرب به العدوّ حتى ينْحني ؛ قال : أنا آخذُه يا رسول الله بحقّه ، فأعطاه إياه . وكان أبو دُجانة رجلا شُجاعا يختال عند الحَرب ، إذا كانت ، وكان إذا أَعْلم بعصابة له حمْراء ، فاعتَصب بها علم الناسُ أنه سيُقاتل ؛ فلمّا أخذ السّيفَ من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك ، فعَصب بها رأسَه ، وجعل يتبختر بين الصّفين .

---

(١) ظاهر بين درعين ، أي لبس درعا فوق درع .

(٢) جنبوها : قادوها إلى جنوبهم يستعملونها إذا أعيا بعض خيلهم أو قتل .

قال ابن إسحاق : فحدثنى جعفر بن عبدالله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بنى سلمة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى أبا دجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله ، إلا فى مثل هذا الموطن .

(أمر أبى عامر الفاسق) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن أبا عامر ، عبدعمرو ابن صيفى بن مالك بن النعمان ، أحد بنى ضبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاما من الأوس ، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشر رجلا ، وكان يعد قريشا أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يافاسق — وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية : الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق — فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم راضخهم[1] بالحجارة .

(أسلوب أبى سفيان فى تحريض قريش) :

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بنى عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ؛ فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ، ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك أراد أبو سفيان .

(تحريض هند والنسوة معها) :

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

---

(١) راضخهم : راماهم .

وَيْهاً بَنِى عبـد الدّارْ ... وَيْهاً حُماةَ الأدبارْ[1]
ضَرْبا بكلّ بَتّار[2]

وتقول :

إن تُقْبِلوا نُعانِقْ ... ونَفْرش النّمارق[3]
أو تُدْبروا نُفارِقْ ... فِراقَ غيرَ وامِق[4]

(شعار المسلمين) :

وكان شعارُ[5] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم يوم أُحد : أمِتْ ، أمِتْ ، فيما قال ابن هشام .

(تمام قصة أبى دجانة) :

قال ابن إسحاق : فاقتتل الناسُ حتى حَمِيت الحربُ ، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن فى الناس .

قال ابن هشام : حدثنى غير واحد ، من أهل العلم ، أن الزُّبير بن العوّام قال : وَجِدْتُ فى نفسى حين سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم السَّيف فمَنَعنيه وأعطاه أبا دُجانة ، وقلت : أنا ابنُ صفيّةَ عمّته ، ومن قُريش ، وقد قُمْت إليه فسألته إياه قَبْله ، فأعطاه إياه وتَرَكنى ، والله لأنظرنّ مايصنع ؛ فاتبعته ، فأخرج عصابة له حَمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجانة عِصابةَ الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصّب بها . فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهَدَنى خليلى ... ونحنُ بالسَّفْح لدَى النَّخيل
ألاّ أقومَ الدهرَ فى الكَيُّول ... أضْرب بسيف الله والرّسول[6]

---

(١) ويها : كلمة معناها الإغراء . حماة الأدبار ، أى الذين يحمون أعقاب الناس .

(٢) البتار : القاطع .

(٣) النمارق : جمع نُمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة .

(٤) الوامق : المحب وهذا الرجز لهند بنت طارق بن بياضة الإيادية قالته فى حرب الفرس لإياد وتمثلت به هند بنت عتبة (المعجيل والسان) .

(٥) الشعار (هنا) : علامة ينادون بها فى الحرب ، ليعرف بعضهم بعضا .

(٦) الكيول : آخر الصفوف فى الحرب . ولم يسمع إلا فى هذا الحدث وهو على التشبيه بكيول الزندى ، وهو سواد ودخان يخرج منه آخرا بعد القدح إذا لم يور نارا ، وذلك شىء لاغناء فيه .

قال ابن هشام : ويروى فى الكُبُول[1] .

قال ابن إسحاق : فجعل لايلقى أحدًا إلا قتله . وكان فى المُشركين رجل لايَدَع لنا جريحا إلاذفّف عليه ، فجعل كل واحد منهما يَدْنو من صاحبه . فدعوتُ الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضَرْبتين، فضرب المُشرك أبا دُجانة ، فاتّقاه بدَرَقته ، فعضت بسيفه ، وضربه أبو دُجانة فقتله ثم رأيتُه قد حمل السيفَ على مَفْرِق رأس هند بنت عُتبة ، ثم عدل السيفَ عنها . قال الزبير فقلتُ : الله ورسولُه أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة : رأيت إنسانا يَخْمش[2] النّاس خَمْشا شديدًا ، فصمدتُ له ، فلما حملتُ عليه السّيف وَلْوَل فاذا امرأةٌ ، فأكرمت سيفَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

(مقتل حمزة) :

وقاتل حمزةَ بن عبد المطّلب حتى قتل أرْطاة بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار ، وكان أحد النّفر الذين يَحْملون اللّواء ثم مرّ به سِباعُ ابن عبدالعُزّى الغُبْشانى ، وكان يُكنى بأبى نيار ، فقال له حَمْزة : هلمّ إلىّ يابن مُقَطِّعة البُظور — وكانت أمّه أمّ أنمار مَولاة شَريق بن عمرو بن وهب الثّقفى .

(قال ابن هشام : شَريق بن الأخنس بن شَريق)[3]. وكانت خَتّانةً بمكة — فلمّا التقيا ضربه حمزةُ فقتله .

قال وَحْشِيّ ، غلامُ جُبير بن مُطْعِم : والله إنى لأنظر إلى حَمْزة يَهُدُّ[4]

---

(١) الكبول : القيود ، الواحد : كبل (بالفتح ، وبالكسر) .
وقد زادت م ، ب بعد هذه الكلمة : « يعنى آخر الصفوف » وهى تفسير الكيول (بالياء المثناة)

(٢) فى م ، ر : « يحمش » بالحاء المهملة .

(٣) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٤) يهد ، قال أبو ذر : « من رواه بالذال المعجمة ، فمعناه . يسرع فى قطع لحوم الناس بسيفه . ومن رواه بالدال المهملة ، فمعناه يرديهم ويهلكهم » .

الناس بسيفه ما يُليق[١] به شيئا ، مثل الجمل الأورق[٢] إذ تقدّمنى إليه سِباعُ بن عبد العُزّى ، فقال له حمزة : هلمّ إلىّ يابن مُقَطِّعة البُظور، فضَرَبه ضَربة ، فكأنّ ما أخطأ رأسه[٣] ، وهززتُ حَرْبَتى حتى إذا رَضِيتُ منها دفعتُها عليه ، فوقعت فى ثُنَّته[٤] حتى خرجتْ من بين رِجْليه، فأقبل نحْوى ، فغُلِب فوقع ، وأمهلتُه حتى إذا مات جِئْت فأخذت حَرْبَتى ، ثم تنحّيت إلى العسكر ، ولم تكن لى بشىء حاجةٌ غيره .

(وحشى يحدث الضمرى وابن الخيار عن قتله حمزة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالله بن الفَضْل بن عبّاس[٥] بن ربيعة بن الحارث عن سُليمان بن يَسار عن جَعْفر بن عمرو بن أُمية الضَّمْرى قال : خرجتُ أنا وعُبيد الله بن عدىّ بن الخيار ، أخو بنى نَوْفل بن عبد مناف ، فى زمان مُعاوية بن أبى سُفيان ، فأدْرَبْنا مع الناس[٦]، فلما قفَلنا مرَرْنا بحِمْص — وكان وَحْشى ، مولى جُبير بن مُطْعم ، قد سكَنها ، وأقام بها — فلمّا قَدِمْناها ، قال لى عُبَيد الله بن عَدِىّ : هل لك فى أن نأتى وحشيًّا فنسأله عن قتْل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئتَ . فخرَجْنا نسأل عنه بحِمْص ، فقال لنا رجل، ونحن نسأل عنه : إنكما ستَجدانه بفِناء داره، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر ، فإن تَجِداه صاحيا تَجِدا رجلا عربيا، وتَجدا عنده بعضَ ما تُريدان، وتُصيبا عنده ماشِئْتما من حديث تَسْألانه عنه ، وإن تَجِداه وبه بعضُ مايكون به، فانصرفا

---

(١) ما يليق : ما يبق .

(٢) الأورق : الذى لونه إلى الغبرة .

(٣) كأن ما أخطأ رأسه ، أى كان الأمر والشأن ما أخطأ رأسه ، وما : نافية والنون فى «كأن» منفصلة عن «ما» . ويجوز أن تكون «ما» متصلة بكأن ، ويكون المعنى : كأنه أخطأ رأسه ، أى أسرع الضرب والقطع وكأن السيف لم يصادف ما يريده . (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

(٤) الثنة : ما بين أسفل البطن إلى العانة .

(٥) فى ا : «عياش» . وهو تحريف . قال أبو ذر : «الصواب : ابن عباس، بالباء والسين المهملة»

(٦) فأدربنا مع الناس ، أى جزنا الدروب .

عنه ودعاه ، قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له [١] ، فإذا شيخ كبير مثل البُغاث .

— قال ابن هشام : البغاث : ضرب من الطير إلى السواد [٢] —

فإذا هو صاحٍ لابأس به . قال: فلما انتهينا إليه سلّمنا عليه، فرفع رأسه إلى عُبيد الله بن عدىّ ، فقال : ابنٌ لعدىّ بن الخيار أنت ؟ قال : نعم ؛ قال : أما والله مارأيتُك منذ ناولتُك أمَّك السعديّة التي أرضعتك بذى طُوى [٣] ، فإنى ناولتُكها وهى على بعيرها ، فأخذتْك بعُرْضَيْك [٤] ، فلمعتْ لى قدماك حين رفعتُك إليها ، فوالله ماهو إلا أن وقفتَ علىّ فعرفتُهما . قال: فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئْناك لتحدّثنا عن قتْلك حمْزة ، كيف قتلته ؟ فقال : أما إنى سأحدّثكما كما حدّثت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين سألنى عن ذلك ، كُنتُ غلاما لجُبير بن مُطْعِم ، وكان عمُّه طُعَيْمة بن عدىّ قد أُصيب يومَ بدر ؛ فلمّا سارت قُريشٌ إلى أُحد ، قال لى جُبير: إن قتلتَ حمزة عمّ محمد بعمّى فأنت عتيق قال : فخرجتُ مع الناس، وكنتُ رجلا حبَشيًّا أقْذِف بالحَرْبة قذْفَ الحبشة ، قلّما أُخطِئُ بها شيئا ؛ فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حمْزة وأتبصّره ، حتى رأيته فى عُرْض الناس مثل الجمل الأورق [٥] ، يهُدّ الناس بسيفه هدّا ، مايقُوم له شيء ، فوالله إنى لأتهيّأ له ، أُريده وأستتر منه بشجرة أو حجَر ليدْنو منى إذ تقدمنى إليه سِباعُ بن عبدالعُزّى ، فلمّا رآه حمْزة قال له : هلُمّ إلىّ يابن مُقطِّعة البُظور . قال: فضَربه ضربة كأنّ ما أخطأ رأسه . قال :وهزَزتُ

---

(١) الطنفسة (مثلثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ، وبالعكس) : واحدة الطنافس من البسط والثياب والحصير.

(٢) فى ا : « قال ابن هشام : مثل البغاثة ، وهى ضرب من الطير » .

(٣) ذو طوى : موضع بمكة .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « بعرضك » . قال أبو ذر : « أخذتك بعرضتك » من رواه هكذا ، فالعرضة : الجلد الذى يكون فيه الصبى إذا أرضع ، ويربى فيه . ومن رواه « بعرصتك » بالصاد المهملة ، فمعناه أنه رفعه إليها بالثوب الذى كان تحته ، ومنه عرصة الدار — وهو مايقع عليه البناء — ومن رواه « بعرضيك » فمعناه بجانبيك . وعرض الشىء (بضم العين) : جانبه » .

(٥) الجمل الأورق : الذى لونه بين الغبرة والسواد ، سماه كذلك لما عليه من الغبار .

حَرْبتى ، حتى إذا رَضيتُ منها ، دفعتُها عليه ، فوقعت فى ثُنَّته ، حتى خرجتْ من بين رجْليه ، وَذهب لينُوء ١ نحوى ، فغُلِب ، وتركتُه وإياها حتى مات ، ثم أتيتُه فأخذتُ حَرْبتى ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدتُ فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلتُه لأُعتق . فلما قَدِمت مكة أُعْتِقت ، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ هربتُ إلى الطَّائف ، فكنت٢ بها ، فلما خرج وفدُ الطَّائف إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليُسْلِموا تَعيَّتْ علىَّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشأم ، أو اليمن ، أو ببعض البلاد ؛ فوالله إنى لفى ذلك من همّى ، إذ قال لى رجل : ويحك ! إنه والله مايقتُل أحدًا من الناس دخَل فى دينه ، وتشهّد شهادته ٣ .

(وحشى بين يدى الرسول يسلم) :

فلما قال لى ذلك ، خرجتُ حتى قَدِمتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يَرُعْه إلا بى قائمًا على رأسه أتشهّد بشهادة الحقّ ؛ فلما رآنى قال : أوحشىّ ؟ قلت : نعم يا رسولَ الله . قال : اقعُد فحدثنى كيف قتلتَ حمزة ، قال : فحدّثته كما حدثتكما ، فلما فرغتُ من حديثى قال : وَيْحك ! غيِّب عنى وجهك ، فلا أُرَينَّك . قال : فكنتُ أتنكَّب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يَرانى ، حتى قَبَضه الله صلى الله عليه وسلم .

(قتل وحشى لمسيلمة) :

فلما خرج المُسلمون إلى مُسَيلمة الكذّاب صاحب اليمامة خرجت معهم ، وأخذْت حَرْبتى التى قتلتُ بها حمزة ؛ فلما التقى الناس رأيت مُسيلمة الكذاب قائمًا فى يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأْت له ، وتهيَّأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كِلانا يُريده ، فهززتُ حَرْبتى حتى إذا رَضيت منها دفعتُها عليه ، فوقعت فيه ، وشدّ عليه الأنصارىّ فضربه بالسيف ، فربُّك أعلم أيُّنا قتله ،

---

(١) ينوء : ينهض متثاقلا .

(٢) فى ا : فكنت .

(٣) فى م ، ر : شهادة الحق .

فان كنت قتلته ، فقد قتلت خيرَ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قتلت شرَّ الناس .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدالله بن الفضل ، عن سليمان بن يَسار ، عن عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، وكا قد شهد اليمامة ، قال: سمعت يومئذ صارخا يقول: قتله العبدُ الأسود .

(خلع وحشى من الديوان) :

قال ابن هشام : فبلغنى أنّ وحشيًّا لم يزل يُحدّ فى الخمر حتى خُلــع من الديوان ، فكان عمرُ بن الخطّاب يقول :قد علمتُ أن الله تعالى لم يكُن ليَدَع قاتل حَمْزة .

(مقتل مصعب بن عمير) :

قال ابن إسحاق : وقاتل مُصْعبُ بن عُمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل ، وكان الذى قتله ابن قمئة اللّيْثى ، وهويَظُنّ أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فرَجع إلى قُريش فقال: قتلتُ محمداً . فلما قُتل مُصْعب بن عُمير اعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللّواءَ علىَّ بنَ أبى طالب ، وقاتل علىٌّ بن أبى طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدّثنى مَسْلمة بن علْقمة المازنى ، قال : لما اشتدّ القتال يومَ أُحد ، جلَس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ، وأرْسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه : أن قَدّم الرايةَ . فتقدّم علىّ ، فقال : أنا أبو القُصَمَ [1] ، ويقال : أبو القُصَم ، فيما قال ابن هشام — فناداه أبو سَعْد بن أبى طَلْحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أنْ هل لك يا أبا القُصَم فى البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرَزا بين الصَّفَّين ، فاختلفا ضَرْبتين

---

(١) فى ا ، ط هنا وفيما سيأتى رواية عن ابن هشام : « القصم » بالقاف . مع اختلاف فى الضبط ، ضبطت هنا بالفتح ، وفى الثانية بضم ففتح . وفى سائر الأصول هنا : « التصيم » وفيما سيأتى : « القصيم » والتصويب عن الروض الأنف . وقد اختار السهيلى أن تضبط على الروايتين بضم ففتح على أنها جمع قصمى أو قصمى . والقصم : كسر ببينونة . والفصم : كسر بغير بينونة ، ككسر القضيب الرطب ونحوه .

فضربه علىّ فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يُجْهِز عليه ؛ فقال له أصحابُه : أفلا أجْهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بعَوْرته ، فعطفتْنى عنه الرّحم [١] ، وعرفتُ أن الله عزّ وجلّ قد قتله .

ويقال : إنّ أبا سعد [٢] بن أبى طلحة خرج بين الصّفَّين ، فنادى : [أنا قاصمٌ [٣]] مَنْ يُبارز برازا ، فلم يخرجْ إليه أحدٌ . فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم فى الجنّة ، وأن قتلانا فى النار ، كذبتم واللات ! لو تعلمون ذلك حقًّا لخرج إلىّ بعضُكم ، فخرج إليه علىّ بن أبى طالب ، فاختلفا ضربتين ، فضربه علىّ فقتله .

قال ابن إسحاق : قتل أبا سَعْد بن أبى طلحة سعدُ بن أبى وقّاص [٤] .

(شأن عاصم بن ثابت) :

وقاتل عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقْلح ، فقتل مُسافع بنَ طلحة وأخاه الجُلاس ابن طلحة ، كلاهما يَشْعره [٥] سَهْما ، فيأتى أُمّه سُلافة ، فيضع رأسه فى حجْرها فتقول : يا بُنىّ ، من أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلا حين رمانى وهو يقول : خُذْها وأنا ابن أبى الأقْلح . فنذرتْ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مُشْركا أبدا ، ولا يمسه مشرك .

وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ ، وهو يحمل لواء المشركين :

إنّ على أهْلِ اللِّواءِ حَقًّا أن يَخْضِبوا الصَّعْدة أو تَنْدَقّا [٦]

فقتله حمزةُ بن عبد المطلب .

---

(١) وقد فعل على رضى الله عنه هذه مرة أخرى يوم صفين ، حمل على بسر بن أرطاة ، فلما رأى بسر أنه مقتول كشف عن عورته ، فانصرف عنه ؛ ويروى أيضا مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع على رضى الله عنه يوم صفين .

(٢) فى م ، ر : « أبا قاسم » .

(٣) زيادة عن ا ، ط .

(٤) قال السهيلى : رواه الكشى فى تفسيره عن سعد ، قال : « لما كف عنه على طعنته فى حنجرته ، فدلع لسانه إلى كما يصنع الكلب ، ثم مات » .

(٥) يشعره سهما ، أى يصيبه به فى جسده ، فيصير له مثل الشعار . والشعار : ما ولى الجسد من الثياب.

(٦) الصعدة : القناة .

(حنظلة غسيل الملائكة) :

والتقى حَنْظلة بن أبي عامر الغَسِيل وأبو سفيان ، فلما استعْلاه حَنْظلةُ بن أبي عامر رآه شدّاد بن الأسود [١] ، وهو ابن شَعوب ، قد علا أبا سفيان . فضربه شدّاد فقتله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعني حنظلة لتُغَسّله الملائكة . فسألوا أهلَه ما شأنُه ؟ فسئلت[٢] صاحبته عنه . فقالت: خرج وهو جُنُب حين سَمِع الهاتفة [٣] .

— قال ابن هشام : ويقال : الهائعة . وجاء في الحديث : خيرُ النّاسِ رجلٌ مُمْسك بعنان فَرَسه ، كلما سمع هَيْعة طار إليها. قال الطِّرِمَّاح بن حكيم الطائي ، والطِّرِمَّاح : الطويل من الرجال — :

أنا ابن حُماة المَجْد من آلِ مالك ... إذا جَعَلتْ خُورُ الرّجال تَهِيعُ [٤]

(والهَيْعة : الصَّيحة التي فيها الفزع)[٥]

قال ابن إسحاق : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة .

(شعر الأسود في قتلهما حنظلة وأبا سفيان) :

(قال ابن إسحاق)[٥] : وقال شدّاد بن الأسود في قتْله حنظلة :

لأحْمِيَنّ صاحبي ونَفْسي ... بطَعْنة مثلِ شُعاع الشَّمسِ

وقال أبو سُفيان بن حَرْب ، وهو يذكر صَبْره في ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شَعُوب إياه على حَنْظلة :

ولو شِئْتُ نَجَّتْني كُمَيْتٌ طِمِرّةٌ ... ولم أحْمِلِ النَّعْماء لابن شَعُوبِ[٦]

وما زال مُهْرِي مَزْجرَ الكلبِ منهمُ ... لدُنْ غُدْوةٍ حتى دنَتْ لغُروبِ[٧]

---

(١) وقيل: إن الذي قتل حنظلة جعونة بن شعوب الليثي، مولى نافع بن أبي نعيم. (راجع الروض الأنف) .

(٢) في م ، ر : « فسألت » .

(٣) الهاتفة : الصيحة .

(٤) الخور : جمع أخور ، وهو الضعيف الجبان .

(٥) هذه العبارة ساقطة في ا :

(٦) الطمرة : الفرس السريعة الوثبة .

(٧) مزجر الكلب : يريد أنه لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذي يزجر الكلب فيه . ووقت الغروب —

أُقاتِلهم وأَدْعي يا لَغالِبٍ　　وأَدْفعهم عنى بِرُكْنٍ صَلِيب
فبكّى ولا تَرْعَى مقالة عاذِلٍ　　ولا تَسْأَمى من عَبْرة وَنحيب
أباكِ وإخوانا له قد تَتابعوا　　وحُقّ لهم من عَبْرة بنَصِيب
وسَلّى الذى قد كان فى النَّفْس أنّنى　　قتلتُ من النَّجّار كلّ نَجيب
ومن هاشمٍ قَرْما كريما ومُصْعَبا　　وكان لدى الهَيْجاء غير هَيوب[1]
ولو أنّى لم أَشْفِ نفسىَ منهمُ　　لكانت شجا فى القَلْب ذات نُدُوب[2]
فآبوا وقد أَوْدى الجَلابيبُ منهمُ　　بهم خَدَبٌ من مُعْطِب وكَئيب[3]
أصابهم مَن لَمْ يكُن لدمائهم　　كِفاءً ولا فى خُطّة بضَرِيب[4]

(شعر حسان فى الرد على أبى سفيان) :

فأجابه حسّان بن ثابت ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ذَكَرْتَ القُروم الصِّيدمن آل هاشمٍ　　ولَسْتَ لزُورٍ قُلْتَه بمُصِيبِ
أتعجَب أن أقصَدْتَ حمزةَ منهمُ　　نجيبا وقد سَمَّيْتَه بنَجيب[5]
ألم يقتُلوا عَمرًا وعُتْبة وابنَه　　وشَيْبة والحجّاج وابن حَبيب
غداةَ دَعا العاصِى عليًّا فَراعَه　　بضَرْبة عَضْب بلّه بخَضِيبِ[6]

قال ابن إسحاق : وقال ابن شَعُوب يذكُر يدَه عند أبى سفيان فيما دفع عنه ، فقال :

— أى الشمس ، وقد أضمرها ولم يتقدم لها ذكر ، لأن الندوة دلت عليها . ويروى بخفض غدوا ونصبه .

(١) القرم : الفحل الكريم من الإبل ، ويريد به هنا حمزة رضى الله عنه . والهيجاء الحرب .

(٢) الشجا : الحزن . والندوب : آثار الجروح ، الواحد : ندب .

(٣) الجلابيب : جمع جلباب ، وهو (هاهنا) : الإزار الخشن . وكان مشركو أهل مكة يسمون من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجلابيب ، يلقبونهم بذلك . وأودى : هلك . والخدب : الطعن النافذ إلى الجوف . والمعطب ، قال أبو ذر : هو الذى يسيل دمه . والكئيب : الحزين . ويروى : كبيب أى قد كب على وجهه .

(٤) الخطة (هنا) : الخصلة الرفيعة . والضريب : الشبيه .

(٥) أقصده : رماه فأصابه .

(٦) العضب : السيف القاطع . وبخضيب : أى خضيب بدم .

ولولا دِفاعي يابن حَرْب ومَشْهَدى لأُلْفِيت يوم النَّعْف غيرَ مُجيب[1]
ولولا مَكَرّى المُهْرَبالنَّعف[2] قرقرت ضِبَاعٌ عليْــه أو ضِراء كَلِيب[3]

قال ابن هشام : قوله « عليه أو ضراء » عن غير ابن إسحاق .

(شعر الحارث في الرد على أبي سفيان أيضا) :

قال ابن إسحاق : وقال الحارث بن هشام يُجيب أبا سُفيان :

جزَيْتهم يوْما ببَــدْر كَمِثْله على سابح ذى مَيْعَة وشَبِيب[4]
لَدَى جَحْش بَدر أو أقمت نوائحا عليك ولم تَحْفِل مُصاب حَبِيب
وإنَّك لو عاينتَ ما كان منهـــمُ لأُبْتَ بقَلْب ما بقيتُ نَخِيب[5]

قال ابن هشام : وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظنّ أنه عرّض به في قوله :

وما زال مُهرى مَزْجَرَ الكلب منهم

لفرار الحارث يوم بدر .

(حديث الزبير عن سبب الهزيمة) :

قال ابن إسحاق : ثم أنزل الله نَصْرَه على المسلمين وصدَقهم وَعْدَه ، فحسُّوهم بالسيوف[6] حتى كَشَفوهم عن العَسْكر ، وكانت الهزيمة لاشكّ فيها .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، أنه قال : والله لقد رأيتني أنظرُ إلى خَدَم هِنْد بنت عُتبة وصَواحبها مشمِّرات هوارب ، ما دون أخْذهن قليلٌ ولا كثيرٌ

---

(١) النعف : أسفل الجبل .

(٢) في م ، ر : « النعت » وهو تحريف .

(٣) قرقرت : أسرعت وعفت لأكله . والضراء : الضارية المتعودة الصيد أو أكل لحوم الناس . وكليب : اسم لجماعة الكلاب .

(٤) السابح : الفرس الذى كأنه يسبح في جريه . والميعة : الخفة والنشاط . وشبيب ، أي شباب ، وهو أن يرفع الفرس يديه جميعا . ويروى : « سبيب » بالسين المهملة ، والسبيب : شعر ناصية الفرس .

(٥) أبت : رجعت . والنخيب : الجبان الفزع .

(٦) حسوهم بالسيوف : قتلوهم واستأصلوهم .

إذ [١] مالت الرّماةُ إلى العسكر ، حين كشَفنا القومَ عنه وخلّوْا ظهورنا للخيل ، فأتينا من خلْفنا ، وصَرخ صارخ: ألا إن محمدًا قد قُتل ؛ فانكفأنا [٢] وانكفأ علينا القومُ بعد أن أصَبْنا أصحابَ اللّواء حتى ما يَدْنو منه أحدٌ من القوم .

قال ابن هشام : الصارخ : أزبّ العقبة ، يعنى الشيطان .

(شجاعة صؤاب وشعر حسان فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن اللّواء لم يزل صَريعا حتى أخذَتْه عَمْرة بنت علْقمة الحارثيّة ، فرفعته لقُريش، فلاثُوا به [٣]. وكان اللّواء مع صؤاب ، غلامٌ لبنى أبى طلْحة، حبشىّ وكان آخرمن أخذه منهم ، فقاتل به حتى قُطِعت يداه ، ثم برَك عليه ، فأخذ اللواء بصَدْره وعنُقه حتى قُتل عليه ، وهو يقول : اللهمّ هل أعْزرت — يقول : أعذرت [٤] — فقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

فَخَرْتُم باللّواء وشَرُّ فَخْرٍ ... لواءٌ حين رُدّ إلى صُؤابِ
جَعلتم فخرَكم فيه بعَبْدٍ ... وألأم مَنْ يَطا عفَر التراب [٥]
ظننتم ، والسّفيه له ظُنون ... وما إن ذاك من أمر الصّوَاب
بأنّ جِلادنا [٦] يومَ التقَيْنا ... بمكّة بَيْعُكم حُمْر العياب [٧]
أقرّ العينَ أن عُصِبت يداه ... وما إن تُعصَبان على خِضاب

قال ابن هشام : آخرُها بيتا يُروى لأبى خراش الهُذلىّ ، وأنشدَنيه له خلَفٌ الأحمر :

---

(١) فى م ، ر : « إذا » .
(٢) انكفأنا : رجعنا .
(٣) لاثوا به : اجتمعوا حوله والتفوا .
(٤) قال أبو ذر : « يعنى أنه كان فى لسانه لكنة أعجمية فغير الذال من « أعذرت » إلى الزاء ، لأنه كان حبشيا » .
(٥) يطا ، الأصل فيه الهمز وسهل للشعر . وعفر التراب : الذى لونه بين الحمرة والغبرة .
(٦) فى م ، ر : « جلادكم » .
(٧) العياب . جمع عيبة ، وهى ما يضع فيها الرجل متاعه .

أقرّ العينَ أن عُصبت يداها   وما إن تُعصبان على خِضاب

فى أبيات له ، يعنى امرأته ، فى غير حديث أُحد . وتروى الأبيات أيضا لمَعْقِل ابن خُوَيلد الهُذَلىّ .

(شعر حسان فى عمرة الحارثية) :

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت فى شأن عَمْرة بنت علقمة الحارثيّة ورَفْعها اللّواء :

إذا عَضَــلٌ سِيقَتْ إلَيْنا كأنها   جِدَايةُ شِرْكٍ مُعْلِماتِ الحواجبِ[1]

أقمْنا لهُم طَعْنا مُبِيرًا مُنَكِّلا   وحُزْناهُم بالضَّرْبِ من كلّ جانبِ[2]

فلَوْلا لِواءُ الحارثيَّة أصبَحُوا   يُباعون فى الأسواق بيعَ الجلائبِ[3]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له .

(ما لقيه الرسول يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون ، فأصابَ فيهم العدوّ ، وكان يومَ بلاء وتَمْحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدوّ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فدُثَّ[4] بالحجارة حتى وقع لشقّه[5] ، فأُصيبت رَباعيته ، وشُجَّ[6] فى وجهه ، وكُلِمت[7] شَفَته ، وكان الذى أصابه عُتْبة بن أبى وقّاص .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى حُميد الطَّويل ، عن أنس بن مالك ، قال :

---

(١) عضل : اسم قبيلة من خزيمة ، والجداية (بفتح الجيم وكسرها) : الصغير من أولاد الظباء . وشرك ، قال أبوذر : بضم الشين وكسرها : موضع ، ولم نجد فى المعاجم بهذا الإسم غير موضعين ، أحدهما بالفتح ، وهو جبل بالحجاز ؛ والآخر بالكسر ، وهو ماء وراء جبل القنان لبنى منقذ بن أعيا ، من أسد .

(٢) مبيرا : مهلكا . ومنكلا : قامعا لهم ولغيرهم .

(٣) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق ليباع فيها .

(٤) فدث ، قال أبوذر : ومن رواه بالراء فمعناه أصيب بها . ومن رواه (فدث) بالدال المهملة ، فمعناه رمى حتى التوى بعض جسده » .

(٥) الشق : الجانب .

(٦) شج : أصابته شجة .

(٧) كلم : جرح (بالبناء للمجهول فيهما) .

كُسِرَت رَباعية النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم أُحد ، وشُجّ فى وجهه ، فجعل الدمُ يَسيل على وجهه ، وجعل يَمْسح الدم وهو يقول : كيف يُفلح قَوْم خَضَبوا وجه نبيِّهم ، وهو يدْعوهم إلى ربهم ! فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ».

قال ابن هشام : وذكر رُبَيح بن عبد الرحمن بن أبى سَعيد الخُدْرىّ عن أبيه ، عن أبى سَعيد الخُدْرىّ : أن عُتبة بن أبى وقَّاص رمى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكَسَر رَباعيته اليُمنى السُّفلى ، وجرح شفته السُّفلى ، وأن عبد الله ابن شهاب الزهرى شجَّه فى جَبْهته ، وأن ابن قَمِئة جَرَح وَجْنته [1] فدخلت حَلقتان من حلَق المغفر [2] فى وَجنته ، ووقع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حُفْرة من الحُفَر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المُسلمون ، وهم لا يعلمون ؛ فأخذ علىّ بن أبى طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورَفعه طَلحة بن عُبيدالله حتى استوَى قائما ، ومصَّ مالك بن سنان ، أبو أبى سَعيد الخُدرى ، الدمَّ عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدرده [3] ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من مَسّ دمى دمَه لم تُصبه النار .

قال ابن هشام [4] : وذكر عبدُ العزيز بن محمد الدَّراوردى : أن النَّبىّ صلى الله عليه وسلم قال : من أحبَّ أن يَنظُر إلى شَهيد يَمْشى على وجه الأرض فلْيَنْظر إلى طَلْحة بن عُبيد الله .

وذكر ، يعنى [5] عبد العزيز الدراوردى ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن عيسى بن طَلْحة ، عن عائشة ، عن أبى بكر الصدّيق : أن أبا عُبيدة بن الجرّاح نَزَع إحدى الحَلْقتين من وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت ثَنيَّته ، ثم نزع الأخرى ، فسقطت ثنيَّته الأخرى ، فكان ساقطَ الثنيَّتين .

---

(١) الوجنة : أعلى الخد .

(٢) المغفر : شبه حلق الدرع يجعل على الرأس يتقى به فى الحرب .

(٣) ازدرده : ابتلعه .

(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٥) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(شعر حسان فى عتبة وما أصاب به الرسول) :

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت لعُتبة بن أبى وقّاص :

إذا اللهُ جازَى مَعْشَرًا بفِعالِهِم ... وَضَرَّهم [1] الرَّحمَن ربّ المَشارِقِ

فأخزاك ربى يا عُتَيْبَ بن مالك ... ولقّاك قَبْل الموت إحدى الصَّوَاعق

بَسَطْتَ يمينا للنَّبِىّ تعَمُّـدًا ... فأدْميت فاهُ ، قُطّعَت بالبَوارق [2]

فهلاّ ذكرتَ اللهَ والمَـنْزل الذى ... تَصير إليه عند إحدى البوائق [3]

قال ابن هشام : تركنا منْها بيتين أقْذع فيهما .

(ابن السكن وبلاؤه يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حين غَشِيه القومُ : مَن رجلٌ يَشْرى لنا نفسَه ؟ كما حدثنى الحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زياد [4] بن السَّكَن فى نفر خَمْسة من الأنصار — وبعضُ الناس يقول : إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكَن — فقاتَلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجلا ثم رجلا ، يُقْتَلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فِئةٌ [5] من المُسلمين ، فأجْهَضوهم [6] عنه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أدْنُوه منى ، فأدنَوْه منه ، فوسَّده قدَمه ، فمات وخدُّه على قَدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(حديث أم سعد عن نصيبها فى الجهاد يوم أحد) :

قال ابن هشام : وقاتلت أمّ عُمارة ، نُسيبة بنت كعب المازنيَّة يوم أُحد .

فذكر سَعيد بن أبى زيد الأنصارىّ : أن أم سعد بنت سَعْد بن الرَّبيع كانت تقول : دخلتُ على أم عُمارة ، فقلت لها : ياخالة ، أخْبِرينى خبَرك ؛ فقالت :

---

(١) كذا فى ط . وفى ا : « وبضرهم » . وفى سائر الأصول : «ونصرهم» وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه .

(٢) البوارق : السيوف .

(٣) البوائق : الدواهى ومصائب الدهر .

(٤) فى م ، ر : « زيد » .

(٥) الفئة : الجماعة .

(٦) أجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم .

خرجتُ أوّلَ النهار وأنا أنظرُ مايَصْنع الناس ، ومعي سِقاء فيه ماء ، فانتهيتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في أصحابه ، والدولةُ والريح [١] للمُسلمين . فلما انهزم المُسلمون ، انحزتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقُمْتُ أُباشر القِتال ، وأذبّ عنه بالسَّيف ، وأرْمى عن القَوْس ، حتى خلَصت الجراحُ إلىّ . قالت : فرأيتُ على عاتقها جُرحا أجْوَفَ له غَوْر ، فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة ، أقمأه [٢] الله ! لمّا ولى الناسُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلّونى على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا ، فاعترضتُ له أنا ومُصعب بن عُمير ، وأناس ممن ثبَت مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فضَربنى هذه الضّربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضَربات ، ولكنّ عدوّ الله كان عليه دِرْعان .

(أبو دجانة وابن أبي وقاص يفديان عن الرسول) :

قال ابن إسحاق : وتترّس دون رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجانة بنفسه ، يقع النّبلُ في ظهره ، وهو مُنْحنٍ عليه ، حتى كَثُر فيه النّبلُ . ورمى سعدُ بن أبي وقّاص دون رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيتُه يُناولنى النّبل وهو يقول : ارمِ ، فِداك أبي وأمى ، حتى إنه ليُناولنى السّهم ما له نَصْل ، فيقول : ارمِ به .

(بلاء قتادة وحديث عينه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : رَمى عن قَوْسه حتى اندقّت سِيَتُها [٣] ، فأخذها قَتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأُصيبت يومئذ عينُ قَتادة بن النُّعمان ، حتى وقَعت على وَجْنته .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ردّها بيده ، فكانت أحسنَ عَيْنيه وأحدّهما .

---

(١) يريد « بالريح » النصر .
(٢) أقمأه الله : أذله .
(٣) السية : طرف القوس .

(شأن أنس بن النضر) :

قال ابن إسحاق : وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عديّ بن النجّار ، قال : انتهى أنسُ بن النَّضر ، عمّ أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطّاب ، وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المُهاجرين والأنصار ، وقد ألقَوْا بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ؟ قالوا : قُتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فماذا تَصْنعون بالحياة بعده ؟ (قوموا)[1] فمُوتوا على ما مات عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القومَ ، فقاتل حتى قُتل ؛ وبه سمّى أنس بن مالك .

قال ابن إسحاق : فحدثني حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن النَّضر يومئذ سَبعين ضربة ، فما عرَفه إلا أختُه ، عرفته ببنَانه .

(ما أصاب ابن عوف من الجراحات) :

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أُصيب فُوه يومئذ فهُتِم[2] ، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضُها في رِجله فعَرِج .

(أول من عرف الرسول بعد الهزيمة) :

قال ابن إسحاق : وكان أوّل من عَرَف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقولِ الناس : قُتل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزهريّ كعبُ بن مالك ، قال : عرفت عينيه تزْهران[3] من تحت المِغْفر ، فناديتُ بأعلى صَوتي : يا معشَر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأشار إليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أن أنْصِت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المُسلمون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَهضوا به ، ونَهض معهم نحو الشِّعب ، معه أبو بكر الصدّيق ، وعُمر بن الخطّاب ، وعليّ بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزُّبير بن العوّام ، رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصِّمة ، ورهْط من المسلمين .

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) هتم : كسرت ثنيته .

(٣) تزهران : تضيئان .

(مقتل أبي بن خلف) :

(قال) [١] : فلما أُسند رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الشِّعب أدركه أُبَيّ ابن خلف وهو يقول : أي [٢] محمد ، لانجوتُ إن نجوتَ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجلٌ منّا ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : دَعُوه ؛ فلمّا دنا ، تناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحَرْبةَ من الحارث بن الصِّمّة ؛ يقول بعضُ القوم ، فيما ذُكر لى : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة ، تطايرْنا عنه تطاير الشَّعْراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها — قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لدغ — ثم استقبله فطعنه في عُنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا .

قال ابن هشام : تدأدأ ، يقول : : تقلّب عن فرسه فجعل يتدحرج .

قال ابن إسحاق : وكان أُبَيّ بن خلف ، كما حدّثنى صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يلْقَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فيقول : يامحمد إن عندى العَوْذ ، فرسا أعْلفه كلّ يوم فَرَقا [٣] من ذرة ، أقتلك عليه ؛ فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتُلك إن شاء الله . فلما رجَع إلى قُريش وقد خدَشه في عُنقه خدْشا غيرَ كبير ، فاحتقَن الدم ، قال : قتَلنى والله محمد! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إنْ بك من بأس ؛ قال : إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بصَق علىّ لقتلنى . فمات عدوّ الله بسَرِف [٤] وهم قافلون به إلى مكة .

(شعر حسان في مقتل أبي بن خلف) :

قال ابن إسحاق : فقال حسّان بن ثابت في ذلك :

لَقدْ وَرِثَ الضَّلالةَ عَن أبيه أُبَيّ يوم بارَزه الرسولُ

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) في ا : « أي » وفي سائر الأصول : « أين » .

(٣) الفرق (بفتح الراء وإسكانها) : مكيال يسع ستة عشر منا ، وقيل : اثنى عشر رطلا .

(٤) سرف : موضع على ستة أميال من مكة ، وقيل ، سبعة وتسعة واثنى عشر ، تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث ، وهناك بنى بها ، وهناك توفيت . (راجع معجم البلدان) .

أتَيْتَ إليــه تَحْمِلُ رِمَّ عَظْمٍ ... وتُوعِــده وأنتَ به جَهول[1]
وقد قَتَلَتْ بنو النَّجَّار منكم ... أُمَيَّةَ إذ[2] يُغَوِّثُ : يا عَقِيل
وتَبَّ ابنا ربيعـــة إذْ أطاعا ... أبا جَهْل ، لأمهما الهَبُــول[3]
وأفْلَت حارثٌ لما شَــغَلنا ... بأسر القَوْم ، أُسْرته فَليل[4]

قال ابن هشام : أُسرته : قبيلته .

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا فى ذلك :

ألا مَنْ مُبْلِـغٌ عــنّى أُبَيًّا ... لقد أُلقيت فى سُحق السَّــعير[5]
تَمَــنَّى بالضَّــلالة من بَعيد ... وتُقسم أن قدرت مع[6] النذور
تَمَنِّيك الأمانِي مِنْ بَعِيــدٍ ... وقَولُ الكُفْرِ يَرْجع فى غُرور
فقد لاقَتْكَ طعنةُ ذى حفاظ ... كريم البيت ليس بذى فُجور[7]
له فَضْــلٌ على الأحْياء طُرًّا ... إذا نابَت مُلِمَّات الأُمُور

(انتهاء الرسول إلى الشعب) :

(قال)[8] : فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى فَم الشِّعب خرَج على ابن أبى طالب ، حتى ملأ دَرَقته ماءً من المِهْراس[9] ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحا ، فعافه[10] ، فلم يَشْرب منه ، وغَسل عن وَجهه الدم ، وصبَّ على رأسه وهو يقول : اشتدَّ غَضبُ الله على من دمَّى وجه نبيه

---

(١) الرم : العظم البالى .
(٢) فى ا : « إذ » .
(٣) تب : هلك . والهبول : الفقد ؛ يقال : هبلته أمه ، أى فقدته .
(٤) الفليل : المنهزمون . ويروى . « قليل » بالقاف ، وهو معلوم .
(٥) السحق : البعد والعمق .
(٦) فى م ، ر : « على » .
(٧) الحفاظ : الغضب فى الحرب .
(٨) زيادة عن ا .
(٩) قال أبو ذر : « قال أبو العباس : المهراس : ماء بأحد . وقال غيره : المهراس : حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر ، ويصب فيه الماء لينتفع به الناس » .
(١٠) عافه : كرهه .

(حرص ابن أبي وقاص على قتل عتبة) :

قال ابن إسحاق: فحدثني صالح بن كَيْسان عمَّن حدَّثه عن سَعْد بن أبي وقَّاص أنه كان يقول : والله ماحرَصت على قَتْل رجل قطّ كحِرْصي على قَتْل عُتْبة ابن أبي وقَّاص ، وإن كان ماعلمتُ لسيِّئ الخلق مبغَضا في قومه ، ولقد كَفَاني منه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضبُ الله على من دمَّى وجه رسوله.

(صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم) :

قال ابن إسحاق : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشِّعب ، معه أولئك النَّفر من أصحابه ، إذ علَت عاليةٌ من قريش الجبلَ .

قال ابن هشام : كان على تلك الخَيْل خالد بن الوليد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ إنه لاينبغي لهم أن يَعْلونا ! فقاتل عمرُ بن الخطَّاب ورهْطٌ معه من المهاجرين حتى أهْبطوهم من الجبل .

(ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له) :

قال ابن إسحاق : ونَهض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى صَخْرة من الجَبَل ليعلوها ، وقد كان بَدَّن [1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهَر بين دِرْعين ، فلما ذَهب ليَنْهض صلى الله عليه وسلم لم يَسْتطع ، فجلس تحتَه طَلْحة بن عبيد الله ، فنهض به ، حتى استَوى عليها . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول : أوجَبَ [2] طلحة حين صنع برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ماصنع .

قال ابن هشام : وبلغني عن عِكْرمة عن ابن عبَّاس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدَّرجة المبنيَّة في الشِّعب .

---

(١) بدن : أسن وضعف .

(٢) أوجب : وجبت له الجنة .

(صلاة الرسول قاعدا) :

قال ابن هشام : وذكر عمرمولى غُفْرة : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أُحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المُسلمون خلفه قُعودا .

(مقتل اليمان وابن وقش) :

قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضُهم إلى المُنقّى ، دون الأعْوص [١] .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد ، قال : لما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحد ، رُفع حُسَيل بن جابر ، وهو اليمان [٢] أبوحُذيفة [٣] بن اليمان ، وثابت بن وَقْش في الآطام مع النساء والصّبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيْخان كَبيران : ماأبا لك ، ما تنتظر ؟ فوالله لا بقيَ لواحد منّا من عمره إلا ظِمء [٤] حِمار ، إنما نحن هامةُ [٥] اليوم أو غد ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نَلْحق برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لعلّ الله يرزقنا شهادةً مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرَجا ، حتى دخلا في الناس ، ولم يُعلم بهما ، فأمّا ثابت بن وَقْش فقتَله المُشْركون ، وأما حُسَيل بن جابر ، فاختلفت عليه أسيافُ المُسلمين ، فقتلوه ولا يَعرفونه [٦] ، فقال حُذيفة : أبي [٧] ؛ فقالوا : والله إنْ عرفناه ، وصدَقوا . قال حُذَيفة : يَغْفِر الله لكم وهو أرْحم

---

(١) الأعوص : موضع قرب المدينة .

(٢) قال السهيلي : « وسمى حسيل بن جابر : اليماني ، لأنه من ولد جروة بن مازن بن قطيعة بن عبس ، وكان جروة قد بعد عن أهله في اليمن زمنا طويلا ثم رجع إليهم فسموه اليماني » .

(٣) ويكنى حذيفة : أبا عبد الله ، وهو حليف لبني عبد الأشهل . وأمه الرباب بنت كعب . (راجع الروض) .

(٤) الظمء : مقدار ما يكون بين الشربتين . وأقصر الأظماء ظمء الحمار ، لأنه لا يصبر عن الماء ، فضرب مثلا لقرب الأجل .

(٥) الهامة : طائر يخرج من رأس القتيل إذا قتل (زعموا) فلا يزال يصيح : اسقوني اسقوني ! حتى يؤخذ بثأره فضربته العرب مثلا للموت .

(٦) قيل إن الذي قتله خطأ هو عتبة بن مسعود ، أخو عبد الله بن مسعود ، وجد عبد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود الفقيه . وعتبة هذا هو أول من سمى المصحف مصحفا .

(٧) في م ، ر : « أبي والله » .

الراجين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَه ؛ فتصدّق حُذيفة بديته على المُسلمين ؛ فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

(مقتل حاطب ومقالة أبيه) :

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة : أن رجلا منهم كان يُدعَى حاطب بن أُميَّة بن رافع ، وكان له ابنٌ يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحةٌ يوم أُحد ، فأُتِى به إلى دار قومه وهو بالمَوْت ، فاجتمع إليه أهلُ الدار ، فجعَل المُسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبْشر يابن حاطب بالجنَّة ؛ قال : وكان حاطب شيخا قد عسا فى الجاهليَّة ، فنجَم يومئذ نفاقُه ، فقال : بأىّ شىء تبشِّرونه ؟ بجنَّة من حَرْمل [1] ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه .

(مقتل قزمان منافقا كما حدث الرسول بذلك) :

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أتِىّ [2] لايُدرى ممَّن هو ، يقال له : قُزْمان ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول ، إذا ذُكر له : إنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أُحد قاتلَ قتالا شديداً ، فقَتل وحدَه ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتتْه الجراحة ، فاحتُمِل إلى دار بنى ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليتَ اليوم يا قُزْمان ، فأبشِر ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلتُ إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . قال : فلما اشتدَّت عليه جراحته أخذ سهما من كِنانته ، فقَتل به نفسه .

(قتل مخيريق) :

قال ابن إسحاق : وكان ممن قُتل يوم أُحد مُخَيْريق ، وكان أحدَ بنى ثعْلبة بن الفِطْيون ، قال : لما كان يوم أُحد ، قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحقّ ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لاسبت لكم .

---

(١) قال السهيلى : « من حرمل ، يريد الأرض التى دفن فيها ، وكانت تنبت الحرمل ، أى ليس له جنة إلا ذاك » .

(٢) أتى : غريب .

فأخذ سيفَه وعُدَّته ، وقال: إن أُصِبتُ فمالى لمحمَّد يَصْنع فيه ماشاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قُتل ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنا — مُخَيْرِيق خير يهود .

(أمر الحارث بن سويد) :

قال ابن إسحاق : وكان الحارث بن سُوَيد بن صامت مُنافقا ، فخرج يوم أُحد مع المسلمين ، فلما التقَى الناسُ ، عدَا على المُجذَّر بن ذِياد البَلَوى ، وقَيْس بن زيد ، أحد بنى ضُبَيعة ، فقتَلهما ، ثم لَحق بمكَّة بقُريش ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكرون — قد أمر عُمَر بن الخطاب بقتْله إنْ هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ؛ ثم بَعث إلى أخيه الجُلاس بن سُويد يطلب التوبةَ ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى ، عن ابن عبَّاس : « كَيْفَ يَهْدِى اللهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وجاءَهُمُ البَيِّنَاتُ ، وَاللهُ لا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ » إلى آخر القصة .

(تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجذر) :

قال ابن هشام : حدثنى مَنْ أثق به من أهل العلم : أنّ الحارث بن سُويد قَتل المُجذَّر بن ذياد ، ولم يَقْتل قيسَ بن زيد ، والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق لم يذكره فى قَتْلى أُحد ، وإنما قَتل المُجذَّر ، لأن المُجذَّر بن ذياد كان قتل أباه سُويداً فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضَى من هذا الكتاب .

فبَينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فى نفر من أصحابه ، إذ خرج الحارث بن سُويد من بعض حَوائط المدينة ، وعليه ثوبان مُضرَّجان [١] ، فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفَّان ، فضَرب عُنقه ؛ ويقال : بعضُ الأنصار .

قال ابن إسحاق : قتل سويدَ بن الصَّامت معاذُ بن عَفْراء غيلةً ، فى غير حَرْب رماه بسَهْم فقتَله قبل يوم بُعاث .

---

(١) المضرج : المشبع حمرة ، كأنه ضرج بالدم ، أى لطخ به .

(أمر أصيرم) :

قال ابن إسحاق : وحدثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْد بن معاذ عن أبي سفيان ، مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هُرَيرة قال : كان يقول : حدثوني عن رجل دخَل الجنَّة لم يُصلّ قطّ ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أُصَيْرِم ، بني[1] عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وَقْش . قال الحُصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأُصَيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه . فلمّا كان يوم خرَج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحد ، بدا له في الإسلام فأسْلم ، ثم أخذ سيفَه ، فغدا حتى دخل في عُرْض الناس ، فقاتل حتى أثْبتته الجراحة . قال : فبينا رجالٌ من بني عبد الأشهل يلْتمسون قتْلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأُصيرم ، ماجاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمُنْكر لهذا الحديث ، فسألوه ماجاء به ، فقالوا : ما جاء بك يا عمرو؟ أحَدَبٌ على قومك أم رَغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ ، ثم أخذت سيْفي ، فغدوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم . فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

(مقتل عمرو بن الجموح) :

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاقُ بن يَسار ، عن أشياخ من بني سَلمة : أن عمرو بن الجَموح كان رجلا أعْرج شديد العَرج ، وكان له بَنون أربعة مثل الأُسْد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد . فلما كان يوم أُحد أرادوا حَبْسه ، وقالوا له : إنّ الله عزّ وجلّ : قد عَذرك ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بنيّ يريدون أن يحبِسوني عن هذا الوجه ، والخُروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعَرْجتي هذه في الجنَّة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَّا أنت فقد عذَرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه :

---

(١) في ا : « من بني » .

ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعلّ الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه فقُتل يوم أُحُد[١] .

(هند وتمثيلها بحمزة) :

قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عُتْبة ، كما حدثني صالح بن كَيْسان ، والنسوة اللاتي معها ، يمثّلن بالقَتْلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدّعن[٢] الآذان والآنُف ، حتى اتخذت هند من آذان الرّجال وآنُفهم خَدَمًا[٣] وقلائد ، وأعطت خَدَمها وقلائدها وقِرَطَتها وَحْشيًّا ، غلام جُبير بنُ مطعم ، وبَقَرت[٤] عن كَبِد حمزة ، فلاكَتْها[٥] ، فلم تستطع أن تُسيغها[٦] ، فلفَظَتْها[٧] ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصَرَخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزَيْناكم بيوم بَدْرِ والحرْب بعد الحرْب ذات سُعْرِ[٨]
ما كان عن عُتْبة لى من صَبْر ولا أخى وعمّه وبكْرى
شفَيتُ نفسى وقَضَيتُ نَذْرى شفَيتَ وَحْشِيّ غَليل صَدْرى[٩]
فشُكْر وَحْشىّ علىّ عُمْرى حتى ترمّ أعظُمى فى قَبْرى[١٠]

(شعر هند بنت أثاثة فى الرد على هند بنت عتبة) :

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن المُطّلب ، فقالت :

خَزِيتِ فى بدر وبعد بَدْرِ يا بنتَ وقّاعٍ عظيم الكُفْرِ[١١]

---

(١) قال السهيلى : « وزاد غير ابن إسحاق : أنه لما خرج قال : اللهم لا تردّنى ، فاستشهد ، فجعله بنوه على بعير ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعب عليهم البعير ، فكان إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلا جهة المدينة ، فكان يأبى الرجوع إليها ، فلما لم يقدروا عليه ، ذكروا قوله : اللهم لا تردّنى إليها ، فدفنوه فى مصرعه » .

(٢) يجدعن : يقطعن .

(٣) الخدم : جمع خدمة ، وهى الخلخال .

(٤) بقرت : شقت .

(٥) لاكتها : مضغتها .

(٦) أن تسيغها : أن تبتلعها .

(٧) لفظتها : طرحتها .

(٨) السعر (بضمتين وسكن الشعر) : الالتهاب .

(٩) الغليل : العطش ، أو حرارة الجوف .

(١٠) ترم : تبلى وتفتت .

(١١) الوقاع : الكثير الوقوع فى الدنيا .

صَبَّحك الله غــداةَ الفَجْرِ ملْهاشميِّين الطُّوال الزُّهــرِ[1]
بكلّ قطّاعٍ حُسام يفْرِى حمْزةُ لَيْثى وعلىّ صَقْرى[2]
إذ رام شَيْبٌ وأبوكِ غدْرى فخَضَّبا منــه ضواحى النَّحْرِ[3]
ونَذْرك السُّوء فشرّ نَذْرِ

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة أبيات أقْذعتْ فيها .

(شعر لهند بنت عتبة أيضا) :

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضاً :

شَفَيتُ من حمْزة نَفْسى بأُحد حتى بقَرْتُ بطْنَه عن الكَبِدْ
أذْهَب عنى ذاك ما كنتُ أجِد من لَذْعة الحُزْن الشّديد المُعْتمِدْ[4]
والحَرب تعْلوكم بشُؤْبوب بَرِد تُقْدِم إقْداما عَليكم كالأسَـدْ[5]

(تحريض عمر لحسان على هجو هند بنت عتبة) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى صالح بن كَيْسان أنه حُدّث : أن عمرَبن الخطاب قال لحسّان بن ثابت : يابن الفُرَيعة — قال ابن هشام : الفُريعة بنت خالد بن خنيس ، ويقال : خُنَيس : ابنُ حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج — لوسمعتَ ماتقول هِنْد ، ورأيت أشرَها[6] قائمةً على صخرة ترْتجز بنا ، وتذكر ماصنعتْ بحمزة ؟ قال له حسّان : والله إنى لأنظر إلى الحَرْبة تَهْوِى وأنا على رأس فارع — يعنى أُطُمَه — فقلت: والله إن هذه لسِلاح ما هى بسلاح العَرب ، وكأنها إنما تهوى إلى حمْزة ولا أدْرى ، لكن

---

(١) ملها شمين ، أراد : من الهاشميين ، فحذف النون من (من) لالتقاء الساكنين ، ولا يجوز ذلك إلا فى (من) وحدها لكثرة استعمالها . والزهر : البيض ؛ الواحد : أزهر .

(٢) الحسام : السيف القاطع . ويفرى : يقطع .

(٣) شيب : أرادت شيبة . فرخمته فى غير النداء . وضواحى النحر : ماظهر من الصدر .

(٤) اللذعة : ألم النار ، أو ما يشبه بها . والمعتمد : القاصد المؤلم .

(٥) الشؤبوب : دفعة المطر الشديدة . وبرد ، أى ذو برد ، شبهت الحرب بها .

(٦) الأشر : البطر .

أسمِعْني بعض قَولها أكفكموها ؛ قال : فأنشده عمرُ بن الخطّاب بعض ما قالت ؛ فقال حسّان بن ثابت :

أشرَت لَكاع وكان عادتُها لُؤما إذا أشرتْ مع الكُفْرْ[1]

قال ابن هشام : وهذا البيت في أبيات له تركناها ، وأبياتا أيضًا له على الدال . وأبياتا أُخر على الدال ، لأنه أقْذع فيها .

(استنكار الحليس على أبي سفيان تمثيله بحمزة) :

قال ابن إسحاق : وقد كان الحُلَيس بن زَبّان ، أخو بنو الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيِّد الأبيش ، قد مرّ بأبي سفيان ، وهو يضرب في شِدْق حمزة بن عبد المطّلب بزُجّ الرمح ويقول : ذُقْ[2] عُقَقُ ؛ فقال الحُلَيس : يابني كنانة ، هذا سيِّد قُريش يصنع بابن عمّه ما تَرَون لحما[3] ؟ فقال : ويحك ! اكتُمْها عنّي ، فإنها كانت زلّة .

(شماتة أبي سفيان بالمسلمين بعد أحد وحديثه مع عمر) :

ثم إن أبا سُفيان بن حَرْب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجَبَل ، ثم صَرَخَ بأعلى صوته فقال : أنعمْتَ فعال[4] ، وإن الحرب سِجال[5] يوم بيوم ، أعْلِ هُبَل[6] ، أي أظْهِر دينك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قُمْ يا عُمر فأجبه ، فقل : الله أعلى وأجلّ ، لاسواء[7] ، قَتلانا في الجنَّة ، وقَتْلاكم

---

(١) قال السهيل : « لكاع ، جعله اسما لها في غير موضع النداء ، وذلك جائز ، وإن كان في النداء أكثر ، نحو يا غدار ويا فساق . واللكاع : اللئيمة » .

(٢) ذق عقق ، أراد ياعاق ، فعدله إلى فعل .

(٣) لحما : أي ميتا لا يقدر على الانتصار .

(٤) أنعمت فعال ، أي بالغت ؛ يقال : أنعم في الشيء ، إذا بالغ فيه . قال أبو ذر . « أنعمت (بفتح التاء) يخاطب به نفسه . ومن رواه أنعمت (بسكون التاء) ، فإنه يعني به الحرب أو الوقيعة . وقوله فعال ، أي ارتفع (بصيغة الأمر فيهما) يقال : أعل عن الوسادة ، وعال عنها ، أي ارتفع . وقد يجوز أن تكون معدولة من الفعلة ، كما عدلوا فجار عن الفجرة ، أي بالغت في هذه الفعلة ، ويعني بالفعلة الوقيعة »

(٥) السجال : المكافأة في الحرب وغيرها وأصله أن الساقيين على بئر يتساجلان يملأ هذا سجلا . وهذا سجلا . والسجل : الدلو .

(٦) هبل : اسم صنم .

(٧) لاسواء أي لانحن سواء . قال السهيل : « ولا يجوز دخول (لا) على اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار ولكنه جاز في هذا الموضع لأن القصد فيه إلى نفي الفعل : أي لاتستوى .

فى النَّار . فلما أجاب عُمر أبا سُفيان ، قال له أبو سُفيان : هَلُمَّ إلىّ يا عمر ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعُمر : ائته فانظر ما شأنُه ؛ فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمرُ ، أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : اللهمّ لا ، وإنه ليسمع كلامَك الآن ؛ قال : أنت أصدق عندى من ابن قَمِئة وأبرّ ؛ لقول ابن قَمِئة لهم : إنى قد قتلت محمدا .

قال ابن هشام : واسم ابن قمئة عبد الله .

(توعد أبى سفيان للمسلمين) :

قال ابن إسحاق : ثم نادَى أبو سُفيان : إنه قد كان فى قَتْلاكم مثل ، والله ما رضيت ، وما سَخطت ، وما نهيتُ ، وما أمرت .

ولما انصرف أبو سُفيان ومن معه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قُلْ : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد .

(خروج على فى آثار المشركين) :

ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب ، فقال : اخرُج فى آثار القوم ، فانظُر ماذا يَصْنعون ومايُريدون فان كانوا قد جنَّبوا الخيل[١] ، وامتطوا الإبل ، فانهم يُريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل ، فانهم يُريدون المدينة ، والذى نفسى بيده ، لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم قال علىّ : فخرجت فى آثارهم أنظُر ماذا يصنعون ؛ فجَنَّبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجَّهوا إلى مكة .

(مر القتل بأحد) :

وفرغ[٢] الناس لقَتْلاهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَعة المازنى ، أخو بنى النَّجَّار : مَنْ رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ أفى الأحياء هو أم فى الأموات؟ فقال رجل

---

(١) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم .

(٢) ويروى : « فزع » أى خافوا لهم ولم يشتغلوا بشىء سواهم .

من الأنصار[١] : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سَعْد ، فنظَر فوَجده جريحا في القَتْلى وبه رمَق . قال : فقلت له : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظُر ، أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : أنا في الأموات ، فأبلغْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عني السلام ، وقل له : إن سعد بن الرّبيع يقول لك : جزاك الله عنَّا خير ما جزى نبيًّا عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام وقُل لهم : إن سعد ابن الربيع يقول لكم : إنه لاعُذْر لكم عند الله إن خُلص إلى نبيِّكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عينٌ تطرف [٢] . قال : ثم لم أبْرح حتى مات ؛ قال : فجئتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

قال ابن هشام : وحدثني أبو بكر الزُّبيري : أنّ رجلا دخَل على أبي بكر الصدّيق ، وبِنْتٌ لسَعْد بن الرَّبيع جارية ٌ صغيرةٌ على صَدْره يَرْشُفُها [٣] ويقبلها ؛ فقال له الرجل: مَنْ هذه ؟ قال : هذه بنتُ رجل خير مني ، سعْد ابن الرّبيع ، كان من النُّقباء يوم العَقَبة ، وشهد بدرا، واستشهد يوم أُحد

(حزن الرسول على حمزة وتوعده المشركين بالمثلة) :

قال ابن إسحاق : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، يلتَمس حمزةَ بن عبدالمُطلب ، فوَجده ببَطْن الوادي قد بُقِر بطنه عن كبده ، ومُثّل به ، فجُدِع أنفُه وأُذُناه .

فحدثني محمدُ بن جَعْفر بن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى ما رأى : لولا أن تَحْزَن صَفيَّة ، ويكون سُنَّة من بعدي لَترَكْته ، حتى يكون في بطُون السِّباع ، وحَواصل الطير ، ولئن أظْهرني الله على قريش

---

(١) قال السهيلي : « الرجل هو محمد بن مسلمة ، ذكره الواقدي ، وذكر أنه نادى في القتلى : ياسعد بن الربيع ، مرة بعد مرة ، فلم يجبه أحد ، حتى قال : يا سعد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني أنظر ما صنعت ؛ فأجابه حينئذ بصوت ضعيف وذكر الحديث . وهذا خلاف ما ذكره أبو عمر في كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من طريق ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده أن الرجل الذي التمس سعدا في القتلى هو ابن أبي كعب » .

(٢) يقال : طرف بعينه يطرف : إذا ضرب بجفن عينه الأعلى على جفن عينه الأسفل .

(٣) يرشفها : يمص ريقها .

فى مَوْطن من المَواطن لأمثلنّ بثلاثين رجلا منهم . فلما رأى المسلمون حُزْن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وغَيظه على مَن فعل بعَمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثّلن بهم مُثْلة لم يُمثّلها أحد من العرب .

قال ابن هشام : ولما وقف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حَمْزة قال : لن أُصاب بمثلك أبدا ! ما وقفتُ موقفا قطّ أغيظ إلىّ من هذا ! ثم قال : جاءنى جبريلُ فأخبرنى أنّ حمزة بن عبد المطلب مكتوبٌ فى أهل السموات السبع : حمزة ابن عبد المطلب ، أسد الله ، وأسد رسوله .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبوسَلَمة بن عبد الأسد ، إخْوة من الرضاعة ، أرْضعَتهم مولاة لأبى لَهب [1] .

(ما نزل فى النهى عن المثلة) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بُرَيدة بنُ سُفيان بن فَرْوة الأسلمى ، عن محمد بن كَعْب القُرظى ، وحدثنى من لاأتّهم ، عن ابن عبَّاس : أن الله عزّ و جلّ أنزل فى ذلك ، من قول رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقول أصحابه : « وَإنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ . وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إلاَّ بِاللهِ ، وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَلا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ » ، فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصَبَر ونَهى عن المُثْلة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حُميد الطويل ، عن الحسن ، عن سَمُرة بن جُنْدب ، قال : ما قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مقام قطّ ففارقه ، حتّى يأمرنا بالصَّدقة ، وينهانا عن المُثلة [2].

---

(١) اسمها ثويبة .

(٢) قال السهيلى : « وهو حديث صحيح فى النهى عن المثلة ، فإن قيل : فقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرنيين فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم ، وتركهم بالحرة ؟ قلنا : فى ذلك جوابان : أحدهما أنه فعل ذلك قصاصا لأنهم قطعوا أيدى الرعاء وأرجلهم وسملوا أعينهم ؛ وقيل إن ذلك قبل تحريم المثلة ؛ فإن قيل : فقد تركهم يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا عطاشا . قلنا : عطشهم لأنهم عطشوا أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة » .

(صلاة الرسول على حمزة والقتلى) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن مقسم ، مولى عبدالله بن الحارث ، عن ابن عبّاس ، قال : أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحَمْزة فسُجِّى [١] ببردة ثم صلى عليه ، فكبّر سبعَ تكبيرات ، ثم أُتِىَ بالقتلى فيوضعون إلى حمزة ، فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبْعين صلاة [٢] .

(صفية وحزنها على حمزة) :

قال ابن إسحاق : وقد أقبلتْ فيما بلَغنى ، صفيّة بنت عبدالمطّلب لتنظُر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأُمّها ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزُّبير بن العوّام : القَها فأرْجعها ، لاترَى مابأخيها ، فقال لها : ياأُمّه ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمُرُكِ أن ترْجعى ، قالت : ولِمَ ؟ وقد بلغنى أن قد مُثّل بأخى ، وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبنّ ولأصْبِرن إن شاء الله . فلما جاء الزُّبير إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ؛ قال : خلّ سبيلَها ، فأتَتْه ، فنظرتْ إليه ، فصلّت عليه ، واسترْجعت [٣] ، واستغفرَتْ له ، ثم أمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فدُفن .

(دفن عبد الله بن جحش مع حمزة) :

قال : فزَعم لى آل عُبد الله بن جَحْش — وكان لأميمة بنت عبد المطلب ، حمْزةُ خالهُ ، وقد كان مُثّل به كما مُثْل بحَمْزة ، إلا أنه لم يُبْقَر عن كَبِده — أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دَفَنَه مع حمزة فى قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله

---

(١) سجى : غطى .

(٢) قال السهيل : « ولم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعى لوجهين :

أحدهما ضعف إسناد هذا الحديث . قال ابن اسحاق : حدثنى من لا أتهم يعنى الحسن بن عمارة فيما ذكروا ولا خلاف فى ضعف الحسن بن عمارة عند أهل الحديث ، وأكثرهم لايرونه شيئا ، وإن كان الذى قال فيه ابن إسحاق حدثنى من لا أتهم غير الحسن ، فهو مجهول ، والجهل يوبقه .

والوجه الثانى ، أنه حديث لم يصحبه العمل ، ولا يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه إلا هذه الرواية فى غزوة أحد ، وكذلك فى مدة الخليفتين، إلا أن يكون الشهيد مرتثا من المعركة » .

(٣) استرجعت : قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(دفن الشهداء) :

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنوهم بها ، ثم نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صرعوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم الزهريّ ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذْرى ، حليف بنى زُهرة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا أشرف على القتلى يوم أُحد ، قال : أنا شهيد على هؤلاء ، إنه مامن جريح يُجرح فى الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يَدْمى جرحُه ، اللونُ لونُ دمٍ والريحُ ريح مسك ، انظروا أكثرَ هؤلاء جمْعا للقرآن ، فاجعلوه أمام أصحابه فى القبر — وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة فى القبر الواحد .

قال : وحدثنى عمِّى موسى بن يسار ، أنه سمع أبا هُريرة يقول : قال أبوالقاسم صلى الله عليه وسلم : مامن جريح يُجرح فى الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجُرحه يدْمى ، اللَّون لون دم ، والرِّيح ريح مسك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار ، عن أشياخ من بنى سَلَمة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ ، حين أمر بدفن القتلى : انظروا إلى عمْرو بن الجَموح ، وعبد الله بن عمرو بن حَرام ، فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا ، فاجعلوهما فى قبر واحد .

(حزن حمنة على حمزة) :

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة ، فلقيته حَمْنَةُ بنتُ جحش ، كما ذُكر لى ، فلما لقيتَ الناسَ نُعِى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعى لها زوجها مُصْعب بن عُمير ، فصاحت وولولت ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن زَوْج المرأة منها لبمكان ! لِمَا رأى من تثبُّتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

(بكاء نساء الأنصار على حمزة) :

قال ابن إسحاق : ومرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بنى عبد الأشهل وظَفَر ، فسَمع البكاء والنَّوائح على قتْلاهم ، فذَرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : لكنّ حمزة لابواكي له ! فلما رجع سعدُ بن مُعاذ وأُسيد بن حضير إلى دار بنى عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزّمن ، ثم يذهبن فيَبْكين على عم ّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثنى حكيم بن حكيم عن عَبّاد بن حُنَيف ، عن بعض رجال بنى عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بُكاءَهنّ على حمزة خرج عليهنّ وهنّ على باب مَسْجده يبكين عليه ، فقال : ارجعن يَرْحمكنّ الله ، فقد آسيتنّ [1] بأنفسكن .

قال ابن هشام : ونُهى يومئذ عن النَّوْح .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهنّ ، قال : رحم الله الأنصار ! فان المُواساة مِنهم ماعتَّمت [2] لقَديمة ، مُروهنّ فليَنْصرفن .

(شأن المرأة الدينارية) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عَوْن ، عن إسماعيل بن محمد ، عن سَعْد بن أبى وقاص ، قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار ، وقد أُصيب زَوجُها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحد ، فلما نُعوا لها ، قالت : فما فعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيرًا يا أمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرُونيه حتى أنظُر إليه ؟ قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته قالت : كلّ مُصيبة بعدك جَلَل ! تُريد صغيرة

قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو ها هنا من القليل .
قال امرؤ القيس فى الجلل القليل :

---

(١) آسيتن : عزيتن وعاونتن ، وأكثر ما يقال فى المعونة .

(٢) فى ا : « ما علمت » .

لقتْل بنى أسد ربَّهم[١] ألا كلُّ شىءٍ سواه جَلَل[٢]

قال ابن هشام[٣] : وأما قول الشاعر ، وهو الحارث بن وعْلة الجَرْمىُّ :

ولئن عفَوْتُ لأعفُون جَللاً ولئن سَطَوت لأوهِنَنْ عظْمى

(فهو من الكثير)[٤] .

(غسل السيوف) :

قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيْفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلى عن هذا دَمه يا بُنيَّة ، فوالله لقد صَدَقنى اليومَ ؛ وناولها علىٌّ بن أبى طالب سيْفه ، فقال : وهذا أيضا ، فاغسلى عنه دمَه ، فوالله لقد صَدَقنى اليوم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقتَ القتال لقد صَدَق معك سهلُ بن حُنَيف وأبو دُجانة .

قال ابن هشام : وكان يُقال لسيف رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفقَار[٥] .

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم ، أن ابن أبى نجيح قال : نادى مُناد يومَ أُحد :

لا سيْفَ إلا ذو الفقَار ، ولا فتَى إلا علىّ

قال ابن هشام : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلىّ بن أبى طالب : لا يُصيب المشركون منَّا مثلَها حتى يَفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق[٦] : وكان يوم أُحد يوم السَّبت للنِّصف من شوّال .

---

(١) ربهم : أى ملكهم ، ويعنى به والده حجرا ، لأنه كان ملكا على بنى أسد فقتلوه .

(٢) فى ا : « علاه » .

(٣) كذا وردت هذه العبارة فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « أى صغير قليل . قال ابن هشام : والجلل أيضا العظيم . قال الشاعر . . . الخ » .

(٤) زيادة عن ا ، ط .

(٥) وكان ذو الفقار سيف العاصى بن منبه ، فلما قتل كافرا يوم بدر صار إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء إلى على بن أبى طالب .

(٦) فى ا : « قال ابن هشام » .

(خروج الرسول فى أثر العدو ليرهبه) :

قال : فلما كان الغدُ (من) [١] يوم الأحد لستٍّ عشرة ليلة مضتْ من شوّال ، أذّن مؤذّن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدوّ ، فأذّنَ مؤذّنه أن لايخرجنّ معنا أحدٌ إلا أحدٌ حضَر يومَنا بالأمس . فكلَّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرَام ، فقال : يا رسول الله ، إنّ أبى كان خلّفنى على أخوات لى سبْع ، وقال : يا بُنىّ ، إنه لاينبغى لى ولالك أن نترك هؤلاء النّسوة لارَجلَ فيهنّ ، ولستَ بالذى أُوثرك بالجهاد مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على نفْسى ، فتخلّفْ على أخواتك ؛ فتخلّفتُ عليهنّ . فأذِن له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرَج معه . وإنما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِبا للعدوّ ، وليبلغهم أنه خرج فى طلَبهم ، ليظنوا به قوةً ، وأن الذى أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوّهم .

(مثل من استماتة المسلمين فى نصرة الرسول) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عُثمان : أن رجلا من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، من بنى عبدَ الأشهل ، كان شهِد أُحداً مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدتُ أُحداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدوّ ، قلت لأخى أو[٢] قال لى : أتفوتُنا غزوةٌ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله ما لنا من دابّة نركبها ، وما مِنّا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسرَ جُرحا ، فكان إذا غُلب حملته عُقْبةً [٣] ، ومشى عُقْبةً ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

(استعمال ابن أم مكتوم على المدينة) :

قال ابن إسحاق : فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى ا : « وقال » .

(٣) عقبة : من الاعتقاب فى الركوب .

الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم ، فيما قال ابن هشام :

قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

(شأن معبد الخزاعي) :

قال : وقد مرّ به كما حدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، معبدُ بن أبي معبد الخُزاعي ، وكانت خُزاعة ، مُسلمهم ومُشْركهم عَيْبَةَ [١] نُصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتهامة ، صَفْقَتُهم [٢] معه ، لا يُخفون عنه شيئا كان بها ، ومَعْبد يومئذ مُشْرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك ، ولوددْنا أنّ الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ، حتى لقي أبا سُفْيان بن حَرْب ومن معه بالرَّوْحاء ، وقد أجمعوا الرَّجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حَدّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ! لنكُرَّنّ على بقيّتهم ، فلنفرغنّ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبدًا ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلُبُكم في جمع لم أرَ مثله قطُّ ، يتحرّقون [٣] عليكم تحرّقا ، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا [٤] ، فيهم من الحَنَق [٥] عليكم شيء لم أرَ مثله قط ، قال : ويحك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل ، قال : فوالله لقد أجمعنا الكرّة عليهم ، لنستأصل بقيّتهم : قال : فإني أنهاك عن ذلك ، قال : والله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلتُ فيهم أبياتا من شعر ، قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

---

(١) عيبة نصح لرسول الله : أي موضع سره .

(٢) صفقتهم معه ، أي اتفاقهم معه . يقال : أصفقت مع فلان على الأمر : إذا اجتمعت معه عليه . وكان الأصل أن يقال : إصفاقهم معه ، إلا أنه استعمل المصدر ثلاثيا . ويروى : « ضلعهم معه » ومعناه : ميلهم .

(٣) يتحرقون : يلتهبون من الغيظ .

(٤) في م ، ر : « ضيعوا » .

(٥) الحنق : شدة الغيظ .

كادتْ تُهدُّ من الأصوات راحلتى ... إذ سالت الأرضُ بالجُرْد الأبابيلِ[١]

تَرْدِى بأُسْــدٍ كرامٍ لاتَنابلة ... عند اللّقاء ولا مِيــلٍ مَعَازِيل[٢]

فظلْتُ عَدْوًا أظنّ الأرض مائلةً ... لمّا سَمَوْا برئيس غــير مَخْذول[٣]

فقلتُ: ويلَ ابن حَرْبٍ من لقائكم[٤] ... إذا تَغَطْمطت البَطحاء بالجيل[٥]

إنى نذيرٌ لأهل البَسْل ضاحيةً ... لكلّ ذى إرْبةٍ منهم ومعقول[٦]

من جَيْش أحمدَ لاوَخْشٍ تنابلة ... وليس يُوصَف ما أنذرتُ بالقِيل[٧]

فثنى ذلك أبا سُفيان ومن معه .

(رسالة أبى سفيان إلى الرسول على لسان ركب) :

ومرَّ به ركبٌ من عبد القَيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؟ قال : ولِمَ ؟ قالوا : نُريد المِيرة ؛ قال : فهل أنتم مُبلغون عنى محمدًا رسالة أُرْسلكم بها إليه ، وأُحمِّل لكم هذه غدًا زَبيبا بعُكاظ إذا وافيتُموها ؟ قالوا نعم ؛ قال : فاذا وافيتُموه فأخبِروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنَستأصل بقيتهم ، فمرّ الركبُ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بحَمْراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سُفيان ؛ فقال : حَسْبُنا الله ونعم الوكيل ؛

---

(١) تهد : تسقط لهول مارأت من أصوات الجيش وكثرته . والجرد : الخيل العتاق . والأبابيل : الجماعات .

(٢) تردى : تسرع . والتنابلة : القصار . والميل : جمع أميل ، وهو الذى لا رمح أولا ترس معه ؛ وقيل : هو الذى لا يثبت على السرج . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم .

(٣) العدو : المشى السريع . وسموا : علوا وارتفعوا .

(٤) ابن حرب : هو أبو سفيان .

(٥) كذا ورد هذا الشطر فى ا ، ط . وتغطمطت : اهتزت وارتجت ، ومنه : بحر غطامط ، إذا علت أمواجه . والبطحاء : السهل من الأرض . والجيل : الصنف من الناس . وفى سائر الأصول :

إذا تغطمت البطحاء بالخيل

وهو ظاهر التحريف .

(٦) أهل البسل : قريش ، لأنهم أهل مكة ، ومكة حرام . والضاحية : البارزة للشمس . والإربة : العقل .

(٧) الوخش : رذالة الناس وأخساؤهم . والتنابلة : القصار . والقيل : القول .

(كف صفوان لأبي سفيان عن معاودة الكرة) :

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أنّ أبا سُفيان بن حَرْب لمَّا انصرف يوم أُحد ، أراد الرُّجوع إلى المدينة ، ليَسْتأصل [1] بقيَّة أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صَفْوان بن أُميَّة بن خَلَف : لاتَفْعلوا ، فانّ القوم قد حَرِبوا [2] ، وقد خَشِينا أن يكون لهم قِتال غير الذى كان ، فارجعُوا ، فرجعوا . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهو بحَمْراء الأسد ، حين بلَغه أنهم هَمّوا بالرَّجعة : والذى نَفْسى بيده ، لقد سُوِّمت [3] لهم حجارة ، لو صُبِّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب [4] .

(مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة) :

قال أبو عبيدة [5] : وأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى جهة ذلك ، قبل رُجوعه إلى المدينة ، مُعاويةَ بن المُغيرة بن أبي العاص بن أُميَّة بن عبد شمس ، وهو جدّ عبد الملك بن مَرْوان ، أبو أُمه عائشة بنت مُعاوية ، وأبا عَزَّة الجُمَحى ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسَره ببدر ، ثم مَنّ عليه ؛ فقال : يا رسولَ الله ، أقِلْنى ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تَمْسح عارضيك بمكة بعدَها وتقول : خدعت محمداً مرّتين ، اضربْ عنقه يا زُبير . فضرب عُنقه .

قال ابن هشام : وبلغنى عن سعيد بن المُسيب أنه قال : قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ المؤمن لايُلْدغ من جُحر مرّتين ، اضربْ عُنقه ياعاصم ابن ثابت ، فضرب عُنقه .

(مقتل معاوية بن المغيرة) :

قال ابن هشام : ويقال : إن زيدَ بن حارثة وعمَّار بن ياسر قتلا مُعاوية

---

(١) فى م ، ر : « ليستأصل فيما زعموا » .

(٢) حربوا : غضبوا .

(٣) سومت ، أى جعلت لها علامة يعرف بها أنها من عند الله .

(٤) فى ا : « قال » .

(٥) قال أبو ذر : « ووقع فى كتاب أبي على الغساني بعد هذا : حدثنا أبو صالح وابن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، قال أخبرنى سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لايلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ، هذا الحديث حاشية فى كتاب أبي على الغساني رحمه الله » .

ابن المُغيرة بعد حَمْراء الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفَّان فاستأمن له رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه .

(شأن عبد الله بن أبي بعد ذلك) :

قال ابن إسحاق : فلما قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان عبدُ الله بن أُبيّ ابن سلول ، كما حدثني ابن شهاب الزُّهري ، له مقامٌ يقومه كل جمعة لايُنْكَر ، شرفا له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفا ، إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يَخْطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أظْهركم ، أكرمكم الله وأعزّكم به ، فانصُروه وعزّروه ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يَجْلس حتى إذا صنع يوم أُحد ما صنَع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المُسلمون بثيابه من نَواحيه ، وقالوا : اجلس ، أي عدوّ الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعتَ ما صنعتَ ، فخرج يتخطَّى رقابَ الناس وهو يقول : والله لكأنما قلتُ بَجْرا [1] أن قمت أشدّد أمرَه . فلقيه رجلٌ من الأنصار بباب المسْجد ، فقال : مالك ؟ ويلك ! قال : قمتُ أشدّد أمره ، فوثب عليّ رجالٌ من أصحابه يَجذبونني ويُعنِّفونني ، لكأنما قلت بَجْرًا أنْ قُمت أشدّد أمره ؛ قال : ويلك ! ارجع يَستغفر لك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله ما أبتَغي أن يَستغفر لي .

(كان يوم أحد يوم محنة) :

قال ابن إسحاق : كان يوم أُحد يوم بلاء ومُصيبة وتَمْحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المُنافقين ، ممَّن كان يُظهر الإيمان بلسانه ، وهو مُسْتخف بالكُفر في قلبه ، ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشَّهادة من أهل ولايته .

---

(١) بجرا : أمرا عظيما . ويروى : « هجرا » ، وهو الكلام القبيح .

ذكر ما أنزل الله فى أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطَّلبى ، قال : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أُحد من القرآن ستون آية من آل عِمْران ، فيها صفة ما كان فى يومهم ذلك ، ومُعاتبة من عاتَب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم : « وإذْ غَدَوْتَ مِنْ أهْلِكَ تُبَوِّئُ المُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتالِ ، واللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

قال ابن هشام : تبوِّئ المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكُميت ابن زيد :

لَيْتَنِى كُنْتُ قَبْلَهُ قد تبوأتُ مَضجعا

وهذا البيت فى أبيات له .

أى سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون .

« إذْ هَمَّتْ طائِفَتانِ مِنْكُمْ أنْ تَفْشَلا » : أن تتخاذلا ، والطائفتان : بنوسَلَمة بن جُشَم بن الخَزْرج ، وبنوحارثة بن النَّبيت من الأوس ، وهما الجناحان يقول الله تعالى : « والله وليُّهما » : أى المُدافع عنهما ماهمّتا به من فَشَلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضَعف ووَهن أصابهما غير شكّ فى دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته ، حتى سَلِمتا من وُهونهما وضَعْفهما ، ولَحِقتا بنبيِّهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثنى رجل من الأسْد من أهل العلم ، قال : قالت الطائفتان: ما نُحبّ أنَّا لم نَهِمّ بما هممنا به ، لتولى الله إيانا فى ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : « وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ » : أى من كان به ضَعْف من المؤمنين فليتوكّل علىّ ، وليستعِنْ بى ، أُعِنْه على أمره ، وأُدافع عنه ، حتى أبلغ به ، وأدْفع عنه ، وأقوّيه على نيّته . « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وأنْتُمْ أذِلَّةٌ ، فاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » :

أى فاتقونى ، فانه شكر نعمتى . « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ » وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة « إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ . بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ » : أى إن تصبروا لعدوّى ، وتُطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وَجْههم هذا ، أُمدّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : مسوِّمين : مُعْلِّمين . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرىّ أنه قال : أعلَموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصوف أبيض . فأما ابن إسحاق فقال : كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضاً . وقد ذكرت ذلك فى حديث بدر . والسيما : العلامة . وفى كتاب الله عزّ وجلّ : « سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » : أى علامتهم . و « حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً » يقول : مُعلّمة . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب . قال رُؤبة بن العجّاج :

فالآنَ تُبلى بى الجيادُ السُّهَّمُ ولا تُجاريني إذا ما سوَّموا[1]

وشَخَصت أبصارُهم وأجذَموا

(أجذموا « بالذال المعجمة » : أى أسرعوا ؛ وأجذموا « بالدال المهملة » : أقلعوا) [2] .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له . والمُسوّمة (أيضاً) : المرْعيّة . وفى كتاب الله تعالى : « وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ » و « شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ » . تقول العرب : سوّم خيله وإبله ، وأسامها : إذا رعاها . قال الكُميت بن زيد :

راعيا كان مُسْجِحا ففقدنا وفَقْدُ المُسيم هُلْكُ السَّوامِ

قال ابن هشام : مُسجحا : سَلِس السياسة مُحسن (إلى الغنم) [2] . وهذا البيت فى قصيدة له .

---

(١) الجياد : الخيل العتاق . والسهم : العابسة المتغيرة من شدة الحرب .

(٢) زيادة عن ا .

« وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إلاَّ بُشْرَى لَكُمْ ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ » : أى ما سمّيت لكم مَنْ سمّيتُ من جنود ملائكتى إلا بُشْرى لكم ، ولتطمئنّ قلوبكم به ، لما أعرف من ضَعْفكم ، وما النّصر إلا من عندى ، لسُلْطانى وقُدرتى ، وذلك أن العزّ والحكم إلىّ ، لا إلى أحد من خَلْقى . ثم قال : « لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائِبِينَ » : أى ليقطع طرفا من المُشْركين بقَتْل ينتقم به منهم ، أو يردّهم خائبين : أى ويَرْجع مَنْ بَقِى منهم فَلاّ خائبين ، لم ينالوا شيئا مما كانوا يأملون .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : يكْبِتهم : يغمُّهم أشدّ الغَمّ ، ويمنعهم ما أرادوا . قال ذو الرُّمَّة :

ما أنْسَ مِن شَجَنٍ لا أنسَ مَوْقِفَنا   فى حَيْرة بين مَسْرور ومَكْبوتِ[1]

ويكْبتهم (أيضًا) : يصرعهم لوجوههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالِمُونَ » : أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى ، إلا ما أمرتُك به فيهم ، أو أتُوب عليهم برحمتى ، فان شئتُ فعلت ، أو أعذّبهم بذُنوبهم فبحقّى « فإنَّهُمْ ظالِمُونَ » : أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إيّاى « وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » : أى يغفر الذنب ويرْحم العباد ، على مافيهم[2] .

---

(١) الشجن : الحزن .

(٢) قال السهيلى ، عند ذكر قوله تعالى « ليس لك من الأمر شىء » : « وفى تفسير الترمذى حديث مرفوع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أبى سفيان والحارث بن هشام وعمرو بن العاص حتى أنزل الله تعالى « ليس لك من الأمر شىء » قال فتابوا وأسلموا وحسن إسلامهم ، وهذا حديث ثابت فى حسن إسلام أبى سفيان ، خلافا لمن زعم غير ذلك ، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف فى حسن إسلامه وفى موته شهيدا بالشام ، وأما عمرو بن العاص فقد قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : أسلم الناس وآمن عمرو » .

(النهى عن الربا) :

ثم قال : « يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تأكُلُوا الرِّبا أضعافا مُضاعَفَةً » ؛ أى لاتأكلوا فى الإسلام ، إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ، مما لايحل لكم فى دينكم « واتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » : أى فأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه ، وتُدْرِكون ما رغبكم الله فيه من ثوابه ، « واتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلكافِرِينَ » : أى التى جُعلت دارًا لمن كفَر بى .

(الحض على الطاعة) :

ثم قال : « وأطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » معاتبةً للذين عَصَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره . ثم قال : « وَسارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ » : أى دارًا لمن أطاعنى وأطاع رسولى . « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، والكاظِمِينَ الغَيْظَ ، والعافِينَ عَنِ النَّاسِ ، واللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ » : أى وذلك هُوَ الإحسانُ ، وأنا أُحِبُّ مَنْ عمل به ، « والَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فاحِشَةً أوْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ اللهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » : أى إن أتوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نَهْى الله عنها ، وما حرّم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعرَفوا أنه لايغفر الذنوب إلا هو . « وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » : أى لم يُقيموا على مَعْصيتى كفِعْل من أشرك بى فيما غلَوْا به فى كفرهم ، وهم يَعلمون ماحرّمتُ عليهم من عِبادة غيرى . « أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها ، وَنِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ » : أى ثواب المُطيعين.

(ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه) :

ثم استقبل ذكر المُصيبة التى نزلت بهم ، والبَلاء الذى أصابهم ، والتَّمحيص لما كان فيهم ، واتخاذَه الشُّهداء منهم ، فقال : تعزيةً لهم ، وتعريفا لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا

فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُكَذِّبِينَ » : أي قد مَضت منى وقائع نِقْمة فى أهل التكذيب لرُسلى والشِّرك بى : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فرأوا مَثُلات قدمَضت منى فيهم ، ولمن هو على مثل ماهم عليه من ذلك منى ، فانى أمْليت لهم : أى لئلا يظنوا أنّ نقمتى انقطعتْ عن عدوِّكم وعدوّى ، للدولة التى أدلتهم بها عليكم ، ليَبتليكم بذلك ، ليُعلمكم ماعندكم .

ثم قال تعالى : « هذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ » : أى هذا تفسير للناس إن قَبلوا الهدى « وهُدًى ومَوْعِظَةً » : أى نور وأدب « للمتقين » أى لمن أطاعنى وعَرف أمرى . « وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا » : أى لاتَضْعفوا ولا تَبْتئسوا على ما أصابكم ، « وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ » : أى لكم تكون العاقبة والظهور « إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » : أى إن كنتم صدّقتم نبيى بما جاءكم به عنى . « إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ » : أى جراح [١] مثلها ، « وتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ » : أى نُصرّفها بين الناس للبلاء والتمحيص « ولِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » : أى ليُميز بين المؤمنين والمنافقين ، وليُكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة « وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » : أى المنافقين الذين يُظهرون بألسنتهم الطاعةَ وقلوبهم مُصِرّة على المَعْصية «ولِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا » : أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبَلاء الذى نَزل بهم ، وكيف صَبْرهم ويقينهم « وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ » : أى يُبْطل من المنافقين قولَهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، حتى يظهر منهم كُفْرهم الذى يَسْتترون به .

(دعوة الجنة للمجاهدين) :

ثم قال تعالى : « أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ » : أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثوابى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدّة ، وأبْتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صِدْق

---

(١) قال أبو ذر : « قال الفراء : القرح (بفتح القاف) : الجراح . والقرح (بضم القاف) ألم الجراح . وغيره لا يفرق بينهما .

ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فىّ ، وَلَقد كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الشَّهادَةَ على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوّكم ، يعنى الذين استنهضوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلى خروجه بهم إلى عدوّهم ، لما فاتهم من حضورا اليوم الذى كان قبله ببدر ، ورغبةً فى الشهادة التى فاتتهم بها ، فقال : « وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أنْ تَلْقَوْهُ » يقول : « فَقَدْ رأيْتُمُوهُ وأنْتُمْ تَنْظُرُونَ » : أى الموت بالسيوف فى أيدى الرجال قد خلّى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صدّهم عنكم . « وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أعْقابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا ، وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ » : أى لقول الناس : قُتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وانهزامُهم عند ذلك ، وانصرافهم عن عدوّهم « أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ » رجعتم عن دينكم كفّارا كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوّكم ، وكتاب الله . وما خلّف نبيُّه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم ، وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ، « ومَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْهِ » : أى يرجع عن دينه « فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا » : أى ليس ينقص ذلك عزَّ الله تعالى ولا مُلكه ولا سلطانه ولا قُدْرته ، « وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ » : أى مَنْ أطاعه وعَمِل بأمْره [1] .

(ذكره أن الموت بإذن الله) :

ثم قال : « وَمَا كانَ لِنَفْسٍ أنْ تَمُوتَ إلاَّ بإذْنِ اللهِ كِتابًا مُؤَجَّلاً » : أى أن لمحمد صلى الله عليه وسلم أجلا هو بالغه ، فإذا أذن الله عزّ وجلّ فى ذلك كان . « وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنها ، وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ » : أى من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رَغْبة فى الآخرة ، نُؤته منها ما قُسم له من رزق ، ولا يَعْدوه فيها ، وليس له

(١) قال السهيلى : « تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم فلم يضر ذلك دين الله ولا أمة نبيه . وكان أبو بكر يسمى أمير الشاكرين لذلك . وفى هذه الآية دليل على صحة خلافته ؛ لأنه الذى قاتل المنقلبين على أعقابهم من ردهم إلى الدين الذى خرجوا منه » .

فى الآخرة من حظ » ومن يُرد ثواب الآخرة نُؤْته منها » ما وُعد به ، مع ما يُجزى عليه من رزقه فى دُنياه ، وذلك جزاء الشّاكرين ، أى المتّقين .

(ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء) :

ثم قال : « وكأيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَااسْتَكَانُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ »: أى وكأين من نبيّ أصابه القتل ، ومعه ربّيّون كثير : أى جماعة ، فما وهنوا لفقد نبيّهم ، وما ضعفوا عن عدوّهم ، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم ، وذلك الصبر ، والله يُحبّ الصابرين « وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلاّ أنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ، وإسْرَافَنَا فِي أمْرِنَا ، وَثَبِّتْ أقْدَامَنَا ، وَانْصُرْنا على القَوْمِ الكافِرِينَ ».

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : واحد الرِّبِّيِّين : رِبّى ؛ وقولهم : الرِّباب ، لولد عبد مناة بن أدّ بن طابخة بن إلياس ، ولضبة ، لأنهم تجمّعوا وتحالفوا ، من هذا ، يريدون الجماعات . وواحدة الرِّباب : رِبّة (وربابة) [1] وهى جماعات قِداح أو عصى ونحوها ، فشبّهوها بها . قال أبو ذؤيب الهذلىّ [2] :

وكأنّهُنّ رِبابة وكأنّه يَسَر يَفيض على القِداح ويَصْدعُ

وهذا البيت فى أبيات له . وقال أُميّة بن أبى الصّلت :

حَوْل شَيَاطينهم أبابيلُ رِبِّيونَ شَدُّوا سَنَوّرًا مَدْسُورا

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : والربابة (أيضًا) : الخرقة التى تُلَفّ فيها القداح .

قال ابن هشام : والسَّنَوَّر: الدروع . والدُّسُر ، هى المسامير التى فى الحلق ، يقول الله عزّ وجلّ « وحَمَلْنَاهُ على ذَاتِ ألْوَاحٍ ودُسُر » .

قال الشاعر ، وهو أبو الأخزر الحِمّانى ، من تميم :

---

(١) زيادة من ا .

(٢) هذه العبارة من قوله « قال أبو ذؤيب » إلى أول قوله « وقال أمية » ساقطة فى ا .

دَسْراً بأطراف القَنا المقوَّم

قال ابن إسحاق : أى فقولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضُوا على دينكم كما مَضَوا على دينهم ، ولا ترتدّوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يُثبِّت أقدامكم ، واستَنْصروه كما استَنْصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ؛ وقَدْ قُتل نبيُّهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظُّهور على عدوّهم ، وحُسنَ ثواب الآخرة وما وَعد الله فيها ، والله يحبّ المحسنين .

(تحذيره إياهم من إطاعة الكفار) :

« يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلى أعْقابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ » : أى عن عدوّكم ، فتذهب دُنياكم وآخرتكم « بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ » ، فإن كان ماتقولون بألسنتكم صدقا فى قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تَسْتَنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعْقابكم مرتدّين عن دينه. « سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ » : أى الذى به كنتُ أنصركم عليهم بما أشركوا بى ما لم أجْعل لهم من حجةّ ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نَصْر ولاظُهور عليكم ما اعتصمتم بى ، واتَّبعتم أمرى ، للمُصيبة التى أصابتكم منهم بذُنوب قَدّمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى للمعصية ، وعصيتم بها النبيّ صلى الله عليه وسلم . « وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهُمْ بإذْنِهِ ، حَتَّى إذَا فَشِلْتُمْ وَتَنازَعْتُمْ فِي الأمْرِ ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أراكُمْ ما تُحِبُّونَ ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ [١] ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ، وَلَقَدْ عَفا عَنْكُمْ ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلى المُؤْمِنِينَ » أى وقد وفَّيت لكم بما وَعَدْتكم من النصر على عدوّكم ، إذ تحسُّونهم بالسُّيوف ، أى القتل ، بإذنى وتَسْليطى أيْديكم عليهم ، وكفِّى أيديهم عنكم .

---

(١) قال السهيلى : « قال ابن عباس : هو عبد الله بن جبير الذى كان أميرا على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، ولا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبتت معه طائفة ، فاستشهد واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم وأخذ السلب ، فكر عليهم العدو وكانت المصيبة » .

قال ابن هشام : الحسّ : الاستئصال : يقال : حَسَسْتُ الشيء : أى استأصلته بالسّيف وغيره . قال جرير :

تحسُّهم السُّيوفُ كما تَسامَى حريقُ النَّار فى الأجَم الحَصِيد[١]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رُؤبة بن العَجّاج :

إذا شكَوْنا سَنَةً حَسُوسا
تأكُلُ بعْدَ الأخضَر اليَبِيسا

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : «حتى إذا فشلتم» : أى تخاذلتم «وتنازعتم فى الأمر» أى اختلفتم فى أمْرى ، أى تركتم أمرَ نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة «وعصَيْتم مِنْ بَعْدِ ما أرَاكُمْ ما تُحِبون» : أى الفتح ، لاشكّ فيه ، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم ، «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا» : أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترْك ما أُمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة «ومِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ» : أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى ما نُهوا عنه ، لعَرَض من الدنيا ، رغبة فيها ، رجاء ماعند الله من حُسن ثوابه فى الآخرة ، أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نُهوا عنه ، لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لا يُهلككم بما أتيتم من مَعْصية نبيكم ، ولكنى عُدت بفضلى عليكم ، وكذلكَ «مَنّ اللهُ على المُؤْمِنِين» أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبا وموعظة ، فانه غيرُ مستأصل لكُلّ مافيهم من الحقّ له عليهم ، بما أصابوا من مَعْصيته ، رحمةً لهم ، وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .

(تأنيبه إياهم لفرارهم عن نبيهم) :

ثم أنّبهم بالفرار عن نبيِّهم صلى الله عليه وسلم ، وهم يُدعون لايَعْطفون عليه لدُعائه إياهم ، فقال : «إذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ على أحَدٍ ، والرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ ، فأثابَكُمْ غَمًّا بغَمٍّ ، لِكَيْلا تَحْزَنُوا على مافاتكُمْ ولا ما أصَابكُمْ» : أى كرْبا بعد كرب ، بقتل من قُتل من إخوانكم ، وعلُوّ

---

(١) تسامى : ارتفع . والأجم : جمع أجمة ، وهو الشجر الملتف والحصيد : المحصود المقطوع .

عدوّكم عليكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول مَنْ قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغمّ ؛ لكيلا تحزنوا على مافاتكم ؛ من ظهوركم على عدوّكم ، بعد أن رأيتموه بأعينكم ، ولا ما أصابكم من قَتْل إخوانكم ، حتى فرّجتُ ذلك الكربَ عنكم « وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » . وكان الذى فرّج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغمّ الذى أصابهم ، أن الله عزّ وجلّ ردّ عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيّهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيًّا بين أظهرهم ، هانَ عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظّهور عليهم ، والمُصيبة التى أصابتهم فى إخوانهم ، حين صرَف الله القتلَ عن نبيّهم صلى الله عليه وسلم . « ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ ، يُخْفُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ ، وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » ، فأنزل الله النعاس أمنةً منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهلُ النّفاق قد أهمّتهم أنفسهم ، يظنّون بالله غير[1] الحقّ ظنّ الجاهليّة[2] ، تخوّفَ القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله عزّ وجلّ تلاوُمَهم وحَسْرتهم على ما أصابهم . ثم قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ » لم تحضُروا هذا الموطنَ الذى أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سَرائركم « لَبَرَزَ » لأخرجَ « الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ » إلى موطن غيره يُصرعون فيه ، حتى يبتلى به ما فى صدورهم « وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » : أى لا يخفَى عليه ما فى صُدُورهم مما استخفوا به منكم .

---

(١) أى يظنون أن الله خاذل دينه ونبيه .

(٢) أى أهل الجاهلية كأبى سفيان وأصحابه .

(تحذيرهم أن يكونوا عن يخشون الموت فى الله) .

ثم قال : «يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لاتكُونُوا كالَّذِينَ كَفَرُوا وقالُوا لإخْوَانِهِمْ إذَا ضَرَبُوا فِي الأرْضِ أوْ كانُوا غُزًّى ، لَوْ كانُوا عِنْدَنا ماماتُوا وَما قُتِلُوا ، لِيَجْعَلَ اللهُ ذلكَ حَسْرَةً فِي قلُوبِهِمْ ، وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » : أى لا تكونوا كالمنافقين الذين يَنْهون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله ، والضَّرْب فى الأرض فى طاعة الله عزّ وجلّ ، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إذا ماتوا أوقُتلوا : لو أطاعونا ماماتوا وما قُتلوا « لِيَجْعَلَ اللهُ ذلكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ » لقلّة اليقين بربهم ، « وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ » : أى يُعجّل مايشاء ويؤخّر مايشاء من ذلك من آجالهم بقُدرته .

قال تعالى : « وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ » : أى إن الموت لكائن لابدّ منه ، فموتٌ فى سبيل الله ، أو قَتْل ، خير لو علموا وأيقنوا مما يجْمعون من الدنيا التى لها يتأخّرون عن الجهاد ، تخوف الموت والقَتْل لما جمعوا من زَهْرة الدنيا زهادةً فى الآخرة «وَلَئِنْ مُتُّمْ أوْ قُتِلْتُمْ » أىّ ذلك كان « لإلى اللهِ تُحْشَرُونَ » : أى أن إلى الله المرجع ، فلا تغرنّكم الدنيا ، ولا تغتَرّوا بها ، وليكن الجهادُ وما رغّبكم الله فيه من ثوابه آثرَ عندكم منها .

(ذكره رحمة الرسول عليهم) :

ثم قال تبارك وتعالى : « فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لا نْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ » : أى لتركوك « فاعْفُ عَنْهُمْ » : أى فتجاوز عنهم « وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، وَشاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ ، فإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ » فذكر لنبيّه صلى الله عليه وسلم لينه لهم ، وصَبْره عليهم ، لضَعْفهم ، وقلّة صَبْرهم على الغِلْظة لو كانت منه عليهم فى كلّ ماخالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيّهم صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تبارك وتعالى : « فاعْفُ عَنْهُمْ » : أى تجاوز عنهم ، « وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ » ذنوبهم ،من قارف [١] من أهل الإيمان منهم « وَشاوِرْهُمْ فى الأمْرِ » : أى

(١) يقال : قارف الرجل الذنب : إذا دخل فيه ولابسه .

لتُريهم أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت غنياً عنهم ، تألفا لم بذلك على دينهم « فإذَا عزَمْتَ » : أى على أمرٍ جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوّك لايُصلحك ولا يُصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أُمرتَ به ، على خلاف من خالفك ، ومُوافقة من وافقك ، «وتوكَّلْ على الله » ، أى ارض به من العباد ، « إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوكِّلينَ . إنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ ، وَإنْ يَخذُلكُمْ فَمَن ذَا الَّذِى يَنْصُرُكُم مِنْ بَعْدِهِ » :أى لئلا تترك أمرى للناس ، وارفُض أمر الناس إلى أمرى ، وعلى الله لاعلى الناس ، فليتوكل المؤمنون .

(ما نزل فى الغلول) :

ثم قال : « وَما كانَ لِنَبِيٍّ أنْ يَغُلَّ ،وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لايُظْلَمُونَ » : أى ما كان لنبىّ أن يكتم الناسَ ما بعثه الله به إليهم ، عن رَهْبة من الناس ولا رغبة ، ومن يَفْعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يُجزى بكَسبه ، غيرَ مَظْلوم ولا معتدًى عليه « أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ » على ما أحبَّ الناسُ أو سَخطوا « كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ » لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفمن كان على طاعتى ، فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه ، فكان «مأواه جهنم وبئس المصير » أسواء المثلان ! فاعرفوا . « هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللهِ ، وَاللهُ بَصيرٌ بِما يَعْمَلُونَ » لكلٍّ درجات مما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لايخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

(فضل الله على الناس ببعث الرسل) :

ثم قال : « لَقَدْ مَنَّ اللهُ على المُؤْمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكتابَ والحِكْمَةَ ، وَإنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ » : أى لقد منَّ الله عليكم ياأهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتُم ، وفيما عملتم ،فيعلِّمكم الخير والشرَّ ، لتعْرفوا الخير فتعملوا به ، والشرَّ فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ،

لتتخلّصوا بذلك من نقمته، وتُذْكروا بذلك ثوابه من جنّته « وَإِنْ كُنْتُمْ » مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ » : أى لفى عمياء من الجاهلية ، أى لاتعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة ، صمّ عن الخير ، بُكْم عن الحقّ ، عُمْى عن الهدى .

(ذكره المصيبة التى أصابتهم) :

ثم ذكر المُصيبة التى أصابتهم ، فقال : « أَوَ لَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ : أَنَّى هَذا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » : أى إن تلك قد أصابتكم مُصيبة فى إخوانكم بذُنوبكم فقد أصبْتُمْ مثليها قبلُ من عدوّكم ، فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، قتلا وأسرا ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم « إِنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » : أى إن الله على ما أراد بعباده من نِقْمة أوعَفْو قدير « وَما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللهِ ، وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ » : أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوّكم فبإذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نَصْرى ، وصدَقتكم وَعْدى ، ليميز بين المؤمنين والمُنافقين ، « وليعلم الذين نافقوا » منكم : أى ليظهر مافيهم . « وَقِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا » : يعنى عبدالله بن أُبَىّ وأصحابَه الذين رَجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سار إلى عدوّه من المُشركين بأحد ، وقولهم : لونعلم أنكم تُقاتلون لسِرْنا معكم ، ولَدَفعنا عنكم ، ولكنّا لانظنّ أنه يكون قتال . فأظهر منهم ما كانوا يُخفون فى أنفسهم . يقول الله عزّ وجلّ : « هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ » أى يُظهرون لك الإيمان وليس فى قلوبهم « وَاللهُ أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ » : أى ما يُخفون « الَّذِينَ قالُوا لإِخْوانِهِمْ » الذين أُصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم : « لَوْ أَطاعُونا ما قُتِلُوا ، قُلْ فادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ » : أى أنه لابدّ من الموت ، فان استطعتم أن تدْفعوه عن أنفسكم فافعلوا ، وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهادَ فى سبيل الله ، حرْصًا على البقاء فى الدنيا ، وفرارًا من الموت .

(الترغيب فى الجهاد) :

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يرغِّب المؤمنين فى الجهاد ، ويهوّن عليهم القتل : « وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ » : أى لاتظننّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتا : أى قد أحييتهم ، فهم عندى يُرزقون فى رَوْح الجنة وفَضْلها ، مَسْرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويَسْتبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلْفهم : أى ويُسَرون بلُحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مَضَوْا عليه من جهادهم ، ليَشْركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوفَ والحزَن . يقول الله تعالى : « يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ ، وأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ » لما عايَنوا من وَفاء المَوْعود ، وعظيم الثواب .

(مصير قتلى أحد) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى إسماعيل بن أُميَّة ، عن أبى الزُّبير ، عن ابن عبَّاس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمَّا أصيب إخوانكم بأُحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خُضْر ، تَرِد أنهارَ الجنَّة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قَناديل من ذهب ، فى ظلّ العرش ، فلما وجدوا طيبَ مَشْربهم ومأكلهم ، وحُسْن مَقيلهم ، قالوا : يا ليت إخوانَنا يعلمون ما صَنع الله بنا ، لئلا يَزْهدوا فى الجهاد ، ولا يَنْكُلوا [1] عن [2] الحرب ؛ فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات : ولا تحسبنّ ... » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحارث بن الفُضَيل ، عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشُّهداء على بارق نهر بباب الجنَّة ، فى قُبَّة خضراء ، يخرج عليهم رزقُهم من الجنَّة بُكرة وعشيًّا

---

(١) لاينكلوا : أى لايرجعوا هائبين لعدوهم ، خائفين منه .

(٢) فى م ، ر : « عند » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبدالله بن مسعود أنه سُئل عن هؤلاء الآيات : « وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » فقال : أما إنَّا قد سألنا عنها فقيل لنا : إنه لما أُصيب إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحَهم فى أجْواف طير خضر ، تَرِد أنهار الجنَّة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قَناديل من ذهب فى ظلّ العرش ، فيَطَّلع الله عزّ وجلّ عليهم اطّلاعةً فيقول : ياعبادى ، ما تَشتهون فأزيدَكم ؟ قال : فيقولون ربَّنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنَّة [١] نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطّلع الله عليهم اطلاعةً ، فيقول : ياعبادى ، ماتشتهون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكلُ منها حيث شئنا ! قال : ثم يطّلع عليهم اطّلاعة ، فيقول : ياعبادى ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون: ربنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا . إلا أنا نُحبّ أن تردّ أرواحُنا فى أجسادنا ، ثم نُردّ إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نُقتل مرّة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبَشِّرك يا جابر؟ قال : قلت : بلى يانبىّ الله ؛ قال : إنّ أباك حيث أُصيب بأُحد أحياه الله عزّ وجلّ ، ثم قال له : ما تحبّ يا عبدالله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أى ربّ ، أحبّ أن تردّنى إلى الدنيا فأُقاتل فيك ، فأُقتل مرّة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن عُبيد ، عن الحسن ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نَفْسى بيده ، ما من مؤمن يُفارق الدنيا يُحبّ أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، فانه يحبّ أن يُردّ إلى الدنيا ، فيُقاتل فى سبيل الله ، فيُقتل مرةً أخرى .

---

(١) قال أبو ذر فى التعليق على هذه العبارة « يروى هنا بالخفض والرفع ، وبخفض الجنة على البدل من (ما) فى قوله (ما أعطيتنا) ورفعها على خبر مبتدأ مضمر ، تقديره : الجنة ، أو هى الجنة » .

(ذكر من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد) :

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ » : أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أُحد إلى حمراء الأسد [١] على ما بهم من ألم الجراح : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ . الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » ، والناس الذين قالوا لهم ماقالوا ، النَّفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ؟ قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم . يقول الله عزّ وجلّ : « فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ » لما صرف الله عنهم من لقاء عدوّهم ، إنما ذلكم الشيطان ، أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم « يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ » : أى يرهبكم بأوليائه ، « فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ » : أى المنافقون « إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا ، يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عذاب عظيم . إِنَّ الَّذِين اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ، إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ . مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ » : أى المنافقين « وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ » : أى فيما يُريد أن يبتليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه « وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ » أى يعلمه ذلك « فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا » : أى ترجعوا وتتوبوا « فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ » .

---

(١) حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة ، عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة . (انظر معجم ما استعجم البكرى ، فى رسم حمراء الأسد ، ورسم النقيع) .

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

(من بنى هاشم) :

قال ابن إسحاق : واستُشهد من المسلمين يوم أُحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قُريش ، ثم من بَنى هاشم بن عَبد مناف : حمزةُ ابن عبد المطلب بن هاشم ، رضى الله عنه ؛ قتله وحْشىّ ، غلامُ جُبير بن مُطعم .

(من بنى أمية) :

ومن بنى أُميّة بن عبد شمس : عبدُ الله بن جَحْش ، حليف لهم من بنى أسد ابن خُزيمة .

(من بنى عبد الدار) :

ومن بنى عبد الدّار بن قُصىّ : مُصعب بن عُمير ، قتله ابنُ قَمِئة اللّيْثىّ .

(من بنى مخزوم) :

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : شَمّاس بن عُثمان . أربعة نفر .

(من الأنصار) :

ومن الأنصار ، ثم من بنى عبد الأشْهل : عمرو بن مُعاذ بن النُّعمان ، والحارث ابن أنس بن رافع ، وعُمارة بن زياد بن السكَن .

قال ابن هشام : السكَن : ابنُ رافع بن امرئ القيس ؛ ويقال : السكْن[1] .

قال ابن إسحاق : وسَلَمة بن ثابت بن وَقْش ، وعمرو بن ثابت بن وَقْش . رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباهما ثابتا قُتل يومئذ . ورفاعة بن وَقْش . وحُسَيْل بن جابر ، أبو حُذيفة وهو اليَمان . أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون ، فتصدّق حُذيفة بديته على مَنْ أصابه ؛ وصَيْفىّ

(١) ضبط فى بعض النسخ بفتح الكاف فى الأولى ، وبسكونها فى الثانية .

ابن قَيْظِي . وحَبّاب [١] بن قَيْظِي . وعَبّاد بن سَهْل ، والحارث بن أَوْس بن مُعاذ . اثنا عشر رجلا .

(من راتج) :

ومن أهلِ راتج [٢] : إياس بن أَوْسِ بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زَعُوراء بن جُشَم بن عبد الأشْهل ، وعُبيد بن التَّيهان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التَّيهان .

وحبيب بن يزيد بن تَيم . ثلاثة نفر .

(من بني ظفر) :

ومن بني ظفر : يزيد بن حاطب بن أُميَّة بن رافع . رجل .

(من بني ضبيعة) :

ومن بني عمرو بن عوف ، ثم من بني ضُبيعة بن زيد : أبوسفيان بن الحارث بن قيس بن زيد ، وحَنْظلة بن أبي عامر بن صيفيّ بن نعمان بن مالك بن أمة ، وهو غَسيل الملائكة ، قتله شدّاد بن الأسود بن شعوب الليْثي . رجلان .

قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضُبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

(من بني عبيد) :

قال ابن إسحاق : ومن بني عُبيد بن زيد : أُنيس بن قتادة . رجل .

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبوحَيَّة [٣] ، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه.

قال ابن هشام : أبوحية : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جُبير بن النُّعمان ، وهوأمير الرماة.. رجلان .

---

(١) قال أبو ذر : « وحباب بن قيظى ، وقع هنا بحاء مهملة مفتوحة وباء ، وجناب ، بالجيم المفتوحة وبالنون حكاه الدارقطني عن ابن إسحاق . والمحفوظ بالحاء » .

(٢) راتج (بكسر التاء المثناة الفوقية والجيم) : أطم من آطام المدينة .

(٣) كذا في جميع الأصول . قال أبو ذر : « أبو حنة ، وكذا روى هنا بالباء والنون معا والحاء المهملة؛ وقال الدارقطني : ابن إسحاق وأبو معشر يقولان فيه : أبو حية ، بالياء ؛ والواقدي يقوله بالنون ». ومن رواية أبي ذر يستفاد أنه كان في الأصل كما روى هو بالباء أو بالنون . ولعل وقوعه بالياء ، كما في الأصول ، تصحيف من النساخ .

(من بني السلم) :

ومن بني السَّلْم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس : خَيْثمة أبو سعد بن خيثمة . رجل .

(من بني العجلان) :

ومن حلفائهم من بني العَجْلان : عبدُ الله بن سَلَمة [1] . رجل .

(من بني معاوية) :

ومن بني مُعاوية بن مالك : سُبيع بن حاطب بن الحارث بن قَيس بن هَيْشة . رجل .

(من بني النجار) :

قال ابن هشام : ويقال : سُوَيْبِق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشة .

قال ابن إسحاق : ومن بني النَّجَّار : ثم من بني سَوَاد بن مالك بن غَنْم : عمرو بن قَيْس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن هشام : عمرو بن قيس : ابنُ زيد بن سواد .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مَخْلد . أربعة نفر .

(من بني مبذول) :

ومن بني مَبْذول : أبو هُبيرة بن الحارث بن عَلْقمة بن عمرو بن ثَقْف بن مالك بن مَبْذول ، وعمرو بن مُطَرِّف بن عَلْقمة بن عمرو . رجلان .

(من بني عمرو) :

ومن بني عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن المُنذر . رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسَّان بن ثابت .

(من بني عدي) :

قال ابن إسحاق : ومن بني عَدِيّ بن النَّجَّار : أنس بن النَّضْر بن ضَمْضَم ابن زيد بن حَرَام بن جُنْدب بن عامر بن غَنْم بن عديّ بن النَّجَّار . رجل .

(١) يروى بفتح اللام وكسرها . (راجع شرح السيرة لأبي ذر) .

قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عمّ أنس بن مالك : خادم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

(من بنى مازن) :

ومن بنى مازن بن النَّجَّار : قَيس بن مُخلَّد ، وكيسان ، عبد لهم . رجلان .

(من بنى دينار) :

ومن بنى دينار بن النَّجار : سُلَيم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو . رجلان .

(من بنى الحارث) :

ومن بنى الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبى زُهير ، وسَعْد بن الربيع بن عمرو بن أبى زُهير ، دُفنا فى قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثَعْلبة بن كعب . ثلاثة نفر .

(من بنى الأبجر) :

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خُدْرة : مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عبيد [1] بن الأبجر ، وهو أبو أبى سعيد الخُدرىّ .

قال ابن هشام : اسم أبى سعيد الخدرىّ : سنان ؛ ويقال : سعد .

قال ابن إسحاق : وسَعيد بن سُوَيد بن قَيْس بن عامر بن عَبَّاد بن الأبجر ؛ وعتبة ، بن زبيع ، بن رافع ، بن معاوية ، بن عبيد ، بن ثعلبة ، بن عبيد ، ابن الأبجر ثلاثة نفر .

(من بنى ساعدة) :

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثَعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ؛ وثَقْف بن فَرْوة بن البَدىّ . رجلان .

(من بنى طريف) :

ومن بنى طَريف ، رَهْط سعد بن عُبادة : عبدُ الله بن عمرو بن وهب

---

(١) كذا فى ا : وفى سائر الأصول : « عبد » .

ابن ثعلبة بن وقش بن ثَعْلبة بن طريف ؛ وضَمْرة ، حليف لهم من بنى جُهينة . رجلان .

(من بنى عوف) :

ومن أبنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم ، ثم من بنى مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم : نوفل بن عبد الله ؛ وعبَّاس بن عُبادة بن نَضلة بن مالك ابن العَجْلان ؛ ونُعمان بن مالك بن ثَعْلبة بن فِهْر بن غَنْم بن سالم ؛ والمُجذَّر ابن ذِياد ، حليف لهم من بَلِىّ ؛ وعُبادة بن الحَسْحاس .

دُفن النُّعمان بن مالك ، والمُجذّر ، وعُبادة فى قبر واحد . خمسة نفر .

(من بنى الحبلى) :

ومن بنى الحُبلى : رِفاعة بن عَمْرو . رجل .

(من بنى سلمة) :

ومن بنى سَلِمة ، ثم من بنى حَرَام : عبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثَعلبة بن حرام ؛ وعمرو بن الجَموح بن زيد بن حرام ، دُفنا فى قبر واحد ؛ وخلاّد بن عَمْرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام ؛ وأبو أيمن ، مولى عَمْرو بن الجَموح . أربعة نفر .

(من بنى سواد) :

ومن بنى سَوَاد بن غَنْم : سُلَيم بن عمرو بن حَديدة ؛ ومولاه عَنْترة ؛ وسهل بن قَيْس بن أبى كعب بن القَين . ثلاثة نفر .

(من بنى زريق) :

ومن بنى زُرَيق بن عامر : ذَكْوان بنُ عبد قَيْس ؛ وعُبيد بن المُعلَّى بن لَوْذان . رجلان .

قال ابن هشام : عُبيد بن المُعَلَّى ، من بنى حبيب .

(عدد الشهداء) :

قال ابن إسحاق : فجميع من استُشهد من المُسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المُهاجرين والأنصار . خمسة وستون رجلا .

(من بنى معاوية) :

قال ابن هشام : وممّن لم يذكر ابن إسحاق من السّبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بنى مُعاوية بن مالك : مالك بن نُمَيلة ، حليف لهم من مزينة .

(من بنى خطمة) :

ومن بنى خَطْمة — واسم خَطْمة : عبد الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس الحارث بن عَدِىّ بن خَرَشَة بن أُميّة بن عامر بن خَطْمة .

(من بنى الخزرج) :

ومن الخزرج ، ثم من بنى سَواد بن مالك : مالك بن إياس .

(من بنى عمرو) :

ومن بنى عمرو بن مالك بن النّجار : إياس بن عدىّ .

(من بنى سالم) :

ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

(من بنى عبد الدار) :

قال ابن إسحاق : وقُتل من المُشركين يوم أُحد من قُريش ، ثم من بنى عَبْد الدار بن قُصَىّ من أصحاب اللّواء : طلحة بن أبى طَلْحة ، واسم أبى طلحة : عبدُ الله بن عبد العُزّى بن عُثمان بن عبد الدار ، قتله علىّ بن أبى طالب ؛ (و) [1] أبو سعيد بن أبى طلحة ، قتله سعدُ بن أبى وقّاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علىٌّ بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبى طَلْحة ، قتله حمزة بن عبد المُطلب ؛ ومسافع ابن طلحة ، والجُلاس بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح . وكلاب ابن طَلْحة ، والحارث بن طَلْحة ، قتلهما قُزْمان ، حليف لبنى ظَفَر .

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلابا عبدُ الرحمن بن عوف .

---

(١) زيادة عن ا .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عَبْد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار قتله حمزة بن عبد المطّلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان ؛ وصُؤَاب : غلام له [1] حبَشىّ ، قتله قُزْمان .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علىّ بن أبى طالب ، ويقال : سعد بن أبى وقّاص ويقال : أبودُجانة .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شُرَيح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان . أحد عشر رجلا .

(من بنى أسد) :

ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : عبدُ الله بن حُميد بن زُهير بن الحارث بن أسد . قتله علىّ بن أبى طالب . رجل .

(من بنى زهرة) :

ومن بنى زُهْرة بن كلاب : أبو الحَكَم بن الأخنس بن شَريق بن عمرو بن وَهْب الثّقفى ، حليف لهم ، قتله على بن أبى طالب ؛ وسباع بنُ عبْد العُزّى — واسم عبد العُزّى : عَمْرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سليم بن ملَكان بن أفْصى — حليف لهم من خزُاعة ، قتله حمزةُ بن عبد المطلب . رجلان .

(من بنى مخزوم) :

ومن بنى مخزوم بن يقَظة ، هشام بن أبى أُميّة بن المُغيرة ، قتله قُزْمان ؛ والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، قتله قُزْمان : وأبو أُميّة بن أبى حُذيفة بن المغيرة ، قتله علىّ بن أبى طالب ؛ وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، قتله قُزْمان . أربعة نفر .

(من بنى جمح) :

ومن بنى جُمَح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عُمَير بن وهب بن حُذَافة بن جمَح ، وهو أبو عزّة ، قتله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَبْرًا ؛

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «لهم» .

وأُبَيّ بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، قتله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده . (رجلان) .

(من بنى عامر) :

ومن بنى عامر بن لؤىّ : عُبيدة بن جابر ؛ وشيبة بن مالك بن المضَرّب ، قتلهما قُزْمان . (رجلان) .

قال ابن هشام : ويقال : قتل عُبيدةَ بن جابر عبدُ الله بن مسعود .

(عدد قتلى المشركين) :

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحد من المشركين ، اثنان وعشرون رجلا .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

(شعر هبيرة) :

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم أُحد ، قولُ هُبيرة بن أبى وَهْب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمْران بن مخزوم — قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن مخزوم :

ما بالُ هَمٍّ عَميدٍ بات يَطْرُقنى ... بالوُدّ من هندَ إذْ تَعْدو عَوَادِيها [١]

باتَتْ تُعاتِبنى هنــدٌ وتَعْذُلنى ... والحربُ قد شُغِلَتْ عنى مواليها

مَهْلاً فلا تَعْذُلِينى إنّ من خُلُقى ... ما قد علِمْتِ وما إن لستُ أُخْفيها

مُساعِفٌ لبَنى كَعْبٍ بما كَلِفُوا ... حَمّالُ عِبْءٍ وأثْقالٌ أُعانيها [٢]

وقد حملتُ سلاحى فوق مُشْتَرَف ... ساطٍ سَبوحٍ إذا تَجْرِى يُباريها [٣]

---

(١) العميد ، المؤلم الموجع . والعوادى : الشواغل .

(٢) مساعف : مطيع مواتٍ . وبما كلفوا : أى بما أولعوا به وأحبوه . والعبء : الحمل الثقيل ، فاستعاره هنا لما يكلفونه من الأمور الشاقة العظام .

(٣) مشتَرَف (بفتح الراء) أى فرس يستشرفه الناس ، أى ينظرون إليه لحسنه . (ويكسر الراء) أى مشرف . والساطى : البعيد الخطو إذا مشى . والسبوح : الذى يسبح فى جريه كأنه يعوم . ويباريها : يعارضها . وأعاد (الهاء) على الخيل ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لأن الكلام يدل عليها .

كأنَّه إذْ جَرَى عَيْرٌ بِفَدْفَدَة   مُكَدَّمٌ لاحِقٌ بالعُونِ يَحْمِيها[١]
من آل أعوجَ يَرْتاحُ النَّدِيُّ له   كجِذْعِ شَعْراءَ مُسْتَعْلٍ مَراقِيها[٢]
أعْدَدْتُهُ ورِقاقَ الحَدِّ مُنْتَخَلاً   ومارِنًا لخُطُوبٍ قد أُلاقِيها[٣]
هذا وبَيْضاءَ مثلَ النِّهْيِ مُحْكَمَةً   نِيطَتْ عليَّ فما تَبْدُو مَساوِيها[٤]
سُقْنا كِنانةَ من أطرافِ ذي يَمَنٍ   عُرْضُ البلادِ على ما كان يُزْجِيها[٥]
قالت كِنانةُ : أنَّى تَذْهَبُون بِنا ؟   قُلْنا: النُّخَيْلُ ، فأَمُّوها ومَنْ فيها[٦]
نحن الفَوارِسُ يومَ الجَرِّ من أُحُدٍ   هابَتْ مَعَدٌّ فقُلْنا نحن نَأْتِيها[٧]
هابُوا ضِرابًا وطَعْنًا صادِقًا خَذِمًا   مِمَّا يَرَوْنَ وقد ضُمَّتْ قَواصِيها[٨]
ثُمَّتَ رُحْنا كأنَّا عارِضٌ بَرِدٌ   وقامَ هامُ بَنِي النَّجَّارِ يَبْكِيها[٩]
كأنَّ هامَهُمُ عند الوَغَى فِلَقٌ   من قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْهُ عن أَداحِيها[١٠]

---

(١) العير : الحمار الوحشي . والفدفدة : الفلاة . والمكدم : المعضض ، عضته أتنه . والعون : جمع عانة من حمر الوحش .

(٢) أعوج : اسم فرس مشهور في العرب . ويرتاح : يستبشر ويهتز . والندى : المجلس من القوم . والجذع : الفرع . وشعراء : نخلة كثيرة الأغصان . ومراقيها : معاليها .

(٣) رقاق الحد : يريد سيفا ومنتخلا : متخيرا . والمارن : الرمح اللين عند الهز . والخطوب : حوادث الدهر .

(٤) يريد « بالبيضاء » : الدرع . والنهى (بفتح النون وكسرها) : الغدير من الماء . ونيطت : علقت . وهي رواية أبي ذر . ورواية الأصول : « لقلت » أي لصقت . ومساويها : عيوبها :

(٥) عرض البلاد : سعتها . ويزجيها : يسوقها .

(٦) يريد بالنخيل (كزبير) : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي اسم لعين قرب المدينة . وأموها : قصدوها .

(٧) الجر : أصل الجبل .

(٨) الخذم (بالخاء والذال المعجمتين) : الذي يقطع اللحم سريعا . وقواصيها : ما تفرق منها وبعد .

(٩) العارض : السحاب . والبرد : الذي فيه برد . والهام : جمع هامة ، وهي الطائر الذي تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل .

(١٠) الهام : جمع هامة ، وهي الرأس . والوغى : الحرب . والفلق : جمع فلقة ، وهي القطعة من الشيء والقيض : قشر البيض الأعلى . والربد : النعام ، لأن ألوانها بين البياض والسواد ، وهو اللون الأربد . والأداحي : جمع أدحى ، وهو الموضع الذي تبيض فيه النعام .

أوحَنْظَلُ ذَعْذَعَتْه الرِّيحُ فى غُصُنٍ بالٍ تَعاوَرَه منها سَوَافيها[١]

قد نبذُلُ المَالَ سَحًّا لاحِسابَ له ونَطْعن الخيلَ شَزْرًا فى مآقيها[٢]

وليلةٍ يَصْطلى بالفرْث جازِرُها يَخْتَصّ بالنَّقَرى المُثْرِين داعيها[٣]

وليْلةٍ من جُمادَى ذاتِ أنْدِيةٍ جَرْبَا جُماديَّةٍ قد بِتُّ أسْريها[٤]

لا يَنْبح الكلبُ فيها غيرَ واحدة من القَرِيس ولا تَسْرى أفاعيها[٥]

أوْقَدتُ فيها لذى الضَّرَّاء[٦] جاحمة[٧] كالبرق ذاكيةَ الأرْكان أحميها[٨]

أوْرَثَنى ذاكُم عَمْرٌو ووالدُه من قبله كان بالمثْنَى يُغاليها[٩]

كانوا يُبارون أنْواء النُّجوم فما دنَّتْ عن السَّوْرة العُلْيا مساعيها[١٠]

(شعر حسان فى الرد على هبيرة) :

قال ابن إسحاق : فأجابه حسَّان بن ثابت ، فقال :

---

(١) ذعذعته : حركته . وتعاوره : تتداوله . والسوافى : الرياح التى تقلع التراب والرمل من الأرض

(٢) سحا : صبا ؛ يريد أنه عطاء كثير . والشزر : الطعن عن يمين وشمال . والمآقى : مجارى الدموع من العين . والمآقى (أيضا) : المقدمات . وكلا المعنيين يستقيم به الكلام .

(٣) يصطلى : يستدفئ من شدة البرد . والنقرى : أن تدعو قوما دون قوم ؛ يقال : هو يدعو الجفلى : إذا عم ، وهو يدعو النقرى إذا خص . والمثرين : الأغنياء .

(٤) الأندية : جمع ندى (على غير قياس) وقد قيل : إنه جمع الجمع ، كأنه جمع ندى على نداء (مثل جمل وجمال) ثم جمع الجمع على أفعلة ، وهذا بعيد فى القياس ، لأن الجمع الكثير لا يجمع ، وفعال من أبنية الجمع الكثير . وقد قيل هو جمع ندى ، والندى : المجلس . وهذا لا يشبه معنى البيت ، ولكنه جمع جاء على أمثال أفعلة ، لأنه فى معنى الأهوية والأشتية ، ونحوذلك . وأقرب من ذلك أنه فى معنى الرذاذ والرشاش ، وهما يجمعان على أفعلة . (راجع الروض الأنف) . وجربا : شديدة البرد مؤلمة أو قحطة لامطر فيها ، ويريد بجمادية نسبة إلى شهر جمادى . وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر فى زمن جمود الماء ، ثم انتقل بالأهلة ، وبقى الاسم عليه وإن كان فى الصيف والقيظ . وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سميت بأسماء مأخوذة من أحوال السنة الشمسية ، ثم لزمتها وإن خرجت عن تلك الأوقات . (راجع الروض) .

(٥) القريس : البرد مع الصقيع .

(٦) لذى الضراء ، أى لذى الحاجة والعوز .

(٧) كذا فى ا ، ط . والجاحمة : الملتهبة . وفى سائر الأصول : « حامية » .

(٨) ذاكية : مضيئة .

(٩) بالمثنى ، أى مرة بعد مرة .

(١٠) يبارون : يعارضون . ودنت : قصرت . والسورة : الرفعة والمنزلة . المساعى : ما يسعى فيه من المكارم .

سُقْتُمْ كِنانة جَهْلا من سَفاهتكم ... إلى الرَّسول فجُنْدُ الله مُخْزِيها
أَوْرَدْتموها حِياضَ المَوْتِ ضاحِية ... فالنَّارُ مَوْعِدها ، والقَتْل لاقِيها[١]
جَمَّعْتُموها أحابيشاً بلا حَسَب ... أَئمَّة الكُفْر غَرَّتكم طواغيها[٢]
ألا اعْتَبرتم بخَيْل الله إذْ قَتَلَتْ ... أهلَ القَليب وَمَن أَلْقَيْنه فيها[٣]
كم من أسيرٍ فككْناه بلا ثَمَنٍ ... وجَزِّ ناصيةٍ كُنَّا مَوَاليها[٤]

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاريّ لكَعب بن مالك :

قال ابن هشام : وبيتُ هُبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه :

ولَيْلةٍ يَصْطَلى بالفَرْث جازِرُها ... يَخْتَصُّ بالنَّقَرَى المُثْرِين داعيها

يروى بلَنوب ، أخت عمرو ذى الكَلْب الهُذلىّ ، فى أبيات لها فى غير يوم أُحد .

(شعر كعب فى الرد على هبيرة) :

قال ابن إسحاق : وقال كعبُ بن مالك يُجيب هُبيرة بن أبى وهب أيضاً :

ألا هل أتى غَسَّانَ عنَّا ودُونهم ... مِنَ الأَرْض خَرْقٌ سَيْرُهُ مُتَنَعْنِع[٥]
صَحارٍ وأعْلامٌ كأنَّ قَتامَها ... من البُعْد نَقْعٌ هامِدٌ مُتَقَطِّع[٦]
تَظَلّ به البُزْل العَرامِيس رُزَّحا ... ويَخْلو به غَيْثُ السِّنين فيُمْرِع[٧]
به جِيَفُ الحَسْرَى يَلُوح صَليبُها ... كما لاح كَتَّانُ التِّجار المُوَضَّع[٨]
به العِينُ والآرامُ يَمْشين خِلْفَةً ... وبَيْضُ نَعام قَيْضُه يتَقَلَّع[٩]

---

(١) الحياض : جمع حوض . والضاحية : البارزة للشمس .

(٢) الحسب : الشرف ، والطواغى : جمع طاغية ، وهو المتكبر المتمرد .

(٣) يعنى « بأهل القليب » : من قتل يبدر من المشركين .

(٤) مواليها : أهل النعمة عليها .

(٥) الخرق : الفلاة الواسعة ، التى تنخرق فيها الريح . ومتنعنع ، أى مضطرب ؛ ويروى « متتعتع » بالتاء أى متردد .

(٦) الأعلام : الجبال المرتفعة . والقتام : ما مال لونه إلى السواد . والنقع : الغبار . والهامد : المتلبد الساكن .

(٧) البزل : الإبل القوية ؛ واحدها : بازل . والعراميس : الشديدة ، والرزح : المعيية .

(٨) الصليب : الودك . والموضع : المبسوط المنقوش .

(٩) العين : بقر الوحش . والآرام : البيض البطون السمر الظهور . وخلفة : أى يمشين قطعة خلف قطعة . والقيض : قشر البيض الأعلى . ويتقلع : يتشقق .

مُجالدنا[١] عن دِيننا كلُّ فَخْمَةٍ　　مُذَرَّبةٍ فيها القَوانِسُ تَلْمَعُ[٢]
وكلِّ صَمُوتٍ في الصِّوانِ كأنَّها　　إذا لُبِسَتْ نَهْيٌ من الماء مُتْرَعُ[٣]
ولكن ببَدْرٍ سائلُوا مَن لَقِيتُمُ　　من النَّاس والأنباء بالغيب تَنْفع
وإنَّا بأرض الخوْف لو كان أهلها　　سوانا لقد أجلَوْا بليْل فأقْشَعُوا[٤]
إذا جاء منَّا راكبٌ كان قولُه　　أعدُّوا لما يُزْجِي ابنُ حرب ويَجْمَعُ[٥]
فمهْما يُهِمُّ النَّاسَ مما يَكيدُنا　　فنحنُ له من سائر النَّاس أوْسَعُ
فلو غيرُنا كانت جميعا تكيدُه الـ　　ـبريَّةُ قد أعطَوْا يدًا وتوزَّعوا[٦]
نُجالِدُ لا تَبْقَى علينا قَبِيلةٌ　　من النَّاس إلا أنْ يهابوا ويَفْظَعُوا[٧]
ولمَّا ابتَنَوْا بالعِرْض قال سَراتُنا　　عَلامَ إذا لم نَمْنَعِ العِرْضَ نَزْرَعُ[٨]
وفينا رسولُ الله نَتْبَع أمْرَه　　إذا قال فينا القَوْلَ لا نتطلَّع[٩]
تَدَلَّى عليه الرُّوحُ من عندِ ربِّه　　يُنَزَّلُ من جوِّ السَّماء ويُرْفَعُ[١٠]
نُشاوِرُه فيما نُريد وقَصْرُنا　　إذا ما اشتهى أنَّا نُطيع ونَسْمَعُ[١١]
وقال رسولُ الله لما بَدَوْا لنا　　ذَرُوا عنكم هَوْلَ المنيَّات واطْمَعوا
وكُونوا كَمَنْ يَشْرِي الحياةَ تَقرُّبا　　إلى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْه ويُرْجَعُ[١٢]

---

(١) في ا «يجادلنا».

(٢) الفخمة: الكتيبة العظيمة. والمدربة: المتعودة القتال الماهرة فيه. وهي رواية ا. وتروى «مذربة» بالذال المعجمة، أي محددة، وهي رواية سائر الأصول. والقوانس: رءوس بيض السلاح.

(٣) الصموت: الدرع أحكم نسجها وتقارب حلقها فلا يسمع لها صوت. والصوان: كل ما يصان فيه الشيء، درعا كان أو ثوبا أو غيرها. والنهى: الغدير. ومترع: مملوء.

(٤) أقشعوا: فروا وزالوا.

(٥) يزجي: يسوق.

(٦) كذا في أكثر الأصول، وشرح السيرة. وتوزعوا: تقسموا. وفي: ا «تورعوا». وتورعوا: ذلوا.

(٧) يفظعوا: يهابوا ويفزعوا.

(٨) ابتنوا: ضربوا أبنيتهم. والعرض: واحد أعراض المدينة، وهي قراها التي في أوديتها. وسراتنا: خيارنا.

(٩) لا نتطلع: لا ننظر إليه إجلالا وهيبة له. وهي رواية ا، ويروى: «لا نتظلع» أي لا نميل عنه. وهي رواية سائر الأصول.

(١٠) الروح: جبريل عليه السلام.

(١١) قصرنا: غايتنا.　　(١٢) يشرى: يبيع.

ولكن خُــذُوا أسيافَكم وتوكّلوا   على الله إنّ الأمْرَ لله أجمَعُ
فسِرْنا إليهم جَهْرَةً في رِحالِهم   ضُحَيّاً علَيْنا البِيضُ لا نتخشّعُ [1]
بِمَلْمُومَةٍ فيها السَّــنَوَّرُ والقَنا   إذا ضَربوا أقْدامَها لا تَوَرَّعُ [2]
فجِئْنا إلى مَوْجٍ من البحرِ وَسْطَه   أحابيشُ منهــم حاسِرٌ ومُقَنَّعُ [3]
ثلاثةُ آلافٍ ونحنُ نَصِيَّــةٌ   ثلاثُ مئــينٍ إن كَثُرْنا وأربعُ [4]
نُغاوِرُهم تَجْرِي المنيّــةُ بيننا   نُشارِعُهم حوضَ المَنايا ونَشْرَعُ [5]
تَهادَى قِسِيُّ النَّبْعِ فينا وفيهــمُ   وما هو إلا اليَــثْرِبيّ المُقَطَّعُ [6]
ومَنْجوفَةٌ حِرْمِيّــةٌ صاعديّةٌ   يُذَرّ عليها السّمّ ساعــةَ تُصْنَعُ [7]
تَصُوبُ بأبدانِ الرّجالِ وتارةً   تَمُــرّ بأعراضِ البِصارِ تَقَعْقَعُ [8]
وخَيْــلٌ تَراها بالفَضاءِ كأنّها   جَرادُ صَــبًا في قَرّةٍ يَتَرَيَّعُ [9]
فلمّا تلاقَيْنا ودارتْ بنا الرّحى   وليس لأمْرٍ حَمّــه الله مَــدْفَعُ [10]
ضَرَبْناهمُ حتّى تركْنا سَراتَهم   كأنّهمُ بالقاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ [11]
لَدُنْ غُدْوةً حتّى استَفَقْنا عشِــيّةً   كأنّ ذَكانا حَرُّ نارٍ تَلَفَّعُ [12]

---

(١) البيض : السيوف .
(٢) الململمة : الكتيبة المجتمعة . والسنور : السلاح . ولا تورع : لا تكف . ويروى : « لا تورّع » : أى لا تتفرق .
(٣) الحاسر : الذى لا درع عليه ولا مغفر . والمقنع : الذى لبس المغفر على رأسه وهو القناع .
(٤) النصية : الخيار من القوم .
(٥) نغاورهم : نداولهم . ونشارعهم : نشاربهم . ونشرع : نشرب .
(٦) النبع : شجر تصنع منه القسى . واليثربي : الأوتار ، نسبة إلى يثرب .
(٧) المنجوفة : السهام . والحرمية : نسبة إلى أهل الحرم ؛ يقال : رجل حرمى ، إذا كان من أهل الحرم . والصاعدية : نسبة إلى صاعد ، صانع معروف .
(٨) تصوب : تقع . والبصار : حجارة لينة ، وتقعقع : تصوت .
(٩) الصبا : ريح شرقية . والقرة : البرد . ويتريع : يجىء ويذهب .
(١٠) رحى الحرب : معظم موضع القتال فيها . حمه الله : قدره .
(١١) سراتهم : خيارهم . والقاع : المنخفض من الأرض .
(١٢) ذكانا ، أى التهابنا فى الحرب . وتلفع : يشتمل حرها على من دنا منها .

وراحوا سِراعا مُوجِفِين كأنهم ... جَهامٌ هراقت ماءَه الريحُ مُقْلِع[١]
ورُحنا وأُخْـرانا بِطاءٌ كأنّنا ... أُسودٌ على لحم ببيشة ظُلّع[٢]
فَنِلْنا ونال القومُ منّا وربما ... فَعلْنا ولكن ما لدى الله أوسع
ودارتْ رَحانا واستدارت رَحاهمُ ... وقد جُعلوا كُلٌّ من الشّرّ يَشْبَع
ونحن أُناس لانرى القَتْل سُبَّةً ... على كُلّ مَنْ يَحْمِي الذّمارَ ويمْنَع[٣]
جِلادٌ على رَيْب الحوادث لانرَى ... على هالكٍ عَيْنًا لنا الدّهْرَ تَدْمَع[٤]
بنو الحَرْبِ لانَعْيا [٥] بشيء نَقُوله ... ولا نحن مما جرّت الحربُ نجزَع
بنوالحَرْبِ إنْ نَظْفَرْ فلَسْنا بفُحّش ... ولا نحنُ من أظْفارها نَتوجّع
وكُنّا شِهابا يتّقى النّاسُ حَرّه ... ويَفْرُجُ عنه من يليه ويَسْفَع[٦]
فخَرْتَ علىّ ابنَ الزّبعرى وقد سرى ... لكم طَلَبٌ من آخر اللّيل مُتْبِع
فسَلْ عنك فى عُلْيا مَعَدٍّ وغيرِها ... منَ الناس مَنْ أخزَى مقاما وأشْنَع
ومَنْ هو لم تَتْرك له الحربُ مَفْخرًا ... ومن خدُّه يومَ الكريهة أضْرَع[٧]
شَدَدْنا بحَوْلِ الله والنّصْر شَدّةً ... عليكم وأطرافُ الأسِنّةِ شُرّع
تَكُرّ القَنا فيكُمْ كأنّ فُروغها ... عَزَالى مَزَادٍ ماؤُها يَتَهَزّع[٨]
عَمَدْنا إلى أهلِ اللّواء ومن يَطِرْ ... بذِكْر اللّواء فهو فى الحمد أسْرَع
فخانوا وقد أعْطَوْا يَدًا وتَخاذَلُوا ... أبى اللهُ إلاّ أمْرَه وهو أصْنَع

---

(١) موجفين ، مسرعين . والجهام : السحاب الرقيق الذى ليس فيه ماء .

(٢) بيشة : موضع تنسب إليه الأسود .

(٣) الذمار : ما يجب على الرجل أن يحميه .

(٤) جلاد : جمع جليد ، وهو الصبور .

(٥) فى ا : « لا نعى » .

(٦) الشهاب : القطعة من النار . ويسفع : يحرق ويغير . وفى ا : « يشفع » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٧) أضرع : ذليل .

(٨) الفروغ : الطعنات المتسعة . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصل بالعين المهملة . وهو تصحيف . وعزالى : جمع عزلاء ، وهى فم المزادة ، ويتهزع : يتقطع . ويروى « يتهرع » أى يطرع ويسرع سيلانه .

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

مُجالَدُنا عن جِذْمنا [١] كلَّ فخمة

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أيصلُح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فهو أحسن ؛ فقال كعب : مجالدنا عن ديننا .

(شعر لابن الزبعرى) :

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى في يوم أُحد :

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمَعْتَ فقُلْ ... إنما تَنْطِق شيئا قد فُعِلْ

إنّ للخَيْر وللشّرّ مَدًى ... وكِلا ذلكَ وَجْهٌ وقَبَل [٢]

والعَطِيَّاتُ خِساسٌ بينهم ... وسَواء قَبْرُ مُثْرٍ ومُقِل [٣]

كلُّ عَيْشٍ ونَعيم زائلٌ ... وبناتُ الدّهر يلْعَبْنَ بِكُل [٤]

أبْلِغَنْ حَسَّانَ عنّى آيَةً ... فقَرِيض الشّعْر يَشْفِي ذا الغُلَل [٥]

كم تَرى بالجَرّ من جُمْجُمة ... وأكُفٌّ قد أُتِرَتْ ورِجِل [٦]

وسَرَابيلَ حِسانٍ سُرِيَتْ ... عن كُماة أُهْلِكوا في المُنْتَزَل [٧]

كم قَتَلْنا مِنْ كَرِيم سَيِّد ... ماجِدِ الجَدّين مِقْدام بَطَل

صادِق النّجْدة قَرْمٍ بارِعٍ ... غير مُلْتاثٍ لَدَى وَقْع الأسَل [٨]

فَسَل المِهْرَاس مَنْ ساكِنُه ؟ ... بين أقْحافٍ وهامٍ كالحَجَل [٩]

---

(١) الجذم : الأصل .

(٢) المدى : الغاية . والقبل : المواجهة والمقابلة . يريد أن كل ذلك ملاقيه الانسان فى مستقبل أيامه .

(٣) خساس : حقيرة . والمثرى : الغنى . والمقل : الفقير .

(٤) بنات الدهر : حوادثه .

(٥) الآية : العلامة . والغلل : جمع غلة ، وهى حرارة العطش .

(٦) الجر : أصل الجبل . وأترت : قطعت . والرجل : الأرجل .

(٧) السرابيل : الدروع . وسريت : جردت . والكماة : الشجعان . والمنتزل : موضع الحرب والنزال .

(٨) النجدة : القوة والشجاعة . والقرم : الفحل الكريم . والبارع : المبرز على غيره . والملتاث : الضعيف . والأسل : الرماح .

(٩) الأقحاف : جمع قحف . والهام : الرءوس .

لَيْتَ أشياخى ببدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخَزْرج مِنْ وَقْعِ الأسل
حين حَكَّتْ بِقُباءٍ بَرْكَها ... واستحَرَّ القَتْلُ فى عبد الأشل[١]
ثُمّ خَفُّوا عند ذاكم رُقَّصاً ... رَقَصَ الحَفَّان يعلو فى الجبَل[٢]
فقتلْنا الضِّعْفَ مِنْ أشرافهم ... وعَدَلْنا مَيْلَ بَدْرٍ فاعتدَل
لا ألُوم النَّفْسَ إلا أنَّنا ... لو كَرَرْنا لَفَعَلْنا المُفْتَعَل
بسيوفِ الهِنْد تعلو هامَهم ... عَلَلاً تَعلُوهم بعد نَهَل[٣]

(رد حسان على ابن الزبعرى) :

فأجابه حسَّان بن ثابت الأنصارىّ رضى الله عنه ، قال :

ذهبَتْ يابن الزِّبَعْرَى وَقْعَةٌ ... كان منَّا الفَضْلُ فيها لو عَدَلْ
ولقد نلتُمْ ونلْنا منكُمُ ... وكذاكَ الحربُ أحيانا دُوَل
نضَع الأسيافَ فى أكتافكم ... حيثُ نهْوِى عَلَلاً بعد نَهَل[٤]
نُخْرِج الأضياحَ[٥] من أستاهكم ... كسُلاح النِّيب يأكُلْن العَصَل[٦]
إذْ تُوَلُّونَ عَلَى أعقابكُمْ ... هُرَّبا فى الشِّعْب أشباه الرَّسَل[٧]
إذْ شَدَدْنا شَدَّةً صادقةً ... فأجأناكم إلى سَفْح الجبَل[٨]
بخَناطيلَ[٩] كأشْداف[١٠] الملا ... مَنْ يُلاقوه مِنَ النَّاس يُهَلْ[١١]

---

(١) البرك : الصدر . و بنو عبد الأشل : يريد بنى عبد الأشهل ، فحذف الهاء .

(٢) الرقص : مشى سريع . والحفان : صغار النعام .

(٣) العلل : الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول . يريد الضرب بعد الضرب .

(٤) فى شرح السيرة : « الخطى » فى موضع الأسياف . والخطى : الرماح ، نسبة إلى الخط ، وهو موضع .

(٥) كذا فى شرح السيرة . والأضياح : جمع ضيح ، وهو اللبن المخلوط بالماء . وفى الأصول « الأصبح » .

(٦) النيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة . والعصل : نبات تأكله الإبل فيخرج منها أحمر .

(٧) الرسل : الإبل المرسلة بعضها فى أثر بعض .

(٨) فأجأناكم : أى ألجأناكم .

(٩) الخناطيل : الجماعات من كل شىء .

(١٠) كذا فى ا . قال أبو ذر . ويروى : « كأمذاق » . والأمذاق : الأخلاط من الناس . غير أن كتب اللغة لم تجمع شدفا على أشداف ، وإنما جمعته على شدوف ، وفى سائر الأصول : كأشداق « بالقاف » وهو تحريف . ويروى : « كجنان الملا » والجنان : الجن .

(١١) الملا : المتسع من الأرض . ويهل : يرتاع ، من الهول ، وهو الفزع .

ضاقَ عنَّا الشِّعْبُ إذ نَجْزَعُه ... ومَلأْنا الفَرْطَ منه والرِّجَل[١]

برجالٍ لستُمُ أمثالَهُمْ ... أُيِّدُوا جبريلَ نَصْرًا فنَزَل[٢]

وعَلَوْنا يَوْمَ بَدْرٍ بالتُّقَى ... طاعةِ اللهِ وتَصْديقِ الرُّسُل

وقَتَلْنا كُلَّ رأسٍ منهمُ ... وقَتَلْنا كُلَّ جَحْجاحٍ رِفَل[٣]

وتركْنا في قُرَيْشٍ عَوْرَةً ... يَوْمَ بَدْرٍ وأحاديثَ المَثَلْ

ورَسُولُ اللهِ حقًّا شاهِدٌ ... يَوْمَ بَدْرٍ والتَّنابيلُ الهُبُل[٤]

في قُرَيْشٍ من جموعٍ جُمِّعُوا ... مثلَ ما يُجْمَعُ في الخِصْبِ الهَمَل[٥]

نحن لا أمثالُكُمْ وُلْدَ اسْتِها ... نَحْضُرُ الناسَ إذا البأسُ نَزَل[٦]

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاري: «وأحاديث المثل» والبيت الذي قبله. وقوله: «في قريش من جموع جمّعوا» عن غير ابن إسحاق.

(شعر كعب في بكاء حمزة وقتلى أحد):

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يبكي حَمْزةَ بن عبد المطّلب وقَتْلَى أحُد من المسلمين.

نَشَجْتَ وهل لك من مَنْشَجِ ... وكنتَ متى تَدَّكِرْ تَلْجَجِ[٧]

تَذَكُّرَ قَوْمٍ أتاني لهم ... أحاديثُ في الزَّمَنِ الأعْوَجِ

فقَلْبُكَ من ذِكْرِهم خافِقٌ ... منَ الشَّوْقِ والحَزَنِ المُنْضِجِ

وقَتْلاهم في جِنانِ النَّعيم ... كِرامُ المَداخِلِ والمَخْرَجِ

---

(١) نجزعه: نقطعه عرضا. والفرط: ما علا من الأرض. والرجل: جمع رجلة، وهو المطمئن من الأرض.

(٢) قال أبو ذر: «أيدوا جبريل» أراد أيدوا بجبريل، فحذف حرف الجر، وعدى الفعل.

(٣) الجحجاح: السيد. والرفل: الذى يجر ثوبه خيلاء.

(٤) التنابيل القصار: اللئام، ويروى: القنابل. يريد الخيل؛ الواحدة قنبلة. وهى القطعة من الخيل. والهبل، قال أبو ذر: من رواه بضم الهاء والباء، فمعناه الذين ثقلوا لكثرة اللحم عليهم، ومنه يقال: رجل مهبل: إذا كثر لحمه. ومن رواه بفتح الهاء والباء، أو بضم الهاء وفتح الباء، فهو من الثكل؛ يقال: هبلته أمه: إذا ثكلته.

(٥) الهمل: الإبل المهملة، وهى التى ترسل فى المرعى دون راع.

(٦) ولد: جمع ولد.

(٧) نشجت: بكيت، وتلجج، من اللجج، وهو الإقامة على الشىء والتمادى فيه.

بِمَا صَبَرُوا تحت ظلِّ اللِّواء لواء الرَّسُول بذى الأضْوُج[1]
غَداة أجابَتْ بأسْيافها جميعا بَنو الأوْس والخَزْرج
وأشْياعُ أحمدَ إذْ شايَعوا على الحَقِّ ذى النُّور والمَنْهَج[2]
فما بَرِحُوا يَضْرِبون الكُماة ويَمْضُون فى القَسْطَل المُرهَج[3]
كذلكَ حتى دَعاهُمْ مَليك إلى جَنَّة دَوْحَةِ المَوْلج[4]
فكُلُّهُم ماتَ حُرَّ البَلاء على مِلَّة الله لم يَحْرَج[5]
كحَمْزَةَ لمَّا وَفى صادقا بذى هَبَّة صارمٍ سَلْجَج[6]
فلاقاه عَبْدُ بَنى نَوْفَل يُبَرْبِرُ كالجَمَل الأدْعَج[7]
فأوْجَره حَرْبةً كالشِّهاب تَلَهَّبُ فى اللَّهَب المُوهَج[8]
ونُعْمان أوْفَى بميثاقه وحَنظلة الخَيْر لم يُحْنَج[9]
عن الحَقِّ حتى غَدت رُوحه إلى مَنْزِل فاخرِ الزِّبْرِج[10]
أُولئك لا مَنْ ثَوَى منكُمُ من النَّار فى الدَّرَك المُرْتَج[11]

(شعر ضرار فى الرد على كعب) :

فأجابه ضرار بن الخطَّاب الفهْرىّ ، فقال :

أيَجزع كَعْبٌ لأشْياعه ويَبْكى من الزَّمَن الأعْوَج[12]

---

(١) الأضوج (بضم الواو) : جمع ضوج ، وهو جانب الوادى . والأضوج (بفتح الواو) : اسم مكان .

(٢) شايعوا : تابعوا . والمنهج : الطريق الواضح .

(٣) الكماة : الشجعان . والقسطل : الغبار . والمرهج : الذى علا فى الجو .

(٤) الدوحة : الشجرة الكثيرة الأغصان . والمولج : المدخل .

(٥) حر البلاء : خالص الاختبار .

(٦) بذى هبة : يعنى سيفا ، وهبة السيف : وقوعه بالعظم . والصارم : القاطع . وسلجج : مرهف .

(٧) عبد بنى نوفل : هو وحشى قاتل حمزة . ويبربر : يصيح . والجمل الأدعج : الأسود .

(٨) أوجره : طعنه فى صدره . والشهاب : القطعة من النار . والموهج : الموقد .

(٩) لم يحنج : لم يصرف عن وجهه الذى أراده من الحق .

(١٠) الزبرج : الوشى .

(١١) الدرك : ما كان إلى أسفل . والدرج : ما كان إلى فوق .

(١٢) الأشياع : الأتباع .

عَجِيجَ المُذَكَّى رأى إلفـه ... تَروّح فى صادرٍ مُحنَج[1]
فراح الرَّوايا وغادرْنَهُ ... يُعَجْعِج قَسْرًا ولم يُحْدَج[2]
فقُولا لكَعْبٍ يُشَتِّى البُكا ... وللنِّىء من لحمه يَنْضَج
لِمَصْرع إخوانه فى مَكَرٍّ ... من الخَيْل ذى قَسْطل مُرْهَج[3]
فياليت عَمْرًا وأشْياعَه ... وعُتْبَة فى جَمْعنا السَّوْرَج[4]
فيَشْفُوا النُّفوس بأوْتارها ... بقَتْلَى أُصيبتْ من الخَزْرَج[5]
وقَتْلَى من الأوْس فى مَعْرَكٍ ... أُصيبوا جميعا بذى الأَضْوُج[6]
ومَقْتَل حمزة تحتَ اللِّواء ... بِمُطَّرِدٍ، مارِنٍ، مُخْلَج[7]
وحيثُ انثَنَى مُصْعَب ثاويا ... بضَرْبة ذى هَبَّة سَلْجَج[8]
بأُحُدٍ وأسْيافُنا فيهمُ ... تَلَهَّبُ كاللَّهَب المُوهَج
غَداةَ لَقيناكُمُ فى الحَديد ... كأُسْد البَراح[9] فلم تُعْنَج[10]
بكلِّ مُجَلِّحة كالعُقاب ... وأجْرد ذى مَيْعَة مُسْرَج[11]
فدُسْناهُمُ ثَمَّ حتى انثَنَوْا ... سوَى زاهق النَّفْس أو مُحْرَج[12]

---

(١) العجيج : الصياح . والمذكى (هنا) : المسن من الإبل ، وأكثر ما يقال فى الخيل . والصادر : الجماعة الصادرة عن الماء . ومحنج : ، أى مصروف عن وجهه .

(٢) الروايا : الإبل التى تحمل الماء . وغادرنه : تركنه . ويعجعج : يصوت ، وقسرا قهرا . ولم يحدج : لم يجعل عليه الحدج ، وهو مركب من مراكب النساء .

(٣) القسطل : الغبار . والمرهج : المرتفع .

(٤) السورج : المتقد .

(٥) الأوتار : جمع وتر ، وهو طلب الثأر .

(٦) المعرك : موضع الحرب .

(٧) المطرد : الذى يهتز ، ويمشى به رمحا . والمارن : اللين . والمخلج : الذى يطعن بسرعة .

(٨) الذى يطعن بسرعة .

(٩) كذا فى أكثر الأصول . والبراح : المتسع من الأرض . وفى ا : « البراج » بالجيم ، وهو تصحيف

(١٠) لم تعنج : لم تكف ولم تصرف .

(١١) المجلحة : الماشية المتقدمة . ويعنى بها فرسا ؛ ومن رواه : « محجلة » فهو من التحجيل فى الخيل . والأجرد : الفرس العتيق . والميعة : النشاط .

(١٢) دسناهم : وطئناهم . والمحرج : المضيق عليه .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار . وقولُ كعب : « ذى النور والمنهج » عن أبى زيد الأنصارى .

(شعر ابن الزبعرى فى يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى فى يوم أُحُد ، يبكى القتلى[1] :

ألا ذَرَفَتْ مِن مُقْلَتَيكَ دُموعُ ... وقد بانَ من حَبْلِ الشَّباب قُطوعُ[2]

وشَطَّ بِمَن تَهْوَى المَزارُ وفرَّقَتْ ... نوَى الحىِّ دارٌ بالحَبيب فَجُوعُ[3]

ولَيْس لما وَلَّى على ذِى حَرارَةٍ ... وإن طالَ تَذْرافُ الدموع رُجوعُ

فذَرْ ذا[4] ولكن هل أتى أمَّ مالك ... أحاديثُ قَوْمى والحديثُ يَشيعُ

ومُجْنَبِنا جُرْداً إلى أهلِ يَثْرِبٍ ... عَناجيجَ مِنها مُتْلَدٌ ونَزِيعُ[5]

عَشيَّةَ سِرْنا فى لُهامٍ[6] يَقُودُنا[7] ... ضَرُورُ الأعادِى للصَّديق نَفُوعُ

تَشُدُّ علَيْنا كلُّ زَغْفٍ كأنها ... غَديرٌ بضَوْجِ الوادِيَيْن نَقيعُ[8]

فلمّا رأوْنا خالَطَتْهُم مَهابَةٌ ... وعايَنَهُمْ أمْرٌ هُناكَ فَظيعُ

ووَدُّوا لو انّ الأرض يَنْشَقُّ ظَهْرُها ... بهم وصَبورُ القومِ ثَمَّ جَزوعُ

وقد عُرِّيَت بِيضٌ كأنَّ وَمِيضَها ... حَريقٌ تَرَقَّى فى الأباء سَريعُ[9]

بأيمانِنا نَعْلو بها كلَّ هامَةٍ ... ومِنها سِمامٌ للعدُوِّ ذَرِيعُ[10]

---

(١) هذه العبارة « يبكى القتلى » ساقطة فى ا .

(٢) ذرفت : سالت .

(٣) شط : بعد . والنوى : البعد والفرقة .

(٤) فى ا : « فذرنا » .

(٥) مجنبنا : أى قودنا ؛ يقال : جنبت الخيل : إذا قدتها ولم تركبها . والعناجيج : الطوال الحسان . والمتلد : الذى ولد عندك . والنزيع : الغريب .

(٦) اللهام : الجيش الكثير .

(٧) فى ا : « يقودها » .

(٨) الزغف : الدروع اللينة ، والضوج : جانب الوادى ، ونقيع : مملوء بالماء .

(٩) الوميض : الضوء . والأباء : الأجمة الملتفة الأغصان .

(١٠) الذريع : الذى يقتل سريعا .

فغادَرْنَ قَتْلَى الأَوْس غاصبةً بهم[1] ... ضِبَاعٌ وطَــيْر يَعْتَفين وُقُوع[2]

وجَمْع بنى النَّجَّار فى كل تَلْعـة ... بأبدانهم مِنْ وَقْعِهِنَّ نَجِيع[3]

ولولا عُلُوّ الشِّعْب غادَرْنَ أحمدًا ... ولكنْ علا والسَّمْهَرِىُّ شُرُوع[4]

كما غادرتْ فى الكرّ حَمْزَةَ ثاويا ... وفى صَــدْرِه ماضِى الشَّــباةِ وَقِيع[5]

ونعمان قد غادرْن تحت لوائه ... على لَحْمِــه طيرٌ يَجُفْن وُقُوع[6]

بأحُــدٍ وأرماحُ الكماة يُرِدْنَهم ... كما غالَ أشْــطانَ الدِّلاءِ نُزُوع[7]

(شعر حسان فى الرد على ابن الزبعرى):

فأجابه حسَّان بن ثابت، فقال:

أشاقك من أمّ الوَلِيــد رُبُوع ... بلاقِــعُ ما مِنْ أهْلِهِنَّ جَمِيعُ[8]

عَفَاهُنّ صَيْفِىُّ الرِّياح ووَاكِفٌ ... من الدَّلْوِ رَجّافُ السَّحاب هَمُوعُ[9]

فلم يَبْقَ إلا مَوْقِدُ النّار حَوْلَه ... رواكِد أمْثال الحَمام كُنُوع[10]

فَدَعْ ذِكْرَ دارٍ بدَّدَتْ بين أهلها ... نَوًى لِمَتِينَاتِ الحِبال قَطُوع[11]

وقُلْ إنْ يكُن يومٌ بأحُد يعُدُّه ... سَفِيهٌ فإنَّ الحَقّ سوف يَشِــيع

فقد صابرتْ فيه بَنُو الأوس كلهم ... وكان لهم ذِكْرٌ هناك رَفِيــع

---

(١) كذا فى أكثر الأصول. وعاصبة: لاصقة. وفى أ: «عاصية» بالياء المثناة. وهو تصحيف.

(٢) يعتفين: يطلبن الرزق.

(٣) والنجيع: الدم.

(٤) الشعب: الطريق فى الجبل. والسمهرى: الرماح. وشروع: مائلة للطعن.

(٥) شباة كل شىء: حده. ووقيع: أى محدد.

(٦) كذا فى أ، ط. ويجفن: يدخلن جوفه، أو يطالبن ما فى جوفه. وفى سائر الأصول: «يحفن»: أى يقمن على لحمه. ويروى: «يحمن»، أى يستدرن.

(٧) الكماة: الشجعان. وغال: أهلك. والأشطان: الحبال. والدلاء: جمع دلو. والنزوع (بضم النون): جذب الدلو وإخراجها من البئر. والنزع (بفتحها): المستقى.

(٨) البلقع: القفر الخالى.

(٩) عفاهن: غيرهن ودرسهن. والواكف: المطر السائل، ومن الدلو: يعنى برجا فى السماء. ورجاف: أى متحرك مصوت. وهموع: أى سائل.

(١٠) الرواكد: الثوابت. يعنى الأثافى. وكنوع: أى لاصقة بالأرض.

(١١) النوى: البعد. والمتينات: الغليظات الشديدات.

وحامَى بنو النَّجَّار فيه وصابَروا ... وما كان منهم فى اللِّقاء جَزُوع
أمامَ رسولِ الله لا يَخْـذُلُونه ... لهم ناصرٌ من ربِّهم وشَفِيع
وفَوْا إذْ كفرتُم يا سَخِينَ بربِّكم ... ولا يَسْتوى عبـدٌ وفَى ومُضِيع[1]
بأيديهم بِيضٌ إذا حَمِشَ الوَغَى ... فلا بُدَّ أنْ يَرْدَى لهنَّ صَرِيع[2]
كما غادرتْ فى النَّقع عُتْبة ثاويا ... وسَعْدًا صَرِيعا والوشِيجُ شُروع[3]
وقد غادرتْ تحتَ العَجاجة مُسْنَدًا ... أُبيًّا وقد بَلَّ القَمِيصَ نَجِيع[4]
بِكَفِّ رسولُ الله حيث تَنَصَّبت ... على القوْم ممَّا قد يُثِرْنَ نُقُـوع[5]
أُولئِك قومٌ سادةٌ من فُروعِكم ... وفى كُلِّ قومٍ[6] سادةٌ وفُروع
بهنَّ نُعِـزَّ اللهَ حتى يُعِـزَّنا ... وإن كان أمرٌ يا سَخِينَ فَظِيع
فلا تَذْكُروا قَتْلَى وحمزة فيهمُ ... قَتِيـلٌ ثَوَى لله وهْو مُطِيع
فانَّ جِنان الخُـلْد مَنْزِلةٌ لهُ ... وأمْرُ الذى يَقْضِى الأُمور سَرِيع
وقتلاكُمُ فى النَّار أفضلُ رِزْقهم ... حَمِيمٌ معًا فى جَوْفِها وضَرِيع[7]

(شعر عمرو بن العاص فى يوم أحد) :

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرهما لحسَّان وابن الزِّبَعْرَى .
وقوله : « ماضى الشَّباة ، وطير يحفن » عن غير ابن إسحاق .

وقال ابن إسحاق : وقال عمرو بن العاصى (فى) يوم أُحُد :

خرَجْنا مِنَ الفَيْفا عليهمْ كأنَّنا ... مع الصُّبح من رَضْوَى الحَبِيكُ المُنَطَّق[8]

---

(١) ياسخين : أراد ياسخينة ، فرخم . وكانت قريش فى الجاهلية تلقب سخينة لمداومتهم على أكل السخينة ، وهى دقيق أغلظ من الحساء ، وأرق من العصيدة ، وإنما تؤكل فى الجدب وشدة الدهر .

(٢) حمش : اشتد . والوغى : الحرب . ويردى : يهلك .

(٣) النقع : الغبار . وعتبة : يعنى عثمان بن أبى طلحة . والوشيج : الرماح . وشروع : مائلة للطعن .

(٤) العجاجة : الغبرة . والنجيع : الدم .

(٥) نقوع : جمع نقع ، وهو التراب .

(٦) فى ا « يوم » .

(٧) الضريع : نبات أخضر يرميه البحر .

(٨) الفيفا : القفر الذى لا ينبت شيئا ، وقصره هنا للشعر . ورضوى : اسم جبل . والحبيك : الذى فيه طرائق . والمنطق : المحزم .

تمنَّت بنو النَّجَّار جَهْـلاً لقاءنا ... لدَى جَنْب سَلْع والأمانِيُّ تَصْدُق[١]
فما راعَهم بالشَّرّ[٢] إلا فُجاءة ... كَراديسُ خَيْل في الأزِقَّة تمْرُق[٣]
أرادوا لكَيما يَسْتَبِيحوا قِبابَنا ... ودون القِباب اليومَ ضَرْبٌ مُحَرِّق
وكانت قِبابا أُومِنت قبلَ ما تَرَى ... إذْ رامَها قَوْم أُبِيحوا وأُحْنِقوا[٤]
كأنّ رُءوس الخَزْرجيِّين غُـدوةً ... وأيمانَهم بالمَشْرفيَّـة بَرْوَق[٥]

(شعر كعب في الرد على ابن العاصي) :

فأجابه كَعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ألا أبْلِغا فِهْرًا على نَأْيِ دارِها ... وعِنْدهمُ مِنْ عِلْمنا اليومَ مَصْدَقُ
بأنَّا غَداةَ السَّفْح من بطن يَثْرِب ... صَبَرْنا وراياتُ المَنِيَّـة تَخْفِق[٦]
صَبَرْنا لهُمْ والصَّبْرُ منَّا سَجِيَّة ... إذا طارت الأبْرامُ نَسْمُو ونَرْتُق[٧]
على عادة تِلكمْ جَرَيْنا بصَبْرنا ... وقِدْما لدَى الغايات نَجْرِى فنَسْبِق
لَنا حَوْمَةٌ لا تُسْتَطاع يَقُودها ... نَبِيٌّ أتَى بالحقّ عَفٌّ مُصَـدَّق[٨]
ألا هل أتَى أفْناءَ فِهْر بن مالك ... مُقَطَّعُ أطْرَافٍ وَهامٌ مُفَلَّق[٩]

(شعر ضرار في يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال ضِرار بن الخطَّاب :

---

(١) سلع : اسم جبل فى ظاهر المدينة .
(٢) فى ا : « بالسر » بالسين المهملة .
(٣) الكراديس : جماعات الخيل ، وتمرق : تخرج .
(٤) أحنقوا : أى أغضبوا وزادت (ا) بعد هذا البيت :

كأن رءوس الخزرجيين غدوة ... لدى جنب سلع حنظل متفلق

(٥) البروق : نبات له أصول تشبه البصل .
(٦) السفح : جانب الجبل . وتخفق : تضطرب وتتحول .
(٧) السجية : العادة . والأبرام : اللئام ؛ الواحد : برم . وأصله الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لؤمه . ونرتق : نسد ونصلح .
(٨) الحومة : الجمة . والعف : العفيف .
(٩) أفناء القبائل : المختلط منها . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس .

إنى وجــدّك لولا مُقْدَمى فرَسى   إذْ جالت الخيل بين الجِزْعِ والقاعِ [١]
مازال منكم بجَنْب الجزْع من أُحُد   أصواتُ هام تزَاقى أمرُها شاعى [٢]
وفارِسٌ قد أصابَ السيفُ مَفْرِقَه [٣]   أفلاقُ هامته كفَرْوَة [٤] الراعى
إنى وجــدّك لا أنفكّ مُنتطِقا   بصارِمٍ مثل لَوْن المِلْحِ قطّاعِ [٥]
على رِحالة مِــلْواحٍ مُثابرة   نحو الصّريخ إذا ما ثوّب الدّاعى [٦]
وما انتمَيْتُ إلى خُور ولا كُشُفٍ   ولا لِئام غــداة البَأْسِ أوْرَاعِ [٧]
بل ضاربين حَبِيكَ البيض إذ لحِقوا   شُمُّ العَرانين عنــدَ المَوْت لُذّاعِ [٨]
شُمٌّ بهاليــل مسترخٍ حمائلُهم   يَسْعَوْن للموت سَعْيا غــير دَعْداعِ [٩]

وقال ضرار بن الخطّاب أيضا :

لمّا أتَتْ مِن بنى كَعْب مُزَيَّنَةٌ   والخَزْرَجيّةُ فيها البِيضُ تأْتلِقُ [١٠]
وجرّدوا مَشْرَفيّاتٍ مُهَنّــدةً   ورَايةً كجَنَاح النّسرِ تختفِقُ [١١]
فقُلْتُ يَوْمٌ بأيّامٍ ومَعْرَكةٌ   تُنْبِــى لِما خلْفَها ماهُزْهِز الوَرَق [١٢]

(١) الجزع : منعطف الوادى . والقاع : المنخفض من الأرض .

(٢) الهام : جمع هامة . وهى الطائر الذى يزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل فيصيح ، وتزاقى تصيح ، ورواية هذه الكلمة فى ا : « ترقى » . وشاعى : أراد شائع ، فقلب .

(٣) المفرق : حيث تفرق الشعر فوق الجبهة .

(٤) الفروة « بالفاء » : معروفة ، وتروى : كقروة « بالقاف » . والقروة : إناء من خشب يحمله الراعى معه .

(٥) منتطق : محتزم . والصارم : السيف القاطع .

(٦) الرحالة : السرج . والملواح : الفرس الشديدة التى ضمر لحمها ، ومثابرة : متابعة . والصريخ : المستغيث . وثوب : كرر الدعاء .

(٧) الخور : الضعفاء . والكشف : جمع أكشف ، وهو الذى لا ترس له فى الحرب . والأوراع جمع ورع . وهو الجبان . ويروى : أوزاع « بالزاى » ، أى متفرقون .

(٨) الحبيك : الأبيض طرائقه . وشم : مرتفعة . والعرانين : الأنوف ، يصفهم بالعزة .

(٩) البهاليل : السادة ، الواحد : بهلول . ومسترخ حمائلهم : يعنى حائل سيوفهم ، وفيه إشارة إلى طولهم . والدعداع : الضعيف البطىء .

(١٠) مزينة ؛ يعنى كتيبة فيها ألوان من السلاح ، وتأتلق : تضىء وتلمع .

(١١) المشرفيات : سيوف منسوبة إلى المشارف ، وهى قرى بالشام .

(١٢) تنبى ، يريد تنبئ ، فخفف وحذف الهمزة ، ويروى ثنيا ، أى ثانية على أول ، وهزهز (بالبناء للمجهول) أى حرك . ويروى هزهز (بفتح الهاء) أى تحرك .

قد عُوِّدوا كلَّ يوم أن تكون لهم ... رِيحُ القتالِ وأسْلابُ الذين لَقوا[١]

خُيِّرتُ[٢] نفسي على ما كان من وَجَلٍ[٣] ... منها وأيْقَنْتُ أنَّ المَجْدَ مُسْتَبَق

أكرهتُ مُهْرِي حتى خاضَ غَمْرتَهم ... وبلَّهُ من نَجيعٍ عانِكٍ عَلَقٌ[٤]

فظلَّ مُهْرِي ومِسْرْبالي جَسِيدُهما ... نفخُ العرُوق رِشاشُ الطَّعن والوَرَق[٥]

أيْقَنْتُ أنّى مُقيمٌ فى ديارهمُ ... حتى يُفارق ما فى جوْفه الحَدَق[٦]

لا تجزَعوا يا بنى مَخزومَ إنَّ لكم ... مِثْلَ المُغيرةِ فيكم ما به زَهَق[٧]

صبرًا فِدًى لكُمُ أُمِّى وما وَلَدَتْ ... تَعاوَرُوا الضَّرْبَ حتى يُدْبِر الشَّفَق[٨]

(شعر عمرو فى يوم أحد) :

وقال عمرو بن العاصى :

لمَّا رأيْتُ الحَرْبَ يَنْـــزُو شرّها بالرَّضْفِ نَزْوا[٩]

وتَناولت شَهْباءُ تَلْحُـــو النَّاس بالضَّرَّاء لَحْـوا[١٠]

أيْقَنْتُ أنَّ المَوْتَ حَقٌّ ، والحياةُ تكونُ لَغْـوا

حَمَّلْتُ أثْوابِى عـلى عَتَدٍ يَبُذُّ الخيْـلَ رَهْوا[١١]

سَلِسٍ إذا نُكِبْن فى الْـبَيْداءِ يَعْلُو الطَّرفَ عُـلْوا

---

(١) الأسلاب : جمع سلب .

(٢) فى ا : « خيرت » بالباء الموحدة .

(٣) الوجل : الفزع .

(٤) غمرتهم : جماعتهم ، والنجيع : الدم ، وعانك : أحمر ، ويروى : عائد ، أى لاينقطع . والعلق : من أسماء الدم .

(٥) جسيدهما : لونهما أو صبغهما ، ونفح العروق : ماترى به من الدم ، ويروى : نفخ العروق « بالخاء المعجمة » . والورق : الدم المتقطع ؛ ويروى : العرق .

(٦) الحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين .

(٧) الزهق : العيب .

(٨) تعاوروا : تداولوا .

(٩) ينزو : يرتفع ويثب . والرضف : الحجارة المحماة بالنار .

(١٠) شهباء : أى كتيبة كثيرة السلاح . وتلحو : تقشر وتضعف ؛ تقول : لحوت العود : إذا قشرته .

(١١) العتد : الفرس الشديد . يبذ : يسبق . والرهو : الساكن اللين .

وإذا تَنَزَّل ماؤه من عِطْفه يزداد زَهْوا[١]
رَبِذٍ كيَعْفُور الصَّريمة راعَه الرَّامُونَ دَحْوا[٢]
شَنِجٍ نَساهُ ضابِطٍ للخَيْل إرْخاءً وعَدْوا[٣]
فَفِدًى لهم أُمِّى غَداة الرَّوْعِ إذ يمشُونَ قَطْوا[٤]
سَيْرًا إلى كَبْش الكَتيبة إذ جَلَتْه الشَّمسُ جَلْوا[٥]

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو.

(شعر كعب فى الرد على عمرو بن العاص):

قال ابن إسحاق: فأجابهما كعبُ بن مالك، فقال:

أبْلغْ قُرَيشا وخيرُ القَوْل أصدقُه ... والصدقُ عند ذَوِى الألباب مقْبول[٦]
أنْ قد قَتَلْنا بقَتْلانا سَرَاتكم ... أهْلَ اللِّواء ففيما يكْثُرُ القِيل[٧]
ويَوْمَ بدرٍ لَقيناكم لنا مَدَدٌ ... فيه مع النَّصر ميكالٌ وجِبْريل
إن تَقْتُلُونا فَدِينُ الحقِّ فِطْرَتُنا ... والقَتْلُ فى الحقِّ عند الله تَفْضيل
وإن تَرَوْا أمرَنا فى رأيكم سَفَها ... فرأىُ منْ خالف الإسْلام تَضْليل
فلا تَمَنَّوْا لِقاحَ الحَرْبِ واقْتَعِدوا ... إنّ أخا الحرب أصْدَى اللون مشغول[٨]
إنّ لكم عِنْدنا ضَرْبا تَراحُ له ... عُرْجُ الضِّباع له خَذْمٌ رَعابيل[٩]

(١) ماؤه: أى عرقه. والعطف: الجانب. والزهو: الإعجاب والتكبر.
(٢) ربذ: سريع. واليعفور: ولد الظبية، والصريمة: الرملة المنقطعة. وراعه: أفزعه. والدحو: الانبساط.
(٣) شنج: منقبض. والنسا: عرق مستبطن الفخذين. وضابط: ممسك. والإرخاء والعدو: ضربان من السير.
(٤) القطو: مشى فيه تبختر كمشى القطاة.
(٥) كبش الكتيبة: رئيسها. وجلته: أبرزته.
(٦) الألباب: العقول.
(٧) سراة القوم: خيارهم. والقيل: القول.
(٨) لقاح الحرب: زيادتها ونموها، وأصدى اللون: لونه بين السواد والحمرة، ومشغول: من الشغل. ويروى: «مشعول» بالعين المهملة، كذا ورد فى (ا) أى متقد ملتهب.
(٩) تراح: تفرح وتهتز. والخذم (بضم الخاء): قطع اللحم، (وبفتحها) المصدر. والرعابيل: المتقطعة.

إنّا بنو الحَرْب نَمْـــرِيها ونَنْتُجُها وعندنا لذَوِى الأضْغان تَنْكِيل[١]

إن يَنْجُ منها ابنُ حَرْبٍ بعد ما بلغتْ منـه التَّراقِى وأمرُ الله مَفْعول[٢]

فقد أفادَتْ له حِـــلما ومَوْعِظَةً لمَن يكُونُ له لبٌّ ومَعْقُول

ولو هَبَطتُم بِبَطْن السَّيْل كافَحكم ضَرْبٌ بشاكِلة البَطْحاء تَرْعِيل[٣]

تَلْقاكُمُ عُصَبٌ حَوْلَ النّبىّ لَهـــم مما يُعِـــدّون للهَيْجا سَرابِيل[٤]

من جِذْم غَسَّان مُسْتَرخٍ حمائلهم لا جُبَناءُ ولا مِيـــلٌ مَعازِيل[٥]

يَمْشُونَ تحت[٦] عَمايات القِتال كما تَمْشِى المَصاعِبةُ الأُدْم المَراسِيـــل[٧]

أو مِثْل مَشْى أُسُود الظّلّ أَلْثَقَها[٨] يومُ رَذاذٍ مِنِ الجَوْزاءِ مَشْمُول[٩]

فى كلّ سابغةٍ كالنِّهْى مُحْكَمَةٍ[١٠] قِيامها[١١] فَلَجٌ كالسَّيْفِ بُهْلُول

ترد حَـــدّ قِرام النَّبْل خاسِـــئةً ويَرْجِـــع السيفُ عنها وهو مَفْلُول[١٣]

ولو قَذَفْـتم بِسَلْعٍ عَن ظهُورِكُمُ وللحَياة ودَفْع المَوْتِ تأْجِيـــل[١٤]

---

(١) نمريها: نستدرها. وننتجها: من النتاج. والأضغان: العداوات. والتنكيل: الزجر المؤلم.

(٢) التراقى: عظام الصدر.

(٣) كافحكم: واجهكم. وبشاكلة: أى بطرف. والبطحاء: الأرض السهلة. والترعيل: الضرب السريع.

(٤) الهيجاء: الحرب.

(٥) الجذم: الأصل. وحمائلهم: أى حمائل سيوفهم. والميل: جمع أميل، وهو الذى لا ترس له. والمعازيل: الذين لا رماح معهم، مفرده: معزال.

(٦) فى ا: «نحو».

(٧) عمايات القتال: ظلماته. ويروى: غيابات، أى سحابات. والمصاعبة: الفحول من الإبل؛ واحدها: مصعب. والأدم: الإبل البيض. والمراسيل التى يمشى بعضها إثر بعض.

(٨) كذا فى الأصول. وفى شرح السيرة: «الطل» وهو المطر الضعيف.

(٩) ألثقها: بلها. والرذاذ: المطر الضعيف. والجوزاء: اسم لنجم معروف. والمشمول: الذى هبت فيه ريح الشمال.

(١٠) السابغة: الدرع الكاملة. والنهى: الغدير من الماء.

(١١) كذا فى ا وشرح السيرة. وقيامها، أى القائم بأمرها ومعظمها. وفلج: نهر. وفى سائر الأصول «فتامها فلج».

(١٢) البهلول: الأبيض.

(١٣) خاسئة: ذليلة.

(١٤) سلع: جبل.

ما زال فى القَوْم وِتْرٌ منكمُ أبَدًا ... تَعْفو السَّلام علَيْه وهو مَطْلُول[١]
عَبْد وَحُرٌّ كَرِيم مُوثَق قَنَصًا ... شَطْرَ المَدينة مَأْسُور وَمَقْتُول[٢]
كُنَّا نُؤَمل أخْراكم فأعْجلَكم ... مِنَّا فَوارِسُ لا عُزْلٌ ولا مِيل[٣]
إذا جَنَى فيهم الجانى فقد علِموا ... حَقًّا بأنَّ الذى قد جَرَّ مَحْمُول
ما نَحنُ لانحن[٤] من إثم مُجاهرةً ... ولا مَلُومٌ ولا فى الغُرْم مَخْذُول

(شعر حسان فى أصحاب اللواء)

وقال حسَّان بن ثابت، يذكر عدَّة أصحاب اللِّواء يوم أُحُد:

ــ قال ابن هشام: هذه أحسن ما قيل ــ

مَنَع النَّوْمَ بالعَشاء الهُمومُ ... وخَيالٌ إذا تَغُورُ النُّجومُ
مِنْ حَبيب أضافَ قَلْبَك مِنْه ... سَقَم فهو داخِلٌ مَكْتُومُ[٥]
يا لَقَوْمى هَلْ يَقْتُل المرءَ مِثلى ... واهِنُ البَطْش والعِظام سَؤُوم[٦]
لو يَدِبُّ الحَوْلىّ من ولد الذ ... رّ عليها لأنْدَبَتْها الكُلُوم[٧]
شأنُها العِطْر والفِراشُ ويَعْلو ... ها لُجَين ولُؤْلؤ مَنْظُوم[٨]
لَمْ تَفُتْها شَمسُ النَّهار بشَىْء ... غيرَ أنَّ الشَّبابَ ليس يَدُوم
إن خالى خَطيبُ جابِيَة الجَوْ ... لان عند النُّعمان حين يَقُوم[٩]
وأنَا الصَّقْر عند باب ابن سَلْمى ... يوم نُعْمان فى الكُبول سَقِيم
وأبىٌّ وواقِدٌ أُطْلِقا لى ... يَوْمَ راحا وكَبْلهم مَخْطُوم[١٠]

---

(١) يعفو: يدرس ويتغير. والسلام: الحجارة. ومطلول: أى لم يؤخذ بثأره.

(٢) القنص: الصيد، وشطر المدينة: نحوها وقصدها.

(٣) الميل: الذين لا تراس معهم.

(٤) فى ا: «وما نحن لا نحن».

(٥) أضاف: نزل وزار.

(٦) الوهن: الضعيف، والسئوم: الملول.

(٧) الحولى، الصغير، وأندبتها: أثرت فيها، من الندب، وهو أثر الجرح. والكلوم: الجراحات.

(٨) اللجين: الفضة.

(٩) خالى: يريد به مسلمة بن مخلد بن الصامت. والجابية: الحوض الصغير. والجولان: موضع بالشام.

(١٠) مخطوم: مكسور.

ورهَنْتُ اليَدَين عنهم جَميعا ... كلُّ كَفٍّ جُزْء لمَا مَقْسُوم

وَسَطَتْ نِسبتى الذَّوائبَ منهم ... كلَّ دارٍ فيها أبٌ لى عظيم[1]

وأبى فى سُمَيحة القائل الفا ... صِل يوم التَقَتْ عليه الخُصوم[2]

تلك أفعالُنا وفِعْل الزِّبَعْرَى ... خاملٌ فى صَديقه مَذْمُوم

ربَّ حِلْم أضاعَه عَدَم الما ... لِ وجَهْل غَطَّى[3] عليه النَّعيم[4]

لا تَسُبَّنَّنِى فَلَسْتَ بِسِبِّى ... إنّ سِبِّى من الرِّجالِ الكَرِيم[5]

ما أُبالى أنبَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ ... أم لَحانى بظَهْر غَيْبٍ لَئيم[6]

ولِىَ البأسَ منكم إذْ رَحَلْتم ... أسرةٌ من بَنِى قُصَىٍّ صميم[7]

تِسْعَةٌ تَحْمِل اللواء وطارتْ ... فى رَعاعٍ من القَنا مَخْزوم[8]

وأقامُوا حتى أُبِيحوا جَميعا ... فى مَقام وكُلُّهم مَذْمُوم

بدمٍ عانِك وكان حِفاظا ... أن يُقيموا إنّ الكريم كريم[9]

وأقامُوا حتى أُزيروا شَعُوبا ... والقَنا فى نُحُورهم مَحْطُوم[10]

وقُرَيْش تَفِرّ منّا لِواذًا ... أن يُقيموا وخَفّ منها الحُلوم[11]

لم تُطِق حَمْله العواتِقُ منهم ... إنما يَحْمِل اللِّواء النُّجوم[12]

---

(١) وسطت : توسطت ، والذوائب : الأعالى .

(٢) سميحة : بئر بالمدينة ، كان عندها احتكام الأوس والخزرج فى حروبهم إلى ثابت بن المنذر والد حسان بن ثابت .

(٣) ويروى . غطا « بتخفيف الطاء » ، أى علا وارتفع

(٤) زادت م ، ر ، بعد هذا البيت :

إن دهرا يبور فيه ذوو العلـــم لدهر هو العتو الزنيم

(٥) السب : هو الذى يقاوم الرجل فى السب ، ويكون شرفه مثلُ شرفه .

(٦) نب : صاح . ولحانى : ذكرنى عائبا .

(٧) الصميم الخالص النسب .

(٨) الرعاع : الضعفاء .

(٩) العانك : الأحمر .

(١٠) شعوب : اسم المنية .

(١١) لواذا : مستترين . والحلوم : العقول .

(١٢) العواتق: جمع عاتق ، وهو ما بين الكتف والعنق . والنجوم : المشاهير من الناس .

قال ابن هشام : قال حسّان هذه القصيدة :

منع النّوم بالعشاء الهُموم

ليلاً ، فدعا قَومه ، فقال لهم : خَشِيت أن يُدْرِكنى أجلى قبل أن أصبح ، فلا تَرْوُوها عنى [١] .

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبيدة للحجّاج بن عِلاط السُّلَمى يمْدح (أبا الحسن أمير المؤمنين) [٢] علىّ بن أبى طالب ، ويذكر قتْله طَلْحة بن أبى طلحة ابن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدّار ، صاحب لواء المشركين يوم أُحد :

لله أىُّ مُذَبِّب عن حُرْمَةٍ ... أعْنِى ابنَ فاطمةَ المُعِمَّ المُخْوِلا [٣]

سَبَقَتْ يَداكَ لهُ بعاجِلِ طَعْنَةٍ ... تركَتْ طُلَيْحة للجَبِينِ مُجَدَّلا [٤]

وشَدَدْتَ شَدّةَ باسلٍ فكَشَفْتَهم ... بالجرِّ إذْ يَهْوُون أخْولَ أخْوَلا [٥]

(شعر حسان فى قتلى يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت يَبْكى حَمْزة بن عبد المطلب ومن أُصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد :

يا مَىّ قُـومِى فاندُبِنْ ... بسُحيرةٍ شَجْوَ النّوائح [٦]

كالحاملات الوِقْرِ بالـ ... ـثِّقْل المُلِحّاتِ الدّوالح [٧]

المُعْـوِلات الخامِشا ... تِ وُجوه حُرّاتٍ صحائح [٨]

---

(١) هذه العبارة من قوله « قال ابن هشام » إلى هنا ساقطة فى ا .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) المذبب : الدافع ؛ يقال ذبب عن حرمه : إذا دفع عنها . وابن فاطمة : يريد على بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى ، والمعم : الكريم الأعمام . والمخول : الكريم الأخوال .

(٤) المجدل : اللاصق بالأرض .

(٥) الباسل : الشجاع . والجر : أصل الجبل . ويهوون : يسقطون . وأخول أخولا : أى واحدا بعد واحد .

(٦) الشجو : الحزن ، ورواية هذا البيت فى ا .

يا مى قومى فاندبى ... بسحرة شجو النوائح

(٧) الملحات : الثابتات التى لا تبرح . والدوالح : التى تحمل الثقل .

(٨) المعولات : الباكيات بصوت . والخامشات : الخادشات .

وكأنَّ سَيْلَ دُمُوعِها الْ   أَنْصَابُ تُخْضَبُ بالذبائح[1]

يَنْقُضْنَ أَشْعارًا لهنَّ   هُنَاكَ باديةَ المَسائح[2]

وكأنَّها أَذْنابُ خَيْــلٍ   بالضُّحى شُمْسٍ روامح[3]

مِنْ بين مَشْزُورٍ[4] ومَجْـزُورٍ   يُذَعْذَعُ بالبَوارح[5]

يَبْكِين شَجْوًا مُسْلبا   تٍ كدَّحتْهن الكَوادِح[6]

ولقَدْ أصاب قُلُوبَها   مَجْلٌ له جُلَبٌ قَوارِح[7]

إذْ أقصَدَ الحِدْثانُ مَنْ   كُنَّا نُرَجِّى إذْ نُشايح[8]

أصحابَ أُحْـدٍ غالَهُم   دهرٌ ألَمَّ[9] له جَوارِح[10]

مَنْ كانَ فارسَنا وحا   مِينا إذا بُعِث المسالح[11]

يا حَمْزَ، لا والله لا   أنساكَ ما صُرَّ اللَّقائح[12]

لِمُناخ أيْتام وأضْيافٍ   وأرْمَلَةٍ تُلامح[13]

---

(١) الأنصاب : حجارة كانوا يذبحون لها ، ويطلونها بالدم .

(٢) المسائح : ذوائب الشعر ؛ الواحدة : مسيحة .

(٣) الشمس : النوافر ؛ وهى جمع شموس ، والروامح : التى ترمح بأرجلها ؛ أى تدفع عنها .

(٤) كذا فى شرح السيرة . ومشزور : مفتول وهو تصحيف ، وفى جميع الأصول : « مشرور » بالراء المهملة ، من شرى اللحم يشره شرى إذا وضعه على خصفة أو نحوها ليجف .

(٥) يذعذع : يفرق (بالبناء للمجهول) فيهما . والبوارح : الرياح الشديدة .

(٦) مسلبات (بفتح اللام وكسرها) اللاتى يلبسن السلاب ، ثياب الحزن . ومن رواه بالتخفيف فهو بذلك المعنى . وكدحتهن : أثرت فيهن ، والكوادح : نوائب الدهر .

(٧) مجل : أى جرح ندى . وجلب : جمع جلبة، وهى قشرة الجرح التى تكون عند البرء . وقوارح : موجعة .

(٨) أقصد : أصاب . والحدثان : حادث الدهر ، ونشايح : نحذر .

(٩) غالهم : أهلكهم : وألم : نزل .

(١٠) فى شرح السيرة : بوارح (بالباء) . والبوارح : الأحزان الشديدة .

(١١) المسالح : القوم الذين يحملون السلاح ، ويحمون المراقب لئلا يطرقهم العدو على غفلة ، وهو مشتق من لفظ السلاح .

(١٢) صر : ربط . واللقائح : جمع لقحة بالكسر ، وهى الناقة لها لبن . وقد وردت هذه الكلمة فى ا : القالح (باللام) وهو تحريف .

(١٣) المناخ : المنزل . وتلامح : أى تنظر بعينها نظرا سريعا ثم تغضها .

ولمّا ينوب الدّهرُ فى حرْبِ الحرْبِ وهْى لاقح[1]

يا فارسا يا مِدْرَها يا حمزُ قد كُنْتَ المُصامِح[2]

عنّا شديداتِ الخُطُو ب إذا ينوب لهنّ فادِحْ

ذكّرتنى أسد الرّسو ل ، وذاك مِدْرَهنا المُنافِحْ[3]

عنّا وكان يُعدّ إذْ عُدّ الشّريفون الجحاجحْ[4]

يعْلُو القماقِمَ جهْرةً سبْطَ اليديْنِ أغرّ واضِحْ[5]

لا طائشٌ رَعِشٌ ولا ذو عِلّةٍ بالحمْلِ آنِحْ[6]

بحْرٌ فليس يُغِبّ جا رًا منه سَيْبٌ أو منادِحْ[7]

أوْدَى شبابُ أولى الحفا ئظ والثقيلونَ المَراجِحْ[8]

المُطْعِمونَ إذا المَشا تى ما يُصفّقُهُنّ ناضِحْ[9]

لحمَ الجِلادِ وفوْقَهُ من شحْمِهِ شُطَبٌ شرائِحْ[10]

ليدافعُوا عنْ جارِهِمْ ما رامَ ذو الضّغْنِ المُكاشِحْ[11]

لهْفى لشُبّانٍ رُزِئْناهُم كأنّهُمُ المَصابِحْ

---

(١) اللاقح من الحروب : التى يتزيد شرها .

(٢) المدره : المدافع عن القوم بلسانه ويده . والمصامح : الشديد الدفاع . ويروى : المصافح (بالفاء) . والمصافح : الراد للشيء ؛ تقول : أتانى فلان فصفحته عن حاجته ، أى رددته عنها .

(٣) المنافح : المدافع عن القوم ؛ وكان حمزة ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) الجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد .

(٥) القماقم : السادة . وسبط اليدين : جواد ؛ ويقال للبخيل : جعد اليدين . وأغر : أبيض . وواضح : مضىء مشرق .

(٦) الطائش : الخفيف الذى ليس له وقار . والآنح : البعير الذى إذا حمل الثقل أخرج من صدره صوت المتصعر .

(٧) السيب : العطاء . والمنادح : جمع مندحة ، وهى السعة . ويروى : منائح ، والمنائح : العطايا .

(٨) أودى : هلك . والحفائظ : جمع حفيظة وهى الغضب . والمراجح : الذين يزيدون على غيرهم فى الحلم .

(٩) ما يصفقهن : ما يحلبهن . والناضح : الذى يشرب دون الرى .

(١٠) الشطب : الطرائق فى السيف .

(١١) ذو الضغن : ذو العداوة . والمكاشح : المعادى .

شُمٌّ ، بَطارِقَةٌ ، غَطا رِفَةٌ ، خَضَارِمَةٌ ، مَسامِحُ[1]

المُشْتَرُونَ الحَمْدَ بالـ أَمْوَالِ إِنَّ الحَمْدَ رابح

والجامِزُونَ بِلُجْمِهِم يوما إذا ما صاح صائح[2]

مَنْ كانَ يُرْمَى بالنَّوا قِرِ[3] مِنْ زَمانٍ غيرِ صالح

ما إنْ تَزالُ رِكابُهُ يَرْسِمْنَ فى غُبْرٍ صَحاصِح[4]

راحَتْ تَبارَى وهو فى رَكْبٍ صُدُورُهُمُ رَوَاشِح[5]

حتى تَئُوبَ لَهُ المَعا لى ليسَ من فَوْزِ السَّفائح[6]

يا حَمْزَ قد أَوْحَدْتَنِى كالعُود شَذَّبَهُ الكَوافِح[7]

أَشْكُو إليكَ وفَوْقَكَ التُّرْبُ المُكَوَّرُ والصَّفائح[8]

من جَنْدَلٍ نُلْقِيهِ فو قَكَ إذ أجاد الضَّرْحَ ضارِح[9]

فى واسعٍ يَحْشُونَهُ بالتُّرْبِ سَوَّتْهُ المَماسِيح[10]

فَعَزَاؤُنا أَنَّا نَقُو لُ وقَوْلُنا بَرْحٌ بَوارِح[11]

مَن كان أَمْثَلَ وهو حَيًّا أوّع الحِدْثانِ جانِح[12]

---

(١) شم : أعزاء . وبطارقة : رؤساء . وغطارفة : سادة . والخضارمة : الذين يكثرون العطاء . والمسامح : الأجواد .

(٢) الجامزون : الواثبون . ولجم : جمع لجام ، وهو بضم الجيم ، وسكن للشعر .

(٣) كذا فى الأصول . والنواقر : غوائل الدهر ، التى تنقر عن الإنسان ، أى تبحث عنه . ويروى « البواقر » بالباء ، وهى الدواهى .

(٤) الركاب : الإبل . ويرسمن ، من الرسيم ، وهو ضرب من السير . والصحاصح : جمع صحصح ، وهو الأرض المستوية الملساء .

(٥) تبارى : تتبارى أى تتعارض . ورواشح : أى أنها ترشح بالعرق .

(٦) قال أبو ذر : « تئوب : ترجع . والسفائح ، جمع سفيح ، وهو من قداح الميسر » لا نصيب له . أو السفائح : جمع سفيحة ، وهى كالجوالق ونحوه . كما فى الروض الأنف .

(٧) شذبه : أزال أغصانه وشوكه . والكوافح : الذين يتناولونه بالقطع .

(٨) المكور : الذى بعضه فوق بعض . والصفائح : الحجارة العريضة .

(٩) الضرح : الشق ، ويعنى به شق القبر .

(١٠) يحشونه : يملئونه . والمماسح : ما يمسح به التراب ويسوى .

(١١) البرح : الأمر الشاق .

(١٢) الجانح : المائل إلى جهة .

فليأتنا فلتَبكِك عَيْناه لهلكانا النَّوافح[١]

القائلين الفاعلين ذوِى السَّماحة والمَمادِح

مَنْ لا يزالُ نَدَى يَدَيْه له طوالَ الدَّهر مائح[٢]

قال ابن هشام : وأكثر أهلِ العِلْم بالشعر يُنكرها لحسَّان ، وبيته : « المطعمون إذا المشاتى » ، وبيته : « الجامزون بلُجْمهم » ، وبيته : « من كان يُرْمَى بالنواقر » عن غير ابن إسحاق :

(شعر حسان ، فى بكاء حمزة)

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضا يبكى حمزة بن عبد المطلب :

أتعرفُ الدارَ عفَا رَسْمُها بعدكَ صَوْبُ المُسْبِل الهاطِلِ[٣]

بينَ السَّراديح فأُدْمانةٍ فَمَدْفَع الرَّوْحاء فى حائل[٤]

ساءلتُها عن ذاك فاستعجمتْ لم تَدْرِ ما مَرْجُوعةُ السَّائل؟[٥]

دَعْ عنْك دارًا قد عفَا رسْمُها وابكِ على حَمْزة ذى النَّائل[٦]

المالئِ الشِّيزى إذا أعصفَت غَبْراءُ فى ذى الشَّبِمِ المَاحل[٧]

والتَّارِكِ القِرْنَ لدَى لِبْدةٍ يَعْثُر فى ذى الخُرُص الذَّابل[٨]

---

(١) النوافح : الذين كانوا ينفحون بالمعروف ، ويوسعون به .

(٢) المائح : الذى ينزل فى البئر فيملأ الدلو إذا كان ماؤها قليلا ، ويروى : المائح « بالتاء » أى الذى يجذب الدلو عليه . فضربها مثلا للقاصدين له ، الذين ينتجعون معروفه .

(٣) عفا : درس وتغير . والرسم : الأثر . والصوب : المطر . والمسبل : المطر السائل . والهاطل : الكثير السيلان .

(٤) سراديح : جمع سرداح ، وهو الوادى ، أو المكان المتسع . وأدمانة : موضع . والمدفع : حيث يندفع السيل . والروحاء : من عمل الفرع على نحو من أربعين ميلا . وحائل : واد فى جبل طيئ .

(٥) استعجمت : أى لم ترد جوابا . ومرجوعة السائل : رجع الجواب .

(٦) النائل : العطاء .

(٧) الشيزى : جفان من خشب . وأعصفت : اشتدت . والغبراء : الريح التى تثير الغبار . والشبم : الماء البارد . ويريد بذى الشبم : زمن اشتداد البرد والقحط . والماحل : من المحل ، وهو الجدب .

(٨) القرن : المنازل فى القتال . وذو الخرص : الرمح . والخرص : سنانه ، وجمعه : خرصان . والذابل : الرقيق .

واللابسِ الخيلَ إذ أجْحَمَت[1] ... كاللّيثِ في غابَتِه الباسلِ

أبيَضُ في الذِّروةِ من هاشمٍ ... لم يَمْرِ دون الحقِّ بالباطلِ[2]

مالَ شَهيداً بينَ أسيافِكم ... شُلَّت يداً وحشِيّ مِنْ قاتلِ[3]

أيَّ امرئٍ غادَرَ في ألَّة ... مَطْرورةٍ مارِنَةِ العاملِ[4]

أظلمتِ الأرضُ لفقدانه ... واسودَّ نورُ القمرِ النّاصلِ[5]

صلى عليه اللهُ في جنّةٍ ... عاليةٍ مُكْرَمَةِ الدّاخلِ

كُنّا نرى حمزةَ حِرْزاً لنا ... في كلِّ أمرٍ نابَنا نازلِ

وكان في الإسلام ذا تُدْرَأٍ ... يكفيك فَقْدَ القاعدِ الخاذلِ[6]

لا تفرَحي يا هندُ واستحْلِبي ... دَمعاً وأذْرِي عَبْرةَ الثّاكلِ

وابكي على عُتْبةَ إذ قَطَّه ... بالسّيفِ تحتَ الرَّهجِ الجائلِ[7]

إذ خرَّ في مشيخةٍ منكمُ ... مِن كلِّ عاتٍ قلبُه جاهلِ[8]

أرْدَاهمُ حمزةُ في أُسْرةٍ ... يمشون تحتَ الحَلَقِ الفاضلِ[9]

غَداةَ جبريلُ وزيرٌ له ... نِعْمَ وزيرُ الفارسِ الحاملِ

(شعر كعب ، في بكاء حمزة) :

وقال كعبُ بن مالك يبكي حمزةَ بن عبد المطّلب :

---

(١) كذا في شرح السيرة . وفي الأصول : أحجمت ، بتقديم الحاء ، وهما بمعنى .

(٢) لم يمر : من المراء ، وهو الجدل .

(٣) حذف التنوين من وحشى للضرورة . لأنه علم ، والعلم قد يترك صرفه كثيرا .

(٤) غادر : ترك . والألة . الحربة لها سنان طويل . والمطرورة : المحددة . ومارنة : أي لينة . والعامل : أعلى الرمح .

(٥) الناصل : الخارج من السحاب ؛ ويقال نصل القمر من السحاب : إذا خرج منه .

(٦) ذاتدرأ : أي ذا مدافعة .

(٧) قطه : قطعه . والرهج : الغبار . والجائل : المتحرك ذاهبا راجعا . وقد وردت هذه الكلمة في ا بالحاء المهملة .

(٨) خر : سقط .

(٩) أرداهم : أهلكهم . وأسرة : أي قرابة . والحلق : الدروع . والفاضل : الذي يفضل منه ويجر على الأرض .

طَرقتْ هُمومُك فالرُّقاد مُسهَّدُ — وجزعتَ أنْ سُلِخ الشبابُ الأغيدُ[1]

ودعتْ فؤادَك للهوى ضَمْريةٌ — فهواك غَوْرِيٌّ وصحْوك مُنْجِدُ[2]

فدَعِ التَّمادىَ فى الغَواية سادِرًا — قد كنتَ فى طلب الغَواية تُفْنَدُ[3]

ولقد أنَى لك أنْ تَناهَى طائعًا — أو تستفيق إذا نَهاك المُرْشِدُ[4]

ولقد هُدِدْتُ لفَقْد حمزةَ هَدَّةً — ظلّت بناتُ الجَوْف منها ترْعَدُ[5]

ولوَ انّه فُجعت حِراءُ بمثله — لرأيتَ راسِيَ صخرِها يتبدَّدُ[6]

قَرْمٌ تمكّنَ فى ذُؤابة هاشمٍ — حيث النُّبوّة والنَّدَى والسُّودَدُ[7]

والعاقرُ الكُومَ الجِلادَ إذا غدتْ — ريحٌ يكادُ الماءُ منها يَجْمُدُ[8]

والتّاركُ القِرْنَ الكَميَّ مُجَدَّلًا — يومَ الكَريهة والقَنا يتقصَّدُ[9]

وتراهُ يَرْفُلُ فى الحديد كأنّه — ذو لِبْدةٍ شَثْنُ البراثنِ أرْبدُ[10]

عمُّ النبيِّ محمّدٍ وصَفيُّه — ورَد الحِمامَ فطاب ذاك المَوْرِدُ

وأتى المنيّةَ مُعْلِمًا فى أُسْرةٍ — نصَروا النبيَّ ومنهم المُسْتَشْهَدُ[11]

---

(١) مسهد : قليل النوم . وأراد : فالرقاد رقاد مسهد ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ويجوز أن يكون وصف الرقاد بأنه مسهد من المجاز . وسلخ : أزيل (بالبناء للمجهول فيهما) . والأغيد : الناعم .

(٢) ضمرية : نسبة إلى ضمرة ، وهى قبيلة . وغورى : نسبة إلى الغور ، وهو المنخفض من الأرض وفى رواية : « وصحبك » بدل « وصحوك » .

(٣) تفند : تلام وتكذب .

(٤) أنى : حان .

(٥) بنات الجوف : يعنى قلبه وما اتصل به من كبده وأمعائه ؛ وسماها بنات الجوف ، لأن الجوف يشتمل عليها .

(٦) حراء : جبل ، وأنثه هنا حملا على البقعة . والراسى : الثابت .

(٧) القرم : السيد الشريف . وذؤابة هاشم : أعاليها .

(٨) الكوم : جمع كوماء ، وهى العظيمة السنام من الإبل . والجلاد : القوية .

(٩) الكمى : الشجاع . ومجدلا : مطروحا على الجدالة ، وهى الأرض . ويتقصد : يتكسر .

(١٠) ذو لبدة : يعنى أسدا . واللبدة : الشعر الذى على كتفى الأسد . وشثن : غليظ . والبراثن للسباع : بمنزلة الأصابع للناس . والأربد : الأغبر يخالطه سواد .

(١١) معلما : مشهرا نفسه بعلامة يعرف بها فى الحرب . والأسرة : الرهط .

ولقد إخالُ بذاك هنداً بُشِّرت ... لتُميتُ داخلَ غصَّة لا تبرُدُ[1]
مما صبحنا بالعقنقل قومَها ... يومًا تغيّب فيه عنها الأسعَدُ[2]
وببئر بدرٍ إذ يَردُّ وجوهَهم ... جبْريلُ تحت لوائنا ومحمَّد
حتى رأيتُ لدى النبيّ سَراتَهم ... قسمَين : يقتُل مَن نشاءُ ويطرُدُ[3]
فأقامَ بالعطَن المعطَّن منهمُ ... سبْعون : عُتْبةُ منهمُ والأسودُ[4]
وابنُ المغيرة قد ضربْنا ضرْبةً ... فوق الوَريد لها رشاشٌ مُزبِدُ[5]
وأُميَّة الجُمَحيُّ قوَّمَ ميلَه ... عَضْبٌ بأيدى المؤْمنين مهنَّد
فأتاكَ فلُّ المشركين كأنهم ... والخيْلُ تثْفنهم نعامٌ شُرَّدُ[6]
شتّان مَنْ هو فى جهنّم ثاويا ... أبداً ومن هو فى الجنان مخلَّد

وقال كعبٌ أيضًا يبكى حمزة :

صَفيَّة قومى ولا تعْجزى ... وبكِّى النساءَ على حمزةِ
ولا تسأمى أن تُطيل البُكا ... على أسدِ الله فى الهزَّة[7]
فقد كانَ عِزًّا لأيتامنا ... ولَيْثَ الملاحمِ فى البِزَّة[8]
يُريد بذاك رضا أحمدٍ ... ورضوانَ ذى العرْش والعِزَّة

(شعر كعب فى أحد) :

وقال كعب أيضا فى أحد :

إنك عَمْرَ أبيك الكريـــم أنْ تسألى عنكِ منْ يجتَدينا[9]

---

(١) إخال : أظن (وكسر الهمزة لغة تميم) . والغصة : ما يعترض فى الحلق فيشرق .
(٢) العقنقل : الكثيب من الرمل .
(٣) سراتهم : خيارهم .
(٤) العطن : مبرك الإبل حول الماء . والمعطن : الذى قد عود أن يتخذ عطنا .
(٥) الوريد : عرق فى صفحة العنق . والرشاش المزبد : الدم تعلوه رغوة .
(٦) الفل : القوم المنهزمون . وتثفنهم : تطردهم وتتبع آثارهم .
(٧) الهزة : الاهتزاز والاختلاط فى الحرب .
(٨) الملاحم : جمع ملحمة ، وهى الحرب التى يكثر القتل فيها . البزة : السلاح .
(٩) عمر أبيك . يجوز فيه الرفع والنصب ، وإن أدخلت عليه اللام فقيل : لعمر أبيك لم يجز فيه إلا الرفع . ويجتدينا : يطلب معونتنا .

فانْ تسْألى ثمّ لا تُكذَبى ... يُخبرك مَنْ قد سألت اليَقينا

بأنا لَيالىَ ذات العِظا ... م كُنَّا ثمالا لِمَنْ يعْترِينا[١]

تلُوذ البجــود[٢] بأذرَائنا ... من الضُّرِّ فى أزَمات السِّنينا[٣]

بجَدْوى فُضول أُولى وُجْدِنا ... وبالصَّبْرِ والبَذْل فى المُعْدِمينا[٤]

وأبقَتْ لَنا جلَمات الحرو ... ب ممَّن نوازِى لدن أن برِينا[٥]

مَعاطِنَ تهْــوِى إليها الحُقو ... ق يَحسِبــها من رآها الفتَينا[٦]

تخَيَّس فيها عتاقُ الجما ... ل صُحْما دَواجن حُمْرا وجُونا[٧]

ودُفَّاع رَجْلٍ كمَوْج الفرا ... ت يقْدُم جأْواء جُولا طَحونا[٨]

ترى لونَها مثلَ لون النُّجو ... م رَجْراجة تُبرِق الناظرينا[٩]

فان كنتَ عن شأنِنا جاهلا ... فسَلْ عنه ذا العِلْم ممّن يلينا

---

(١) ليالى ذات العظام : ليالى الجوع التى تجمع فيها العظام فتطبخ ، فيستخرج ودكها ، فيؤتدم به ، وذلك الودك يسمى الصليب ، قال الشاعر :

وبات شيخ العيال يصطلب

والثمال : الغياث . ويعترينا : يزورنا .

(٢) كذا فى أكثر الأصول ، والبجود : جماعات الناس ؛ الواحد : بجد . وفى (ا) وديوان كعب المخطوط : « النجود » بفتح النون ، وهى المرأة المكروبة .

(٣) والأذراء : الأكناف ؛ الواحد : ذرى . والأزمات : الشدائد .

(٤) الجدوى : العطية . والوجد (بضم الواو) : سعة المال .

(٥) جلمات الحروب : من الجلم ، وهو القطع ، ويروى : جلباب (بالباء). ونوازى : نساوى . وبرينا : خلقنا . وأصله الهمز ، فسهل .

(٦) المعاطن : مواضع الإبل حول الماء . وأراد بها هنا الإبل بعينها . والفتين : الحرار ، وهى الأراضى فيها حجارة سود ، سميت بذلك لأنها تشبه ما فتن بالنار ، أى أحرق .

(٧) تخيس : تذلل . والصحم : السود ، ويروى : (طحما) بالطاء ، والحاء المهملتين . والطحم : الكثيرة به كما يروى : طخما (بالخاء المعجمة) ، وهى التى بها سواد . والدواجن . المقيمة ، والجون : السود ، وقد تكون البيض أيضا ، وهى من الأضداد .

(٨) الدفاع : ما يندفع من السيل ؛ شبه كثرة الرجل به . والرجل : الرجالة . والفرات : اسم نهر . وجأواء : كتيبة لونها السواد والحمرة من كثرة السلاح . والجول : الكتيبة الضخمة ؛ ويروى : جونا أى سوداء . والطحون : التى تهلك ما مرت به .

(٩) الرجراجة : التى يموج بعضها فى بعض . وتبرق : تحير وتبهت .

بِنا كيف نَفْعل إن قلَّصتْ عَوَانًا ضَرُوسا عَضُوضا حَجُونا[1]
ألَسْنا نَشُدُّ عليها العِصا ب حتى تَدُرَّ وحتى تَلِينا[2]
ويَوْمٌ لهُ وَهَجٌ دائمٌ شَديدُ التَّهاوُلِ حامِى الأرِينا[3]
طَويلٌ شَديدُ أُوارِ القِتا ل تَنْفِى قَواحِزُهُ المُقْرِفينا[4]
تَخالُ الكُماةَ بأعْراضِه ثِمالاً على لَذَّةٍ مُنزِفينا[5]
تَعاوَرُ أيمانُهُم بَيْنَهُم كُئُوسَ المَنايا بحَدِّ الظُّبِينا[6]
شَهِدْنا ككُنَّا أُولِى بَأْسِه وتحت العَمايةِ والمُعْلِمينا[7]
بخُرْسِ الحَسيسِ حِسانٍ رِواءٍ وبُصْرِيَّةٍ قد أجِمْنَ الجُفُونا[8]
فَمَا يَنْفَلِلْنَ وما يَنْحَنِين وما يَنْتَهِين إذا ما نُهِينا
كبَرْقِ الخَرِيفِ بأيْدى الكُماةِ يُفَجِّعْن بالظِّلِّ هاما سُكُونا[9]
وعَلَّمنا الضَّرْبَ آباؤنا وسَوْفَ نُعَلِّمُ أيضا بَنِينا
جِلادَ الكُماةِ ، وبَذْلَ التِّلا دِ ، عن جُلِّ أحْسابِنا ما بَقِينا[10]

---

(١) قلصت : ار تفعت وانقبضت ، والتقليص : كناية عن الشدة فى الحرب . والعوان : الحرب التى قوتل فيها مرة بعد مرة . والضروس : الشديدة . والعضوض : الكثيرة العض . والحجون : المعوجة الأسنان .

(٢) العصاب : ما يعصب الضرع .

(٣) الوهج : الحرب ويروى : الرهج ، وهو الغبار . والتهاول : الهول والشدة . والأرين : جمع إرة ، وهى مستوقد النار . وقد جمع كجمع المذكر السالم ، لأنه مؤنث محذوف اللام .

(٤) الأوار : الحر ، والقواحز : من القحز ، وهو القلق وعدم التثبت . والمقرفون : اللئام .

(٥) الكماة : الشجعان . وبأعراضه ، أى بنواحيه . وثمالا سكارى ؛ ويروى : ثمالى ومنزفينا : قد ذهبت الخمر بعقولهم . ويروى : مترفينا . والمترفون ، جمع مترف ، المسرف فى التنعم .

(٦) تعاور : تداول . والظبين : جمع ظبة ، وهى حد السيف .

(٧) العماية : السحابة ، والمعلمون : من يعلمون أنفسهم بعلامة فى الحرب يعرفون بها .

(٨) الخرس : التى لاصوت لها ، ويعنى بها السيوف ، أى ورواء ، أى ممتلئة من الدم وبصرية : سيوف منسوبة إلى بصرى ، وهى مدينة بالشام . وأجن : ملن وكرهن . والجفون : الأغماد .

(٩) الكماة : الشجعان . وبالظل : أى ظلال السيوف . ويروى : « بالطل » بالطاء المهملة . يريد ما طل من دمهم ولم يؤخذ له بثأر . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس . والسكون : المقيم الثابت .

(١٠) الجلاد : المضاربة بالسيوف . والتلاد : المال القديم . وجل الشىء : معظمه .

إذا مرّ قَرْن كَفَى نَسْلُه ... وأوْرَثَه بَعْدَه آخرينا[1]

نَشِبّ وتَهْلك آباؤنا ... وبينا نُرَبّى بَنِينا فَنينا

سألتُ بك ابنَ الزِّبَعْرَى فلم ... أُنَبَّأْك فى القَوْم إلا هَجِينا

خَبيثًا تُطِيف بك المُنْدِيات ... مُقيما على اللُّؤْم حِينا فحينا[2]

تبجَّسْتَ تَهْجو رسول المَليك ... قاتَلك الله جِلْفًا لَعِينا[3]

تَقول الخَنا ثم تَرْمى به ... نَقِيَّ الثِّياب تَقِيًّا أمِينا[4]

قال ابن هشام: أنشدنى بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذى يليه، والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله «نشبّ وتهلك آباؤنا» والبيت الذى يليه. والبيت الثالث منه، أبو زيد الأنصارىّ.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك أيضا، فى يوم أُحد:

سائِلْ قُرَيْشا غداة السَّفْح من أُحُد ... ماذا لَقِينا وما لاقَوْا من الهَرَبِ[5]

كُنَّا الأسودَ وكانوا النُّمْر إذ زَحفوا ... ما إنْ نُراقِب من آلٍ ولا نَسَبِ[6]

فكَمْ تَرَكنا بها من سَيِّدٍ بَطَلٍ ... حامِى الذِّمار كَرِيم الجَدّ والحَسَب[7]

فِينا الرَّسولُ شِهابٌ ثم يَتْبعه ... نُورٌ مُضِيءٌ له فَضْل على الشُّهب

الحَقّ مَنْطِقه والعَدْل سيرَتُه ... فَمَنْ يُجِبْه إليه يَنْجُ من تَبَب[8]

نَجْد المُقدَّم، ماضِى الهَمّ، مُعْتَزِم ... حين القُلوب على رجْفٍ من الرُّعُب[9]

---

(١) القرن (بفتح القاف): الأمة من الناس. (وبكسر القاف): الذى يقاوم فى شدة أو قتال أو علم.

(٢) المنديات: المخزيات يندى منها الجبين والأمور الشنيعة.

(٣) تبجست: نطقت وأكثرت، كما يتبجس الماء، إذا تفجر وسال. ويروى: تنجست (بالنون) أى دخلت فى أهل النجس والخبث. والجلف: الجافى.

(٤) الخنا: الكلام الذى فيه فحش.

(٥) السفح: جانب الجبل مما يلى أصله.

(٦) النمر: جمع نمر، وهو معروف.

(٧) حامى الذمار. أى يحمى ما تجب حمايته.

(٨) التبب: الخسران.

(٩) الرجف: التحرك. والرعب: الفزع.

يَمْضِي ويَذْمُرُنا عن غـير مَعْصِية كأنه البدرُ لم يُطْبَع على الكذب[١]
بَدَا لَنا فاتَّبَعناه نُصَدِّقه وكذَّبوه فكنَّا أسعدَ العَرب
جالُوا وجُلْنا فما فاءوا وما رَجَعوا ونحن نَثْقَفُهم لم نَأْلُ في الطَّلَب[٢]
ليسا سواءً وشَتَّى بين أمْرِهما حزبُ الإله وأهل الشِّرك والنُّصُبِ[٣]

قال ابن هشام : أنشدنى من قوله : « يمضى ويذمرنا » إلى آخرها ، أبو زيد الأنصارى .

(شعر ابن رواحة فى بكاء حمزة) :

قال ابن إسحاق : وقال عبدُالله بن رَوَاحة يَبْكى حمزةَ بن عبد المطَّلب : قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكَعْب بن مالك :

بكَتْ عَيْنى وحقَّ لها بُكاها وما يُغْنِى البُكاء ولا العَوِيلُ
على أسدِ الإلهِ غَداةَ قالوا أحمزةُ ذاكُم الرجلُ القَتِيل
أُصيب المُسْلمون به جميعا هُنَاك وقد أُصيب به الرَّسولُ
أبا يَعْلى لك الأرْكانُ هُدَّت وأنت الماجدُ البَرُّ الوَصُول[٤]
عَليك سلامُ ربِّك فى جِنانٍ يُخالطها نَعيمٌ لا يَزُول
ألا يا هاشمَ الأخْيارِ صَبْراً فكُلُّ فِعالكم حَسَنٌ جَميل
رسولُ الله مُصْطَبِر كريمٌ بأمْرِ الله يَنْطق إذ يَقُول
ألا مَنْ مُبْلِغ عنِّى لُؤَيّاً فبَعد اليَوْمِ دائلةٌ تَدُول[٥]
وقَبل اليَوْمِ ما عَرَفوا وذاقُوا وقائِعَنا بها يُشْفَى الغَلِيل[٦]
نَسِيتم ضَرْبنا بقَلِيب بَدْرٍ غداةَ أتاكُمُ المَوْتُ العَجِيل

(١) لم يطبع : لم يخلق .
(٢) جالوا : تحركوا . وفاءوا : رجعوا . ونثقفهم : نتبعهم . ولم نأل : لم نقصر .
(٣) النصب : حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها .
(٤) أبو يعلى : كنية حمزة رضى الله عنه . والماجد : الشريف .
(٥) الدائلة : الحرب .
(٦) الغليل : حرارة العطش والحزن .

غداةَ ثوى أبو جَهْل صَرِيعا ... عليه الطَّير حائمةً تجُول[1]
وعُتْبة وابنُه خرّا جميعا ... وشَيْبةُ عضّه السيفُ الصَّقيل[2]
ومَتْركُنا أُمَيَّةَ مُجْلَعِبًّا ... وفي حَيْزُومه لَدْنٌ نَبِيل[3]
وهامَ بَني رَبِيعة سائِلُوها ... فَفي أَسْيافنا منْها فُلُول
ألا يا هِنْدُ فابكي لا تَمَلِّي ... فأنت الوَالِه العَبْرَى الهَبُول[4]
ألا يا هِنْدُ لا تُبْدِي شِمَاتا ... بحَمْزة إنّ عزّكم ذَليل

(شعر كعب في أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

أبْلغ قُرَيْشا على نَأْيها ... أتَفْخَر مِنا بما لم تَلِي[5]
فَخَرْتم بقَتْلى أصابتهمُ ... فواضلُ من نعَم المُفْضِل
فحلُّوا جِنانا وأبقَوا لكم ... أُسُودًا تُحامى عن الأشْبُل[6]
تُقاتل عن دِينها ، وَسْطَها ... نَبِيّ عن الحقّ لمْ يَنْكُل[7]
رَمَتْه مَعدٌ بعُور الكَلام ... ونَبْل العَداوة لا تَأْتلي[8]

قال ابن هشام : أنشدني قوله : « لم تلي » ، وقوله : « من نعَم المفضل » أبو زيد الأنصاريّ .

(شعر ضرار في أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطّاب في يوم أُحُد :

---

(١) حائمة : مستديرة ؛ يقال : حام الطائر حول الماء ، إذا استدار حوله . وتجول : تجيء وتذهب .

(٢) خرا : سقطا .

(٣) مجلعبا : ممتدا مع الأرض . والحيزوم : أسفل الصدر . واللدن الرمح اللين . والنبيل : العظيم .

(٤) الواله : الفاقدة . والعبرى : الكثيرة الدمع . والهبول : الفاقدة (أيضا) .

(٥) النأى : البعد .

(٦) تحامى : تمنع . والأشبل : جمع شبل ، وهو ولد الأسد .

(٧) لم ينكل : لم ينقص .

(٨) عور الكلام : قبيحه والفاحش منه . واحده : عوراء . ولا تأتلى : لا تقصر .

ما بالُ عينكَ قد أزرى بها السُّهد ... كأنّما جالَ فى أجفانها الرَّمدُ[١]

أمِن فراق حبيبٍ كُنتَ تألفه ... قد حالَ من دونه الأعداءُ والبُعد

أم ذاك من شغْب قومٍ لاجَداء بهم ... إذ الحُروب تلظّت نارُها تقِدُ[٢]

ما ينتهُون عن الغىّ الذى ركبوا ... وما لهم من لُؤَىّ وَيْحهم عضُد

وقد نَشَدناهُمُ بالله قاطبةً ... فما تردّهمُ الأرحامُ والنُّشُد[٣]

حتى إذا ما أبَوْا إلا مُحاربةً ... واستحْصدت بيننا الأضغان والحِقِد[٤]

سِرْنا إليهم بجَيْشٍ فى جوانبه ... قوانِسُ البَيْض والمحْبوكةُ السُّرد[٥]

والجُرْدُ تَرْفُل بالأبْطال شازبةً ... كأنّها حِدَأٌ فى سَيْرها تُؤَدُ[٦]

جَيْش يقُودُهُمُ صَخْر ويرأَسهم ... كأنّه لَيْثُ غابٍ هاصِرٌ حَرِد[٧]

فأبرَزَ الحَين قومًا من منازلهم ... فكان منّا ومنهم مُلتقًى أُحُد

فغُودِرت منهمُ قتلى مُجدَّلة ... كالمَعْز أصرَدَه بالصَّرْدَحِ البَرَدُ[٨]

قتلى كرامٌ بنو النجّار وَسْطَهم ... ومُصْعَب من قَنانا حوله قِصَدُ[٩]

وحمْزة القَرْم مصْروع تُطيف به ... ثكْلَى وقد حُزَّ منه الأنف والكَبد[١٠]

---

(١) أزرى : قصر ؛ يقال أزريت بالرجل ، إذا قصرت به ؛ وزريت على الرجل ، إذا عبت عليه فعله ، والسهد : عدم النوم . والرمد : وجع العين .

(٢) لا جداء : لا منفعة ولا قوة . وتلظت : التهبت .

(٣) قاطبة : جميعا . والنشد : جمع نشدة ، وهى اليمين .

(٤) استحصدت : تقوت واستحكمت ، مأخوذ من قولك : حبل محصد ، إذا كان شديد الفتل محكمه ، والحقد : أصله بسكون القاف ، وحركه بالكسر للضرورة .

(٥) القوانس : أعالى بيض السلاح . والمحبوكة : الشديدة . والسرد : المنسوجة . يريد : الأدرع .

(٦) الجرد : الخيل العتاق . وشازبة : ضامرة شديدة اللحم . والحدأ : جمع حدأة . وتؤد : ترفق وتمهل .

(٧) صخر : اسم أبى سفيان . وغاب : جمع غابة وهى موضع الأسد . وهاصر : كاسر ، أى يكسر فريسته إذا أخذها . وحرد : غاضب .

(٨) مجدلة : صرعى على الأرض . واسم الأرض الجدالة . وأصرده : بالغ فى برده . والصرد : البرد . والصردح : المكان الصلب الغليظ .

(٩) وقصد : قطع متكسرة .

(١٠) القرم : السيد . وثكلى : حزينة فاقدة . وحز : قطع (بالبناء للمجهول فيهما) .

كأنّه حين يكبُو فى جَديتِه ... تحت العَجاجِ وفيه ثَعلَب جَسَد[١]

حُوارُ نابٍ وقَدْ ولّى صحابتُه ... كما تولّى النَّعام الهارِب الشُّرد[٢]

مُجلَّحين ولا يلوُون قد مُلِئوا ... رُعْبا ، فنجّتْهم العَوْصاء والكُؤُد[٣]

تبكى عليهم نِساءٌ لابعُولَ لها ... مِنْ كُلِّ سالبة أثوابُها قِدَد[٤]

وقدْ تركْناهم للطّير مَلْحمة ... وللضباع إلى أجسادهم تَفِد[٥]

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لضرار :

(رجز أبى زعنة يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال أبو زَعْنة[٦] بن عبد الله بن عمرو بن عُتْبة ، أخو بنى جُشَم بن الخزرج ، يوم أُحد :

أنا أبو زَعْنة يعدو بى الهُزَمْ ... لم تُمنَع المَخْزاة إلا بالألم[٧]

يحمى الذِّمارَ خَزْرجىٌّ من جُشَم[٨]

(رجز ينسب لعلى فى يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال علىّ بن أبى طالب — قال ابن هشام : قالها رجل من المُسلمين يوم أُحد غير علىّ ، فيما ذكر لى بعضُ أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلىّ :

---

(١) يكبو : يسقط . والجدية : طريقة الدم . والعجاج : الغبار . والثعلب (هنا) : ما دخل من الرمح فى السنان . وجسد : قد يبس عليه الدم .

(٢) الحوار : ولد الناقة . والناب : المسنة من الإبل . والشرد : النافرة .

(٣) مجلحين : مصممين لايردهم شىء . والعوصاء : عقبة صعبة تعتاص على سالكها . والكؤد جمع كؤود وهى عقبة صعبة المرتقى .

(٤) السالبة (هنا) : التى لبست السلاب ، وهو ثياب الحزن . وقدد : قطع ؛ يعنى أنها مزقت ثيابها.

(٥) الملحمة : الموضع الذى تقع فيه القتل فى الحرب . وتفد : تقدم وتزور .

(٦) قال أبو ذر : « كذا وقع هنا بالنون ؛ وزعبة ، بالزاى والعين المهملة والباء المنقوطة بواحدة من أسفلها ، كذا قيده الدارقطنى » .

(٧) يعدو : يسرع . والهزم (بضم الهاء وفتح الزاى) : اسم فرس ؛ ويروى : الهزم (بفتح الهاء وكسر الزاى) وهو الكثير الجرى .

(٨) الذمار : ما يجب على المرء أن يحميه .

لاهُمَّ إنَّ الحارثَ بن الصِّمه ٭ كان وفيًّا وبنا ذا ذِمَّه[١]
أقبلَ فى مَهامهٍ مُهِمَّه ٭ كَلَيْلةٍ ظلْماءَ مُدْلَهِمَّه[٢]
بين سُيوفٍ ورِماحٍ جَمَّه ٭ يَبْغِى رسولَ الله فيما ثَمَّه[٣]

قال ابن هشام : قوله : « كليلة » عن غير ابن إسحاق .

(رجز عكرمة فى يوم أحد) :

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أُحد :

كلُّهم يزجره أرْحِبْ هَلا ٭ ولن يَرَوْه اليومَ إلا مُقْبِلا[٤]
يَحْمِلُ رُمْحا ورَئيسا جَحْفَلا[٥]

(شعر الأعشى التميمى فى بكاء قتلى بنى عبد الدار يوم أحد) :

وقال الأعشى بن زُرارة بن النَّبَّاش التَّميمى — قال ابن هشام : ثم أحد بنى أسد ابن عمرو بن تَميم — يبكى قَتْلَى بَنى عَبْد الدار يوم أُحد :

حُيِّيَ مِنْ حَىّ علَى نأيهم ٭ بنو أبى طَلْحة لا تُصْرَفُ[٦]
يَمُرُّ ساقيهم عليهم بها ٭ وكلُّ ساقٍ لهمُ يَعْرِف
لا جارُهم يَشْكو ولا ضَيْفُهم ٭ مِنْ دُونه بابٌ لهم يَصْرِف[٧]

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى يوم أُحُد :

قتَلْنا ابن جَحْشٍ فاغتبطنا بقَتْله ٭ وحَمْزةَ فى فُرْسانه وابن قَوْقَل
وأفلتَنا منهم رجالٌ فأسْرَعوا ٭ فليْتَهم عاجُوا ولم نتعجَّل[٨]
أقامُوا لَنا حتى تَعضَّ سُيوفُنا ٭ سَرَاتَهم وكلُّنا غيرُ عُزَّل[٩]

---

(١) الذمة : العهد .
(٢) المهامه : جمع مهمه ، وهو القفر . والمدلهمة : الشديدة السواد .
(٣) جمة : كثيرة .
(٤) أرحب هلا : كلمتان لزجر الخيل .
(٥) الجحفل : العظيم .
(٦) النأى : البعد . ولا تصرف : لا ترد ، ويريد التحية ، ودل على ذلك قوله « حى » .
(٧) يصرف : يغلق فيسمع له صوت .
(٨) عاجوا : عطفوا وأقاموا .
(٩) سراتهم : خيارهم . العزل : الذين لا سلاح لهم . جمع أعزل .

وحتّى يكون القتلُ فينا وفيهمُ ويَلْقَوا صَبوحا شَرّه غيرمُنْجَلى[1]

قال ابن هشام : وقوله : « وكلنا » ، وقوله : « ويلقوا صبوحا » : عن غير ابن إسحاق .

(شعر صفية فى بكاء حمزة) :

قال ابن إسحاق : وقالت صَفِيّةُ بنت عبد المطّلب تبكى أخاها حمزةَ بن عبد المطّلب :

أسائلةٌ أصحابَ أُحُــدٍ مَخافةً بناتُ أبى من أعْجَمٍ وخَبِــير[2]
فقال الخَبير إنّ حَمْزة قد ثَوَى وَزِيرُ رسولِ اللهِ خَيرُ وَزِير
دَعاه إلهُ الحقّ ذو العرْش دَعوةً إلى جنّــة يحيا بها وسُرور
فذلك ما كُنّا نرجّى ونرتّجى لحَمْزة يومَ الحَشْر خيرَ مَصير
فوالله لا أنساك ما هبّت الصَّبا بكاءً وحزنا مَحْضَرى ومَسِيرى[3]
على أسد الله الذى كان مِدْرَهًا يَذُود عن الإسْلام كلَّ كَفُور[4]
فياليت شلْوى عند ذاك وأَعْظُمى لدى أضْبُع تعْتادنى ونُسور[5]
أقولُ وقد أعلَى النَّعِىّ عَشيرتى جزَى اللهُ خيرًا مِنْ أخٍ ونَصير[6]

قال ابن هشام : وأنشدنى بعضُ أهل العِلْم بالشعر قولها :

بكاء وحُزْنا مَحْضَرى ومسيرى

(شعر نعم فى بكاء شماس) :

قال ابن إسحاق : وقالت نُعم ، امرأة شَمّاس بن عثمان ، تبكى شَمّاسا ، وأصيب يوم أُحد :

---

(١) الصبوح : شرب الغداة . يعنى أنهم يسقونهم كأس المنية ومنجلى : منكشف . وفى رواية : « صباحا » .

(٢) الأعجم : الذى لا يفصح .

(٣) الصبا : ريح شرقية . ومسيرى : أى غيابى .

(٤) المدره : الذى يدفع عن القوم . ويذود : يمنع .

(٥) الشلو : البقية . تعتادنى : تتعاهدنى .

(٦) النعى : يروى بالرفع على أنه فاعل ، ومعناه الذى يأتى بخبر الميت ؛ كما يروى بالنصب على أنه مفعول ، ومعناه النوح والبكاء بصوت .

يا عينُ جودِى بفَيْضٍ غيرِ إبْساسِ[1] على كريمٍ مِنَ الفِتْيان أبَّاسِ[2]
صَعْبِ البَدِيهةِ مَيْمُونٍ نَقِيبتُه حَمَّالِ ألْوِية رَكَّاب أفْراسِ[3]
أقولُ لمّا أتَى النّاعِى له جَزَعا أوْدَى الجوادُ وأوْدَى المُطْعِم الكاسِى[4]
وقُلْتُ لمّا خَلَتْ منه مَجالسُه لا يُبعد اللهُ عنّا قُرْبَ شَمّاسِ

(شعر أبى الحكم فى تعزية لهم) :

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحَكَمِ بن سعيد بن يَرْبوع ، يعزّيها ، فقال :

إقْنَىْ حياءَكِ فى سِتْرٍ وفى كَرَمٍ فإنّما كانَ شَمّاسٌ مِنَ النّاسِ[5]
لا تَقْتُلِى النفسَ إذ حانت مَنِيَّته فى طاعةِ اللهِ يومَ الرَّوْعِ والباسِ[6]
قد كان حمزةُ ليثَ اللهِ فاصطبرِى فذاقَ يومئذٍ من كأسِ شَمّاسِ

(شعر هند بعد عودتها من أحد) :

وقالت هِنْد بنت عُتْبة ، حين انصرف المشركون عن أُحُد :

رجعتُ وفى نَفْسِى بَلابلُ جَمَّةٌ وقد فاتنى بعضُ الذى كانَ مَطْلَبِى[7]
مِنَ اصحابِ بدرٍ من قُريش وغيرِهم بنى هاشمٍ منهم ومن أهل يثرب
ولكنّنى قد نِلْتُ شيئا ولم يكن كما كنتُ أرجو فى مسيرى ومركبى

قال ابن هشام : وأنشدنى بعضُ أهل العلمِ بالشعر قولَها :

وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى

وبعضهم يُنكرها لهِنْد ، والله أعلم[8] .

---

(١) الإبساس : أن تمسح ضرع الناقة لتدر ، وتقول لها : بس بس ، وقد استعارت هذا المعنى للدمع الفائض بغير تكلف .

(٢) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . والأباس : الشديد الذى يغلب غيره . وفى الأصول : « لباس » وهو صيغة مبالغة للذى يلبس أداة الحرب .

(٣) البديهة : أول الرأى والأمر . وميمون النقيبة : مسعود الفعال . والألوية : جمع لواء ، وهو العلم .

(٤) أودى : هلك . والمطعم الكاسى : الجواد الذى يطعم الناس ويكسوهم .

(٥) إقنى حياءك : الزمى حياءك .

(٦) يوم الروع : يوم الفزع ، وهو يوم البأس والقتال .

(٧) البلابل : الأحزان . وجمة : كثيرة .

(٨) إلى هنا انتهى الجزء الثانى عشر من أجزاء السيرة .

ذكر يوم الرجيع

في سنة ثلاث

(طلبت عضل والقارة نفرا من المسلمين ليعلموهم فأوفد الرسول ستة):

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكّائى عن محمد بن إسحاق المُطلبي ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قَتَادة ، قال : قَدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أُحد رهطٌ من عَضَل والقارة .

(نسب عضل والقارة) :

قال ابن هشام : عَضَل والقارة ، من الهَوْن بن خُزَيمة بن مُدْرِكة .

قال ابن هشام : ويقال : الهُون ، بضم الهاء .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاما ، فابعثْ معنا نفرًا من أصحابك يُفقّهوننا في الدين ، ويُقرئوننا القرآن ، ويعلّمونا شرائع الإسلام . فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفرًا ستة [٢] من أصحابه ، وهم : مَرْثد بن أبي مرثد الغَنَوىّ ، حليفُ حمزة بن عبد المطّلب ؛ وخالد بنُ البُكير اللّيثى ، حليف بنى عَدِىّ بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، أخو بنى عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس ؛ وخُبَيب بن عدىّ ، أخو بنى جَحْجَبى بن كُلْفة ابن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدّثِنَّة بن مُعاوية ، أخو بنى بَيَاضة بن عمرو [٣] بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غضْب بن جُشَم بن الخزْرج ، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر بن الخزْرج بن عَمْرو بن مالك بن الأوس .

(غدر عضل والقارة بالنفر الستة) :

وأمّر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على القوم مَرْثَد بن أبي مرثد الغَنَوىّ [٤] ، فخرج

---

(١) وعلى هذه الرواية اقتصر الصحاح والقاموس وشرح المواهب .

(٢) قيل : إنهم كانوا عشرة ، وهو أصح ، ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار . (راجع الروض وشرح ديوان حسان طبع أوربا ص ٦٦ ، وشرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٦١) .

(٣) في ر : « عامر » .

(٤) قيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمّر عليهم عاصم بن ثابت . (راجع الروض وشرح المواهب).

مع القوم . حتى إذا كانوا على الرَّجيع ، ماء لهُذيل بناحية الحجاز ، على صدور الهَدْأة [١] غدرُوا بهم ، فاستصرَخوا [٢] عليهم هُذيلا ، فلم يَرُع القوم ، وهم في رِحالهم ، إلا الرِّجالُ بأيديهم السيوف ، قد غَشُوهم ؛ فأخذوا أسيافَهم ليقاتلوهم فقالوا لهم : إنا والله ما نُريد قتلكم ، ولكنَّا نُريد أن نُصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهدُ الله وميثاقُه أن لانقتلكم .

(مقتل مرثد وابن البكير وعاصم) :

فأمَّا مَرْثَد بن أبي مرثد ، وخالد بن البُكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لانَقْبل من مُشرك عهدا ولا عقدا أبدا ؛ فقال عاصم بن ثابت :

ما عِلَّتِي وأنا جَلْدٌ نابِلُ   والقَوْسُ فيها وترٌ عُنابلُ [٣]

تزلُّ عن صَفْحتها المَعابِل   الموتُ حقٌّ والحَياةُ باطِل [٤]

وكلُّ ما حَمَّ الإله نازل   بالمَرْء والمَرْءُ إليه آئِل [٥]

إن لم أُقاتلكم فأُمِّى هابِل

قال ابن هشام : هابل : ثاكل .

وقال عاصم بن ثابت أيضا :

أبو سُلَيمان وريشُ المُقْعَد   وضالَةٌ مثل الجَحيمِ المُوقَدِ [٦]

إذا النَّواجي افْتُرِشْت لم أُرْعَد   ومُجْنأ من جلدِ ثَوْرٍ أجْرَدِ [٧]

ومُؤْمنٌ بما على محمَّد

---

(١) قال ياقوت : « الهدأة ، كما ذكره البخاري في قتل عاصم ، قال : وهو موضع بين عسفان ومكة ، وكذا ضبطه أبو عبيد البكري الأندلسي . وقال أبو حاتم : يقال لموضع بين مكة والطائف : الهدة ، بغير ألف ، وهو غير الأول ، ذكر معه لنفي الوهم » .

(٢) استصرخوا : استنصروا .

(٣) النابل : صاحب النبل . ويروى : « بازل » وهو القوى . وعنابل (بالضم) : غليظ شديد .

(٤) المعابل : جمع معبلة ، وهو نصل عريض طويل .

(٥) حم الإله : قدره . وآئل : صائر .

(٦) المقعد : رجل كان يريش النبل . والضالة : شجر تصنع منه القسي والسهام ؛ والجمع : ضال . ويعني بالضالة (هنا) : القوس .

(٧) النواجي : الإبل السريعة . ويروى : « النواحي » بالحاء المهملة . وافترشت : عرت ، والمجنأ : الترس لاحديد فيه . والأجرد : الأملس .

وقال عاصم بن ثابت أيضا :

أبو سُلَيمان ومِثلى رامَى وكان قومِى معشراً كراماً

وكان عاصم بن ثابت يُكْنى : أبا سليمان . ثم قاتل القومَ حتى قُتل وقُتل صاحباه .

(حديث حماية الدبر لعاصم) :

فلما قُتِل عاصم أرادت هُذيل أخذ رأسه ، ليبيعوه من سُلافة بنت سَعد بن شُهَيد ، وكانت قد نَذَرت حين أصاب ابنيها يوم أُحد : لئن قَدَرت على رأس عاصم لتشربَنّ فى قِحفْه الخمر ، فمنعته الدَّبْر[1] ، فلما حالت بينه وبينهم [الدَّبْرُ][2] قالوا : دعُوه يُمْسِى فتذهب عنه ، فنأخذه . فبَعث الله الوادىَ ، فاحتمل عاصماً ، فذهب به . وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهدا أن لا يمسَّه مشرك ، ولا يمسَّ مُشْركا أبدا ، تَنجُّسا ؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه أن الدَّبْر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نَذَر أن لا يمسَّه مشركٌ ، ولا يمسَّ مُشْركا أبدا فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنَع منه فى حياته .

(مقتل ابن طارق وبيع خبيب وابن الدثنة) :

وأما زيد بن الدَّثِنَّة وخُبَيب بن عدِىّ ، وعبد الله بن طارق ، فلانُوا ورقُّوا ورغبوا فى الحياة ، فأعْطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرَجوا إلى مكّة ، ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظَّهران[3] انتزع عبدُ الله بن طارق يده من القِران[4] ، ثم أخذ سيفه ، واستأْخر عنه القومُ ، فرَموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقَبْره ، رحمه الله ، بالظَّهْران ؛ وأما خُبيب بن عَدىّ وزيد بن الدَّثِنَّة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعوهما من قُريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خُبيبا حُجيرُ بن أبى إهاب التميمىّ ، حليف بنى نوفل ، لعُقْبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه لقتله بأبيه .

(١) الدبر : الزنابير والنحل .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) الظهران : واد قرب مكة . (عن معجم البلدان) .

(٤) القران : الحبل يربط به الأسير .

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبى إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ؛ ويقال : أحد بنى عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بنى تميم .

(مقتل ابن الدثنة ومثل من وفائه للرسول) :

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صفْوان بن أُميَّة ليقتله بأبيه ، أُميَّة بن خلف ، وبعث به صفوان بن أُميَّة مع موْلى له ، يقال له نسطاس ، إلى التَّنعيم [1] ، وأخرجوه من الحَرَم ليقتلوه . واجتمعَ رهط من قُريش ، فيهم أبوسفيان ابن حَرْب ؛ فقال له أبوسفيان حين قَدِم ليُقتل : أَنْشُدُكَ اللهَ يا زيد ، أتحبّ أن محمدا عندنا الآن فى مكانك نَضْرب عنقه ، وأنك فى أهْلك ؟ قال : والله ما أحبّ أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تُصيبه شوكة تُؤْذيه ، وأنّى جالس فى أهلى . قال : يقول أبوسفيان : مارأيت من الناس أحدا يُحبّ أحدا كحبّ أصحاب محمدٍ محمداً ؛ ثم قتله نِسطاس ، يرحمه الله .

(مقتل خبيب وحديث دعوته) :

وأما خُبيب بن عدىّ ، فحدثنى عبدُ الله بنُ أبى نجيح ، أنه حُدّث عن ماويّة [2] ، مولاة حُجير بن أبى إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خُبيب عِنْدى ، حُبِس فى بيتى ، فلقد اطّلعت عليه يوما ، وإن فى يده لقِطفا من عِنب ، مِثل رأس الرّجُل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنبا يُؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نَجيح جميعا أنها قالت : قال لى حين حضَره القتلُ : ابعثى إلىّ بحَديدة أتطهَّر بها للقتل ؛ قالت : فأعطيتُ غلاما من الحىّ المُوسى ؛ فقلت : ادخل بها على هذا الرجل البيتَ ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه ؛ فقلت : ماذا صنعتُ ! أصاب والله الرجل ثأرَه بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل ؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من

---

(١) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة ، (راجع معجم البلدان) .

(٢) تروى بالراء وبالواو . (راجع الروض والاستيعاب وشرح المواهب) .

يده ثم قال : لعَمْرك ، ماخافت أُمّك غَدْرى حين بَعَثتك بهذه الحديدة إلىّ ! ثم خلّى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنُها[1] .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخُبَيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التَّنْعيم ليَصْلبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعونى حتى أركعَ ركعتين فافعلوا ؛ قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طوّلت جزعا من القتل لاستكثرتُ من الصلاة . قال : فكان خُبيب بنُ عدىّ أوّل من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمُسلمين . قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال : اللهمّ إنّا قد بلّغنا رسالةَ رسولك ، فبلّغه الغداةَ ما يُصنع بنا ؛ ثم قال : اللهمّ أحْصِهم عدداً ، واقتُلهم بدَداً[2] ، ولا تغادر منهم أحدا . ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاويةُ بن أبى سُفيان يقول : حضرتُه يومئذ فيمن حضَره مع أبى سفيان ، فلقد رأيتُه يُلقينى إلى الأرض فرَقا من دعوة خُبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعى عليه ، فاضطجع لجَنْبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عُقْبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيبا ، لأنى كنت أصغرَ من ذلك ، ولكنّ أبا ميْسرة ، أخا بنى عبد الدار ، أخذ الحربةَ فجعلها فى يدى ، ثم أخذ بيدى وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سَعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمحىّ على بعض الشام ، فكانت تُصيبه غَشْيةٌ ، وهو بين ظَهْرَىِ القوم ، فذُكر ذلك لعمر بن الخطّاب ، وقيل : إنّ الرجل مُصاب ؛ فسأله عمَر فى قَدْمة قَدِمها عليه ، فقال : يا سَعيد ، ماهذا الذى يُصيبك ؟ فقال : والله يا أميرَ المؤمنين مابى من بَأْس ، ولكنى كنتُ فيمن

(١) وقيل : هو أبو حسين بن الحارث بن عدى بن نوفل بن عبد مناف . (راجع شرح المواهب) .
(٢) بددا : متفرقين .

حضر خُبيب بن عدىّ حين قُتل ، وسمعتُ دعوته ، فوالله ما خطرتْ على قلبى وأنا فى مجلس قطّ إلا غُشى علىّ ، فزادته عند عمر خيرا .

قال ابنُ هشام : أقام خُبيب فى أيديهم حتّى انقضتْ الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .

(ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن) :

قال . قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السَّريّة ، كما حدثنى مولًى لآل زيد بن ثابت ، عن عِكْرِمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبتَ السَّريَّة التى كان فيها مَرْثَد وعاصم بالرَّجيع ، قال رجال من المُنافقين : يا ويحَ هؤلاء المَفْتونين الذين هلَكوا (هكذا) [1] ، لاهم قَعدوا فى أهْليهم ، ولا هم أدَّوْا رسالةَ صاحبهم ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المُنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذى أصابهم ، فقال سبحانه : « وَمِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيا » : أى لما يُظهر من الإسلام بلسانه ، « وَيُشْهِدُ اللهَ على ما فِى قَلْبِهِ » ، وهو مخالف لما يقول بلسانه ، « وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ » : أى ذو جِدال إذا كلمك وراجعَك .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : الألدّ : الذى يَشغب ، فتشتدّ خصومته ؛ وجمعه : لُدّ . وفى كتاب الله عزّ وجلّ : « وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا [2] » . وقال المُهلهل بن ربيعة التَّغلبىّ ، واسمه امرؤ القيس ؛ ويقال : عدىّ [3] بن ربيعة :

إنّ تحتَ الأحجار حَدًّا ولِينا وخَصِيا ألدَّ ذا مِعْــلاقٍ [4]

ويروى « ذا مِغلاق [5] » فيما قال ابن هشام . وهذا البيت فى قصيدة له ؛ وهو الألَنْدد.

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٣) فى القصيدة ما يرجح أن اسمه عدى ، وهو قوله :

ضربت صدرها إلىّ وقالت يا عديا لقد وقتك الأواقى

(٤) يقول إن فيه حدة لأعدائه ولينا لأوليائه ، والألد : الشديد الخصومة . وذا معلاق : أى أنه يتعلق بحجة خصمه .

(١) ذا مغلاق : أى أنه يغلق الكلام على خصمه ، فلا يقدر أن يتكلم معه

قال الطِّرِمّاح بن حكيم الطائيّ يَصِف الحرْباء :

يُوفِي على جِذْم الجُذُول كأنه ... خَصْمٌ أبَرَّ على الخُصُوم ألندُ[١]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق [٢] : قال تعالى : « وَإِذَا تَوَلَّى » : أى خرج من عندك « سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ، وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ » أى لا يحبّ عمله ولا يرضاه . « وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ ، وَاللهُ رَءُوفٌ بِالعِبَادِ » : أى قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله ، والقيام بحقّه ، حتى هلكوا على ذلك : يعنى تلك السريّة .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : يَشْرِي نفسه : يبيع نفسه ؛ وشَرَوْا : باعوا . قال يزيد بن رَبِيعة [٣] بن مُفَرِّغ الحِمْيَريّ :

وشَرَيتُ بُرْداً لَيْتَنِي ... من[٤] بعد بُرْد كنتُ هامَه[٥]

برد : غلام له باعه . وهذا البيت فى قصيدة له . وشَرَى أيضا : اشترى .

قال الشاعر :

---

(١) يوفى : يشرف . والجذم : القطعة من الشىء ، وقد يكون الأصل أيضا . والجذول : الأصول ؛ الواحد : جذل . وأبر : أى زاد وظهر عليهم . ويروى « أبن » بالنون ، أى أقام ولم يفهم الخصومة ؛ يقال : أبن فلان بالمكان : إذا أقام به .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وإذا تولى سعى فى الأرض » . قال ابن إسحاق حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « أى خرج من عندك سعى فى الأرض » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٤) فى ا : « من قبل » وهى رواية فيه .

(٥) الهامة : طائر كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ، فلا يزال يقول : اسقونى اسقونى ، حتى يؤخذ بثأره .

فَقُلْتُ لَهَا لا تَجْزَعِى أُمَّ مالكٍ ... على ابْنَيْكِ إنْ عَبْدٌ لئيم شَرَاهَا

(شعر خبيب حين أريد صلبه) :

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل في ذلك من الشعر ، قول خُبيب بن عدىّ ، حين بلغه أن القومَ قد اجتمعوا لصَلْبه .

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له .

لَقَدْ جَمَّع الأحزابُ حَوْلى وألَّبُوا ... قبائلَهم واستَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمعِ [1]

وكلُّهمُ مُبْدى العداوة جاهدٌ ... علىَّ لأنى فى وِثاقٍ بمَضْيعِ [2]

وقد جَمَّعوا أبناءَهم ونساءَهم ... وقُرِّبتُ من جِذْعٍ طَويل مُمنَّعِ

إلى الله أشكو غُرْبَتى ثم كُرْبتى ... وما أرْصَدَ الأحزابُ لى عند مَصرعى [3]

فذا العَرْشِ ، صَبِّرْنى على مايُرادُ بى [4] ... فقد بَضَعوا لَحْمى وقد ياسَ مَطْمَعى [5]

وذلكَ فى ذاتِ الإله وإنْ يَشَأْ ... يُبارِكْ على أوْصالِ شِلْو مُمَزَّعِ [6]

وقد خَيَّرونى الكُفْرَ والموتُ دونه ... وقد هَمَلَتْ عيناىَ من غير مَجْزعِ [7]

وما بى حِذارُ المَوْت ، إنى لَمَيِّتٌ ... ولكنْ حِذارى جَحْمُ نارٍ مُلَفَّعِ [8]

فوالله ما أرجُو [9] إذا مِتّ مُسْلما ... على أىّ جَنْبٍ كان فى الله مَصرعى [10]

---

(١) ألبوا : جمعوا ؛ يقال : ألبت القوم على فلان ، إذا جمعتهم عليه وحضضتهم .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « مضيع » .

(٣) أرصد : أعد .

(٤) فى ا : « يرادنى » وهو تصحيف .

(٥) وبضعوا : قطعوا . وياس : لغة فى يئس

(٦) الشلو : البقية . والممزع : المقطع .

(٧) هملت : سال دمعها .

(٨) كذا فى ا . والجحم (بتقديم المعجمة على المهملة) : الملتهب المتقد ؛ ومنه سميت الجحيم . وفى سائر الأصول : « حجم » (بتقديم المهملة على المعجمة) وهو تحريف . وملفع : مشتمل عام ؛ يقال : تلفع بالثوب ، إذا اشتمل به .

(٩) أرجو ، أى أخاف ؛ وهى لغة . وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : « مالكم لاترجون لله وقارا » ، أى لاتخافون .

(١٠) فى ا : « مضجعى » .

فَلَسْتُ بِمُبْدٍ للعَدُوِّ تَخَشُّعا ... وَلا جَزَعا إنِّى إلى اللهِ مَرْجِعِى[١]

(شعر حسان فى بكاء خبيب) :

وقال حسَّان بن ثابت يبكى خُبيبا :

ما بالُ عَيْنِكَ لا تَرْقامَدامِعُها[٢] ... سَحًّا على الصَّدْرِ مثل اللُّؤْلؤِ القَلِقِ[٣]

على خُبَيْبٍ فَتَى الفِتْيان قد عَلِموا ... لا فَشِلٍ حينَ تَلْقاه وَلا نَزِقِ[٤]

فاذهب خُبَيْبُ جزاك الله طَيِّبَةً ... وجَنَّةُ الخُلْدِ عند الحُور فى الرُّفُقِ[٥]

ماذا تقُولونَ إنْ قالَ النَّبِيُّ لكم ... حينَ الملائكة الأبْرار فى الأُفُقِ

فِيمَ قَتَلْتم شَهِيدَ الله فى رَجُلٍ ... طاغٍ قد اوعَثَ فى البُلدان والرُّفَقِ[٦]

قال ابن هشام : ويروى : « الطرق »[٧] وتركنا ما بقى منها ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضا يبكى خُبيبا :

ياعينِ جُودى بدَمْعٍ منكِ منسكبٍ ... وابكى خُبَيْبا مع الفِتْيان لم يَؤُبِ[٨]

صَقْرًا توسَّط فى الأنْصار مَنْصِبُه ... سَمْحَ السجيَّة مَحْضًا غيرمُؤْتَشِبِ[٩]

قد هاجَ عَيْنى على عِلاَّتِ عَبْرَتِها ... إذ قيل نُصَّ إلى جِذْعٍ من الخَشَبِ[١٠]

---

(١) التخشع : التذلل .

(٢) كذا فى ا ، والديوان . وفى سائر الأصول : « عينيك » . والصواب ما أثبتناه . ولا ترقا مدامعها : لاتكف ؛ وأصله الهمز فسهله .

(٣) كذا فى ا . والديوان . والقلق : المتحرك الساقط . وفى سائر الأصول : « الفلق » بالفاء ، وهو تصحيف .

(٤) الفشل : الجبان الضعيف القوة . والنزق : السيء الخلق . ورواية الشطر الأول من هذا البيت فى الديوان : ... على خبيب وفى الرحمن مصرعه

(٥) قال أبو ذر : الرفق (بضم الراء والفاء) : جمع رفيق .

(٦) أوعث : اشتد فساده . والرفق (بفتح الفاء) جمع رفقة (بضم الراء وكسرها) .

(٧) وهى رواية الديوان .

(٨) منسكب : سائل ، ولم يؤب : لم يرجع .

(٩) السجية : الطبيعة . وفى الديوان : « حلو السجية » والمحض : الخالص ؛ وأراد به هنا : خلوص نسبه . والمؤتشب : المختلط .

(١٠) العلات : المشقات . ونص : رفع (بالبناء للمجهول فيهما) ؛ مأخوذ من النص فى السير وهو أرفعه .

يأيها الرَّاكِب الغادِي لِطِيَّتِـــهِ أبلغ لدَيْك وعيداً ليس بالكَذِب[١]
بني كُهيبة[٢] أنّ الحَرْب قد لَقِحَتْ مَحْلُوبُها الصَّابُ إذْ تُمْرَى لمُحْتَلِب[٣]
فيها أُسُودُ بَنِى النَّجَّار تَقْدُمُهم شُهْبُ الأسنَّة فى مُعصَوْصَب لَجِب[٤]

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التى قَبْلها ، وبعضُ أهل العلم بالشعر ينكرها لحسَّان ، وقد تركنا أشياء قالها حسَّان فى أمر خُبيب لِما ذَكرتُ .

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت أيضا :

لو كانَ فى الدَّار قَرم ماجدٌ بَطَل أَلْوى من القوم صَقْر خالُه أَنَس[٥]
إذن وجدتَ خُبيبا مجلِسا فَسِـــحا ولم يُشَدّ عليك السِّجنُ والحَرَس
ولم تَسُقْكَ إلى التَّنْعيم زِعْنِفَـــة من القبائل منهم من نَفَت عُدَس[٦]
دلَّوك غَـــدْرًا وهم فيها أولُو خُلُف وأنت ضَيْم لهَا فى الدَّار مُحْتَبَس[٧]

قال ابن هشام : أَنَسٌ : الأصمّ السُّلَمىّ : خال مُطْعِم بن عدىّ بن نوفل

---

(١) الطية : ما انطوت عليه نيتك .

(٢) كذا فى أكثر الأصول والروض . قال السهيل : « جعل كهيبة كأنه اسم علم لأمهم ، وهذا كما يقال : بنى ضوطرى وبنى القبرة وبنى درزة . قال الشاعر :

أولاد درزة أسلموك وطاروا

وهذا كله اسم لمن يسب ، وعبارة عن السفلة من الناس . وكهيبة : من الكهبة ، وهى الغبرة ، وهذا كما قالوا : « بنى الغبراء » . وفى ا : « كهينة » بالنون . وفى الديوان « فكيهة » .

(٣) لقحت : ازداد شرها . ومحلوبها : لبنها . والصاب : العلقم . وتمرى : تمسح .

(٤) المعصوصب : الجيش الكثير . واللجب : الكثير الأصوات .

(٥) القرم : السيد ، وأصله الفحل من الإبل . والماجد : الشريف . وألوى ، أى شديد الخصومة . ورواية هذا البيت فى الديوان :

لو كان فى الدار قوم ذو محافظة حامى الحقيقة ماض خاله أنس

(٦) الزعنفة : الذين ينتمون إلى القبائل ويكونون أتباعا لهم . وعدس : قبيلة من لخم . ورواية هذا الشطر الأخير فى الديوان : من المعاشر ممن قد نفت عدس

(٧) دلوك ، أى غروك . ومنه قوله تعالى : « فدلاهما بغرور » . والخلف (بضمتين) : الخلف (بضم فسكون) ، وضمت لامه فى الشعر إتباعا للخاء . والضيم : الذل ؛ والمراد « ذو ضيم » فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ولم يذكر هذا البيت فى الديوان وذكر مكانه :

صبرا خبيب فإن القتل مكرمة إلى جنان نعيم يرجع النفس

ابن عبد مناف . وقوله : « من « نفثعدّس » يعنى حُجَيْر بن أبى إهاب ؛ ويقال الأعشى بن زُرارة بن النَّبّاش الأسدىّ ، وكان حليفا لبنى نَوْفل بن عبد مناف .

(من اجتمعوا لقتل خبيب) :

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا [١] على خُبَيْب فى قتله حين قُتل من قُرَيْش : عِكْرمة بن أبى جهل ، وسَعيد بن عبد الله بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ ، والأخنس بن شريق الثّقفى ، حليف بنى زُهرة ، وعُبَيْدة بن حَكيم بن أميّة بن حارثة بن الأوقص السُّلمىّ ، حليف بنى أميّة بن عبد شمس ، وأُميّة بن أبى عُتبة ، وبنو الحَضْرمىّ .

(شعر حسان فى هجاء هذيل لقتلهم خبيبا) :

وقال حسّان أيضا يهجو هُذَيْلا [٢] فيما صَنَعوا بخُبيب بن عَدِىّ :

أبْلِغْ بنى عَمْرو بأنّ أخاهُمُ ... شَرَاهُ امْرُؤٌ قد كانَ للغَدْرِ لازِما [٣]

شَرَاهُ زُهَيْر بن الأغرّ وجامِعٌ ... وكانا جميعا يَرْكَبان المَحارِما

أجَرْتُم فلمّا أن أجَرْتم غَدَرْتُمُ ... وكُنْتُمْ بأكْناف الرَّجيع لَهاذِما [٤]

فليت [٥] خُبَيْبا لم تَخُنْهُ أمانَةٌ ... وليتَ خُبَيْبا كانَ بالقَوْمِ عالِما

قال ابن هشام : زهير بن الأغرّ وجامع : الهُذليّان اللذان باعا خُبَيْبا .

قال ابن إسحاق : وقال حسّان بن ثابت أيضا :

إنْ سرّكَ الغدْرُ صِرْفا لامِزاجَ له ... فأتِ الرَّجيعَ فسَلْ عن دارِ لِحْيان [٦]

---

(١) أجلبوا : اجتمعوا وصاحوا .

(٢) هجا حسان هذيلا ، لأنهم إخوة القارة والمشاركون لهم فى الغدر بخبيب وأصحابه . وهذيل وخزيمة أبناء مدركة بن إلياس . وعضل والقارة من بنى خزيمة . (راجع الروض) .

(٣) شراه : باعه ، وهو من الأضداد .

(٤) لهاذما (بالذال المعجمة) : جمع لهذم ، وهو القاطع من السيوف . (وبالزاى) : الضعفاء والفقراء . وأصل الهزمتين : مضغتان تكونان فى الحنك ؛ واحدتهما : لهزمة ؛ والجمع : لهازم ، فشبههم بها لحقارتها .

(٥) فى م : « فليست » ، وهو تحريف .

(٦) لحيان (بكسر اللام وقيل بفتحها) : ابن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر . (راجع شرح المواهب) .

قومٌ تواصَوْا بأكْلِ الجارِ بَيْنَهُمُ ... فالكَلْب والقِرْد والإنسان مِثْلان[١]

لو يَنْطِقُ التَّيسُ يوْماً قام يَخْطُبهم ... وكان ذا شَرَف فيهم وذا شان

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو زيد الأنصاريّ قوله:

لو ينطق التَّيس يوما قام يخطبهم ... وكان ذا شَرَفٍ فيهم وذا شان

قال ابن إسحاق: وقال حسَّان بن ثابت أيضا يهجو هُذَيلا:

سالتْ هُذَيْلٌ رسولَ الله فاحشةً ... ضلَّت هُذيل بما سالت ولم تُصِبِ[٢]

سالوا رسولَهُمُ ما ليس مُعْطِيَهم ... حتى المَمات، وكانوا سُبَّةَ العَرَب

ولَن تَرَى لِهُذَيْلٍ داعِيا أبَدًا ... يَدْعو لِمَكْرُمَة عن منزل الحَرَب[٣]

لقد أرَادوا خِلال الفُحْش وَيْحَهُمُ ... وأن يُحِلُّوا حراما كان فى الكُتُب[٤]

وقال حسَّان بن ثابت أيضا يهجو هُذَيلا:

لعمْرِى لقد شانت هُذَيل بنَ مُدْرِك ... أحاديثُ كانت فى خُبَيْبٍ وعاصمِ[٥]

أحاديثُ لِحْيانٍ صَلَوْا بقَبِيحها[٦] ... ولِحْيانُ جَرّامون شرَّ الجرائم[٧]

---

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «ميلان».

(٢) قال أبو ذر «سالت». أراد: سألت، ثم خفف الهمزة، وقد يقال: سال يسال (بغير همز) وهى لغة. ويشير حسان إلى ما سألت هذيل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرادوا الإسلام أن يحل لهم الزنا، فهو يعيرهم ذلك».

وقال السهيلى: «وقوله سالت هذيل، ليس على تسهيل الهمزة فى سألت، ولكنها لغة، بدليل قولهم تسايل القول، ولو كان تسهيلا لكانت الهمزة بين بين ولم يستقم وزن الشعر بها لأنها كالمتحركة، وقد تقلب ألفا ساكنة كما قالوا المنساة، ولكنه شيء لايقاس عليه؛ وإذا كانت سال لغة فى سأل فيلزم أن يكون المضارع يسيل، ولكن قد حكى يونس: سلت تسال، مثل خفت تخاف، وهو عنده من ذوات الواو. وقال الزجاج: الرجلان يتسايلان. وقال النحاس والمبرد: يتساولان، وهو مثل ما حكى يونس».

(٣) الحرب: السلب؛ يقال: حرب الرجل، إذا سلب (بالبناء للمجهول فيهما).

(٤) الخلال: الخصال.

(٥) شانت: عابت.

(٦) كذا فى ا. وصلوا بقبيحها: أى أصابهم شرها. وفى سائر الأصول: «صلوب قبيحها» وهو تحريف.

(٧) جرامون: كاسبون.

أناسٌ هُمُ من قومِهم في صَميمِهم ... بمَنْزِلة الزَّمْعان دُبْرَ القَوادِمِ[١]

هُمُ غَدَرُوا يوم الرَّجيع وأسْلَمت ... أمانتُهم ذا عِفَّة ومكارم

رسولَ رسول الله غدراً ولم تكُن ... هُذَيلٌ تَوَقَّى مُنكَراتِ المَحارم

فسوف يَرَوْن النَّصرَ يوماً عليهمُ ... بقَتْلِ الذى تَحْميه دون الحَرائمِ[٢]

أبابيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دون لَحْمِه ... حَمَت لحمَ شَهَّادٍ عِظامَ المَلاحِمِ[٣]

لعَلَّ هُذَيلاً أنْ يَرَوْا بمَصابه ... مَصارِعَ قَتْلَى أو مَقاما لِمأتَمِ[٤]

ونُوقِعَ فيهم[٥] وقعة ذات صَوْلةٍ[٦] ... يُوافِي بها الرُّكْبانُ أهلَ المَواسم

بأمْرِ رسولِ الله إنَّ رَسولَه ... رأى رأىَ ذى حَزْمٍ بلَحْيانَ عالِم

قُبَيِّلةٌ لَيْسَ الوَفاءُ يُهِمُّهم ... وإنْ ظُلِموا لم يَدْفَعوا كَفَّ ظالِم

إذا النَّاسُ حلُّوا بالفَضاء رأيتَهم ... بمَجْرَى مَسيل الماء بين المخارمِ[٧]

مَحَلُّهُم دارُ البَوارِ ورأيُهم ... إذا نابَهُم أمرٌ كرأْيِ البَهائمِ[٨]

وقال حسَّان بن ثابت يهجو هُذَيلا :

لَحَى الله لِحْيانا فَلَيْسَتْ دِماؤُهم ... لَنا مِن قَتيلَىْ غَدْرَةٍ بوَفاءِ[٩]

همو قتلوا يوم الرَّجيع ابنَ حُرَّةٍ ... أخا ثِقَةٍ فى وُدِّه وصَفاءِ

فلو قُتِلوا يوْم الرَّجيع بأسْرِهم ... بذِى الدَّبْرِ ما كانوا له بكِفاءِ[١٠]

---

(١) صميم القوم : خالصهم في النسب . والزمعان : جمع زمع . وهو الشعر الذى يكون فوق الرسغ من الدابة وغيرها . ودبر : خلف . والقوادم (هنا) : الأيدى . لأنها تقدم الأرجل .

(٢) تحميه ، يعنى عاصم بن الأقلح الذى حمته النحل ، ودون الحرائم : أى دون أن يمسه أحد من الكفار .

(٣) الأبابيل : الجماعات ، يقال : إن واحدها ، إبيل . والدبر : الزنابير ، ويقال للنحل أيضا : دبر . والشمس : المدافعة . والملاحم : جمع ملحمة ، وهى الحرب .

(٤) المأتم : جماعة النساء يجتمعن فى الخير والشر ، وأراد به هنا أنهن يجتمعن فى مناحة . وقد سهل همزة « المأتم » لأن القافية هنا موسومة بالألف .

(٥) كذا فى ا فى سائر الأصول : « فيها » .

(٦) الصولة : الشدة .

(٧) المخارم : مسايل الماء التى يجرى فيها السيل .

(٨) البوار : الهلاك .

(٩) لحى : أضعف وبالغ فى أخلدهم ، وهو من قولهم : لحوت العود ، إذا قشرته .

(١٠) يريد « بذى الدبر » : عاصما ، وقد تقدم ذكره .

قَتِيلٌ تَحَتَّهُ الدَّبْرُ بين بُيُوتِهِم ... لدَى أهلِ كُفْرٍ ظاهرٍ وجَفاء

فقد قتلتْ لِحْيانُ أكرَمَ منهُمُ ... وباعُوا خُبَيْبا وَيْلَهم بلِفاء[١]

فأُفٍّ للِحْيانٍ على كلِّ حالةٍ ... على ذِكْرِهم فى الذِّكْرِ كلَّ عفاء[٢]

قُبَيِّلَةٌ باللُّؤْمِ والغَــدْرِ تَغترِى ... فلم تُمْسِ يَخْفَى لؤمها بخَفاء[٣]

فلو[٤] قُتِلوا لم تُوفِ منه دماؤُهم ... بَلَى إنَّ قَتْــلَ القاتِليه شِفائى

فالاَّ أمُتْ أذْعَرْ هُذَيْلاً بغارةٍ ... كغادِى الجَهامِ المُغْتَــدِى بإفاء[٥]

بأمرِ رسُولِ الله والأمرُ أمْرُه ... يَبِيتُ للِحْيانَ الخَنا بِفَناء

يُصَــبِّحُ قَوْما بالرَّجِيعِ كأنهُم ... جِداءُ شِتاءٍ بِتْنَ غَــيرَ دِفاء[٦]

وقال حسّان بن ثابت أيضا يهجُو هُذَيلا :

فَلا واللهِ ، ما تَدْرِى[٧] هُذَيْلٌ[٨] ... أصافٍ[٩] ماءُ زَمزمَ أم مَشُوبُ[١٠]

وَلا لهُمُ إذا اعتَمَرُوا وَحَجُّوا ... مِنَ الحِجْرَين والمَسْعَى نَصِيبُ[١١]

ولكِنَّ الرَّجِيعَ لهُمْ مَحَــلٌّ ... به اللُّؤْمُ المُبَــيَّنُ والعُيُوبُ

كأنهُم لَدَى الكَنَّاتِ أُصْلاً ... تُيُوسٌ بالحجازِ لهَا نَبِيبُ[١٢]

---

(١) اللفاء : الشيء الحقير اليسير . ومنه قولهم : قنع من الوفاء باللفاء.

(٢) كذا فى ا وشرح السيرة لأبى ذر . والعفاء : الدروس والتغير .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . وتغترى : يغرى بعضها بعضا . وفى ا : « تعتزى » أى تنتسب .

(٤) فى ا : « ولو » .

(٥) أذعر : أفزع . والغادى : المبكر . والجهام : السحاب الرقيق . والإفاء (هنا) الغنيمة .

(٦) الجداء : جمع جدى . ورواية هذا الشطر الثانى فى ا .

جــداء وشــتائين غير دفاء

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أتدرى » .

(٨) فى ا : « هذيلا » وهو تحريف .

(٩) فى ديوان حسان طبع أوربا : « أعفص » .

(١٠) المشوب : المكدر المختلط بغيره .

(١١) يعنى بالحجرين : حجر الكعبة ، فثناه مع ما يليه . ومن رواه « الحجرين » بالتحريك ، أراد الحجر الأسود ، والحجر الذى فيه مقام إبراهيم عليه السلام . والمسعى : حيث يسعى بين الصفا والمروة .

(١٢) الكنات : جمع كنة ، وهى شىء يلصق بالبيت يكن به . وأصل (بضمتين وسكن تخفيفا) جمع أصيل ، وهو العشى . والنبيب : الصوت . وقد أسقط الديوان هذا البيت وأثبت بدله :

تجوزهم وتلفظــهم على ... فقد عاشوا وليس لهم قلوب

هُمُ غَرُّوا بِذِمَّتِهِم خُبَيْبًا ... فَبِئْسَ العَهْدُ عَهْدُهُمُ الكَذُوبُ

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن أبي زيد الأنصاري .

(شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه) :

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يبكي خُبيبا وأصحابه :

صلى الإلهُ على الَّذين تَتابَعُوا ... يَوْمَ الرَّجِيعِ فأُكْرِمُوا وأُثِيبُوا[١]

رأسَ السَّرِيَّةِ مَرْثَدٌ وأمِيرُهم ... وابنُ البُكَيْرِ إمامُهم وخُبَيْبُ[٢]

وابنٌ لطارقَ وابنُ دَثْنَةَ منهمُ ... وافاه ثَمَّ حِمامُه المكْتوبُ[٣]

والعاصِمُ المَقْتولُ عند رَجِيعِهِم ... كَسَبَ المعَالِي إنَّه لكَسُوبُ

مَنَعَ المَقادَةَ أن ينالوا ظَهْرَه ... حتَّى يُجالِدَ إنَّه لنَجِيبُ[٤]

قال ابن هشام : ويروى : حتَّى يجدَّل إنه لنجيب[٥] .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسَّان .

حديث بئر معونة

في صفر سنة أربع

(بعث بئر معونة) :

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيَّةَ شوَّال وذا القَعْدة وذا الحجة — وولَّى تلك الحِجة المشركون والمحرم — ، ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَ بئر معونة في صفر ، على رأس أربعة أشهر من أُحُد .

وقال في التعليق عليه : على بن مسعود الغساني ، وحضن بني عبد مناة بن كنانة فنسبوا إليه .

(١) أثيبوا : من الثواب .

(٢) أردف حرف الروى بياء مفتوح ما قبلها ، فخالف بذلك سائر أبيات القصيدة ، وهذا عيب من عيوب القافية ، يسمى : التوجيه ، وهو أن يختلف ما قبل الردف .

(٣) ترك تنوين « طارق » هنا لضرورة إقامة وزن الشعر ، وهو سائغ على مذهب الكوفيين ، والبصريون لا يرونه . والحمام : الموت .

(٤) المقادة : الانقياد والذلة ، ويجالد : يضارب بالسيف .

(٥) يجدل : يقع بالأرض ، واسم الأرض : الجدالة .

(سبب إرساله) :

وكان من حديثهم ، كما حدثنى أبى إسحاقُ بن يسار عن المُغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم ، وغيرُه من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو بَرَاء عامر بن مالك بن جعفرُ مُلاعبُ الأسنّة[1] على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ، فعرض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يُسلم ولم يَبْعُد من الإسلام ، وقال : يا محمد ، لو بعثتَ رجالا من أصحابك إلى أهل نجد ، فدَعَوْهم إلى أمرك ، رجوتُ أن يَستجيبوا لك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى أخشَى عليهم أهلَ نجد ؛ قال أبو بَرَاء : أنا لهم جار ، فابْعَثْهم فليدْعُوا الناس إلى أمرك .

(رجال البعث) :

فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المُنذر بن عَمرو ، أخا بنى ساعدة ، المُعْنِق ليَمُوت[2] فى أربعين رجلا[3] من أصحابه ، من خيار المسلمين ، منهم : الحارث بن الصِّمَّة ، وحَرَام بن مِلْحان أخو بنى عَدِىّ بن النَّجَّار ، وعُرْوة بن أسماء بن الصَّلت السُّلَمى ، ونافع بن بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعىّ ، وعامر بن فُهيرة مولى أبى بكر الصدّيق ، فى رجال مُسمَّين من خيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحَرّة بنى سُلَيم ، كلا البلدين منها قريب ، وهى إلى حرّة بنى سُليم أقرب .

(غدر عامر بهم) :

فلما نزلُوها بعثوا حَرَام بن مِلْحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدوّ الله عامر بن الطفيل ؛ فلما أتاه لم ينظُر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتَله ،

---

(١) وسمى أبو براء ملاعب الأسنة بقوله يخاطب أخاه فارس قرزل ، وكان قد فر عنه فى حرب كانت بين قيس وتميم .

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

(٢) المعنق ليموت ، أى المسرع ، وإنما لقب بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٣) الصحيح أنهم كانوا سبعين رجلا . (راجع البخارى ، ومسلم ، والروض وشرح المواهب) .

ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يُجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخفِر[1] أبا بَراء ، وقد عقد لهم عقداً وجِوارا ؛ فاستصرخ عليهم قبائلَ من بنى سُلَيم (من [2]) عُصيَّة ورِعْل وذَكْوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرَجوا حتى غَشُوا القَوْم ، فأحاطوا بهم فى رِحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سُيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعبَ بن زيد ، أخا بنى دينار بن النجّار ، فانهم تركوه وبه رَمَق ، فارتُثَّ[3] من بين القَتْلى ، فعاش حتى قُتل يومَ الخندق شهيداً ، رحمه الله .

(ابن أمية و المنذر وموقفهما من القوم بعد علمهما بمقتل أصحابهما) :

وكان فى سَرْح القوم عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى ، ورجل من الأنصار ، أحد بنى عمرو بن عوف .

قال ابن هشام: هو المُنذر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيحة بن الجُلاح .

قال ابن إسحاق : فلم يُنبئْهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحومُ على العَسْكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا ، فاذا القوم فى دِمائهم ، وإذا الخيلُ التى أصابتهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن أُمَيَّة : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنُخبره الخبَر ؛ فقال الأنصارى : لكنى ماكنتُ لأرغب بنفسى عن مَوْطن قُتل فيه المُنذر بن عمرو ، وما كنتُ لتُخبرنى عنه الرجال ؛ ثم قاتل القومَ حتى قُتل ، وأخذوا عمرو بنَ أُميَّة أسيرا ؛ فلما أخبرهم أنه من مُضر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزّ ناصيتَه ، وأعتَقه عن رَقَبة زعم أنها كانت على أمه .

---

(١) نخفر : ننقض عهده .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) ارتث : أى رفع وبه جراح ، يقال : ارتث الرجل من معركة الحرب : إذا رفع منها وبه بقية حياة .

(قتل العامريين) :

فخرج عمرو بن أُمَيَّة ، حتى إذا كان بالقَرْقرة [١] من صَدْر قَناة [٢] ، أقبل رجلان من بنى عامر .

قال ابن هشام : (ثم [٣]) من بنى كلاب ، وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بنى سُلَيم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه فى ظلّ هو فيه . وكان مع العامريّين عَقْدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجِوار ، لم يَعلم به عمرو بن أُمَيَّة ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤْرةً [٤] من بنى عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلتَ قَتيلين ، لأَدِيَنَّهما !

(حزن الرسول من عمل أبى براء) :

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبى بَرَاء ، قد كنت لهذا كارها متخوِّفا . فبلغ ذلك أبا براء ، فشقّ عليه إخفارُ عامر إيَّاه ، وما أصاب أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجِواره ؛ وكان فيمن أُصيب عامر بن فُهيرة .

(أمر ابن فهيرة بعد مقتله) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عُروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطُّفيل كان يقول : مَنْ رجل منهم لمَّا قُتِل رأيته رُفِع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فُهيرة [٥] .

---

(١) هى قرقرة الكدر ، موضع بناحية المعدن ، قريب من الأرحضية ، بينه وبين المدينة ثمانية برد . (عن معجم البلدان) .

(٢) قناة : واد يأتى من الطائف ويصب فى الأرحضية وقرقرة الكدر . (عن معجم البلدان) .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) الثؤرة : الثأر .

(٥) قال السهيلى : « هذه رواية البكائى عن ابن إسحاق . وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد

(سبب إسلام بن سلمى) :

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض بنى جَبَّار بن سَلْمى بن مالك بن جعفر ، قال – وكان جبّار فيمن حضرها [1] يومئذ مع عامر ثم أسْلم – (قال) [2] فكان يقول : إن مما دعانى إلى الإسلام أنى طعنتُ رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفَيه ، فنظرتُ إلى سِنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فُزْتُ والله ! فقلت فى نفسى : ما فاز ! ألستُ قد قتلتُ الرجل ! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ؛ فقلت : فاز لعَمْرُو الله .

(شعر حسان فى تحريض بنى أبى براء على عامر) :

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت يحرّض بنى أبى بَراء على عامر بن الطُّفيل :

بَنِى أمِّ البَنِـين ألم يَرُعْكم ... وأنتم مِن ذَوائب أهْل نَجْدِ [3]
تَهكُّمُ عامرٍ بأبى بَراءٍ ... ليُخْفِرَهُ وَما خَطَأٌ كعَمْدِ

أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبى عليه الصلاة والسلام : من رجل يا محمد لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة » .

(١) حضرها ، أى حضر يوم بئر معونة .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) قال أبو ذر : يريد قول لبيد :

نحن بنى أم البنين الأربعه

وكانوا نجباء فرسانا ، ويقال إنهم كانوا خمسة ، لكن لبيدا جعلهم أربعة لإقامة القافية . . . وقال السهيلى : وإنما قال الأربعة وهم خمسة (طفيل وعامر وربيعة وعبيدة الوضاح ومعاوية ، ومعوذ الحكماء) لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض الناس ، وهو قول يعزى إلى الفراء . أنه قال أربعة ولم يقل خمسة ، من أجل القوافى . فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ، وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله فى قوله سبحانه وتعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » . وقال : أراد جنة واحدة ، وجاء بلفظة التثنية ليتفق رءوس الآى أو كلاما هذا معناه » . ثم قال السهيلى : « ومما يدلك على أنهم كانوا أربعة حين قال لبيد هذه المقالة ، أن فى الخبر ذكر يتم لبيد وصغر سنه ، وأن أعمامه الأربعة استصغروه أن يدخلوه معهم على النعمان حين همهم ما قاولهم به الربيع ابن زياد ، فسمعهم لبيد يتحدثون بذلك ويهتمون له ، فسألهم أن يدخلوه معهم على النعمان وزعم أنه سيفحمه ، فتهاونوا بقوله ، واختبروه بأشياء ، وكان من حديث ذلك أن دخل وأتى بين يديه قصيدته :

نحن بنى أم البنين الأربعه ... المطعمون الجفنة المدعدعه

والذوائب : الأعالى .

ألا أبْلِـغْ رَبِيعةَ ذا المَساعى فمَا أحدثتَ فى الحَدَثان بعَدِى[1]
أبُوك أبو الحُرُوب أبو براء وخالُك ماجدٌ حَكَم بنُ سَعْد

(نسب حكم وأم البنين) :

قال ابن هشام: حكم بن سعد : من القَيْن بن جَسْر ؛ وأمّ البنين : بنت عمرو[2] بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ، وهى أمّ أبى بَراء .

(طعن ربيعة لعامر) :

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعةُ (بن عامر) [3] بن مالك على عامر بن الطُّفيل ، فطَعنه بالرمح ، فوقع فى فخذه ، فأشْواه [4] ، ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبى بَراء ، إن أمُت فدَمى لعمّى ، فلا يُتْبَعَنّ به ، وإن أعش فسأرى رأيى فيما أُتِىَ إلىّ .

(مقتل ابن ورقاء ورثاء ابن رواحة له) :

وقال أنس بن عبَّاس السُّلَمىّ ، وكان خال طُعيمة بن عدىّ بن نوفل ، وقتَل يومئذ نافعَ بن بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعىّ :

تركتُ ابنَ وَرْقاءَ الخُزاعىّ ثاويا بمُعتَرَك تَسفى عليه الأعاصيرُ[5]
ذكرتُ أبا الرَّيان لما رأيتـه[6] وأيقنت أنى عنـد ذلك ثائر[7]

وأبو الرَّيان : طُعيمة بن عدىّ .

وقال عبدُ الله بن رَواحة يبكى نافع بن بُديل بن وَرْقاء :

رَحِم اللهُ نافعَ بن بُديلٍ رحمةَ المُبتغى ثَواب الجهادِ
صابر صادق وفىّ إذا ما أكثرَ القومُ قال قولَ السَّدادِ

---

(١) المساعى : السعى فى طلب المجد والمكارم .

(٢) قال السهيلى : « واسمها ليلى بنت عامر » فيما زعموا »

(٣) زيادة عن ا .

(٤) أشواه : أخطأ مقتله .

(٥) المعترك : الموضع الضيق فى الحرب . وتسفى : تأتى إليه بالتراب . والأعاصير : الرياح التى يلتف معها الغبار .

(٦) كذا فى أكثر الأصول والمؤتلف والمختلف والروض رواية عن إبراهيم بن سعد . وفى ا : « الزبان » وذكر أبو ذر أن الأولى هى الصواب فيه .

(٧) ثائر : آخذ بثأرى .

(شعر حسان فى بكاء قتلى بئر معونة) :

وقال حسَّان بن ثابت يبكى قَتلى بئر معونة ، ويخُص المُنذر بن عمرو :

على قَتْــلى مَعونةَ فاستَهِلِّى بدَمْعِ العَيْن سَحًّا غــيرَ نَزْرِ[١]
على خَيْل الرَّسولِ غداةَ لاقَوا مَناياهُم ولاقَتْهــم بقَــدْرِ[٢]
أصابهمُ الفَناءُ بعَقْــدِ قوْم تُخُوِّن عَقْدُ حَبْلهم بغَــدْرِ[٣]
فَيا لَهْفِى لمُنْــذِرِ إذْ تولَّى وأعنَق فى منيَّته بصَــبْرِ[٤]
وكائنْ قد أُصيب غداة ذاكُم منَ ابْيَضٍ ما جدٍ من سرّ عمرو[٥]

قال ابن هشام : أنشدنى آخرها بيتا أبو زيد الأنصارى .

(شعر كعب فى يوم بئر معونة) :

وأنشدنى لكعب بن مالك فى يوم بئر مَعونة ، يُعَيِّر بنى جعفر بن كلاب :

تركْتُم جاركم لبَنِى سُــلَيم مَخافةَ حَــرْبهم عَجزًا وهُونا[٦]
فلو حَبْلاً تناولَ من عُقَيل لَمَدَّ بحَبْلها حبــلا مَتينا[٧]
أو القُرَطاء ما إن أسْــلَموه وقِدْما ما وَفَوا إذ لا تَفُونا

(نسب القرطاء) :

قال ابن هشام: القُرطاء : قبيلة من هَوازن ، ويُروى « من نُفَيل » مكان « من عقيل » ، وهو الصحيح ؛ لأن القُرَطاء من نُفَيل قريب [٨] .

---

(١) استهل : أسيل دمعك . والسح : الصب ، والنزر : القليل .

(٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول :

ولاقتهم مناياهم بقدر

(٣) تخون : تنقص (بالبناء المجهول فيهما) .

(٤) أعنق : أسرع . والعنق بفتحتين : ضرب من السير سريع .

(٥) سر القوم : خيرهم وخالصهم .

(٦) الهون : الهوان ، والهون لغة الحجازيين .

(٧) يعنى « بالحبل » : العهد والذمة .

(٨) قال أبو ذر : « القرطاء : بطون من العرب من بنى كلاب ، وهم : قراط (بالضم) وقريط (بالتصغير) وقريط (بفتح فكسر) . ويسمون القروط أيضا » .

أمر إجلاء بنى النضير

فى سنة أربع

(خروج الرسول إلى بنى النضير يستعينهم فى دية قتلى بنى عامر وهمهم بالغدر به) :

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النَّضير [١] يَسْتعينهم فى دِية ذينك القتيلين من بنى عامر ، اللذين قَتل عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى ، للجوار الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما ، كما حدَّثنى يزيد بن رُومان ، وكان بين بنى النَّضير وبين بنى عامر عَقْد وحِلْف . فلمَّا أتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَسْتعينهم فى دِية ذَيْنك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم ، نُعينك على ما أحببْت ، مما استَعنت بنا عليه . ثم خلا بعضُهم ببعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجلَ على مثل حاله هذه — ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى جَنْب جِدار من بيوتهم قاعد — فمَنْ رجلٌ يعلُو على هذا البيت ، فيُلْقِى عليه صخرةً ، فيُريحنا منه ؟ فانتدَب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدُهم ، فقال: أنا لذلك ، فصَعد ليُلْقِىَ عليه صخرة كما قال ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نَفَر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعُمر وعلىّ ، رِضْوان الله عليهم .

(انكشاف نيتهم الرسول واستعداده لحربهم) :

فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما أراد القومُ ، فقام وخرج راجعا إلى المدينة . فلما استْلبث النبىَّ صلى الله عليه وسلم أصحابُه ، قاموا فى طَلبه ، فلقُوا رجلاً مُقبلاً من المدينة ، فسألوه عنه ؛ فقال : رأيته داخلا المدينة . فأقبل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انْتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبرَ ، بما كانت اليهودُ أرادتْ من الغَدْر به ، وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالتَّهيُّؤ لحَرْبهم ، والسَّيْر إليهم .

قال ابن هشام : [٢] : واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم .

---

(١) قال السهيلى : « ذكر ابن إسحاق هذه الغزوة فى هذا الموضع وكان ينبغى أن يذكرها بعد بدر » لما روى عقيل وغيره عن الزهرى قال : كانت غزوة بنى النضير بعد بدر بستة شهور .

(٢) فى ا : « فيما قال ابن هشام » وقد وردت هذه العبارة بعقب كلمة « مكتوم » .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالنَّاس [١] حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك فى شهر ربيع الأول ، فحاصرهم ستَّ ليال ، ونزل تحريم الخمر

(حصار الرسول لهم وتقطيع نخلهم) :

قال ابن إسحاق: فتحصَّنوا منه فى الحُصون ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقَطْع النَّخيل والتَّحْريق فيها ، فنادَوْه: أنْ يا محمد ، قد كنتَ تَنْهى عن الفَساد ، وتَعيبه على مَن صَنَعه ، فما بال قَطْع النخل وتحريقها [٢] ؟

(تحريض الرهط لهم ثم تحاولهم الصلح) :

وقد كان رَهْط من بنى عَوْف بن الخزرج ، منهم (عدُوّ الله) [٣] عبدُ الله بن أُبَىّ ابن سَلول (و [٤]) وديعة ومالك بن أبى قَوْقل ، وسُوَيد وداعِس ، قد بعثوا إلى بنى النَّضير : أن اثبتُوا وتمنَّعوا ، فإنَّا لن نُسلمكم ، إن قوتلتم [٥] قاتلنا معكم ، وإن أُخْرِجتم خرَجنا معكم ، فتربَّصوا ذلك من نَصْرهم ، فلم يفْعلوا ، وقَذف الله فى قلوبهم الرُّعب ، وسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُجْليَهم ويكفَّ عن دمائهم ، على أنَّ لهم ما حَملت الإبل من أموالهم إلا الحلْقة [٦] ، ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبل ، فكان الرجلُ منهم يَهْدِم بيتَه عن نِجاف [٧] بابه ، فيَضعه على ظَهْر بعيره فينطلق به . فخرَجوا إلى خَيْبَرَ ، ومنهم مَن سار إلى الشام.

(من هاجر منهم إلى خيبر) :

فكان أشرافُهم مَنْ سار منهم [٨] إلى خَيْبر : سلاّم بن أبى الحُقَيق ، وكِنانة ابن الرَّبيع بن أبى الحُقَيق ، وحُيَىّ بن أخْطب . فلما نزلوها دان لهم أهلُها .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٢) قال السهيلى : « قال أهل التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شىء حتى أنزل الله تعالى : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها . . . » الآية .

(٣) هذه العبارة ساقطة فى ا

(٤) زيادة عن ا .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قطتم » وهى ظاهرة التحريف .

(٦) الحلقة : السلاح كله ، أو خاص بالدروع .

(٧) النجاف (بوزن كتاب) : العتبة التى بأعلى الباب . والأسكفة : العتبة التى بأسفله .

(٨) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدِّث : أنهم استقلُّوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدُّفوف والمزامير ، والقِيان يعزفن خلفهم ، وإنَّ فيهم لأمَّ عَمْرو صاحبةَ عُرْوة بن الوَرْد العَبْسيّ ، التي ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بني غِفار [١] ، بزهاء [٢] وفخر ما رُئِيَ مثله من حيّ من الناس في زمانهم .

(تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين) :

وخلَّوُا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّةً ، يضعها حيث يشاء ، فقسّمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار . إلا أنّ سَهْل بن حُنَيف وأبا دُجانة سِماك ابن خَرَشة ذكرا فقرًا ، فأعطاهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [٣] .

(من أسلم من بني النضير) :

ولم يُسْلم من بني النَّضير إلا رجلان : يامينُ بن عُمير ، أبو [٤] كَعْب بن عمرو ابن جِحاش ، وأبوسعد بن وَهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها .

(تحريض يامين على قتل ابن جحاش) :

قال ابن إسحاق — وقد حدثني بعض آل يامين : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم ترمالقيتُ من ابن عمِّك ، وما همّ به من شأني ؟ فجعل يامينُ ابن عُمير لرجل جُعْلاً على أن يقتل له عَمْرو بن جِحاش ، فقتله فيما يزعمون .

(ما نزل في بني النضير من القرآن) :

ونزل في بني النَّضير سورةُ الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته . وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وماعمل به فيهم ، فقال

---

(١) هي سلمى . وقال الأصمعي : اسمها ليلى بنت شعواء . وقال أبو الفرج : «هي سلمى أم وهب» امرأة من كنانة كانت (ناكحة في مزينة) ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسباها . قال السهيلي : وكونها من كنانة لايدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار ، لأن غفار من كنانة ، فهو غفار بن مليل بن ضمرة ابن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . « راجع الروض الأنف للسهيلي » .

(٢) الزهاء : الإعجاب والتكبر .

(٣) قال السهيلي : « وقال غير ابن إسحاق : وأعطى ثلاثة من الأنصار » .

(٤) في الأصول : « ابن » والتصويب عن شرح السيرة لأبي ذر .

تعالى : « هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ١ ، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ » ، وذلك لهدْمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم إذا احتملوها . « فاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصَارِ ، وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ » وكان لهم من الله نقمة ، « لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا » : أى بالسيف ، « وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ » مع ذلك . « مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا » . واللينة : ما خالف العجوة من النخل « فَبِإِذْنِ اللَّهِ » : أى فبأمر الله قُطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نقْمة من الله « وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : اللِّينة : من الألوان ، وهى ما لم تكن برْنيَّةً ولا عَجْوة من النخل ، فيما حدّثنا أبو عُبيدة ٢ . قال ذو الرُّمَّة :

كأنّ قُتُودى فوقها عُش طائر ... على لِينةٍ سَوْقاءَ تَهْفو جُنُوبها٣

وهذا البيت فى قصيدة له .

« وما أفاءَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ » — قال ابن إسحاق : يعنى من بنى النَّضير — « فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » : أى له خاصة .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : أوجفتم : حركتم وأتعبتم فى السير . قال تميم بن أُبيّ بن مُقْبِل أحد بنى عامر بن صَعْصعة :

---

(١) قال السهيلى : روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له : إلى أين نخرج يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعنى أرض المحشر ، وهى الشام ؛ وقيل إنهم كانوا فى بسطة لم يصبهم جلاء قبلها . فلذلك قال : لأول الحشر ؛ والحشر : الجلاء .

(٢) فى ا : « قال ابن هشام : قال أبو عبيدة » .

مذاويد بالبيض الحَـديثِ صِقالها عن الرَّكب أحيانا إذا الركبُ أوْجَفوا[1]

وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الوجيفُ . (و[2]) قال أبو زبيد[3] الطائىّ ، واسمه حَرْمَلة بن المُنْذِر :

مُسْنفات كأنّهنّ قَنا الهِنْـدِ لطُول الوَجيف جَدْبَ المَرُود[4]

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : السِّناف : البِطان[5] . والوجيف (أيضاً) : وجيف القلب والكبد ، وهو الضَّربان . قال قيس بن الخَطيم الظَّفَرى :

إنّا وإن قَدَّموا التى علمُوا[6] أكْبادُنا مِنْ وَرائهم تَجِفُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

« ما أفاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنْ أهْلِ القُرَى فَلله وللرَّسُولِ » ــ قال ابن إسحاق : ما يُوجِف عليه المسلمون بالخيل والركاب ، وفُتح بالحرب عنوة فلله وللرسول ــ « وَلِذِى القُرْبَى واليَتامَى والمَساكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْلا يَكُونَ دُولَةً بينَ الأغْنِياءِ مِنكُمْ ، وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فخُذُوهُ ، وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا » . يقول : هذا قَسْم آخر فيما أُصيب بالحرب[7] بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : « أ لَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ نافَقُوا » يعنى عبدالله بن أُبَىّ وأصحابه ، ومَن كان على مثل أمرهم « يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أهْلِ الكِتابِ » : يعنى بنى النَّضير ، إلى قوله « كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبا

---

(١) المذاويد : جمع مذواد ، وهو الذى يدفع عن قومه . والبيض : السيوف . والحديث صقالها ، أى القريب عهدها بالصقل .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « زيد » وهو تحريف .

(٤) مسنفات : مشدودات بالسنف ، وهو الحزام . والجدب : القفر . والمرود : الموضع الذى يرتاده الرائد ، أى الطالب للرعى .

(٥) البطان : حزام منسوج .

(٦) فى م ، ر : « عملوا » .

(٧) فى م ، ر : « الحرب » .

ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » : يعنى بنى قَيْنُقَاع . ثم القصة ... إلى قوله : « كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلإِنْسانِ اكْفُرْ ، فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ ، فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فى النارِ خالِدَيْنِ فِيها ، وَذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ » .

(ما قيل فى بنى النضير من الشعر) :

وكان مما قيل فى بَنِى النَّضِير من الشعر قولُ ابن لُقَيْم العَبْسى ، ويقال : قاله قيس بن بَحْر بن طَرِيف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعى — فقال :

أَهْلِي فِداءٌ لامرئٍ غيرِ هالكٍ ... أَحَلَّ اليهودَ بالحَسِىِّ المُزَنَّمِ[1]

يَقِيلون فى جَمْرِ الغَضَاةِ وبُدِّلُوا[2] ... أُهَيْضِبُ[3] عُودِى[4] بالوَدِىِّ المُكَمَّمِ[5]

فإنْ يَكُ ظَنِّى صادقا بمُحَمَّدٍ ... تَرَوْا خَيْلَه بين الصَّلا ويَرَمْرَمِ[6]

---

(١) قال أبو ذر : « الحسى والحساء : مياه تغور فى الرمل تمسكها صلابة الأرض ، فإذا حفر عنها وجدت . والمزنم (على هذا القول) : المقلل اليسير . ومن رواه : بالحشى ، أراد به حاشية الإبل ، وهى صغارها وضعافها ، وهو الصواب . والمزنم (على هذا القول) : أولاد الإبل الصغار . وقد يكون المزنم (هنا) : المعز ، سميت بذلك الزنمتين اللتين فى أعناقها ، وهما الهنتان اللتان تتعلقان من أعناقها » .

وقال السهيلى : « يريد أحلهم دار غربة فى غير عشائرهم ، والزنيم والمزنم : الرجل يكون فى القوم وليس منهم ، أى أنزلهم بمنزلة الحسى ، أى المبعد الطريد ، وإنما جعل الطريد الذليل حسيا ، لأنه عرضة الآكل . والحسى والحسو : مايحسى من الطعام حسوا ، أى أنه لايمتنع على آكل . ويجوز أن يريد بالحسى معنى الغذى من الغنم ، وهو الصغير الضعيف . الذى لايستطيع الرعى ، يقال : بدلوا بالمال الدثر والإبل الكوم رذال المال وغذاء الغنم والمزنم منه . فهذا وجه يحتمل . وقد أكثرت التنقير عن الحسى فى مظانه من اللغة فلم أجد نصا شافيا أكثر من قول أبى على : الحسية والحسى : مايحسى من الطعام . وإذا قد وجدنا الغذى ، واحدة غذاء الغنم ، فالحسى فى معناه غير ممتنع أن يقال ، والله أعلم . والمزنم (أيضا) صغار الإبل » .

وقد يكون الحسى أيضا : الغصن من النبات . ويكون المزنم ماله زنم وهو الورق .

(٢) كذا فى ا . والغضاة : واحدة الغضى ، وهو شجر . وفى سائر الأصول : « العضاة » وهو شجر أيضا ؛ الواحدة : عضة .

(٣) كذا فى أكثر الأصول وشرح السيرة لأبى ذر . والأهيضب : المكان المرتفع . وفى ا « أهيصب » بالصاد المهملة .

(٤) كذا فى ا . قال أبو ذر : « غودى » : اسم موضع . ومن رواه : عودا ، فهو من عاد يعود ، أو الصواب رواية من رواه : « عودى » . وفى سائر الأصول : « عورى » .

(٥) الودى : صغار النخل . والمكم : الذى خرج طلعه .

(٦) الصلا ويرمرم : موضعان .

يَؤُمّ بها عمرو بن بُهثة إنهمْ عدوّ و ما حىّ صديق كمُجْرِمِ
عليهن أبطالٌ مساعيرُ فى الوَغَى يهزّون أطرافَ الوَشيج المُقَوّمِ[1]
وكُلّ رقيق الشَّفرتين مهنَّد تُوُورِثْن من أزمان عادٍ وجُرْهُمِ
فمَنْ مُبْلغٌ عنّى قُرَيْشا رِسالةً فهلْ بعدهم فى المجْدِ من مُتكرَّمِ
بأنَّ أخاكم فاطمَنَّ محمّداً تَليدُ النّدى بين الحَجون وزَمْزَمِ[2]
فدِينُوا له بالحقّ تَجْسُمْ أمُورُكم وتَسْموا من الدُّنيا إلى كل مُعْظَمِ[3]
نبىّ تلاقَتْه من الله رحمةٌ ولا تَسألُوه أمرَ غيْبٍ مُرَجّمِ[4]
فقد كانَ فى بَدْرٍ لعَمْرِى عِبْرةٌ لكم يا قُرَيْشا والقَليبِ المُلَمّمِ[5]
غداةَ أتَى فى الخَزْرَجيَّةِ عامِداً إليكم مُطيعا للعظيمِ المُكرَّمِ
مُعانا برُوح القُدُس يُنْكِى عَدُوّه رسولا مِنَ الرّحمن حقّاً بمَعْلَمِ[6]
رَسولا مِنَ الرّحمن يَتْلو كِتابَه فلمّا أنارَ الحَقُّ لم يتَلَعْثَمِ[7]
أرى أمرَه يَزْداد فى كلّ مَوْطن عُلُوّا لأمر حَمّه الله مُحْكَمِ[8]

قال ابن هشام: عمرو بن بُهثة، من غَطَفان. وقوله «بالحىّ المزنّم»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال علىّ بن أبى طالب: يذكر إجلاء بنى النضير، وقتْل كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قالها رجلٌ من المسلمين غير علىّ بن أبى طالب، فيما ذكر لى بعضُ أهل العلم بالشّعر، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلىّ:

---

(١) مساعير: يسعرون الحرب ويهيجونها. والوشيج: الرماح.
(٢) تليد. قديم. والندى: الكرم. والحجون: موضع بمكة.
(٣) فدينوا، أى أطيعوا. وتجسم: تعظم. وتسمو: ترفع.
(٤) المرجم: المظنون الذى لا يتيقن.
(٥) الململم: المجموع.
(٦) روح القدس: جبريل عليه السلام. وينكى عدوه: يبالغ فى ضرره. والمعلم: الموضع المرتفع المشرف.
(٧) لم يتلعثم: لم يتأخر ولم يتوقف.
(٨) حمه: قدره.

عرفتُ ومَنْ يَعْتَدِلْ يَعْرِفِ ... وأيْقَنْتُ حقًّا ولم أصْدِفِ[١]
عَنِ الكَلِمِ المُحكمِ اللاء[٢] من ... لدى الله ذى الرَّأفة الأرأفِ
رسائلُ تُدْرَس فى المُؤْمنين ... بهنَّ اصطفَى أحمدَ المُصْطَفَى
فأصبَح أحمدُ فينا عزيزًا ... عزيزَ المقامةِ والمَوْقِفِ[٣]
فيأيها المُوعِدوه سَفاها ... ولم يأتِ جَوْرًا ولم يَعْنُفِ[٤]
ألستم تخافُون أدنى العذابِ ... وما آمِنُ اللهِ كالأخْوَفِ
وأنْ تُصْرعوا تحت أسيافه ... كمَصْرع كعبٍ أبى الأشرفِ
غداةَ رأى اللهُ طُغْيانه ... وأعْرضَ كالجملِ الأجْنَفِ[٥]
فأنزَلَ جبريلَ فى قَتْله ... بوَحْىٍ إلى عَبْده مُلْطَفِ
فدَسَّ الرَّسولُ رسولا له ... بأبْيَضَ ذى هَبَّة مُرْهَفِ[٦]
فباتَتْ عُيُونٌ لهُ مُعْوِلاتٌ ... متى يُنْعَ كعبٌ لها تَذْرِفِ[٧]
وقُلْن لأحمد ذَرْنا قليلاً ... فإنَّا مِنَ النَّوْحِ لم نَشْتَفِ
فخلاَّهُمُ ثم قالَ اظْعَنُوا ... دُحورا على رَغْمِ الآنُفِ[٨]
وأجْلَى النَّضيرَ إلى غُرْبةٍ ... وكانوا بدارِ ذوى زُخْرُفِ[٩]
إلى أذرعاتٍ رُدَافَى وهُم ... على كلِّ ذى دَبَرٍ أعْجَفِ[١٠]

---

(١) لم أصدف : لم أعرض .

(٢) فى ا : « الآى » .

(٣) المقامة (بضم الميم) : موضع الإقامة .

(٤) الموعدوه : المهددوه . والسفاه : الضلال . ولم يعنف : لم يأت غير الرفق .

(٥) الأجنف : المائل إلى جهة .

(٦) بأبيض : يعنى سيفا . والهبة : الاهتزاز . والمرهف : القاطع .

(٧) معولات : باكيات بصوت . وينعى : يذكر خبر قتله . وتذرف : تسيل بالدموع .

(٨) اظعنوا : ارحلوا . والدحور (بالدال المهملة) : الذل والهوان . وعلى رغم الآنف : على المذلة ؛ يقال : أرغم الله أنفه ، إذا أذله . والآنف : جمع أنف .

(٩) الغربة (بضم الغين) : الاغتراب . (ويفتح الغين) : البعد . والزخرف : الزينة وحسن التنعم .

(١٠) أذرعات : موضع بالشام . وردافى : أى مرتدفين يردف بعضهم بعضا ؛ الواحد : ردف (كسرى وسكارى) . ويروى : ردافا ، وهو بهذا المعنى . وذو دبر أعجف : يعنى جملا . والدبر : جرح . والأعجف : الهزيل الضعيف .

فأجابه سَمّاك [1] اليهوديّ ، فقال :

إنْ تَفْخَرُوا فَهُوَ فَخْرٌ لكم   بِمَقْتَلِ كَعْبٍ أبى الأشْرف

غَــداةَ غَدَوْتُم على حَتْفِــه   ولم يَأتِ غدرًا ولم يُخْلِف

فَعَلَّ اللّيالى وَصَرْفَ الدُّهُور   يُديل [2] مِنَ العادِل المُنْصِف [3]

بِقَتْلِ النَّضِــير وأحْــلافِها   وعَقْرِ النَّخِيل ولم تُقْطَف [4]

فإنْ لا أمُتْ نَأتِكُم بالقَنَا   وكلّ حُسامٍ مَعًا مُرْهَف [5]

بكفُّ كَمِيٌّ به يَحْتَمِى   مَتى يَلْقَ قِرْنًا له يُتْلِف [6]

مَعَ القَوْم صَخْرٌ وأشْــياعُه   إذا غاوَرَ القَوْمَ لم يَضْعُف [7]

كَلَيْثٍ بِتَرْجٍ حَمَى غِيــلَه   أخِى غابَةٍ هاصِرٍ أجْوَف [8]

(شعر كعب فى إجلاء بنى النضير وقتل ابن الأشرف) :

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النَّضير وقَتْل كعب ابن الأشرف :

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « سمال » وهو تحريف .

(٢) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . ويديل : من الدولة ، أى تصيب منه مثل ما أصاب منا . وفى ا : « يدين » وفى سائر الأصول : « يدان » .

(٣) ويريد بالعادل المنصف : النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو ذر : فإن قيل : كيف قال اليهودى فيه : العادل المنصف ، وهو لا يعتقد ذلك ؟ فالجواب أن يقال : أن يكون ذلك مما لفظه لفظ المدح ومعناه الذم ، مثل قوله تعالى : « ذق إنك أنت العزيز الكريم » وكما قال الآخر :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة   ومن إساءة أهل السوء إحسانا

فهذا إن كان ظاهره المدح ، فمعناه الذم .

(٤) الأحلاف : جمع حلف ، وهو الصاحب . ويروى : « وإجلائها » يعنى وإخراجها من بلادها . ولم تقطف (بفتح الطاء) لم يؤخذ ثمرها ؛ ويروى بكسر الطاء ، أى لم تبلغ زمن القطاف .

(٥) الحسام المرهف : السيف القاطع .

(٦) الكمى : الشجاع . والقرن : الذى يقاومك فى قتال .

(٧) صخر : هو أبو سفيان بن حرب .

(٨) ترج : جبل بالحجاز تنسب إليه الأسود . والغيل : أجمة الأسد . والهاصر : الذى يكسر فريسته إذا أخذها . والأجوف : العظيم الجوف .

لقد خزيت بغدرتها الحبور   كذاك الدهر ذو صرف يدور[١]
وذلك أنهم كفروا برب   عزيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معا فهما وعلما   وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا   وآيات مبينة تنير
فقالوا ما أتيت بأمر صدق   وأنت بمنكر منا جدير[٢]
فقال بلى لقد أديت حقا   يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد   ومن يكفر به يجز الكفور
فلما أشربوا غدرا وكفرا   وحاد بهم[٣] عن الحق النفور
أرى الله النبي برأي صدق   وكان الله يحكم لا يجور
فأيده وسلطه عليهم   وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريعا   فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته   بأيدينا مشهرة ذكور[٤]
بأمر محمد إذ دس[٥] ليلا   إلى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر   ومحمود أخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء   أبارهم بما اجترموا المبير[٦]
غداة أتاهم في الزحف رهوا   رسول الله وهو بهم بصير[٧]
وغسان الحماة موازروه   على الأعداء وهو لهم وزير
فقال السلم[٨] ويحكم فصدوا   وحالف[٩] أمرهم كذب وزور

(١) الحبور : جمع حبر ، وهو العالم ، ويقال في جمعه : أحبار (أيضا) ويريد «بالحبور» : علماء اليهود .

(٢) جدير : حقيق وخليق .

(٣) كذا في شرح السيرة لأبي ذر : «وحادبهم» ، أي مال بهم . وفي جميع الأصول : «وجد بهم» .

(٤) مشهرة ذكور : سيوف مسلولة من أغمادها ، قوية قاطعة .

(٥) في ا : «دش» (بالشين المعجمة) .

(٦) أبارهم : أهلكهم . واجترموا : كسبوا .

(٧) الرهو : مشي في سكون .

(٨) السلم (بفتح السين وكسرها) : الصلح .

(٩) كذا في ا وشرح السيرة ، وحالف : صاحب — وفي سائر الأصول : «وخالف» بالخاء المعجمة .

فذاقوا غِبَّ أمْرِهِمَ وَبالاً لكُلّ ثلاثةٍ منهُمْ بَعيرُ[1]
وأجْلَوْا عامِدِينَ لقَيْنُقاع وغُودر منهمُ نَخْلٌ ودُورُ[2]

(شعر سماك في الرد على كعب) :

فأجابه سَمّاك اليهوديّ ، فقال :

أرِقتُ وضافَني همّ كَبيرُ بليْلٍ غيرُه ليلٌ قَصيرُ[3]
أرَى الأحْبار تُنْكِره جميعا وكلُّهمُ له عِلْمٌ خَبيرُ
وكانوا الدّارِسين لكلّ عِلْمٍ به التّوْراة تَنْطِق والزّبُور
قَتَلْتم سَيّد الأحْبار كَعْبا وقِدْماً كانَ يَأْمن مَنْ يُجير
تَدَلّى نحو محمودٍ أخيه ومحمودٌ سريرته الفُجُور
فغادَره كأنّ دَمًا نَجيعا يَسيل على مَدارِعه عَبيرُ[4]
فقد وأبيكُم وأبي جميعا أُصيبتْ إذ أُصيبَ به النّضير
فإنْ نَسْلَم لكم نترك رِجالاً بكعْبٍ حوَلهُم طَيْرٌ تَدُور
كأنهم عَتائر يومِ عيدٍ تُذَبّحُ وَهْيَ ليس لها نَكيرُ[5]
ببِيضٍ لا تُلِيقُ لهُنّ عَظْماً صَوَافِي الحَدّ أكثرُها ذُكُورُ[6]
كما لاقَيْتمُ مِن بأسِ صَخْرٍ بأُحْدٍ حيثُ ليس لكم نصيرُ[7]

(شعر ابن مرداس في امتداح رجال بني النضير) :

وقال عباسُ بنُ مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني النضير :

---

(١) الوبال : النكال .

(٢) عامدين : قاصدين . وقينقاع : قبيلة من اليهود .

(٣) أرقت : امتنع النوم عني . وضافني : نزل بي .

(٤) النجيع : الدم الطرى . والمدارع : جمع مدرعة ، وهي ثوب يلبس . وقال بعضهم : لاتكون المدرعة إلا من صوف . ويروى : (مذارعه) . بالذال المعجمة ، والمذارع من البعير والدابة : قوائمهما ؛ وأراد به هنا : اليدين والرجلين . والعبير : الزعفران .

(٥) العتائر جمع عتيرة ، وهي الذبيحة .

(٦) لاتليق : لاتبقى .

(٧) صخر : هو أبو سفيان بن حرب .

لو أنّ أهلَ الدّار لم يتصدّعُوا ... رأيتَ خِلال الدارِ مَلْهًى ومَلعبا[1]

فإنّك عَمْرى هل أُريك ظَعائنا[2] ... سَلَكْنَ على رُكن الشَّطاة[3] فتَيأّبا[4]

عليهن عِينٌ[5] من ظباء تَبالة ... أوانسُ يُصْبِين الحليمَ المُجرَّبا[6]

إذا جاء باغى الخير قُلْنَ فُجاءةً ... له بوجُوهٍ كالدّنانير مَرْحبا

وأهلاً فلا مَمْنوع خيرٍ طَلَبْتَه ... ولا أنت تَخشى عندنا أن تُؤنَّبا

فلا تَحسبنِّى كنت مولى ابن مِشكم ... سَلامٍ ولا مَوْلى حُيَىِّ بن أخْطبا[7]

(شعر خوات فى الرد على ابن مرداس) :

فأجابه خوّات بن جُبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال :

تُبَكِّى على قَتْلَى يهودَ وقد ترى ... مِن الشَّجْو لو تَبكى أحبَّ وأقرَبا[8]

فهَلاَّ على قَتْلَى ببَطْن أُرَيْنِق ... بكيْتَ ولم تُعْوِل من الشَّجو مُسْهِبا[9]

إذا السِّلْم دارت فى صديق رددتَها ... وفى الدين صَدّاداً وفى الحَرْب ثَعْلبا[10]

عمدتَ إلى قَدْرٍ لقَوْمِك تبتغى ... لهم شَبَها كيْما تَعِزّ وتَغلِبا

فإنّك لمّا أنْ كَلِفْتَ تمَدُّحا ... لمن كان عَيْبا مدحُه وتكذُّبا

رحلْتَ بأمرٍ كنتَ أهلاً لمثْله ... ولم تُلْفِ فيهم قائلاً لك مَرْحَبا

فهَلاّ إلى قَوْمٍ مُلُوكٍ مدحتَهم ... تَبَنَّوْا مِن العزّ المُؤَثَّل مَنْصِبا[11]

---

(١) لم يتصدعوا : لم يتفرقوا .

(٢) الظعائن : النساء فى الهوادج .

(٣) كذا فى ا وشرح السيرة لأبى ذر . والشطاة (بالطاء المهملة) : موضع . وفى سائر الأصول : « الشظاة » .

(٤) تيأب : موضع .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . والعين : جمع عيناء ، وهى الكبيرة العين وفى ا : « عير » .

(٦) تبالة : موضع اليمن . ويصبين : يذهبن العقل .

(٧) المولى (هنا) : الحليف والصاحب .

(٨) الشجو : الحزن .

(٩) أرينق (بالراء والزاى) : موضع . ولم تعول : لم ترفع صوتك بالبكاء . والمسهب : المتغير الوجه

(١٠) الصداد : الذى يصد عن الدين والحق . وثعلبا ، أى كثير الروغان ، أى لا يصدق فى الحرب .

(١١) المؤثل : القديم .

إلى مَعْشَرٍ صاروا مُلوكا وكُرِّمُوا ... ولم يُلْفَ فيهم طالبُ العُرْفِ مُجْدِبا[1]
أولئك أحْرَى مِن يَهُودَ بِمِدْحةٍ ... تراهُم وفيهم عِزّةُ المَجْد تُرْتُبا[2]

(شعر ابن مرداس في الرد على سموات) :

فأجابه عبّاس بن مرداس السلميّ ، فقال :

هجوْتَ صريحَ الكاهنَيْن وفيكُم ... لهم نِعَمٌ كانت مز الدّهر تُرْتُبا[3]
أولئك أحْرَى لو بكَيْتَ عليهم ... وقومُك لو أدَّوا من الحقّ مُوجبَا
من الشُّكر إنّ الشكرَ خيرٌ مَغَبّةً ... وأوفقُ فعلاً للذى كان أصْوَبا[4]
فكُنْتَ كَمَن أمسَى يُقطِّع رَأسه ... لِيَبْلُغ عِزّا كان فيه مُرَكَّبا
فبكِّ بنى هارون واذكُر فَعالَهُم ... وقتْلَهم للجُوع إذ كنتَ مُجْدِبا
أسموّاتُ أذرِ الدَّمعَ بالدّمع وابكِهم ... وأعرِضْ عن المكْرُوه منهم ونَكِّبا[5]
فإنّك لو لاقيتَهم فى دِيارِهم ... لألْفيتَ عمّا قد تَقُول مُنَكَّبا
سِراعٌ إلى العَلْيا كِرامٌ لدَى الوَغَى ... يُقالُ لباغِي الخَيْر أهلاً ومَرْحبا

(شعر لكعب أو ابن رواحة فى الرد على ابن مرداس) :

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رَوَاحة ، فيما قال ابن هشام ، فقال .

لعَمرى لقد حكّتْ رَحى الحرب بعدما ... أطارَتْ لُؤَيًّا قبلُ شَرْقًا ومَغْربا
بقيّةَ آل الكاهنَيْن وعِزّها ... فعادَ ذليلاً بَعد ما كان أغْلَبا[6]
فطاحَ سَلامٌ وابنُ سَعْية عَنْوةً ... وقِيدَ ذليلاً للمَنايا ابنُ أخْطَبا[7]

---

(١) مجدب : من الجدب ، وهو القحط وقلة الخير .

(٢) ترتب : (بضم التاء الثانية وفتحها) : ثابت . والتاء الأولى فيه زائدة ، وهو من « رتب » عند سيبويه .

(٣) الصريح : الخالص النسب . والكاهنان : قبيلان من يهود المدينة ، يزعمون أنهم من ولد هارون عليه السلام . ويروى : « الكاهنين » للجمع .

(٤) خير مغبة ، أى خير عاقبة بعد .

(٥) نكب : عرج عنهم .

(٦) الأغلب : الشديد .

(٧) طاح : ذهب وهلك . والعنوة : القهر والذلة .

وأجْلَبَ [١] يَبْغِي العزَّ والذلَّ يَبْتَغي   خِلافَ يَدَيْهِ ما جَنَى حين أجلبا
كتارك سَهْل الأرضِ والحَزْنُ هَمُّهُ   وقد كان ذا في الناس أكْدَى وأصعبا [٢]
وشأسٌ وعَزَّال وقد صَلِيا بها   وما غُيِّبا عن ذاك فيمن تَغَيَّبا
وعَوْفُ بن سَلْمى وابن عَوْفٍ كلاهما   وكَعْبٌ رئيسُ القوم حان وخُيِّبا [٣]
فبُعْدًا وسُحْقًا للنَّضِير ومثلها   إن اعقبَ فتحٌ أو إن الله أعْقَبا [٤]

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد بنى النَّضير بَنِى المصْطلق . وسأذكر حديثَهم إن شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن إسحاق فيه .

غزوة ذات الرقاع

فى سنة أربع

(الأهبة لها) :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النَّضير شهرَ ربيع الآخر وبعضَ جُمادَى [٥] ، ثم غزا نجدًا يُريد بنى مُحارب وبنى ثَعْلبة من غَطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذَرّ الغفارىّ [٦] ؛ ويقال : عثمان ابن عفَّان ، فيما قال ابن هشام :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا « وأحلب » . قال أبو ذر : « من رواه بالجيم ، فمعناه جمع وصاح ، ومن رواه بالحاء المهملة . فمعناه جمع (أيضا) ، إلا أن الذى بالجيم لايكون إلا مع صياح » .

(٢) الحزن : ما علا من الأرض . وأكدى : لم ينجح فى سعيه ؛ يقال : أكدى الرجل فى حاجته ، إذا لم يظفر بها .

(٣) حان : هلك .

(٤) إن الله أعقبا : أى إن الله جاء بالنصر عليهم .

(٥) قال الزرقانى : « وعند ابن سعد وابن حبان أنها كانت فى المحرم سنة خمس » وجزم أبو معشر أنها بعد بنى قريظة .

(٦) قال الزرقانى : « قاله ابن إسحاق ، وتعقبه ابن عبد البر بأنه خلاف ما عليه الأكثر ، وبأن أبا ذر لما أسلم بمكة رجع إلى بلاده فلم يجىء إلا بعد الخندق » .

(سبب تسميتها بذات الرقاع) :

قال ابن إسحاق : : حتّى نزل نخلا [1] ، وهى غزوة ذات الرّقاع .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرّقاع ، لأنهم رقّعوا فيها راياتهم ؛ ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرّقاع [2] .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعا عظيما [3] من غطفان ، فتقارب النّاسُ ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضُهم بعضاً ، حتّى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنّاس صلاة الخوْف ، ثم انصرف بالناس .

(صلاة الخوف) :

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التّنُّورىّ — وكان يُكْنى : أبا عُبَيدة [4] — قال : حدثنا يونس بن عُبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوْف ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] بطائفة ركْعتين ثم سلّم ، وطائفة مُقْبِلون على العدوّ . قال : فجاءوا فصلى بهم ركعتين أُخريين ، ثم سلّم .

قال ابن هشام: وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : صفّنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفّين ، فركع بنا جميعا ،

---

(١) نخل : موضع بنجد من أرض غطفان . (راجع معجم البلدان) .

(٢) قال أبو ذر : « إنما قيل لها ذات الرقاع ، لأنهم نزلوا بجبل يقال له ذات الرقاع . وقيل أيضا : إنما قيل لها ذلك ، لأن الحجارة أو هنت أقدامهم ، فشدوا رقاعا ، فقيل لها : ذات الرقاع » .

وقال السهيلى بعد ما عرض رأى ابن هشام « وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود ، وبقع بيض ، كلها مرقعة برقاع مختلفة ، قد سميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغزاة ، وأصح هذه الأقوال كلها ما رواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى ، قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، ونحن ستة بيننا بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماى وسقطت أظفارى ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا » .

وقال الزرقانى فى شرح المواهب بعد ماساق كلاما لايخرج عن هذا : « وهى غزوة محارب ، وغزوة بنى ثعلبة ، وغزوة بنى أنمار ، وغزوة صلاة الخوف ، لوقوعها بها ، وغزوة الأعاجيب . لما وقع فيها من الأمور العجيبة » .

(٣) فى ا : « جمعا من غطفان » .

(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٥) كذا فى ا . وزادت سائر الأصول : « صلاة الخوف ثم انصرف بالناس . قال ابن هشام » .

ثم سجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصفُّ الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلُونهم بأنفسهم ، ثم تأخَّر الصفّ الأوّل ، وتقدّم الصفّ الآخر حتى قاموا مقامَهم ثم ركع النبيُّ صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلُونه معه ؛ فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم ، فركع النبيّ صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كلّ واحد منهما بأنفسهم سجْدتين .

قال ابن هشام [1] : حدثنا عبدالوارث بن سعيد التَّنُّورى ، قال : حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلى عدوّهم ، فيركع بهم الإمام ويَسْجد بهم ، ثم يتأخَّرون فيكونون مما يلى العدوّ ، يتقدّم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ، ويسجد بهم ، ثم تصلى كلّ طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلَّوْا بأنفسهم ركعةً ركعة .

(غورث وماهم به من قتل الرسول) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن عُبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلا من بنى مُحارب ، يقال له: غَوْرَث [2] ، قال لقومه من غَطَفان ومُحارب : ألا أقتُل لكم محمدًا ؟ قالوا : بلى، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيفُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حِجره ، فقال : يا محمد ، أنْظُر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم — وكان مُحلًّى بفضة، فيما قال ابن هشام — قال: فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزّه ، ويَهُم فيكْبِته الله [3] ، ثم قال: يا محمد ، أما تخافنى ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافنى وفى يدَى السَّيف ؟ قال:لا ، يمنعنى (الله [4]) منك.ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردّه عليه . قال : فأنزل الله : « يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ هَمَّ قَوْمٌ أنْ يَبْسُطُوا

---

(١) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٢) يحكى بالفتح على وزن جعفر ، كما يحكى بضم أوله . ووقع عند الخطيب بالكاف بدل المثلثة ؛ وحكى الخطابى فيه غويرث ، بالتصغير (راجع شرح المواهب) .

(٣) يكبته الله : يذله ويقمعه .

(٤) زيادة عن ا .

إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » .

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رُومان : أنها إنما أنزلت فى عَمْرو بن جِحاش ، أخى بنى النَّضير وما همّ به ، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

(جابر وقصته هو وجمله مع الرسول) :

قال ابن إسحاق: وحدثنى وهب بن كَيْسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غَزْوة ذات الرّقاع من نخل ، على جمَل لى ضعيف ؛ فلما قفَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : جعلت الرِّفاق[1] تمضى ، وجعلت أتخلّف ، حتى أدركنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالك يا جابر ؟ قال: قلت : يا رسول الله ، أبطأ بى جملى هذا ؛ قال : أنخه ؛ قال : فأنختُه ، وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ثم قال : أعطنى هذه العصا من يدك ، أو اقطع لى عصا من شجرة ؛ قال : ففعلت . قال : فأخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فنخَسه بها نَخَسات ، ثم قال: اركب ، فركبتُ ، فخرج ، والذى بعثه بالحقّ ، يُواهق [2] ناقتَه مُواهقة .

قال : وتحدّثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : أتبيعنى جملك هذا يا جابر؟ قال : قلت: يا رسول الله ، بل أهَبه لك ؛ قال : لا ، ولكن بِعْنيه ؛ قال : قلت : فسُمْنيه يا رسول الله ؛ قال : قد أخذته بدرهم ؛ قال : قلت : لا ، إذن ، تغبِنُنى يارسول الله ! قال : فبدرهمين ؛ قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأوقيّة . قال : فقلت : أفقد رضيتَ يا رسولَ الله ؟ قال : نعم ؛ قلت : فهو لك ؛ قال : قد أخذته . قال: ثم قال : ياجابر ، هل تزوّجتَ بعد؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيّبا أم بكرًا ؟ قال: قلت : لا ، بل ثيِّبا ؛ قال : أفلا جارية تُلاعبها وتلاعبك ! قال: قلت : يا رسول الله ، إن أبى أُصيب يوم أُحُد وترك بنات له سبْعا ، فنكحت

---

(١) فى ا : « الرقاع » ولا معنى لها .

(٢) يواهق ناقته : يعارضها فى المشى لسرعته .

امرأةً جامعةً ، تجمع رءوسهنّ ، وتقوم عليهنّ ؛ قال : أصبتَ إن شاء الله ، أما إنَّا لو قد جئنا صِرَاراً [١] أمَرْنا بجزور فنُحرت ، وأقمنا عليها يومَنا ذاك ، وسمعت بنا ، فنفَضَتْ نمارقَها [٢] . قال : قلت : والله يا رسول الله ما لنا من نمارق ؛ قال : إنها ستكون ، فاذا أنت قدِمت فاعمل عملاً كيِّسا . قال : فلما جئنا صراراً أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنُحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ؛ فلما أمسى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ؛ قال : فحدثتُ المرأة الحديثَ ، وما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فدُونك ، فسمع [٣] وطاعة . قال : فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجمل ، فأقبلتُ به حتى أنختُه على باب [٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ثم جلستُ فى المسجد قريبا منه ؛ قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى الجمل ؛ فقال : ماهذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، هذا جمل جاء به جابر ؛ قال : فأين جابر ؟ قال : فدُعيتُ له ؛ قال : فقال : يابن أخى خُذ برأس جملك ، فهو لك ، ودَعا بلالاً ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أُوقية . قال : فذهبت معه ، فأعطانى أوقية ، وزادنى شيئا يسيرا . قال : فوالله ما زال يَنْمِى عندى ، ويُرى مكانه من بيتنا ، حتى أُصيب أمسِ فيما أُصيب لنا يعنى يوم الحَرَّة [٥] .

---

(١) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة . (راجع معجم البلدان) .

(٢) النمارق : جمع نمرقة ، وهى الوسادة الصغيرة .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فسمع » .

(٤) فى ا : « على باب مسجد » .

(٥) يريد وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المرى ، الذى يسميه أهل المدينة : مسرف بن عقبة . وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية ، وأخرجوا مروان ابن الحكم وبنى أمية ، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل ، الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد . ولم يوافق على هذا الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم .

وكان من أمر جابر هذا فى هذا اليوم أنه أخذ يطوف فى أزقة المدينة ، والبيوت تنتهب وهو أعمى ، وهو يعثر فى القتلى ، ويقول : تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد حديثه صلى الله عليه وسلم : من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبى فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره مروان ، وأدخله بيته . (راجع الروض الأنف) .

(ابن ياسر وابن بشر ، وقيامهما على حراسة جيش الرسول ، وما أصيبا به) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمى صَدَقة [١] بن يَسار ، عن عَقِيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرِّقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المُشركين ؛ فلما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجُها وكان غائبا ؛ فلما أُخبر الخبر حلَف لاينتهى حتى يُهَرِيق فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم دما ، فخرج يتبع أثَر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فقال : من رَجل يكلؤنا [٢] ليلَتنا (هذه) [٣] ؟ قال : فانتدبَ رجلٌ من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ؛ قال : فكونا بفَم الشِّعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه قد نزلوا إلى شِعب من الوادى ، وهما عمَّار بن ياسر وعبَّاد بن بِشْر ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فَم الشِّعب ، قال الأنصاريُّ للمهاجرىّ أىَّ الليل تحبّ أن أكفيكه : أوّله أم آخرَه ؟ قال : بل اكفنى أوّله ؛ قال : فاضطجع المهاجرىّ فنام ، وقام الأنصارى يصلى ؛ قال : وأَتى الرجل ، فلما رأى شخصَ الرجلِ عرَف أنه رَبيئة [٤] القوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ؛ قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائما ؛ قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائما ؛ ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ؛ قال : فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهبَّ [٥] صاحبَه فقال : اجلس فقد أُثبِتُّ [٦] ، قال : فوثبَ

---

(١) صدقة هذا عزورى سكن مكة ، وليس بعم محمد بن إسحاق . قال أبو ذر : « وقد خرجه أبو داود عن محمد بن إسحاق ولم يذكر فيه « عمى » .

(٢) يكلؤنا : يحفظنا .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) الربيئة : الطليعة التى يحرس القوم .

(٥) أهب : أيقظ .

(٦) كذا فى أكثر الأصول . وأثبت : جرحت جرحا لايمكن التحرك معه . وفى : ا « أثبت » . وأثبت : أصيبت .

فلما رآهما الرجلُ عرف أن [١] قد نَذِرا [٢] به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجرىّ ما بالأنصارىّ من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أهبيتنى أوّل مارماك ؟ قال : كنت فى سُورة أقرؤها فلم أُحبّ أن أقطعها حتى أُنْفِدَها ، فلما تابع علىّ الرّمْىَ ركعتُ فآذنْتك ، وايم الله، لولا أن أُضيّع ثغرًا أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحفظه ، لقَطع نفسى قبل أن أقطعها أو أُنْفِدَها .

(رجوع الرسول) :

قال ابن هشام : ويقال : أنفذها .

قال ابن إسحاق : ولما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرّقاع ، أقام بها بقية جمادَى الأولى وجمادَى الآخرة ورجبا .

غزوة بدر الآخرة

فى شعبان سنة أربع

(خروج الرسول) :

قال ابن إسحاق : ثم خرج فى شعبان إلى بَدْر ، لميعاد أبى سفيان ، حتى نزله .

(استعماله ابن أبى على المدينة) :

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبدَالله بن عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول الأنصارىّ .

(رجوع أبىّ سفيان فى رجاله) :

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانىَ ليال ينتظر أبا سُفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكّة حتى نزل مَجنّة ، من ناحية الظّهران ؛ وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسْفان ، ثم بدا له فى الرجوع ، فقال : يا معشر قريش ، إنه لايصلحكم إلاّ عامٌ خَصيب تَرْعون فيه الشّجر ، وتَشْربون فيه اللبن ، وإنّ عامكم هذا عامُ جدْب ،

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أنه » .

(٢) نذرا به : علما .

وإنى راجعٌ ، فارجعوا ، فرجع الناس . فسمّاهم أهلُ مكة جيش السَّويق ، يقولون: إنما خرجتم تَشْرَبون السَّويق .

(الرسول ومخشى الضمرى) :

وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بَدر ينتظر أبا سُفيان لميعاده ، فأتاه مَخْشِي بن عَمْرو الضَّمْرى، وهو الذى كان وادَعه على بنى ضَمْرة فى غزوة ودّان ، فقال : يامحمد ، أجئتَ للقاء قُريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، يا أخا بنى ضَمْرة ، وإن شئتَ مع ذلك رَددنا إليك ماكان بيننا وبينك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك ، قال : لا والله يامحمد ، مالنا بذلك منك من حاجة .

(معبد وشعره فى ناقة الرسول هوت) :

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سُفيان ، فمرّ به مَعْبد بن أبى مَعْبد الخُزاعى ، فقال ، وقد رأى مكان [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تَهوى[2] به :

قد نفرَتْ من رُفْقَتَىْ مُحَمَّدِ ... وعَجْوَةٍ من يَثْرِب كالعَنْجَدِ [3]
تَهْوى على دِين أبيها الأتْلَدِ ... قد جعلَتْ ماءَ قُدَيْد مَوْعِدى [4]
وماءَ ضَجْنان [5] لها ضُحَى الغَدِ

(شعر لابن رواحة أو كعب فى بدر) :

وقال عبدُ الله بن رَوَاحة فى ذلك ــ قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك :

وَعَدْنا أباسُفْيانَ بدراً فلم نَجِدْ ... لميعاده صِدْقاً وما كان وافيا
فأُقْسِم لو وافيْتَنا فلقيتنا ... لأُبْتَ ذَميا وافتقَدْتَ المَواليا [6]

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وقد كان رسول الله .. الخ » .

(٢) تهوى : تسرع .

(٣) العنجد : حب الزبيب ، ويقال : هو الزبيب الأسود .

(٤) الدين : الدأب والعادة . والأتلد : الأقدم . وقديد : موضع قرب مكة .

(٥) ضجنان (بالفتح وبالتحريك) : جبل بناحية تهامة ، وقيل على بريد من مكة . (راجع معجم البلدان) .

(٦) افتقدت : فقدت . والموالى : القرابة .

تركْنا به أوصالَ عُتْبة وابنه ... وعمراً أبا جَهْل تركْناه ثاوِيا[1]
عصيْتم رسولَ الله أُفٌّ لدينكم ... وأمْركم السّيّء الذى كان غاويا[2]
فإنّى وإن عنّفتمونى لقائلٌ ... فِدًى لرسول الله أهلى وماليا[3]
أطَعْناه لم نَعْدلْهُ فينا بغَيْره ... شِهابا لنا فى ظُلْمة الليل هاديا[4]

(شعر حسان فى بدر) :

وقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

دعُوا فَلَجات الشّام قد حال دُونَها ... جِلادٌ كأفواه المخاضِ الأوارِك[5]
بأيْدى رِجالٍ هاجرُوا نحو ربِّهم ... وأنصاره حقًّا وأيْدى المَلائك
إذا سلكتْ للغَوْرِ من بَطْنِ عالج ... فقُولا لها ليس الطّريق هنالك[6]
أقمْنا على الرّسِّ النَّزوع ثمانيا ... بأرْعنَ جرّارٍ عَريض المَبارِك[7]
بكُلِّ كُمَيْت جَوْزُه نِصْف خلْقه ... وقُبٍّ طوالٍ مُشْرِفات الحَوارِك[8]
ترَى العَرْفَج العامىَّ تَذْرى أصولَه ... مَناسِمُ أخفاف المَطِىِّ الرّواتِك[9]
فإنْ نَلْقَ فى تَطْوافِنا والتماسنا ... فُراتَ بن حيّان يكُنْ رَهنَ هالك
وإن تَلْقَ قَيْس بن امرئِ القَيْس بعده ... يُزَدْ فى سوادٍ لونُه لونُ حالك[10]

(١) ثاويا : مقيما .

(٢) السيء (بالتخفيف) : السيء (بالتشديد) .

(٣) عنفتمونى : لمتمونى .

(٤) لم نعدله : لم نر معه غيره .

(٥) الفلجات : جمع فلج ، وهو الماء الجارى ؛ سمى فلجا لأنه قدع فى الأرض ، وفرق بين جانبيه . والمخاض : الحوامل من الإبل . والأوارك : التى ترعى الأراك ، وهو شجر .

(٦) الغور : المنخفض من الأرض . وعالج : مكان فيه رمل كثير .

(٧) الرس : البئر . والنزوع : التى يخرج ماؤها بالأيدى . والأرعن : الجيش الكثير الذى له أتباع وفضول .

(٨) الكميت : الفرس . وجوزه : وسطه ، ويريد بطنه . وقب : جمع أقب ، وهو الضامر . والحوارك جمع حارك ، وهو أعلى الكتفين من الفرس .

(٩) العرفج : نبات . والعامى : الذى أتى عليه العام . وتذرى أصوله : تقلعها وتطرحها . ومناسم : جمع منسم ، وهو طرف خف البعير . والرواتك : المسرعة .

(١٠) الحالك : الشديد السواد .

فأبْلِـغْ أبا سُفْيان عـنّـى رسالةً ... فإنّك مِنْ غُرّ الرِّجال الصَّعالك[1]

(شعر أبى سفيان فى الرد على حسان) :

فأجابه أبوسفيان بنُ الحارث بن عبدُالمطلب ، فقال :

أحسّان إنّا يابن آكلة الفغا ... وجـدّك نَغْتال الخُروق كذلك[2]

خرَجْنا وما تَنْجو اليَعافير بَيْنَنا ... ولو وألَتْ منّا بشَـدٍّ مُدارِك[3]

إذا ما انبعثْنا من مُناخٍ حَسِبْتَهُ ... مُدَمَّن أهل المَوْسِمِ المُتَعـارك[4]

أقمتَ على الرسّ النَّزوع تُريدنا ... وتتركنا فى النَّخْل عند المَدَارِك[5]

على الزَّرْع تَمْشى خَيْلُنا وركابُنا ... فما وَطِئَتْ ألْصَقْنه بالدَّكادك[6]

أقمْنا ثلاثا بين سَلْع وفارِع ... بجُرْدِ الجِياد و المَطِىّ الرَّواتك[7]

حَسِبْتُم جِلاد القَوْم عند قِبابِهم ... كأخْذِكم بالعـين أرْطال آنُك[8]

فلا تبعثِ[9] الخيل الجياد وقُلْ لَنا ... على نَحْوِ قول المُعْصِم المُتماسِك[10]

---

(١) الغر : البيض . والصعالك : جمع صعلوك : وأصله الصعاليك ، حذفت ياؤه لإقامة الوزن ، وهو الفقير الذى لامال له .

(٢) الفغا : التمر ؛ وقيل : هو غبرة تعلو التمر قبل أن يطيب . قال أبو ذر : يريد أنهم أهل نخيل وتمر . ونغتال : نقطع . والخروق : جمع خرق ، وهو الفلاة الواسعة

(٣) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ولد الظبية ، يريد أنهم لكثرتهم لاتنجو معهم الظباء . ووألت : اعتصمت ولجأت ، يقال : وألت إلى الجبل ، أى اعتصمت به ، ومنه : الموئل ، وهو الملجأ . والشد : الجرى . والمدارك : المتتابع .

(٤) المدمن : الموضع الذى ينزلون فيه فيتركون به الدمن ، أى آثار الدواب والإبل ، وأرواثها وبعارها . وأهل الموسم ، أى جماعة الحجاج ؛ وكل مكان كانت العرب تجتمع فيه فهو موسم ، إذا كان ذلك عادة منهم فى ذلك المكان ، كسوق عكاظ وذى المجاز وأشباهها . والمتعارك : الذى يزدحم فيه الناس .

(٥) الرس النزوع : البئر التى تنزع ماؤها بالأيدى . والمدارك : المواضع القريبة . ويروى : « المبارك » .

(٦) الدكادك : جمع دكدك ، وهو الرمل اللين .

(٧) سلع وفارع : جبلان . والرواتك : المسرعة .

(٨) كذا فى ا . قال أبو ذر : « العين (هنا) : المال الحاضر . والعين (أيضا) : الدر ، وكلاهما يصلح هاهنا » . وفى سائر الأصول : « العير » . قال أبو ذر : « ومن رواه » بالعير « فالعير : الرفقة من الإبل . والآنك : القزدير .

(٩) فى ا : « لا تنعت » .

(١٠) المعصم : المستمسك بالشىء .

سَعِدْتُم بها وغَيْرُكم كان أهلَها[1] فوارسُ من أبناء فِهر بنِ مالك
فإنَّكَ لا فى هجرةٍ إن ذَكَرْتَها ولا حُرُمات الدينِ أنتَ بناسِك[2]

قال ابن هشام: بقيت منها أبيات تركناها، لقُبح اختلاف قوافيها. وأنشدنى أبو زيد الأنصارىّ هذا البيت:

خرجنا وما تنجو اليَعافير بيننا

والبيت الذى بعده لحسَّان بن ثابت فى قوله:

دعُوا فلَجات الشأمِ قد حالَ دونها

وأنشدنى له فيها بيته «فأبلغ أبا سفيان».

غزوة دومة الجندل

فى شهر ربيع الأول سنة خمس

(موعدها):

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فأقام من مَقْدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أشهرا حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دُومة الجَنْدل[3]

(استعمال ابن عرفطة على المدينة):

قال ابن هشام: فى شهر ربيع الأوّل، واستعمل على المدينة سِباع بن عُرْفطة الغفارىّ.

(رجوع الرسول):

قال ابن إسحاق: ثم رَجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها، ولم يلْقَ كيدًا، فأقام بالمدينة بقيَّة سنته.

---

(١) قال السهيلى: «وفى حاشية الشيخ: شقيتم بها وغيركم أهل ذكرها».

(٢) كذا فى أكثر الأصول. والناسك: المتبع لمعالم دينه وشرائعه. ويروى «ناسكى» منسوبا، وخففت الياء الثانية. ورواية الشطر الثانى فى ا: ولا حرمات دينها أنت ناسك

(٣) دومة (بضم الدال وتفتح) من أعمال المدينة، وبينها وبينها خمس عشرة ليلة، سميت بدومى ابن إسماعيل، كان نزلها. (راجع الروض ومعجم البلدان وشرح المواهب).

غزوة الخندق[١]

فى شوال سنة خمس

(تاريخها) :

حدثنا أبو محمد عبدالملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطَّلبى ، قال : ثم كانت غزوة الخَنْدق فى شوّال سنة خمس[٢] .

(تحريض اليهود لقريش وما نزل فيهم) :

فحدثنى يزيد بن رُومان مولى آل الزُّبير بن عُروة بن الزبير ، ومَنْ لاأتَّهم ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، ومحمد بن كعْب القرظىّ ، والزُّهْرى ، وعاصم ابن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدّث ما لايحدّث به [٣] بعض ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفرًا من اليهود ، منهم : سلاّم بن أبى الحُقيق النَّضَرى[٤] ، وحُيَىّ بن أخْطب النَّضرى ، وكِنانة [٥] بن أبى الحُقيق النَّضَرى ، وهَوْذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمّار الوائلى ، فى نفر من بنى النَّضير ، ونَفَر من بنى وائل ، وهُم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قَدِموا على قُريش مكّةَ ، فدعوهم إلى حرب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نَسْتأصله ؛ فقالت لهم قُريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكِتاب الأوّل والعِلم بما أصْبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفدِينُنا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دِينكم خيرٌ من دينه ، وأنتم أولى بالحقّ

---

(١) بهذه الغزوة يبتدئ الجزء الرابع عشر من أجزاء السيرة .

(٢) قال الزرقانى : « واختلف فى تاريخها ، فقال موسى بن عقبة فى مغازيه التى شهد مالك والشافعى بأنها أصح المغازى ، كانت سنة أربع . قال الحافظ : وتابعه على ذلك الإمام مالك » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٤) قال السهيلى : « ونسب طائفة من بنى النضير ، فقال فيهم : النضرى ، وهكذا تقيد فى النسخة العتيقة ، وقياسه : النضيرى ، إلا أن يكون من باب قولهم : ثقفى وقرشى ، وهو خارج عن القياس » .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النضرى » .

(منه) [١]. فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ [٢]، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا» . . . إلى قوله تعالى : «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» : أى النبوّة [٣] ، «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا . فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا» .

(تحريض اليهود لغطفان) :

قال [٣] : فلما قالوا ذلك لقُريش ، سرّهم ونَشطوا لما دَعوْهم إليه ، من حَرْب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتّعدوا له . ثم خرج أولئك النّفر من يَهودَ ، حتى جاءوا غَطفان ، من قيس عيلان ، فدَعَوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

(خروج الأحزاب من المشركين) :

قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدُها أبوسُفيان بن حَرْب ؛ وخرجت غَطفان ، وقائدها عُيَينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر [٤] ، فى بنى فَزارة ؛ والحارث ابن عَوْف بن أبى‌حارثة المُرّى ، فى بنى مُرّة ؛ ومِسْعر بن رُخَيلة بن نُويرة بن طَريف بن سُحْمة بن عبدالله بن هِلال بن خَلاوة بن أشْجع بن رَيْث بن غَطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشْجع .

---

(١) زيادة من ا .

(٢) الجبت والطاغوت : كل ما يعبد من دون الله .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٤) كان اسم عيينة بن حصن : حذيفة ، وسمى عيينة ، لشتر كان بعينه . أسلم ثم ارتد وآمن بطليحة حين تنبأ وأخذ أسيرا ، فأتى به أبوبكر رضى الله عنه فمن عليه ، ولم يزل مظهرا الإسلام على جفوته وعنجهيته ولوثة أعرابيته حتى مات . و هو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : الأحمق المطاع ، لأنه كان يتبعه عشرة آلاف قناة . (راجع الروض وشرح المواهب) .

(حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين) :

فلما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضَرب الخَنْدَق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَرْغيبا للمسلمين فى الأجر ، وعَمل معه المسلمون فيه ، فدَأب فيه ودأبوا . وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُوَرّون[1] بالضّعيف من العمل ، ويتسلّلون إلى أهليهم بغير عِلْم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن . وجعل الرجلُ من المسلمين إذا نابتْه النائبة ، من الحاجة التى لابدّ له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه فى اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فاذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبةً فى الخير ، واحتسابا له .

(ما نزل فى العاملين فى الخندق مؤمنين ومنافقين) :

فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين : « إنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورَسُولِهِ ، وَإِذَا كانُوا مَعَهُ على أمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حتى يَسْتَأْذِنُوهُ ، إنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ باللهِ وَرَسُولِهِ فاذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ ، إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحِسْبة والرغبة فى الخير ، والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ، قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : اللواذ : الاستتار بالشىء عند الهرب ، قال حسّان بن ثابت :

---

(١) يورون : يستترون .

وقُرَيْش تَفِــرُّ مِنَّا لِواذًا   أن يُقيموا وخَفَّ منها الحُلُوم

وهذا البيت فى قصيدة له ، قد ذكرتها فى أشعار يوم أُحُد .

« ألا إنَّ للهِ ما فى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ ما أنْتُمْ عَلَيْهِ » .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

« وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

(ارتجاز المسلمين فى حفر الخندق) :

قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعَيل ، سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عَمرًا ، فقالوا :

سَمَّاه مِنْ بَعْــد جُعَيْل عَمْرًا   وكان للبائس يوما ظَهْرًا[1]

فاذا [2] مرّوا « بعَمرو » قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عمرًا ، وإذا مرّوا « بظَهْر » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظهرا [3] .

(ما ظهر من المعجزات) :

قال ابن إسحاق : وكان فى حفر الخندق أحاديثُ بلَغتنى ، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوّته ، عاين ذلك المسلمون .

(معجزة الكدية) :

فكان مما بلغنى أن جابر بن عبدالله كان يحدّث : أنه اشتدّت عليهم فى بعض الخَنْدق كُدية ، فشكَوْها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء ، فتَفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يَدْعوَ به ، ثم نَضَح ذلك الماء على تلك الكُدْية ؛

---

(١) الظهر : القوة والمعونة . والضمير فى « سماه » و « كان » للنبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو ذر « وقد يجوز فيه وجه ثان ، وهو أن يكون الظهر (هنا) : الإبل ، فيكون البيت على وجه آخر ، تقديره وكان المال للبائس يوما ظهرا ؛ فأضمر اسم كان وإن لم يتقدم ما يفسره ، لأن مساق الكلام يدل عليه ، كما قالوا : إذا كان غدا فأتنى ، أى إذا كان اليوم غدا » .

(٢) زادت ا بعد هذا البيت « فى كتاب ابن إسحاق ظهرا » .

(٣) أى قال معهم آخر أيضا ، فكانوا يرتجزون هذا الشعر ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول معهم أواخر أبياته .

فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبياً ، لانهالت [١] حتى عادت كالكثيب ، لاتردّ فأسا ولا مِسْحاة .

(البركة فى تمر ابنة بشير) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن مِينا أنه حُدّث : أن ابنةً لبَشير بن سعد ، أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتنى أمّى عَمْرة بنتُ رواحة ، فأعطتنى حَفنة من تمر فى ثوْبى ، ثم قالت : أى بُنَيّة ، اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رَوَاحة بغَدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى ، فقال : تعالى يا بُنَيّة ، ما هذا معك ؟ قالت : فقلت : يا رسول الله ، هذا تمر ، بعثتنى به أمى إلى أبى بَشير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رَوَاحة يتغدّيانه ؛ قال : هاتيه ؛ قالت : فصبَبْته فى كفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبُسط له ، ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدّد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق : أن هلُمّ إلى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخَنْدق عنه ، وإنه ليسقُط من أطراف الثوب .

(البركة فى طعام جابر) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى سَعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخَنْدق ، فكانت عندى شُوَيهة ، غير جِدّ سَمينة [٢] . قال : فقلت : والله لو صَنَعْناها لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ قال : فأمرت امرأتى ، فطحنت لنا شيئا من شَعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذَبحت تلك الشاة ، فشَوَيناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما أمْسَينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق — قال : وكنا نعمل فيه نهارَنا ، فإذا أمْسينا رَجعنا إلى أهالينا — قال : قلت : يا رسول الله ، إنى قد صنعت لك شُوَيهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشّعير ، فأحبّ أن تنْصرف

---

(١) انهالت : تفتتت .

(٢) غير جد سمينة : غير كاملة السمن .

معي إلى منزلى ، وإنما أُريد أن يَنْصَرِف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدَه.
قال : فلما أن قلت له ذلك ، قال : نعم ، ثم أمر صارخا فصرَخ : أن انصرفوا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ؛ قال : فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمّى (الله) [1] ، ثم أكل ، وتواردَها الناس ، كلما فرغ قومٌ قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهلُ الخندق عنها .

(ما أرى الله رسوله من الفتح) :

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن سَلْمان الفارسيّ ، أنه قال : ضربت فى ناحية من الخندق ، فغَلُظت علىّ صخرةٌ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قريب منّى ؛ فلما رآنى أضرب ورأى شدّة المكان علىّ ، نزل فأخذ المِعْول من يدى ، فضرب به ضربةً لَمَعَت تحت المِعْول برقةٌ ؛ قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى ؛ قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى. قال : قلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! ما هذا الذى رأيت لمع تحت المِعول وأنت تضرب ؟ قال : أوَقد رأيت ذلك ياسَلْمان ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : أما الأولى فإنّ الله فَتَحَ علىّ بها اليمن ؛ وأما الثانية فإنّ الله فتح علىّ بها الشام والمغرب ؛ وأما الثالثة فإن الله فتح علىّ بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتّهم عن أبى هُريرة أنه كان يقول ، حين فُتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده : افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفسُ أبى هُريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحَها قبل ذلك .

(نزول قريش المدينة) :

قال ابن إسحاق : ولمّا فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رُومة ، بين الجُرُف وزَغابة [2] فى عشرة آلاف

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) قال أبو ذر : « كذا وقع هنا بالزاى مفتوحة . ورغابة بالراء المفتوحة هو الجيد ، وكذلك رواه الوقشى » .

من أحابيشهم ، ومَنْ تبعهم من بَنِي كِنانة وأهلِ تِهامة ، وأقبلت غَطَفان ومَن تبِعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذَنَب نَقْمَى ، إلى جانب أُحد . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمُسلمون ، حتى جعلوا ظُهورهم إلى سَلْع [١] ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عَسكَره ، والخَنْدق بينه وبين القوم .

(استعمال ابن أم مكتوم على المدينة) :

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذَّرارى والنساء فجُعلوا فى الآطام [٢] .

(حمل حيى كعبا على نقض عهده للرسول) :

(قال) [٣] : وخرج عدوّ الله حُيَيّ بن أخْطب النَّضَرىّ ، حتى أتى كَعْب ابن أسد القُرَظى ، صاحب عَقْد بنى قُرَيظة وعَهْدهم ، وكان قد وادَع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كَعْب بحُيىّ بن أخْطب أغْلق دونه باب حِصْنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حُيىّ : ويحك يا كعب ! افتح لى ؛ قال : ويحك يا حُيىّ : إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمدًا ، فلستُ بناقضٍ ما بينى وبينه ، ولم أرَ منه إلا وفاء وصِدْقًا ؛ قال ويحك افتح لى أكلمك ؛ قال : ما أنا بفاعل ؛ قال : والله إن أغلقت دونى إلا عن جشيشتك [٤]

وقال السهيلى : « زغابة : اسم موضع ، بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة . وذكره البكرى بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زعابة ، بضم الزاى والعين المهملة . وحكى عن الطبرى أنه قال فى هذا الحديث : بين الجرف والغابة ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف . قال السهيلى : والأعرف عندى فى هذه الرواية رواية من قال زغابة ، بالغين المنقوطة ، لأن فى الحديث المسند أنه عليه الصلاة والسلام قال فى ناقة أهداها إليه أعرابى ، فكافأه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تعجبون لهذا الأعرابى : أهدى إلى ناقة أعرفها بعينها كما أعرف بعض أهلى ، ذهبت منى يوم زغابة ، وقد كافأته بست فسخط » .

(١) سلع : جبل بالمدينة .

(٢) الآطام : الحصون ؛ الواحد : أطم .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش ، وهو البر يطحن غليظا ، وهو الذى تقول له العامة : « دشيش » بالدال ، والصواب الجيم .

أن آكل معك منها [١] ؛ فاحفظ [٢] الرجلَ ، ففتح له ؛ فقال : ويحك يا كَعْب ؛ جئتُك بعزّ الدهر وببَحْر طام [٣] ، جئتك بقُريش على قادتها وسادتها ، حتى أنزلتهم بمُجتمع الأسيال من رُومة ؛ وبغَطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقَمى إلى جانب أُحد ، قد عاهدونى وعاقدونى على أن لا يبْرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب : جئتنى والله بذُلّ الدهر ، وبجَهام [٤] قد هرَاق ماءَه ، فهو يرْعد ويبرق ، ليس فيه شىء ، ويحك يا حُيىّ ! فدَعْنى وما أنا عليه ، فإنى لم أرَ من محمد إلا صدقا ووفاء . فلم يزل حُيىّ بكعب يَفْتِله فى الذّروة والغارب [٥] ، حتى سمح له ، على أن أعْطاه عهداً (من الله) [٦] وميثاقا : لئن رجعتْ قريش وغطفان ، ولم يُصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يُصيبنى ما أصابك . فنقض كَعبُ بن أسد عَهْده ، وبرِئ مما كان بينه وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

(تحرى الرسول عن نقض كعب للعهد) :

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ وإلى المسلمين ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سعدَ بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيِّد الأوس ، وسعدَ ابن عُبادة بن دُلَيم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيِّد الخزرج ومعهما عبدُ الله بن رَواحة ، أخو بنى الحارث بن الخزرج [٧] ، وخوّات بن جُبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحقٌ ما بلغنا عن هؤلاء

---

(١) كذا وردت هذه العبارة فى ا . ونصها فى سائر الأصول : « إن أغلقت الحصن دونى إلا تخوفت على جشيشتك أن آكل منها معك » .

(٢) أحفظه : أغضبه .

(٣) الطام : مرتفع ؛ ويريد كثرة الرجال .

(٤) الجهام : السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه .

(٥) هذا مثل ، وأصله فى البعير يستصعب عليك ، فتأخذ القرادة من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك ، فيجد البعير لذة ، فيأنس عند ذلك . فضرب هذا الكلام مثلا فى المراوضة والمخاتلة .

(٦) زيادة عن ا .

(٧) فى ا : « وأخو بنى الخزرج » .

القوم أم لا؟ فان كان حقًّا فالحنوا لى لحنا [١] أعرفه ، ولا تفُتُّوا فى أعضاد الناس [٢] وإن كانوا على الوفاء فيا بيننا وبينهم فاجهرُوا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، (فيما) [٤] نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : من رسول الله؟ لاعهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعدُ ابن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدّة ؛ فقال له سعدُ بن عبادة : دع عنك مُشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربى [٤] من المشاتمة . ثم أقبل سَعْدٌ وسعدٌ ومن معهما ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلٌ والقارة ؛ أى كغدر عَضَل والقارة بأصْحاب الرجيع ، خُبَيب وأصحابه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين .

(ما عم المسلمين من الخوف وظهور نفاق المنافقين) :

(قال) [٣] : وعظم عند ذلك البلاء ، واشتدّ الخوف ، وأتاهم عدوّهم من فوقهم ومن أسفلَ منهم ، حتى ظنّ المؤمنون كلّ ظنّ ، ونجم النّفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّب بن قُشير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يَعِدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لايأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

(رأى ابن هشام فى نفاق معتب) :

قال ابن هشام : وأخبرنى من أثق به من أهل العلم : أن مُعَتِّب بن قُشير لم يكن من المنافقين ، واحتجّ بأنه كان من أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قَيْظِيّ ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا عَوْرة من العدوّ ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فانها خارج من المدينة. فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) اللحن : اللغز ، وهو أنه يخالف ظاهر الكلام معناه .

(٢) يقال : فت فى عضده ، إذا أضعفه وأوهنه .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) أربى : أعظم .

وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شَهْر ، لم تكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيا [١] بالنبل والحِصار .

قال ابن هشام : ويقال الرِّمِّيا .

(هم الرسول بعقد الصلح بينه وبين غطفان ثم عدل) :

فلما اشتدّ على الناس البلاء ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتّهم ، عن محمد بن مُسلم بن عبيد [٢] الله بن شهاب الزهري ، إلى عيينة بن حِصْن بن حُذَيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرّي ، وهما قائدا غَطَفان ، فأعطاهما ثُلث ثِمار المدينة على أن يرْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكِتاب ولم تقع الشهادة ولاعزيمة الصُّلح ، إلا المُراوضة في ذلك . فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سَعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة ، فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ؛ فقالا له : يارسول الله ، أمرًا نُحبه فنَصنعه ، أم شيئا أمرك الله به ، لابدّ لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ماأصنع ذلك إلا لأنني رأيت العَرب قد رَمَتْكم عن قَوْس واحدة ، وكالبوكم [٣] من كلّ جانب ، فأردت أن أكسِر عنكم من شَوْكتهم إلى أمرٍ ما ؛ فقال له سَعْد بن مُعاذ : يارسول الله ، قد كنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعِبادة الأوثان ، لانعبد الله ولا نعرفه ، وهم لايَطْمَعُون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرًى [٤] أو بيعا ، أفحين أكْرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك وبه ، نُعْطيهم أموالنا ! (والله) [٥] مالنا بهذا مِن حاجة ، والله لانُعْطيهم إلا السَّيف حتى يَحْكم الله بيننا وبينهم ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . فتناول سعد بن مُعاذ الصَّحيفة ، فمحا ما فيها من الكِتاب ، ثم قال : ليَجْهدوا علينا .

---

(١) الرميا (بكسر الراء والميم مشددتين وتخفيف الياء) : المراماة .
(٢) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « عبد الله » .
(٣) كالبوكم : : اشتدوا عليكم .
(٤) القرى : ما يصنع الضيف من الطعام .
(٥) هذه الكلمة ساقطة في ا .

(عبور نفر من المشركين الخندق) :

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وعدوّهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قِتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عَبْد وُدّ بن أبي قَيس ، أخو بني عامر بن لُؤَيّ .

ــ قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عبد بن أبي قيس ــ

قال ابن إسحاق : وعِكْرمة بن أبي جهل ، وهُبيرة بن أبي وهب المخزوميّان ، وضِرار بن الخطّاب الشاعر[1] ابن مرداس ، أخو بني محارب بن فِهر ، تلبّسوا للقتال ، ثم خرجوا على خَيْلهم ، حتى مرّوا بمنازل بني كِنانة ، فقالوا : تهيَّئوا يا بني كنانة للحرب[2] ، فستعلمون مَن الفُرسان اليوم . ثم أقبلوا تُعْنِق[3] بهم خيلُهم ، حتى وقفوا على الخَندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمَكيدة ما كانت العربُ تكيدها .

(سلمان وإشارته بحفر الخندق) :

قال ابن هشام : يقال : إن سَلمان الفارسيّ أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدثني[4] بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سَلمان منّا ؛ وقالت الأنصار : سلمان منّا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهلَ البيْت .

(قتل على لعمرو بن عبد ود وشعره فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : ثم تيمَّموا مكانا ضيِّقا من الخَنْدق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السَّبخة بين الخندق وسَلْع ، وخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثُّغرة[5] التي أقحموا منها خيلهم

---

(١) هذه الكلمة ساقطة في ا .

(٢) في ا : « للقتال » .

(٣) تعنق : تسرع .

(٤) زادت م ، قبل هذه الكلمة « وقال ا... »

وأقبلت الفُرسان تُعْنِق نحوَهم ، وكان عمرو بن عَبْدِ وُدّ قد قاتل يوم بدر حتى أثْبتته الجراحة ، فلم يَشْهد يوم أُحد ؛ فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلَما[1] لِيُرى مكانُه ؛ فلما وقف هو وخَيْلُهُ ، قال : من يبارز؟ فبرز له علىّ بن أبى طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قُريش إلى إحدى خلَّتين إلا أخذتَها منه ، قال له : أجَل ؛ قال له علىّ : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ؛ قال : لاحاجة لى بذلك ؛ قال : فإنى أدعوك إلى النِّزال ؛ فقال له : لِمَ يابن أخى ؟ فوالله ما أحبّ أن أقتلك ، قال له علىّ : لكنى والله أحبّ أن أقتلك ؛ فحَمِىَ[2] عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقَره ، وضَرب وجهه ، ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علىّ رضى الله عنه[3] . وخرجت خيلهم مُنهزمة ، حتى اقتحمت من الخَندق هاربةً .

قال ابن إسحاق : وقال علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك :

نَصَر الحجارةَ مِن سَفَاهةِ رأيِهِ ... ونَصَرْتُ ربَّ محمّدٍ بصَوابِى[4]

فصَدَدت حين تَركْتُه متجدِّلا ... كالجِذْعِ بين دَكادِكٍ ورَوابى[5]

وعَفَفْت عن أثوابه ولو انّنِى ... كنْتُ المُقَطَّرَ بَزَّنِى أثوابى[6]

لا تَحْسَبُنّ اللهَ خاذلَ دِينِه ... ونَبِيِّه يا مَعْشَرَ الأحْزَاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشكّ فيها لعلىّ بن أبى طالب .

---

(١) المعلم : الذى جعل له علامة يعرف بها .

(٢) حمى : اشتد غضبه .

(٣) ساق السهيلى هذه القصة عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام عن البكائى بزيادة عما هنا ، فكتفى بالإشارة إليها (راجع الروض ج ٢ ص ١٩١) .

(٤) الحجارة (هنا) : الأنصاب التى كانوا يعبدونها ويذبحون لها .

(٥) متجدلا : لاصقا بالأرض واسمها الجدالة . والجذع : فرع النخلة . والدكادك : جمع دكداك ، هو الرمل اللين . والروابى : جمع رابية ، وهى الكدية المرتفعة .

(٦) المقطر : الذى ألقى على أحد قطريه ، أى جنبيه . والقطر . الجانب ؛ يقال : طعنه فقطره ، أى ألقاه على أحد جنبيه . وبزنى : سلبنى وجردنى .

(شعر حسان فى فرار عكرمة) :

قال ابن إسحاق [١] : وألقى عِكْرِمة بن أبى جهل رُمْحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ؛ فقال حسّان بن ثابت فى ذلك :

فرّ وألقى لنا رُمْحَــه   لعلّك عِكْرِمَ لم تَفْعَلِ
ووَلَّيْتَ تَعْدُو كعَدْوِ الظَّلِيم [٢]   ما إن تَجور [٣] عن المَعْدِلِ
ولم تَلْقَ ظهرك [٤] مُسْتأنِسا   كأن قَفاك قفا فُرْعُلِ

قال ابن هشام : الفُرعل : صغير الضباع ، وهذه الأبيات فى أبيات له .

(شعار المسلمين يوم الخندق) :

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبنى قريظة : حمّ ، لا يُنْصرون .

(شأن سعد بن معاذ) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو ليلى عبدالله بن سَهْل بن عبد الرحمن بن سهل [٥] الأنصارى ، أخو بنى حارثة : أن عائشة أمّ المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحْرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن مُعاذ معها فى الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب : فرّ سعد وعليه درع له مُقلّصة [٦] ، قد خرجت منها ذراعه كلُّها ، وفى يده حربته يرقد [٧] بها ويقول

لبِّثْ قليلا يَشْهَدِ الهَيْجا جَمَل   لا بأس بالموت إذا حانَ الأجَل [٨]

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال ابن هشام » .

(٢) الظليم : ذكر النعام .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « تحور » بالحاء المهملة .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول « ولم تلو » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٦) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ، يقال : تقلص الشىء ، إذا ارتفع وانقبض .

(٧) كذا فى ا . ويرقد : يسرع . وفى سائر الأصول « يرقل » .

(٨) كذا فى الأصول . قال أبو ذر : « جمل : اسم رجل . وهذا الرجز قديم تمثل به سعد » . وفى الروض : « حمل » بالحاء المهملة ، قال السهيلى : « هو بيت تمثل به ، يعنى به حمل بن سعدانة بن الحارث ابن معقل بن كعب بن عليم بن جناب الكلبى » .

(قال) فقالت له أمه : الحقّ : أى ابنى ، فقد والله أخَّرت ؛ قالت عائشة : فقلت لها : يا أمّ سعد ، والله لودِدْت أن دِرْع سعد كانت أسبغ[١] مما هى ؛ قالت : وخِفْتِ عليه حيث أصاب السَّهمُ منه ، فرُمِى سعدُ بنُ معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل[٢] ، رماه كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، حِبَّان[٣] بن قَيْس بن العَرِقة[٤] ، أحد بنى عامر بن لُؤَىّ ، فلما أصابه ، قال : خُذْها منى وأنا ابن العرِقة ؛ فقال له سعد : عرَّق الله وجهك فى النار ، اللهمّ إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فإنه لاقوم أحبّ إلىّ أن أجاهدهم من قوم آذَوْا رسولك وكذّبوه وأخرجوه ، اللهمّ وإن كنت قد وضعت الحربَ بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تُمِتْنى حتى تُقِرّ عينى من بنى قُرَيظة .

(شعر لأسامة يدل على أنه قاتل سعد) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لاأتّهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبوأسامة الجُشَمى ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبوأسامة فى ذلك شعرا[٥] لعِكرِمة بن أبى جهل :

أعِكْرِمَ هلاَّ لُمْتنى إذْ تقول لى ... فداك بآطام المَدِينَـة خالدُ[٦]

ألستُ الذى ألزمتُ سَعداً مُرِشَّةً[٧] ... لها بين أثناء المَرَافِق عانِدُ[٨]

قَضَى نَحْبَه منها سُعَيد فأعْوَلَت ... عليه مع الشُّمْط العَذَارَى النَّواهِدُ[٩]

---

(١) أسبغ : أكمل وأطول .

(٢) الأكحل : عرق فى الذراع .

(٣) قال السهيلى : « حبان » هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى » .

(٤) العرقة : هى قلابة بنت سعد بن سعد بن سهم ، وتكنى أم فاطمة ، وسميت العرقة لطيب ريحها ، وهى جدة خديجة ، أم أمها هالة . (راجع الروض) .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال لعكرمة . . . الخ » .

(٦) الآطام : الحصون والقصور ؛ الواحد : أطم .

(٧) كذا فى ا . ومرشة : يعنى رمية أصابته فأطارت رشاش الدم منه . وفى سائر الأصول : « مريشة » .

(٨) العاند : العرق الذى لاينقطع منه الدم .

(٩) النحب : الأصل . وأعولت : بكت بصوت مرتفع . والشمط : جمع شمطاء ، وهى التى خالط شعرها الشيب . والعذارى : الأبكار . والنواهد : جمع ناهد ، وهى التى ظهر نهدها .

وأنتَ الذى دافعْتَ عنه وقد دَعا   عُبيدةُ جمعا منهُــم إذ يُكابد
على حين ماهُم جائر عن طَريقه   وآخر مَرْعُوب عن القَصْد قاصد[1]

(والله أعلم أىّ ذلك كان) [2] .

(قائل سعد فى رأى ابن هشام) :

قال ابن هشام : ويقال : إن الذى رَمى سعداً خفَاجة بن عاصم بن حِبَّان .

(صفية وحسان وما ذكرته من جبنه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفيَّة بنت عبد المطَّلب فى فارِع ، حِصْن حسَّان بن ثابت ، قالت: وكان حسَّان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصّبيان . قالت صفيَّة ، فمرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يُطيفُ بالحِصْن ، وقد حاربتْ بنو قُرَيظة ، وقطعت ما بينها وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يَدْفع عنا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نُحور عدوّهم ، لايَستطيعون أن يَنْصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسَّان ، إن هذا اليهودىّ كما ترى يُطيفُ بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يَدُلّ على عَوْرتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شغِل عنَّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ، قال : يَغْفِر الله لك يابنة عبد المطَّلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئا ، احتجزت [3] ثم أخذت عَمودا ، ثم نزلت من الحِصْنِ إليه ، فضربتُه بالعَمود حتى قتلته . قالت : فلما فرغت منه ، رجعتُ إلى الحِصْن ، فقلت : يا حسَّان ، انزل إليه فاسلبه ، فانه لم يَمْنعنى من سلبِه إلا أنه رَجل ؛ قال : مالى بسَلَبه من حاجة يابنة عبد المطلب [4] .

---

(١) المرعوب : المفزع . قال أبوذر : من رواه مرغوب ، بالغين المعجمة ، فمعناه : رغب عن القصد : أى تركه ، وهو على معنى النسب : أى ذو رغبة .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) احتجزت : شددت وسطى . قال أبو ذر : « ومن رواه : اعتجرت ، فمعناه : شددت معجرى » .

(٤) قال السهيلى : « ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جبانا شديد الجبن . وقد دفع هذا بعض العلماء وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ؛ وقال : لوصح هذا لهجى به حسان ، فإنه كان

(شأن نعيم فى تخذيل المشركين عن المسلمين) :

قال ابن إسحاق : وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدّة ، لتظاهر عدوّهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوْقهم ومن أسفل منهم .

(قال) [١] : ثم إن نُعيم بن مَسْعود بن عامر بن أُنَيف بن ثعلبة بن قُنْفذ بن هِلال بن خَلاوة بن أشْجع بن رَيْث بن غَطَفان ، أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد أسلمتُ ، وإن قومى لم يعلموا باسلامى، فمُرْنى بما شئْت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ ، فخَذّل عنا [٢] إن استطعت ، فان الحَرْب خُدْعة . فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بنى قُريظة ، وكان لهم نديما فى الجاهليّة ، فقال : يا بنى قُريظة ، قد عَرَفتم ودّى إياكم ، وخاصّة ما بينى وبينكم ؛ قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتّهم ؛ فقال لهم : إنّ قريشا وغَطَفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لاتقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإنّ قريشا وغَطَفان قد جاءوا لحرب محمّد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدُهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فان رأوا نُهزة [٣] أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقُوا ببلادهم وخلّوْا بينكم

يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبعرى وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعل حسان أن يكون معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول عليه . وممن أنكر أن يكون هذا صحيحا أبو عمر رحمه الله فى كتاب الدرر له .

وعقب على هذا الحديث أبوذر أيضا بما لايخرج عما ذكره السهيلى .

وقال الزرقانى بعد ما ساق رأى أبى عمر فى الدرر ، واستبعاده هذا على حسان : « وإنما كان أولى ، لأن ابن إسحاق لم ينفرد به ، بل جاء بسند متصل حسن كما علم ، فتعضد حديثه . وقد قال ابن السراج : سكوت الشعراء عن تعييره بذلك من أعلام النبوة ، لأنه شاعره صلى الله عليه وسلم » .

(١) زيادة عن ا .

(٢) خذل عنا : أدخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا .

(٣) النهزة : انتهاز الشيء واختلاسه .

وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تُناجزوه ؛ فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قُريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودّى لكم وفراقى محمدًا ، وإنه قد بلغنى أمرٌ قد رأيت علىّ حقًّا أن أبلغكموه ، نُصْحا لكم ، فاكتموا عنّى ؛ فقالوا : نفعل ؛ قال : تعلّموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين ، من قُريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنُعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فان بعثتْ إليكم يهودُ يلتمسون منكم رُهُنا من رجالكم فلا تدْفعوا إليهم منكم رجلا واحدًا .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلى وعشيرتى ، وأحبّ الناس إلىّ ، ولا أُراكم تتّهمونى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتّهم ؛ قال : فاكتموا عنّى ؛ قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ [1] ، ثم قال لهم مثلَ ما قال لقريش وحذّرهم ما حذّرهم .

(دبيب الفرقة بين المشركين) :

فلما كانت ليلة السّبت من شوّال سنة خمس ، وكان من صُنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن [2] أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قُريظة عِكْرِمة بن أبى جهل ، فى نفر من قُريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخفّ والحافر [3] ، فاغدُوا للقتال حتى نُناجز محمدا ، ونفرغ مما بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو (يوم) [4] لانعمل فيه

---

(١) هذه العبارة « فما أمرك » ساقطة فى ا .

(٢) فى ا : « أنه » .

(٣) يريد « بالخف » : الإبل ، و « بالحافر » : الخيل .

(٤) زيادة عن ا .

شيئا ، وقد كان أحدثَ فيه بعضُنا حدثا ، فأصابه ما لم يخْفَ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نُقاتل معكم محمدا حتى تُعطونا رُهُنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فانا نخشى إن ضَرّستكم [١] الحرب ، واشتدّ عليكم القتال أن تَنْشمروا [٢] إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسلُ بما قالت بنو قريظة ، قالتْ قريش وغَطفان : والله إن الذى حدّثكم نُعيم بن مسعود لحقّ ، فأرسِلوا بنى قُريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فان كنتم تُريدون القتال فاخرُجوا فقَاتلوا ، فقالت بنو قُريظة ، حين انتهت الرسلُ إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم نُعيم بن مَسْعود لحقّ ، ما يريد القوم إلا أن يُقاتلوا ، فان رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غيرَ ذلك انشمروا إلى بلادهم . وخلّوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغَطفان : إنا والله لا نُقاتل معكم محمدا [٣] حتى تُعطونا رُهُنا ، فأبَوْا عليهم ، وخذّل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الرّيح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكْفأ قدورَهم [٤] ، وتطرح أبنيتهم [٥] .

(أرسل الرسول حذيفة ليتعرف ما حل بالمشركين) :

(قال) [٦] : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم ، وما فرّق الله من جماعتهم ، دعا حُذيفة بن اليَمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرظىّ ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحُذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال : نعم ، يابن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟

---

(١) ضرستكم الحرب : نالت منكم ، كما يصيب ذو الأضراس بأضراسه .

(٢) أن تنشمروا : أن تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم .

(٣) هذه الكلمة « محمدا » ساقطة فى ا .

(٤) تكفأ قدورهم : تميلها وتقلبها .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « آنيتهم » .

(٦) زيادة عن ا .

قال : والله لقد كنا نجهَد ؛ قال : فقال : والله لو أدركناه ماتركناه يمشي على الأرض ولحمَلناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يابن أخي ، والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هُوِيًّا [١] من اللَّيل ، ثم التفت إلينا فقال : مَنْ رَجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ثم يرجع — يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرّجعة — أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام [٢] رجُل من القوم ، من شدّة الخوف ، وشدّة الجوع ، وشدّة البرد ؛ فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لى بدّ من القيام حين دَعانى ؛ فقال : يا حُذيفة ، اذهب فادخُل فى القوم ، فانظُر ماذا يصنعون [٣] ، ولا تُحْدِثَنّ شيئا حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت فى القوم والرّيح وجنُود الله تفعل بهم ما تفعل ، لاتُقرّ لهم قِدْرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبوسفيان ، فقال : يامعشر قريش : لينظر امرؤ مَنْ جَليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان [٤] .

(مناداة أبى سفيان فيهم بالرحيل) :

ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هَلك الكُراع [٥] والخفّ ، وأخلفتنا بنُو قريظة ، وبلغَنا عنهم الذى نكره ، ولقِينا من شدّة الريح ما ترَوْن ، ما تطمئنّ لنا قِدْر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يَستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فانى مرتحل ؛ ثم قام إلى جَمله وهو معْقول ، فجلَس عليه ، ثم ضَربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أُطلق عقاله إلا وهو قائم . ولولا عهْد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ « أن لا تُحدث شيئا حتى تأتينى » ، ثم شئت ، لقتلته بسهم .

---

(١) هويا من الليل (بفتح الهاء وضمها) : قطعة منه .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال » .
(٣) فى ا : « يفعلون » .
(٤) فى شرح المواهب : « فضربت بيدى على يد الذى عن يمينى ، فأخذت بيده ، فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية بن أبى سفيان ؛ ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى ، فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو ابن العاص » .
(٥) الكراع : الخيل .

(رجوع حذيفة إلى الرسول بتخاذل المشركين وانصرافهم) :

قال حُذيفة : فرجعتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مِرْط [١] لبعض نسائه ، مراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشى اليمن .

فلما رآنى أدخلنى إلى رِجليه ، وطَرح علىَّ طَرَف المِرْط ، ثم ركع وسجد ، وإنى لفيه ، فلما سلَّم أخبرته الخبر ، وسمعتْ غَطفان بما فعلت قُريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

(انصراف الرسول عن الخندق) :

قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة [٢] والمسلمون ، ووضعوا السلاح .

غزوة بنى قريظة

فى سنة خمس

(أمر الله لرسوله على لسان جبريل بحرب بنى قريظة) :

فلما كانت الظُّهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى الزُّهرى ، معتجراً [٣] بعمامة من إستبرق [٤] ، على بَغْلة عليها رِحالة [٥] ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوَقد وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القَوم ، إن الله عزَّ وجلَّ يأمرك يا محمد بالمَسير إلى بنى قُريظة ، فإنى عامدٌ إليهم فمزلزل بهم .

---

(١) المرط : الكساء .

(٢) كان دخول الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الأربعاء ، يوم منصرفه من الخندق ، لسبع بقين من ذى القعدة . (راجع شرح المواهب) .

(٣) الاعتجار : أن يتعمم الرجل دون تلح ، أى لايلق شيئا تحت لحيته .

(٤) الإستبرق : ضرب من الديباج غليظ .

(٥) الرحالة : السرج .

(دعوة الرسول المسلمين للقتال) :

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذّنا ، فأذّن فى الناس : من كان سامعا مُطيعا ، فلا يصلينّ العصرَ إلا ببنى قُريظة .

(استعمال ابن أم مكتوم على المدينة) :

واستعمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

(تقدم على وتبليغه الرسول ماسمعه من سفهائهم) :

قال ابن إسحاق : وقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب برايته إلى بنى قُريظة ، وابتدرها الناسُ . فسار علىّ بن أبى طالب ، حتى إذا دنا من الحُصون سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يارسول الله ، لاعليك أن لاتدنو من هؤلاء الأخابث ؛ قال : لِمَ ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يا رسول الله ؛ قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حُصونهم . قال : يا إخوان القِرَدَة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولا .

(سأل الرسول عن مريهم فقيل دحية فعرف أنه جبريل) :

ومرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنَفَر من أصحابه بالصَّوْرَيْن [1] قبل أن يصل إلى بنى قُرَيظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسولَ الله ، قد مرَّ بنا دِحْية بن خليفة الكلبى ، على بغْلة بيْضاء عليها رِحالة ، عليها قَطيفة ديباج . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جِبْريل ، بُعث إلى بنى قُريظة يُزَلزل بهم حُصونهم ، ويقذف الرعبَ فى قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة : نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أنا [2] .

---

(١) الصورين : موضع قرب المدينة . (عن معجم البلدان) .

(٢) أنا (كهنا أو كحتى أو بكسر النون المشددة ؛ ويروى بموحدة بدل النون) : من آبار بنى قريظة . (راجع الروض وشرح المواهب ومعجم البلدان) .

قال ابن هشام : بئر أنّى .

(تلاحق المسلمين بالرسول) :

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجالٌ منهم [١] من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العَصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايصلينّ أحدٌ العصرَ إلا ببنى قُريظة ، فشغلهم مالم يكن منه بدّ فى حَرْبهم ، وأبَوْا أن يصلُّوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتّى تأتوا بنى قريظة . فصلَّوْا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابَهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنّفهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم [٢] . حدثنى بهذا الحديث أبى إسحاقُ بن يسار ، عن مَعْبد بن كَعْب بن مالك الأنصارى .

(حصارهم ومقالة كعب بن أسد لهم) :

(قال) [٣] : وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين [٤] ليلة ، حتّى جَهدهم الحصار ، وقذفَ اللهُ فى قُلوبهم الرعبَ .

وقد كان حُـيَيّ بن أخْطب دخل مع بنى قريظة فى حصْنهم ، حين رجعت عنهم قُريش وغَطفان ، وفاءً لكَعْب بن أسد بما كان عاهده عليه . فلما أيقنوا بأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غير مُنْصرف عنهم حتّى يُناجزهم ، قال كعب ابن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون ؛ وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخُذوا أيها شئتم ؛ قالوا : وما هى؟ قال : نُتابع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبـيّن لكم أنه لنبىٌّ مُرْسَل ، وأنه للذى تجدونه فى كتابكم ، فتأْمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم [٥] ؛ قالوا : لانفارقُ حكمَ التّوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره ؛ قال : فاذا أبيتم علىّ هذه ، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ،

---

(١) هذه الكلمة « منهم » ساقطة فى ا .

(٢) يؤخذ من هذا أنه لايعاب من أخذ بظاهر حديث أو آية ولا من استنبط من النص معنى يخصصه ، كما يؤخذ منه أن كل مجتهد فى الفروع مصيب . (راجع الروض وشرح المواهب) .

(٣) زيادة من .

(٤) وقيل : خمس عشرة ليلة ، وقيل بضع عشرة . (راجع الطبقات وشرح المواهب) .

(٥) هذه الكلمة « ونسائكم » ساقطة فى ا .

ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصْلِتين السيوفَ ، لم نترك وراءنا ثقَلا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نَهْلِكْ نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعَمرى لنجدن[١] النساء والأبناء ؛ قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم على هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا[٢] فيها ، فانزلوا لعلّنا نُصيب من محمد وأصحابه غِرّة ؛ قالوا : نُفْسد سَبْتنا علينا ، ونُحدث فيه ما لم يحدث مَن كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخْف عليك من المَسخ ! قال : ما باتَ رجل منكم منذ ولَدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

(أبو لبابة وتوبته) :

(قال)[٣] : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لُبابة[٤] بن عبد المُنذر ، أخا بنى عمرو بن عوف ، وكانوا حُلفاء الأوس ، لنستشيره فى أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجَهَش[٥] إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه ، فرقّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد[٦] ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح[٧] . قال أبو لُبابة : فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفتُ

---

(١) فى ا : « لنتخذن » .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أمنوا » .

(٣) زيادة من ا .

(٤) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصارى المدنى ؛ واختلف فى اسمه ، فقيل : رفاعة ، وقيل : مبشر ، وقيل : بشير ، وهو أحد النقباء ، عاش إلى خلافة على (راجع الاستيعاب والروض وشرح المواهب) .

(٥) جهش : بكى .

(٦) قال الزرقانى : « وذلك أنهم لما حوصروا حتى أيقنوا بالهلكة ، أنزلوا شأس بن قيس فكلمه صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزل بنو النضير من ترك الأموال والحلقة والخروج بالنساء والذرارى وما حملت الإبل إلا الحلقة ؛ فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل ؛ فأبى صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكمه ؛ وعاد شأس إليهم بذلك » . (راجع شرح المواهب) .

(٧) كأن أبا لبابة فهم ذلك من عدم إجابة الرسول لهم بحقن دمائهم ، وعرف أن الرسول سيذبحهم إن نزلوا على حكمه ، وبهذا أشار إلى بنى قريظة . (راجع شرح المواهب) .

أنى قد خنتُ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق أبولبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عُمده ، وقال : لاأبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ مما صنعت ، وعاهد الله : أن لاأطأ بنى قريظة أبدا ، ولا أُرى فى بلد خُنْت الله ورسوله فيه أبدا .

(ما نزل فى خيانة أبى لبابة) :

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى فى أبى لُبابة ، فيما قال سُفيان بن عُيينة ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عبد الله بن أبى قتادة : « يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتِكُمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

(موقف الرسول من أبى لبابة وتوبة الله عليه) :

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خبرُه ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه [١] لو جاءنى لاستغفرتُ له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقُه من مكانه حتى يتُوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط : أنّ توبة أبى لُبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر [٢] ، وهو فى بيتِ أمّ سَلَمة . (فقالت أمّ سَلَمة [٣]) : فسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر وهو يضحك . قالت : فقلت : ممّ تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنَّك ؛ قال : تِيب على أبى لُبابة ؛ قالت : قلت : أفلا أُبشِّره يا رسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئتِ . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب ، فقالت : يا أبا لُبابة ، أبْشِر فقد تاب الله عليك . قالت [٤] : فثار الناس إليه ليُطلقوه فقال : لاوالله حتى يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يُطلقنى بيده ؛ فلما مرّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه.

---

(١) فى ا : « أما إن لو كان . . . الخ » .

(٢) هذه الكلمة « من السحر » ساقطة فى ا .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) فى م ، ر : « وقال » .

(ما نزل فى التوبة على أبى لبابة):

قال ابن هشام: أقام أبو لُبابة مُرتبطا بالجذع ستّ ليال، تأتيه امرأته فى كلّ وَقْت صلاة، فتحله للصلاة، ثم يعود فيَرْتبط بالجِذْع، فيما حدثنى بعض أهل العلم والآية [١] التى نزلت فى توْبته قولُ الله عزّ وجلّ: «وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحا وآخَرَ سَيِّئا عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إنّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

(إسلام نفر من بنى هدل):

قال ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بنَ سَعْيَة، وأُسيد بن سَعْيَة، وأسد بن عُبيد، وهم نفر من بنى هَدْل، ليسوا من بنى قُريظة ولا النَّضير، نَسَبُهُم فوق ذلك، هم بنو عمّ القوم، أسلَموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قُريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(أمر عمرو بن سعدى):

وخرج فى تلك اللّيلة عَمْرو بن سُعْدَى القُرَظى، فمرّ بحَرَس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه محمد بن مَسْلمة تلك الليلة؛ فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سُعْدَى — وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قُريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: لا أغدر بمحمد أبدا — فقال محمد بن مَسْلمة حين عرفه [٢]: اللهمّ لا تحرمنى إقالة عَثَرات الكِرام، ثم خلّى سبيله. فخرج على وجهه حتى أتى [٣] باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب فلم يُدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذُكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه، فقال: ذاك رجل نجّاه الله بوَفائه. وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثِق بِرُمَّةٍ [٤] فيمن أُوثِقَ من بنى قُريظة، حين نزلوا على حُكم رسول الله

(١) فى ا: «الآيات».

(٢) فى م، ر: «طرفه» وهو تحريف.

(٣) فى ا: «حتى بات فى مسجد... الخ».

(٤) الرمة: الحبل البالى.

صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رِمَّتُه مُلْقاة ، ولا يُدْرى أين ذهب ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أىّ ذلك كان .

(نزول بنى قريظة على حكم الرسول وتحكيم سعد) :

(قال) [١] فلما أصبحوا نزلوا على حُكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتَواثبتِ الأوْس ، فقالوا : يارسول الله ، إنهم [٢] موالينا دون الخَزرج ، وقد فعلتَ فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت — وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قُريظة قد حاصَر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حُلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبدُ الله بن أُبَىّ بن سلول ، فوَهبهم له — فلما كلَّمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترْضون يا معشر الأوس أن يَحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن مُعاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بنَ معاذ فى خَيْمة لامرأة من أسْلَم [٣] ، يُقال لها رُفَيدة ، فى مسجده ، كانت تُداوى الجَرْحَى ، وتَحْتسب بنفسها على خِدْمة مَنْ كانت به ضَيْعة من المُسلمين ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خَيْمة رُفَيدة حتى أعُوده من قريب . فلما حكَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قُريظة ، أتاه قومه فحمَلوه على حمار قد وطَّئوا له بوسادة من أدَم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عَمرو ، أحْسِنْ فى مواليك ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّما ولاك ذلك لتُحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد أَنَى لسَعد أن لاتأخذه فى الله لَوْمةُ لائم . فرجع بعضُ من كان معه من قَوْمه إلى دار بنى عبد الأشْهل ، فنَعَى لهم رجال بنى قُريظة ، قبل أن يَصل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منه . فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسولُ الله صلى الله عيه وسلم :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى م ، ر : « إنهم كانوا » .

(٣) وقيل إنها أنصارية . (راجع الإصابة وشرح المواهب) .

قوموا إلى سيِّدكم – فأما المُهاجرون من قُريش ، فيقولون : إنما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ؛ وأما الأنصار ، فيقولون : قد عمَّ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم – فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد وَلاَّك أمرَ مواليك لتَحكم فيهم ؛ فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقه ، أنّ الحُكمَ فيهم لَمَا حَكَمْتُ ؟ قالوا : نعم : وعلى مَنْ هاهنا ؟ فى الناحية التى فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مُعرِض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال سعد : فانى أحكم فيهم أن تُقتل الرجالُ ، وتُقسّم الأموال ، وتُسْبَى الذرارى والنساء :

(رضاء الرسول بحكم سعد) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصمُ بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو ابن سَعْد بن مُعاذ ، عن عَلْقمة بن وقّاص اللَّيْثى ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمتَ فيهم بحُكم الله من فوق سبعة أرْقعة [1] .

(سبب نزول بنى قريظة على حكم سعد فى رأى ابن هشام) :

قال ابنُ هشام : حدثنى بعضُ من أثقُ به من أهل العلم : أن علىَّ بن أبى طالب صاح وهم مُحاصرو بنى قُريظة : يا كَتيبة الإيمان ، وتقدّم هو والزُّبير بن العوّام ، وقال : والله لأذوقنّ ما ذاق حَمْزة أو لأَفتَحنّ حِصْنَهم ؛ فقالوا : يامحمد ، ننزل على حُكم سَعد بن مُعاذ .

(مقتل بنى قريظة) :

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى دار بنت الحارث [2] ، امرأة من بنى النَّجّار ، ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الأرقعة : السموات ؛ الواحدة : رقيع .

(٢) قال السهيلى : « واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس . وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز » .

وقال الزرقانى : « هى رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد ، زوجة معاذ بن الحارث ابن رفاعة ، تكرر ذكرها فى السيرة . والواقدى يقول : رملة بنت الحدث (بفتح الدال المهملة) . وليست هى كيسة بنت الحارث » .

إلى سوق المدينة ، التى هى سوقها اليوم ، فخَنْدق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضَرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، يُخرَج بهم إليه أرسالا [١] ، وفيهم عدوّ الله حُيَيّ بن أخْطب ، وكَعْب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستّ مئة أو سبع مئة ، والمُكثِّر لهم يقول : كانوا بين الثَّمان مئة والتسع مئة . وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كَعْب ، ما تراه يُصنع بنا ؟ قال : أفى كلّ موطن لاتَعْقِلُون ؟ ألا ترون الداعى لايَنْزِع ، وأنه من ذُهب به منكم لايَرْجِع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(مقتل ابن أخطب وشعر ابن جوال فيه) :

وأُتِىَ بحُيَيّ بن أخْطَبَ عدوّ الله ، وعليه حُلَّة له فقّاحية [٢] — قال ابن هشام : فقّاحية : ضربٌ من الوشي — قد شقّها عليه من كل ناحية قدر أنملة (أنملة)[٣] لئلا يُسْلبها ، مجموعة يداه إلى عُنقه بحبل . فلما نَظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يَخْذل الله يُخْذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بَأْس بأمر الله ، كِتاب وقدر ومَلْحمة كَتَبها [٤] الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضُربتْ عنقه .

فقال جَبل بن جَوّال الثَّعلبى [٥] :

لعَمْرك ما لامَ ابنُ أخْطَب نَفْسَه ... ولكنَّه مَنْ يَخْذُل اللهَ يُخْذَلِ
لجاهَد حتى أبْلغ النَّفس عُذْرَها ... وقَلْقَل يَبْغى العِزّ كلَّ مُقَلْقَل [٦]

---

(١) أرسالا ، أى طائفة بعد طائفة .

(٢) فقاحية : تضرب إلى الحمرة ، أى على لون الورد حين هم أن يتفتح (اللسان) .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) فى ا : « كتبت » .

(٥) كان ابن جوال هذا من بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، وكان يهوديا فأسلم ، وكانت له صحبة . (راجع الروض والاستيعاب) .

(٦) قلقل : تحرك .

(قتل من نسائهم امرأة واحدة) :

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزُّبير ، عن عروة بن الزُّبير ، عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تحدَّث معي ، وتضحك ظَهْرًا وبطنًا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السُّوق ، إذ هتف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله قالت : قلت لها : ويلك ؛ مالك ؟ قالت : أُقْتَل ؛ قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قالت : فانطلق بها ، فضُربت عنقها [١] ؛ فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عَجَبًا منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضَحكها ، وقد عرفَتْ أنها تُقتل .

قال ابن هشام : وهي التي طرحت الرَّحا على خلاَّد بن سُويد ، فقتلته .

(شأن الزبير بن باطا) :

قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس ، كما ذكر لي ابنُ شهاب الزُّهري ، أتى الزَّبير [٢] بن باطا القُرظي ، وكان يُكْنَى أبا عبد الرحمن — وكان الزبير قد منَّ على ثابت بن قَيس بن شمّاس في الجاهلية [٣] . ذكر لي بعضُ ولد الزَّبير أنه كان منَّ عليه يوم بُعاث ، أخذه فجزَّ ناصيتَه ، ثم خلّى سبيله — فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يَجْهل مثلي مثلك ؛ قال : إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي ؛ قال : إن الكريم يَجْزي الكريم ؛ ثم أتى ثابتُ بن قيس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إنه قد كانت للزَّبير عليَّ منَّة ، وقد أحببت أن أجْزيه بها ، فهبْ لي دَمه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ؛ فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمَك ، فهولك ؛ قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابتٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي

---

(١) قال أبو ذر : « هي امرأة الحسن القرظي » .

(٢) قال السهيلي : « هو الزبير ، بفتح الزاي وكسر الباء ، جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح . واختلف في الزبير بن عبد الرحمن ؛ فقيل : الزبير ، بفتح الزاي وكسر الباء ، كاسم جده ، وقيل الزبير » .

(٣) في ا : « ذكر » .

يا رسول الله ، هَبْ [١] لى امرأته وولَدَه ؛ قال : هُمْ لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَك وولدك ، فهم لك ؛ قال : أهلُ بيتٍ بالحجاز لامال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابتٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، مالَه ؛ قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالَك ، فهو لك ؛ قال : أىْ ثابت ، ما فعل الذى كأن وجهه مرآة صينيَّة يتراءى فيها عَذَارى الحىّ ، كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل سيِّد الحاضر والبادى حُيَىّ بن أخْطَب ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل مُقَدّمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا ، عزّال بن سَمَوْأل ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قُريظة وبنى عَمْرو بن قريظة ؛ قال : ذهبوا قُتلوا ؟ قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألْحَقْتَنِى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فَتْلة دَلْو ناضح [٢] حتى ألقى الأحبَّة . فقدّمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبا بكر الصدّيق قوله « ألقى الأحبَّة » . قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا (فيها) [٣] مخلّدا .

قال ابن هشام : قبلة دلو [٤] ناضح . (و) [٣] قال زهير بن أبى سُلمى فى « قبلة » :

وقابِلٍ يتَغَنَّى كُلَّما قَدَرَتْ ... على العَرَاقى يَدَاه قائما دَفَقا [٥]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : ويُروى : وقابل يتلقى ، يعنى قابل الدلو يتناول [٦] .

---

(١) فى ا : « يا رسول الله ، امرأته وولده » .

(٢) الناضح : الجمل الذى يستخرج عليه الماء من البئر بالسانية . وأراد بقوله له : فتلة دلو ناضح ؛ مقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا أخرجت فيصبها فى الحوض ، يفتلها أو يردها إلى موضعه .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) قال أبو ذر : « ومن رواه : قبلة ، بالقاف والباء ، فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ، ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة » .

(٥) القابل : الذى يقبل الدلو . ودفق الماء صبه ، والعراق : جمع عرقوة ، وهى العود الذى يكون فى أدق الدلو .

(٦) كذا وردت هذه العبارة التى تلى بيت زهير مروية عن ابن هشام فى أكثر الأصول ، وهى —

(أمر عطية ورفاعة) :

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أمَرَ بقتْل كلّ من أنبت منهم .

قال ابن إسحاق : وحدّثني شُعبة بن الحجّاج ، عن عبد الملك بن عُمير ، عن عطية القرظي ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يُقتل من بني قُريظة كلّ من أنبت منهم ، وكنت غلاما ، فوَجدوني لم أُنبت ، فخلّوا سبيلي .

قال (ابن إسحاق) [1] : وحدثني أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعْصعة أخو بني عديّ بن النّجار : أن سَلْمى بنت قيس ، أم المُنذر ، أختَ سليط بن أختَ سليط بن قيس — وكانت إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد صلّت معه القبلتين ، وبايعته بيعةَ النّساء — سألته رفاعةَ بن سَمَوْأل القُرظي ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذَ [2] بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت : يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأمي ، هبْ لي رِفاعة ، فانه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل ؛ قال : فوهبه لها ، فاستَحْيته .

(قسم فيء بني قريظة) :

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسّم أموال بني قُريظة ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم سُهْمان الخيل وسُهْمان الرجال ، وأخرج منها الخُمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سَهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ، من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بني قُريظة ستة وثلاثين فرسا ، وكان أول فَيْء وقعت فيه السُّهمان ، وأُخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضَى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنّة في المغازي .

= في « ا » على الوجه الآتي : « قال ابن هشام : هو تفسير بيت زهير ، ويعني قابل الذي يتلقّ الدلو إذا خرج من البئر . والناضح : البعير الذي يستقي الماء لسقي النخل ، وهذا البيت في قصيدة له » .

(١) زيادة عن ا .

(٢) لاذ بها : التجأ إليها .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَعد بن زيد الأنصاريّ أخا بنى عبد الأشهل بسَبَايا من سبايا بنى قُريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

(شأن ريحانة) :

(قال) [١] : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحانة بنت عمرو بن خُنافة [٢] ، إحدى نساء بنى عمرو بن قُريظة [٣] ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُوفّىَ عنها وهى فى مِلْكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَض عليها أن يتزوّجها ، ويَضْرِب عليها الحجاب ؛ فقالت : يا رسول الله ، بل تتركنى فى مِلْكك ، فهو أخفّ علىّ وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصّت بالإسلام ، وأبت إلا اليهوديَّة ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووَجد فى نفسه لذلك من أمرها . فبينا هو مع أصحابه ، إذ سمع وقْع نعلين خلْفه ؛ فقال : إن هذا لثعلبة بن سَعْية يبشرنى باسلام رَيْحانة ؛ فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسْلمت ريحانة ، فسرّه ذلك من أمرها .

(ما نزل فى الخندق وبنى قريظة) :

قال ابن إسحاق [٤] : وأنزل الله تعالى فى أمر الخَنْدق ، وأمر بنى قُريظة من القرآن ، القِصّةَ فى سورة الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البَلاء ، ونِعْمته عليهم ، وكِفايته إياهم حينَ فرّج ذلك عنهم ، بعد مقالة مَن قال من أهل النفاق : « يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحًا وجُنُودًا لَمْ تَرَوْها ، وكانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » . والجنود قريش وغَطفان وبنو قُريظة ، وكانت الجنود التى أرسلَ الله عليهم مع الريح الملائكةَ . يقول الله تعالى : « إذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإذْ زاغَتِ الأبْصارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ ، وَتَظُنُّونَ باللهِ

(١) زيادة من ا .

(٢) كذا فى أكثر الأصول وشرح المواهب مضبوطة بالعبارة . وفى ا : « جنافة » .

(٣) وقيل : كانت من بنى النضير متزوجة فى قريظة رجلا يقال له الحكم . (راجع شرح المواهب) .

(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا .

الظُّنونا » . فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قُريظة ، والذين جاءوهم من أسفلَ منهم قُريش وغَطفان. يقول الله (تبارك و) [١] تعالى : « هُنالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ، وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً » لقول مُعَتِّب بن قُشير إذ يقول ما قال . « وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لامُقامَ لَكُمْ فارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِراراً » لقول أوس بن قيظي وَمَنْ كان على رأيه من قومه « وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها » : أى المدينة .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ؛ وواحدها : قطر ، وهى الأقتار ، وواحدها : قتر .

قال الفرزدق :

كم من غِنًى فَتَح الإلهُ لهم به   والخيلُ مُقْعية على الأقْطارِ[٢]

ويُروى : « على الأقتار » . وهذا البيت فى قصيدة له .

« ثم سئلوا الفتنة » : أى الرجوع إلى الشرك « لآتَوْها وَما تَلَبَّثُوا بِها إِلاَّ يَسِيراً . وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لايُوَلُّونَ الأَدْبارَ ، وَكانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً » ، فهم بنو حارثة ، وهم الذين همّوا أن يفشلوا يوم أُحُد مع بنى سَلِمة حينَ همّتا بالفشل يوم أُحد ، ثم عاهدوا الله أن لايعودوا لمثلها أبدا ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : « قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أَوِ القَتْلِ ، وَإِذاً لاتُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً . قُلْ مَنْ ذَا الذي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً ، أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً . قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ » : أى أهل النفاق « وَالقائِلِينَ لإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا ، وَلا يَأْتُونَ البَأْسَ إِلاَّ

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) مقعية : أى ساقطة على أجنابها تروم القيام ، كما تقعى الكلاب على أذنابها وأفخاذها .

قَلِيلاً » : أى إلا دفعا وتعذيرا[1] « أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ » : أى للضّغن الذى فى أنفسهم « فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ، تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ » : أى إعظاما له وفَرَقا منه « فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ » : أى فى القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حِسْبَة[2] ، فهم يهابون الموتَ هَيْبَةَ من لا يرجو ما بعده .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وآذَوْكم . تقول العرب : خطيب سَلاّق ، وخطيب مِسْلَق ومِسْلاق . قال أعشى بنى قَيْس ابن ثعلبة :

فيهم المجدُ والسّماحةُ والنجـــدة فيهم والخاطب السلاّقُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

« يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا » قُريش وغَطفان « وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً » .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ » ; أى لئلا يَرْغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكانٍ هُو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وَعدهُمُ الله من البلاء يختبرهم[3] به ، فقال : « وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ[4] قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً » : أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحقّ ، لما كان الله تعالى وَعدهم ورسوله[5] صلى الله عليه وسلم

---

(١) التعذير : أن يفعل الرجل الشىء بغير نية ، وإنما يريد أن يقيم به العذر عند من يراه .

(٢) كذا فى « ا » . والحسبة (بالكسر) : طلب الأجر . وفى سائر الأصول : « حسنة » .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ليختبر » .

(٤) هذه الجملة : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب » من الآية ساقطة فى ا .

(٥) فى ا : « لما كان الله وعدهم الله ورسوله » .

ثم قال : « مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ » : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن [١] استشهد يوم بَدْرٍ ويوم أُحُد .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : قضى نَحْبه : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرنى أبو عبيدة وجمعه : نحوب . قال ذو الرمة :

عَشِيَّةَ فَرَّ الحارِثِيُّونَ بَعْدَ ما قَضَى نَحْبه فى [٢] مُلْتَقَى الخَيْل هَوْبَرُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وهَوْبر : من بنى الحارث بن كَعْب ، أراد : يزيدَ ابن هَوْبر . والنحب (أيضا) : النذر . قال جَرير بن الخَطَفَى :

بِطِخْفَةَ جالَدْنا [٣] المُلوكَ وخَيْلُنا عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يقول : على نَذْر كانت نَذَرت أن تَقْتله فقَتَلته ، وهذا البيت فى قصيدة له وبسطام : بسطام بن قَيس بن مسعود الشَّيبانى ، وهو ابن ذى الجَدَّين . حدثنى أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة بن نزار . وطِخْفَة : موضع بطريق البصرة [٤]

والنحب (أيضا) : الخطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وإذ نَحَبَتْ كَلْبٌ على النَّاس أيُّنا على النَّحْب أعطَى للجَزِيل وأفضلُ

والنَّحب (أيضا) : البكاء . ومنه قولهم ينتحب . والنحب (أيضا) : الحاجة والهمَّة ؛ تقول : مالى عندهم نَحْب . قال مالك بن نُوَيرة اليَرْبوعى :

ومالِىَ نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غيرَ أنَّنِى تَلَمَّسْت ما تبغى من الشُّدُن الشُّجْرِ [٥]

وقال نَهار بن تَوْسِعة ، أحد بنى تيم اللات بن ثَعْلَبة بن عُكابة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل .

---

(١) فى ا : « لمن » .

(٢) هذه الكلمة : « فى » ساقطة فى ا . ولا يستقيم الوزن بدونها .

(٣) فى ا : « خالدنا » .

(٤) هذه العبارة : « بطريق البصرة » ساقطة فى ا .

(٥) الشدن : الإبل منسوبة إلى شدن ، موضع باليمن . والشجر : التى فى أعينها حمرة .

قال ابن هشام : هؤلاء موال بنى حنيفة [١] :

وَنجّى يوسفَ الثقفىَّ رَكْضٌ   دِراكٌ بعد ما وقَع اللِّواءُ [٢]
ولو أدْركْنه لَقَضَيْنَ نَحْبًا [٣] به   ولكُلِّ مُخْطأةٍ وِقاء

والنَّحب (أيضا) : السير الخفيف المرّ .

قال ابن إسحاق [٤] : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ » : أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على مامضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : « وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا » : أى ما شكوا وما تردّدوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . « لِيَجْزِىَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ، وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ إنْ شاءَ ، أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا رَحِيما . وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ » : أى قريشا وغطفان « لَمْ يَنالُوا خَيْرًا ، وكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتالَ وكانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا . وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ » : أى بنى قريظة « من صَيَاصِيهِمْ » ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن هشام : قال سُحَيم عبد بنى الحَسْحاس ؛ وبنو الحسحاس من بنى أسد ابن خُزَيمة :

وأصْبحت الثِّيران صَرْعى وأصْبحت   نساء تَميم يَبْتَدِرْنَ الصَّياصِيا [٥]

وهذا البيت فى قصيدة له . والصّياصى (أيضا) : القرون . قال النابغة الجعدى :

وسادةَ رَهْطِى حتى بَقِيتُ   فَرْدًا كصِيصَيَة الأعْضَب [٦]

يقول : أصاب الموت سَادة رهطى [٧] . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو دواد الإيادىّ [٨] :

---

(١) فى م ، ر : « هو مولى أبى حنيفة الفقيه » .
(٢) الركض : الجرى . ودراك : متتابع .
(٣) فى م ، ر : « ولو أدركته لقضيت » .
(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا .
(٥) كذا فى ا . وفى م ، ر : « يلتقطن » . وزيد فيهما بعد هذا البيت : « ويروى يبتدرون » .
(٦) الأعضب : المكسور القرن .
(٧) هذه العبارة ساقطة فى ا .
(٨) فى الأصول : « أبو داود » وهو تحريف .

فَذَعَرْنا سُحْمَ الصَّياصِى بأيديـــهنّ نَضْحٌ من الكُحَيْل وقار[1]

وهذا البيت فى قصيدة له[2] . والصَّياصى (أيضا): الشوك الذى للنَّساجين ، فيما أخبرنى أبو عُبيدة . وأنشدنى لدُريد بن الصِّمَّة الجُشَمى ، جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن :

نَظَرْتُ إليه والرِّماح[3] تَنُوشُــه[4] كوَقْع الصَّياصى فى النَّسيج المَمدَّدِ

وهذا البيت فى قصيدة له . والصَّياصى (أيضا) : التى تكون فى أرْجل الدِّيكة ناتئة كأنها القرون الصِّغار ، والصياصى (أيضا) : الأصول . أخبرنى أبو عُبيدة أن العَرب تقول : جَذّ الله صيصيته : أى أصله .

قال ابن إسحاق : « وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا » : أى قتل الرجال ، وسبى الذَّرارى والنساء ، « وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوها » : يعنى خَيْبر « وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا » .

(وفاة سعد بن معاذ وما ظهر مع ذلك) :

قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قُريظة انفجر بسعد بن مُعاذ جُرحه ، فمات منه شهيدًا .

قال ابن إسحاق[5] : حدثنى مُعاذ بن رفاعة الزُّرَقى ، قال : حدثنى مَنْ شئت من رجال قومى : أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين قُبض سعد بن مُعاذ من جوف الليل معتجرًا بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من

---

(١) ذعرنا ، من الذعر ، وهو الفزع . والسحم : السود . والصياصى : القرون . ويريد « بسحم الصياصى » . الوعول التى فى الجبال . ونضح : لطخ . والكحيل : القطران . والقار : الزفت أراد ما فى أيديها من السواد . فشبهه بالكحيل والقار .

(٢) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٣) فى ا : « والريح » وهو تحريف .

(٤) تنوشه : تتناوله من قرب .

(٥) هذه العبارة ساقطة فى ا .

هذا الميِّت الذى فُتحت له أبوابُ السماء ، واهتزّ له [١] العرش ؟ قال : فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجرّ ثوبه إلى سَعد ، فوجده قد مات .

قال ابن إسحاق [٢] : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعها أُسيد بن حُضير ، فلقيه موتُ امرأة له ، فحزِن عليها بعضَ الحُزن ، فقالت له عائشة [٣] : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أُصِبْت بابن عمك ، وقد اهتزّ له العرش !

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البَصْرى ، قال : كان سعد رجلا بادِنا ، فلما حمله الناس وجدوا له خفةً ، فقال رجالٌ من المنافقين [٤] : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أخفّ منه ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنّ له حَمَلةً غيركم ، والذى نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتزّ له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مُعاذ بن رِفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو ابن الجموح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبّح الناس معه ، ثم كبر

---

(١) قال السهيلى عند الكلام على اهتزاز العرش : « وقد تكلم الناس فى معناه وظنوا أنه مشكل . وقال بعضهم : الاهتزاز (هاهنا) : بمعنى الاستبشار بقدوم روحه . وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعادا منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة . ولابعد فيه ، لأنه مخلوق ، ويجوز عليه الحركة والهزة ، ولا يعدل عن ظاهر (اللفظ) ماوجد إليه سبيل . وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح . قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة . وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه : أنه سرير سعد اهتز ، لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا : كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن ، وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن . رواه أبو الزبير عن جابر ، يرفعه ، ورواه البخارى من طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفيان ، كلاهما عن جابر . ورواه من الصحابة جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدرى وأسيد بن حضير ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى ، والعجب لما روى عن مالك رحمه الله ، من إنكاره الحديث ، وكراهيته التحدث به مع صحة نقله ، وكثرة الرواة له . ولعل هذه الرواية لم تصح عند مالك ، والله أعلم » .

(٢) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٣) فى م ، ر : « ياعائشة » وهو تحريف .

(٤) كذا فى ا والاستيعاب فى ترجمة سعد بن معاذ ، وفى سائر الأصول : « المسلمين » .

فكَّبر الناس معه ؛ فقالوا : يا رسول الله ، ممّ سبَّحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرّجه الله عنه .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قولُ عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن للقبر لَضَمّةً لو كان أحد منها ناجيا لكان سعدُ بن مُعاذ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتزّ عرش الله من موت هالك ... سمعنا به إلا لسَعْدِ أبي عَمْرو

وقالت أمُّ سعد ، حين احتُمل نعشه وهي تبكيه — قال ابن هشام — وهي كُبيشة بنت رافع بن معاوية بن عُبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر[1] ، وهو خُدْرة[2] ابن عَوْف بن الحارث بن الخزرج :

وَيْلُ أمِّ سَعْدٍ سعدا[3] ... صَرَامةً وحَدّا[4]

وسُوددًا ومجدا ... وفارسا مُعَدّا

سُدّ به مَسَدّا ... يَقُدُّ هاما قَدّا[5]

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلّ نائحة تكْذب ، إلا نائحة[6] سعد بن معاذ.

(شهداء يوم الخندق) :

قال ابن إسحاق : ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخَندق إلا ستة نفر .

(من بنى عبد الأشهل) :

ومن بنى عبد الأشهل : سعدُ بن مُعاذ ، وأنس بن أوس بن عَتيك بن عمرو ، وعبد الله بن سهل . ثلاثة نفر .

(من بنى جشم) :

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلمة : الطُّفيل بن النعمان ، وثعلبة ابن غَنَمة . رجلان .

---

(١) فى الاستيعاب : « كبشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر » .

(٢) فى ا : « الأبجر وهو جدرة » وهو تصحيف .

(٣) كسرت اللام من « ويل » إتباعا لكسرة الميم من « أم » .

(٤) فى ا : « وجدا » .

(٥) هذا الشطر ساقط فى ا .

(٦) فى ا : « ناحية » وهو تحريف .

(من بنى النجار):

ومن بنى النّجار، ثم من بنى دينار: كعبُ بن زيد، أصابه سهم غَرْب، فقتله.

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب):

قال ابن هشام: سَهْمُ غَرْبٍ وسَهْمٌ غَرْبٌ، بإضافة وغير إضافة، وهو الذى لا يُعرف من أين جاء ولا من رَمَى به[١].

(قتل المشركين):

وقُتل من المشركين ثلاثة نفر.

(من بنى عبد الدار):

من بنى عبد الدّار بن قُصَىّ: مُنَبِّه بن عثمان بن عُبَيْد بن السَّبَّاق بن عبد الدار، أصابه سهم، فمات منه بمكة.

قال ابن هشام: هو عثمان بن أُمَيَّة بن منبِّه بن عُبيد بن السَّبَّاق.

(عرض المشركين على الرسول شراء جسد نوفل):

قال ابن إسحاق: ومن بنى مخزوم بن يَقَظة: نوفل بن عبد الله بن المُغيرة؛ سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده، وكان اقتحم الخندق، فتورَّط[٢] فيه، فقُتل، فغلب المسلمون على جسده. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا حاجة لنا فى جسده ولا بثمنه، فخلّى بينهم وبينه.

قال ابن هشام: أعطَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم، فيما بلغنى عن الزُّهرى.

(من بنى عامر):

قال ابن إسحاق: ومن بنى عامر بن لُؤَىّ، ثم من بنى مالك بن حِسْل: عمرو ابن عَبْد وُدّ، قتله علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه.

قال ابن هشام: وحدثنى الثقة أنه حدّث عن ابن شهاب الزهرىّ أنه قال: قتل علىّ بن أبى طالب يومئذ عمرو بن عبد ودّ وابنه حِسْل بن عمرو.

---

(١) هذه العبارة: «قال ابن هشام... رمى به» ساقطة فى ا.

(٢) تورط فيه: انتشب.

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد وُدّ ، ويقال : عمرو بن عَبْد .

(شهداء المسلمين يوم بنى قريظة) :

قال ابن إسحاق : واستُشهد يوم بنى قُريظة من المسلمين ، ثم من بنى الحارث بن الخزرج : خلاّد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرحت عليه رحًى ، فشدَخته شدْخا شديدا ، فزعموا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجرَ شهيدين.

ومات أبو سنان بن مِحْصَن بن حُرْثان ، أخو بنى أسد بن خُزَيمة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم محاصر بنى قُريظة ، فدُفن فى مَقْبَرة بنى قُريظة التى يَدْفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتَهم فى الإسلام .

(بشر الرسول المسلمين بغزو قريش) :

ولما انصرف أهلُ الخَنْدَق عن الخندق ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : لن تَغْزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تَغزونهم . فلم تغزهم قُريش بعد ذلك ، وكان هو الذى يَغْزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

ما قيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة

(شعر ضرار) :

وقال ضِرار بن الخَطَّاب بن مِرْداس ، أخو بنى مُحارب بن فِهْر ، فى يوم الخندق :

ومُشْفِقة تَظُنّ بنا الظُّنونا ... وقد قُدْنا عَرَنْدَسة طَحُونا[1]
كأنّ زُهاءها أُحُــد إذا ما ... بَدَتْ أرْكانُه للنّاظِرينا[2]
ترَى الأبدانَ فيها مُسْبِغاتٍ ... على الأبطال واليَلَبَ الحَصِينا[3]
وجُرْدًا كالقِداح مُسَوَّمات ... نَؤُمّ بها الغُواة الخاطِئينا[4]

(١) العرندسة : الشديدة القوة ، يريد : كتيبة . والطحون : التى تطحن كل ما مرت به .

(٢) زهاؤها : تقدير عددها .

(٣) الأبدان (هنا) : الدروع . ومسبغات : كاملة . واليلب : الترسة أو الدرق .

(٤) الجرد : الخيل العتاق . والقداح : السهام . والمسومات : المرسلة ، ويقال : هى الغالية الأسوام . ونؤم : نقصد .

كأنهمُ إذا صالُوا وصُلْنا ... ببابِ الخَنْدَقَيْن مُصافحونا[١]

أناسٌ لا نرَى فيهم رَشيداً ... وقد قالوا أَلَسْنا راشِدِينا

فأحْجَرْناهمُ شَهْراً كَرِيتا ... وكنّا فوقَهم كالقاهرينا[٢]

نُراوِحُهمْ ونَغْدُو كلَّ يوم ... عليهمْ فى السِّلاح مُدَجَّجينا[٣]

بأيْدينا صَوارِمُ مُرْهَفاتٌ ... نَقُدُّ بها المَفارق والشُّئونا[٤]

كأنّ وَمِيضَهنّ مُعَرَّيات ... إذا لاحتْ بأيْدِى مُصْلِتينا[٥]

وَمِيضُ عقيقة لَمعتْ بلَيلٍ ... ترى فيها العَقائق مُسْتَبِينا[٦]

فلَوْلا خَنْدَقٌ كانوا لَدَيْه ... لَدَمَّرْنا عليهم أجمَعينا

ولكن حالَ دونَهمُ وكانُوا ... بهِ مِنْ خَوْفِنا مُتَعَوِّذِينا

فإنْ نرْحل فإنّا قد ترَكْنا ... لَدَى أبْياتِكم سَعْداً رَهينا

إذا جنّ الظلام سمعتَ نَوْحَى ... على سَعْد يُرَجِّعْن الحَنِينا[٧]

وسوفَ نَزُوركم عمّا قريب ... كما زُرْناكُمُ مُتَوازِرِينا[٨]

بجَمْعٍ من كِنانة غير عُزْلٍ ... كأُسْدِ الغابِ قد حَمَتِ العَرِينا[٩]

(شعر كعب فى الرد على ضرار):

فأجابه كعب بن مالك، أخو بنى سلمة، فقال:

وسائِلةٍ تُسائِلُ ما لَقِينا ... ولو شَهِدَتْ رَأَتْنا صابِرينا

---

(١) المصافحة: أخذ الرجل بيد الرجل عند السلام.

(٢) أحجرناهم: حصرناهم. وشهرا كريتا: تاما كاملا.

(٣) المدجج (بفتح الجيم وكسرها): الكامل السلاح.

(٤) الصوارم: السيوف. ومرهفات: قاطعة. ونقد: تقطع. والمفارق: جمع مفرق، وهو حيث يتفرق الشعر فى أعلى الجبهة. ويريد «بالشئون»: جميع العظام فى أعلى الرأس.

(٥) الوميض: اللمعان. والمصلت: الذى جرد سيفه من غمده.

(٦) العقيقة: السحابة التى تنشق من البرق.

(٧) النوحى: جماعة النساء اللاتى ينحن.

(٨) متوازرين: متعاونين.

(٩) العزل: الذين لاسلاح معهم؛ الواحد: أعزل. والغاب جمع غابة، وهى الأجمة والعرين: موضع الأسد.

صَبرْنا لانرَى لله عَدلاً عَلى ما نابَنا مُتَوكلينا
وكان لنا النبيّ وزيرَ صِدْقٍ به نَعْلو البَريَّة أجمَعينا
نُقاتل مَعْشراً ظلَموا وعقُّوا وكانُوا بالعداوة مُرْصِدينا[١]
نُعاجِلهم إذا نَهضوا إلينا بضَرْبٍ يُعْجِل المُتَسرِّعينا
ترَانا في فَضَافِضَ سابغاتٍ كغُدْرانِ المَلا مُتَسَرْبلينا[٢]
وفي أيمانِنا بِيضٌ خِفافٌ بها نَشْفِي مِرَاح الشَّاغبينا[٣]
بباب الخَنْدَقين كأنّ أُسْداً شَوَابِكُهُنَّ يَحْمِينَ العَرينا[٤]
فوارِسنا إذا بَكرُوا ورَاحُوا على الأعْدَاء شُوسا مُعلَمينا[٥]
لنَنْصر أحمَداً والله حتى نكونَ عِبادَ صِدْقٍ مُخْلِصينا
ويعْلمَ أهلُ مكَّة حين سارُوا وأحزَابٌ أتَوْا مُتَحزِّبينا
بأنّ الله ليسَ له شَريكٌ وأنّ اللهَ مَوْلى المُؤْمنينا
فإمَّا تَقْتُلوا سَعْدا سفاها فانّ اللهَ خيرُ القادرينا
سيُدْخله جِنانا طيِّباتٍ تكونُ مقامةً للصَّالحينا
كما قد رَدَّكُمْ فَلاًّ شَريداً بغَيْظِكُمُ خَزَايا خائبينا[٦]
خزَايا لمْ تَنالُوا ثَمَّ خَيْراً وكِدْتُم أن تكُونوا دامِرينا[٧]
بِريحٍ عاصِفٍ هبّتْ عليكُمْ فكُنْتُمْ تحتَها مُتَكَمِّهينا[٨]

(شعر ابن الزبعرى) :

وقال عبد الله بن الزِبَعْرَى السَّهْمي ، في يوم الخندق :

---

(١) المرصد : المعد للأمر عدته .

(٢) الفضافض : الدروع المتسعة . وسابغات : كاملة . والملا (مقصور) : المتسع من الأرض . ومتسربلون : لابسون الدروع .

(٣) المراح : النشاط .

(٤) الشوابك : التي يتشبث بها فلا يفلت .

(٥) الشوس : جمع أشوس ، وهو الذي ينظر نظر المتكبر بمؤخر عينه . والمعلم (بفتح اللام وكسرها) : الذي أعلم نفسه بعلامة الحرب ليشهرها .

(٦) الفل : القوم المهزمون . والشريد : الطريد .

(٧) دامرين : هالكين .

(٨) العاصف : الريح الشديدة . والمتكمه : الأعمى الذي لا يبصر .

حتى الديارَ محا معارفَ رَسْمِها ... طُولُ البِلى وتراوحُ الأحقابِ[1]
فكأنما كَتَبَ اليهودُ رُسومَها ... إلا الكَنيفَ ومَعْقِدَ الأطْنابِ[2]
قَفْرًا كأنك لم تكُنْ تَلْهو بها ... في نِعْمَةٍ بأوانسٍ أتْرابِ[3]
فاتْرك تذكُّرَ ما مَضى من عيشة ... ومَحَلَّةٍ خَلَقِ المَقام يَبابِ[4]
واذْكُر بلاءَ معاشرٍ واشكُرْهُمُ ... سارُوا بأجمعِهم من الأنْصابِ[5]
أنْصاب مكّة عامدين لِيَثْرِبٍ ... في ذي غَياطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجابِ[6]
يَدَعُ الحُزُونَ مناهجًا معلومةً ... في كُلِّ نَشْزٍ ظاهرٍ وشِعابِ[7]
فيها الجيادُ شَوازِبٌ مَجْنوبةٌ ... قُبُّ البطون لَواحِقُ الأقْرابِ[8]
من كلّ سَلْهبةٍ وأجْرَدَ سَلْهَبٍ ... كالسِّيدِ بادَرَ غَفْلَةَ الرُّقّابِ[9]
جَيْشٌ عُيَيْنَةُ قاصدٌ بلوائه ... فيه وصَخْرٌ قائدُ الأحزابِ
قَرْمانِ كالبَدْرَيْنِ أصبح فيهما ... غَيْثُ الفَقير ومَعْقِلُ الهُرّابِ[10]
حتى إذا وَرَدوا المدينة وارتَدَوْا ... للموْت كلَّ مُجَرَّبٍ قَضّابِ[11]

---

(١) الأحقاب : الدهور ؛ الواحد : حقب .

(٢) الكنيف : الحظيرة والزرب الذي يصنع للإبل ، وسمى كنيفا ، لأنه يكنفها ، أي يسترها . والأطناب : الحبال التي تشد بها الأخبية وبيوت العرب . ويريد « بمعقدها » : الأوتاد التي تربط بها .

(٣) الأتراب : جمع ترب وهن المتساويات في السن .

(٤) اليباب : القفر .

(٥) قال أبو ذر : « الأنصاب هنا : الحجارة التي يعلم بها الحرم . والأنصاب (أيضا) : حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها » .

(٦) يريد « بذي غياطل » : جيشا كثير الأصوات . والغياطل : جمع غيطلة ، وهي الصوت هنا . وجحفل : جيش . وجبجاب : كثير .

(٧) الحزون : جمع حزن ، وهو ما ارتفع من الأرض . والمناهج : جمع منهج ، وهو الطريق البين . والنشز : المرتفع من الأرض ، ويقال فيه نشز أيضا . (وهى رواية) . والشعاب : جمع شعب ، وهو المنخفض بين جبلين

(٨) الشوازب : الضامرة . والمجنوبة : المقودة . وقب : ضامرة . ولواحق : ضامرة (أيضا) . والأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة وما يليها .

(٩) السلهبة : الطويلة . والسيد : الذئب .

(١٠) قرمان : فحلان سيدان . ومعقل الهراب : ملجؤهم .

(١١) ارتدوا : تقلدوا . وكل مجرب : أي كل سيف قد جرب . والقضاب : القاطع .

شهراً وعشراً قاهرين محمداً — وصحابُه فى الحرب خير صحاب

نادوا برحلتهم صبيحة قُلتمُ — كِدْنا نكون بها مع الخُيَّاب

لولا الخنادقِ غادروا من جمعهم — قتلى لطيرٍ سُغَّبٍ[1] وذئاب

(شعر حسان) :

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال :

هل رَسْمُ دارسةِ المقام يَبابِ[2] — متكلّم لمحاور[3] بجواب

قفْر عفا رِهَمُ السحاب رسومه — وهُبُوبُ كلّ مُطِلّةٍ مِرْباب[4]

ولقد رأيت بها الحلول يزينهم — بيضُ الوجوه ثواقب الأحساب[5]

فدع الديار وذِكْر كلّ خريدة — بيضاءَ آنسةِ الحديث كَعاب[6]

واشكُ الهموم إلى الإله وما ترى — من معشر ظلموا الرسول غضاب

ساروا بأجمعهم إليه وألَّبُوا — أهلَ القُرَى وبوادِيَ الأعراب[7]

جيش عُيَيْنةَ وابنُ حرب فيهمُ — مُتخمّطون بحلبة الأحزاب[8]

حتى إذا وردوا المدينة وارتجَوْا — قتلَ الرسول ومغنمَ الأسلاب

وغدَوْا علينا قادرين بأيدهم — رُدّوا بغيظهمُ على الأعقاب[9]

بهُبُوب مُعْصِفةٍ تُفرّق جمعهم — وجنودِ ربّكَ سيّدِ الأرباب[10]

فكفى الإله المؤمنينَ قتالهمْ — وأثابهم فى الأجر خيرَ ثواب

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وسغب : جائعة . وفى ا : « شعب » . وهو تصحيف .

(٢) اليباب : القفر .

(٣) كذا فى ا . والمحاور : الذى يراجعك ويتكلم معك . وفى سائر الأصول : « لمحارب » .

(٤) عفا : تغير ودرس . ورهم : جمع رهمة ، وهى المطر ، ومطلة : مشرفة . ومرباب : دائمة ثابتة .

(٥) الحلول : البيوت المجتمعة . وثواقب : مشرقة ، ومنه قوله تعالى : « النجم الثاقب » .

(٦) الخريدة : المرأة الناعمة . والكعاب : التى نهد ثديها فى أول ما ينهد .

(٧) ألبوا : جمعوا .

(٨) متخمطون : مختلطون . قال أبو ذر : « ويقال : المتخمط : الشديد الغضب المتكبر » . والحلبة جماعة الخيل التى تعد للسباق .

(٩) الأيد : القوة .

(١٠) المعصفة : الريح الشديدة .

مِن بعد ما قَنطوا فَفرَّق جمْعهم   تَنْزِيلُ نَصْر مليكنا الوهَّاب
وأقرَّ عَــيْن محمَّدٍ وصحابه   وأذَلّ كُلَّ مُكَذّبٍ مُرْتاب
عانِى الفُؤادِ مُوَقَّعٍ ذى رِيبة   فى الكُفْر ليس بطاهِرِ الأثْواب[١]
عَلِق الشَّــقاءُ بقَلْبه فَفُؤادُه   فى الكُفْر آخرُ هذه الأحقاب

(شعر كعب) :

وأجابه كعب بن مالك أيضا ، فقال :

أبقَى لنا حَدَثُ الحُرُوب بقيّةً   من خَــيْر نِحْلة رَبِّنا الوَهَّابِ[٢]
بَيْضَاءَ مُشْرِفة الذُّرى ومَعاطنا   حُمَّ الجُذُوع غزيرَةَ الأحْلاب[٣]
كاللُّوب يُبْذَلُ جَمُّها وحَفِيلُها   للْجارِ وابنِ العَــمّ والمُنْتاب[٤]
ونَزائعا مثل السَّراح نَمَى بها   عَلَفُ الشَّعير وجِزَّة المِقْضاب[٥]
عَرِى الشَّوَى منها وأرْدَفَ نَحضَها   جُرْدُ المُتــون وسائر الآراب[٦]
قُوداً تَراح إلى الصِّياح إذ غَدَتْ   فعل الضِّراء تَراح للكَلاّب[٧]
وتَحوط سائمَــة الدِّيار وتارةً   تُرْدى العِدا وتَئُوبُ بالأسْلاب[٨]

---

(١) عانى الفؤاد : قاسيه . وموقع : ذو عيب ، وأصله من التوقيع فى ظهر الدابة ، وهو انسلاخ يكون فيه .

(٢) النحلة : العطاء .

(٣) الذرى : الأعالى . ويعنى بها : الآطام . ويعنى « بالمطاعن » : منابت النخل عند الماء ، تشبيها لها بمعاطن الإبل ، وهى مباركها حول الماء . وحم : سود . ويريد « بالجذوع » : أعناقها . والأحلاب : ما يحلب منها .

(٤) اللوب : جمع لوبة ، وهى الحرة ، وهى أرض ذات حجارة سود . وجمها : ما اجتمع من لبنها . والمنتاب : القاصد الزائر .

(٥) النزائع : الخيل العربية التى جلبت من أرضها إلى أرض أخرى . والسراح : الذئاب ، الواحد سرحان . وجزة المقضاب : أى ما يجز لها من النبات فتطعمه ، والمقضاب : من القضب ، وهو القطع .

(٦) كذا فى أكثر الأصول . والشوى : القوائم . والنحض : اللحم . وجرد المتون : ملس الظهور . والآراب : جمع إرب ، وهو كل عضو مستقل بنفسه . وفى ا « وسار فى الآراب » .

(٧) قود : طوال ، الواحد : أقود وقوداء . وتراح : تنشط . والضراء : الكلاب الضارية فى الصيد والكلاب الصائد صاحب الكلاب ؛ الواحد : كالب .

(٨) السائمة : الماشية المرسلة فى المرعى إبلا كانت أو غيرها . وتردى : تهلك . وتئوب : ترجع .

حُوشُ الوُحوش مُطارة عند الوَغَى عُبْس اللّقاء مُبينة الإنجاب[١]
عُلِمت على دَعة فصارتْ بُدّنا دُخْسَ البَضيع خَفيفة الأقصاب[٢]
يَغْدُونَ بالزّغْف المُضاعف شَكّة وبمُترَصات فى الثّقاف صِياب[٣]
وصَوارم نَزَع الصّياقِل غُلْبها وبكُلّ أرْوع ماجِد الأنْساب[٤]
يَصِل اليمين بمارنٍ مُتقارب وُكِلَت وقيعتُه إلى خَبّاب[٥]
وأغَرّ أزْرق فى القَناة كأنّه فى طُخْيَة الظّلْماء ضوءُ شِهاب[٦]
وكَتيبة يَنْفِى القِرانَ قَتيرُها وتَرُدُّ حَدَّ قَوَاحذ النُّشّاب[٧]
جأْوَى مُلَمْلَمة كأنّ رماحها[٨] فى كُلّ مَجْمَعة ضَريمةُ غاب[٩]
يأوِى إلى ظِلّ اللّواء كأنّه فى صَعْدة الخَطّىّ فَىْءُ عُقاب[١٠]
أعْيَت أبا كَرِبٍ وأعْيَتْ تُبَّعا وأبَتْ بَسالَتُها على الأعْراب[١١]
ومَواعظ مِن ربّنا نُهْدَى بِها بِلسان أزْهَرَ طَيّب الأثْواب[١٢]
عُرِضتْ علَيْنا فاشتَهَيْنا ذِكْرَها من بعد ما عُرِضتْ على الأحْزاب
حِكَما يراها المُجْرِمون بزَعْمهم حَرَجا ويَفْهمها ذَوو الألْباب[١٣]

---

(١) الحوش : النافرة . والمطارة : المستخفة . والوغى : الحرب . والإنجاب : الكرم و العتق .

(٢) البدن : السمان . ودخس : كثيرة اللحم . والبضيع : اللحم . والأقصاب : الأمعاء ، الواحد : قصب .

(٣) الزغف : الدروع اللينة : والمترصات . الشديدات وصياب : صائبة .

(٤) صوارم : سيوف قاطعة . وغلبها : خشونتها وما عليها من الصدأ . والأروع : الذى يروع بكماله وجماله . والماجد : الشريف .

(٥) المارن : الرمح اللين . ووقيعته : صنعته وتطريقه وتحديده . وخباب : اسم قين .

(٦) يعنى بالأغر الأزرق : سنانا . والطخية : شدة السواد .

(٧) القران : تقارن النبل واجتماعه . والقتير : مسامير حلق الدرع . ويريد الدروع . وقواحذ النشاب : النبال التى تصيب الأفخاذ .

(٨) جأوى (الأصل فيه المد وقصر للضرورة) : يخالط سوادها حمرة . وململة : مجتمعة .

(٩) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . والضريمة : اللهب المتوقد . وفى الأصول : « صريمة » بالصاد المهملة .

(١٠) الصعدة : القناة المستوية . والخطى : الرماح . والفىء : الظل .

(١١) أبو كرب وتبع : ملكان من ملوك اليمن . وبسالتها : شدتها .

(١٢) الأزهر : الأبيض .

(١٣) حرجا : حراما . والألباب : العقول .

جاءت سَخِينة كى تُغالب ربَّها   فليُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلَّابِ[1]

قال ابن هشام: حدثنى من أثق به، قال: حدثنى عبد الملك بن يَحيى بن عبَّاد ابن عبد الله بن الزّبير، قال: لما قال كَعْب بن مالك:

جاءت سَخِينة كىْ تُغالِب ربَّها   فليُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلَّابِ

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد شكرك الله يا كَعْب على قولك هذا.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق:

مَن سَرَّهُ ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ بعضُه   بعضًا كَمَعْمَعَةِ الأَباءِ المُحْرَقِ[2]

فليأْتِ مَأْسدةً تُسَنّ سُيوفها[3]   بين المَذاد[4] وبين جزْعِ[5] الخَنْدقِ

دَرِبوا بضَرْبِ المُعْلِمين وأسْلَموا   مُهُجاتِ أنْفُسِهِم لِربّ المَشْرِق[6]

فى عُصْبَةٍ نَصَرَ الإلهُ نَبيَّه   بِهِمُ وكان بعَبْدِه ذا مَرْفَقِ[7]

فى كلّ سابِغَةٍ تَخُطُّ[8] فضولُها   كالنَّهْى هبَّتْ رِيحُه المُتَرَقْرِق[9]

بَيْضاءَ مُحْكمةٍ كأنّ قَتِيرَها   حَدَقُ الجَنادِبِ ذاتَ شَكٍّ مُوثَقِ[10]

---

(١) سخينة: لقب قريش فى الجاهلية. وذكروا أن قصيا كان إذا ذبح ذبيحة أو نحر نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة — وهو لحم يطبخ ببر — فيطعمه الناس، فسميت قريش بها سخينة. وقيل: إن العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلهز. وهو الوبر والدم، وتأكل قريش الخزيرة، فنفست عليهم ذلك، فلقبوهم سخينة. (راجع الروض).

(٢) المعمعة: صوت التهاب النار وصريفها. والأباء: القصب؛ ويقال. الأغصان الملتفة.

(٣) المأسدة: موضع الأسود، ويعنى بها هنا موضع الحرب.

(٤) كذا فى ا. والمذاد: موضع بالمدينة حيث حفر الخندق؛ وقيل هو بين سلع وخندق المدينة. وفى سائر الأصول: «المزاد» وهو تحريف.

(٥) كذا فى ا. والجزع: الجانب. وفى سائر الأصول: «الجذع» وهو تحريف.

(٦) المعلمون الذين: يعلمون أنفسهم فى الحرب بعلامة يعرفون بها. والمهجات: الأنفس؛ الواحدة: مهجة ولرب المشرق: يريد لرب المشرق والمغرب، فحذفه للعلم به.

(٧) العصبة الجماعة: .

(٨) فى ا: «يحط» بالحاء المهملة.

(٩) السابغة: الدروع الكاملة. وتخط فضولها: ينجر على الأرض ما فضل منها. والنهى: الغدير من الماء. والمترقرق: الذى تصفقه الريح، فيجىء ويذهب.

(١٠) القتير: مسامير الدروع. والجنادب: ذكور الجراد. والشك: إحكام السرد.

جَدْلاء يَحْفِزها نِجادُ مُهَنَّــد ... صافي الحَديدة صارم ذى رَوْنق[١]

تِلكم مع التَّقْوى تكون لِباسَنا ... يوم الهِياج وكلَّ ساعةِ مَصْدَق

نَصِل السُّيوف إذا قَصُرن بخَطْونا ... قُدُما ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَق

فترى الجَماجِم ضاحيا هاماتُها ... بَلْهَ الأكُفَّ كأنَّها لم تُخلَق[٢]

نَلْقَى العدوّ بفَخْمَة[٣] مَلْمومة ... تَنْفى الجُموع كقَصْد رأس المَشْرِق[٤]

ونُعِــد للأعْداء كلَّ مُقَلَّص ... وَرْدٍ ومَحْجولِ القوائم أبْلَق[٥]

تَرْدِى بفُرْسانٍ كأنَّ كُماتَهم ... عند الهِياج أُسود طَلَّ مُلْثِق[٦]

صُدُقٍ يُعاطون الكُماةَ حُتُوفَهم ... تحت العَماية بالوَشيج المُزْهِق[٧]

أمَرَ الإلهُ برَبْطها لعَــدُوِّه ... فى الحَرْب إنَّ الله خَيْرُ مُوَفِّق

لتكُونَ غَيْظا للعَــدوِّ وحُيَّطا ... للدّارِ إنْ دَلَفَتْ خُيُول النُّزَّق[٨]

ويُعينُنا اللهُ العَــزيزُ بقُوَّة ... منه وصِدْق الصَّبْر ساعةَ نَلْتَقى

ونُطيعُ أمرَ نَبِيِّنا ونُجيبــه ... وإذا دَعا لكَرِيهةٍ لم نُسْبَق

ومتى يُناد إلى الشَّــدائدِ نأْتِها ... ومتى نَرَ الحَوْماتِ فيها نُعْنِق[٩]

---

(١) الجدلاء : الدرع المحكمة النسج . ويحفزها : يرفعها ويشمرها . والنجاد : حمائل السيف وصارم قاطع . والرونق : اللمعان .

(٢) الجماجم : الرءوس . وضاحيا : بارزا للشمس . وبله : اسم فعل بمعنى اترك ودع ، ويصح نصب « الأكف » به ، أو جره على أنه مصدر مضاف له .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . ويريد « بالفخمة » : الكتيبة . وفى سائر الأصول : « فحمة » بالحاء المهملة .

(٤) الململومة : المجتمعة ، والمشرق : جبل بين الصريف والعصيم من أرض ضبة (راجع معجم البلدان) .

(٥) المقلص : الفرس الخفيف .

(٦) تردى : تسرع . والكماة : الشجعان . والطل : الضعيف من المطر . والملثق : ما يكون عن الطل من زلق وطين ، والأسد أجوع ما تكون وأجرأ فى ذلك الحين .

(٧) يريد بالعماية : سحابة الغبار وظلمته . و الوشيج : الرماح . والمزهق : المذهب النفوس . وقد وردت هذه الكلمة بالراء المهملة .

(٨) حيط : جمع حائط ، وهو اسم الفاعل من حاط يحوط . ودلفت : قربت . والنزق : الغاضبون السيئو الخلق ؛ الواحد : نازق .

(٩) الحومات : مواطن : القتال ؛ الواحدة : حومة . ونعنق : نسرع .

مَنْ يَتَّبِع قولَ النَّبِىِّ فإنَّه فينا مُطاع الأمْرِ حقٌّ مُصَدَّقِ
فبذاك يَنْصرنا ويُظْهر عزّنا ويُصيبنا من نَيْل ذاك بِمِرْفَقِ
إنّ الذين يُكَذِّبون محمدًا كَفَرُوا وضَلّوا عن سبيل المُتَّقِى

قال ابن هشام أنشدنى بيته :

تِلكم مع التَّقْوَى تكون لِباسنا

وبيته :

من يتّبع قول النبىّ

أبو زيد . وأنشدنى :

تَنْفِى الجموعَ كرأس قُدْسٍ المشرق[1]

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

لقَدْ عَلِمَ الأحزابُ حِينَ تألّبوا عَلَيْنا ورامُوا دِينَنا ما نُوادِعُ[2]
أضاميمُ من قَيْسِ بن عَيْلانَ أصْفَقَتْ وخِنْدِفُ لم يَدْرُوا بما هو واقِعُ[3]
يَذُودوننا عن دِيننا ونَذُودُهم عن الكُفْر والرحمنُ راءٍ وسامعُ[4]
إذا غايَظُونا فى مقامٍ أعانَنا على غَيْظِهم نَصْرٌ من الله واسعُ
وذلك حِفْظُ الله فينا وفَضْلُه علَيْنا ومن لم يَحْفَظِ اللهُ ضائعُ
هدَانا لدين الحقّ واختاره لَنا ولله فوقَ الصّانِعين صَنائعُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

ألا أبْلِغْ قُرَيْشًا أنّ سَلْعًا وما بين العُرَيْض إلى الصِّماد[5]

(١) أشار السهيلى إلى أن هذه الرواية أولى وقال : لأن قدس جبل معروف من ناحية المشرق .

(٢) تألبوا : تجمعوا . ونوادع : نصالح ونهادن .

(٣) أضاميم : جماعات انضم بعضها إلى بعض . ويروى : أصاميم . والأصاميم : الخالصون فى أنسابهم وأصفقت : اجتمعت وترافقت على الأمر .

(٤) يذودوننا : يدفعوننا ويمنعوننا .

(٥) سلع : جبل بسوق المدينة . والعريض : واد بالمدينة . قال أبو ذر : « ويحتمل أن يكون تصغير عرض ، واحد الأعراض ، وهى أودية خارج المدينة فيها النخل والشجر » . والصماد (بالفتح والكسر) : جبل . قال أبو ذر : « ويمكن أن يكون جمع صمد ، وهو المرتفع من الأرض » .

نُواضحُ فى الحُروبِ مُدَرَّباتٌ ... وخوصٌ ثُقِّبَتْ مِن عَهْدِ عادِ[1]

رَوَاكِد يَزْخَرُ المُرَّار فيها ... فَلَيْسَتْ بالجِمامِ ولا الثِّمادِ[2]

كأنَّ الغابَ والبَرْدِىَّ فيها ... أجَشُّ إذا تبَقَّعَ للحَصادِ[3]

ولم نَجعل تجارتَنا اشْتِراء الـ ... حَمير لأرْض دَوْسٍ أو مُرادِ[4]

بلادٌ لم تُثَرْ إلا لكَيْما ... نُجالِد إنْ نَشِطتم للجِلادِ[5]

أثَرْنا سِكَّةَ الأنْباطِ فيها ... فلم تَرَ مثْلَها جَلَهاتِ وَادِ[6]

قصَرْنا كُلَّ ذى حُضُر وطُول ... على الغايات مُقْتَدِر جوادِ[7]

أجيبُونا إلى ما نَجْتَديكم ... من القول المُبَيَّن والسَّدادِ[8]

وإلا فاصبِرُوا لجِلاد يَوْمٍ ... لكم مِنَّا إلى شَطْر المَذادِ[9]

نُصَبِّحكم بكلِّ أخى حُروب ... وكلِّ مُطَهَّم[10] سَلِس القِيادِ

---

(١) يعنى بالنواضح : حدائق نخل تسق بالنضح . والخوص : الآبار الضيقة . وثقبت : حفرت .

(٢) رواكد : ثابتة دائمة . ويزخر : يعلو ويرتفع . والمرار : نهر . قال أبو ذر : ومن رواه « المذاد » يعنى الماء الذى يمدها . والجمام جمع جمة ، وهى البئر الكثيرة الماء . والثماد : الماء القليل . ورواية الشطر الأول من هذا البيت فى ا : « رواكد تزجر المران الخ » .

(٣) الغاب : الشجر الملتف . والبردى : نبات ينبت فى البرك تصنع منه الحصر الغلاظ . وأجش : عالى الصوت . وتبقع : صارت فيه بقع صفر .

(٤) دوس ومراد : قبيلتان من اليمن .

(٥) لم تثر : لم تحرث .

(٦) السكة : النخل المصطف ؛ والأنباط : قوم من العجم . أى حرثناها وغرسناها كما تفعل الأنباط فى أمصارها لانخاف عليها كيد كائد . وجلهات الوادى : ما استقبلك منه إذا نظرت إليه من الجانب الآخر ؛ الواحد : جلهة . وقال السهيلى : « جلهات الوادى : ما كشفت عنه السيول فأبرزته ، وهو من الجله . وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس » .

(٧) الحضر : الجرى . ويريد « بذى الحضر » : الخيل . ويروى : « خطر » أى قدر .

(٨) نجتديكم : نطلب . . .

(٩) الشطر : الناحية والقصد . والمذاد : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق ؛ وقيل هو بين سلع وخندق المدينة .

(١٠) كذا فى أكثر الأصول . والمطهم : الفرس التام الخلق . وفى ا : « مطهر » .

وكلّ طِمِرّةٍ خَفِقٍ حشاها ... تَدِفّ دفيفَ[1] صَفْراء الجَراد[2]

وكلّ مُقَلَّص الآراب نَهْدٍ ... تمِيم الخَلْق من أُخُرٍ وهادى[3]

خُيول لا تُضاعُ إذا أُضيعتْ ... خيولُ النّاس فى السَّنة الجَماد[4]

يُنازِعْن الأعِنَّـة مُصْغيات ... إذا نادَى إلى الفَـزَع المُنادى[5]

إذا قالَت لنا النُّـذُر استعدُّوا ... تَوَكّلْنا على رَبّ العِباد

وقُلْنا لَنْ يُفَرّج ما لَقِينا ... سوى ضَرْب القَوانِس والجِهاد[6]

فلم تَر عُصْبةً فيمن لَقِينا ... مِنَ الأقْوَامِ مِنْ قارٍ وبادي[7]

أشَـدَّ بسالةً منّا إذا ما ... أرَدْناه وألْـيَنَ فى الوِداد[8]

إذا ما نَحْنُ أشْرَجْنا عليها[9] ... جِياد الجُدْل[10] فى الأُرَب الشِّداد[11]

قَذَفْنا فى السَّوابِغِ كلّ صَقْرٍ ... كريمٍ غـير مُعْتَلِثِ الزّناد[12]

---

(١) كذا فى أكثر الأصول ؛ ويقال : دف الطائر : إذا حرك جناحيه ليطير . وفى ا « تذف ذفيف » بالذال المعجمة .

(٢) صفراء الجراد : الخيفانة منها ، وهى التى ألقت سرأها ، أى بيضها ، وهى أخف طيرانا .

(٣) المقلص : المنشمر الشديد ، والآراب : قطع اللحم ؛ الواحدة : أربة (بضم الهمزة) . والنهد : الغليظ . والهادى : العنق . يريد أنه تام الخلق من مقدمه ومؤخره .

(٤) السنة الجماد : سنة القحط .

(٥) مصغيات : مستمعات .

(٦) القوانس : أعالى بيض الحديد .

(٧) القارى : من كان من أهل القرى . والبادى : من كان من أهل البادية .

(٨) البسالة : الشدة والشجاعة .

(٩) أشرجنا : ربطنا .

(١٠) الجدل : جمع جدلاء ، وهى الدرع المحكمة النسج .

(١١) كذا فى أكثر الأصول . والأرب : جمع أربة ، وهى العقدة الشديدة . ويروى : الأزب : بالزاء ، وهو الشديد الضيق . وفى ا : « الأدب » وهو تحريف .

(١٢) السوابغ : الدروع الكاملة . واعتلث الرجل زندا : أخذه من شجر لا يدرى أيورى أم لا . يصفه بحسن الاستعداد للحرب .

أشَمّ [١] كأنه أسدٌ عَبُوس غداةَ بَدا [٢] ببطنِ الجزع غادى [٣]
يُغَشّى هامَةَ البَطل المُذَكّى صَبِيَّ السَّيْف مُسْتَرْخى النِّجاد [٤]
لنُظْهِر دينَكَ اللّهمّ إنّا بكفّكَ فاهْدِنا سُبُلَ الرَّشاد

قال ابن هشام بيته :

قَصَرْنا كلَّ ذى حُضْر وطَوْل

والبيت الذى يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أشَمّ كأنّه أسدٌ عَبوس

والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارىّ .

(شعر مسافع فى بكاء عمرو) :

قال ابن إسحاق : وقال مُسافع بن عبد مناف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، يبكى عمرو بن عَبْد وُدّ ، ويذكر قتْل علىّ بن أبى طالب إياه :

عمرُو بن عبْدٍ كان أوّل فارس جزع المَذاد وكان فارسَ يَلْيل [٥]
سَمْحُ الخلائق ماجد ذو مِرّة يبْغى القتال بِشِكَّةٍ لم يَنْكُل [٦]
ولقد علمتمْ حين وَلّوْا عنكمُ أن ابنَ عبدٍ فيهمُ لم يَعْجَل
حتى تكنّفه الكُماةُ وكلُّهم يبْغى مَقاتله وليس بمُؤْتَلِ [٧]
ولقد تكنّفت الأسنّة فارسا بجنوب سَلْع غيرَ نِكْس أمْيَل [٨]
تَسَلُ النِّزالَ علىٌّ فارسَ غالبٍ بجنوبِ سَلْع ، ليْته لم ينزل

(١) الأشم : العزيز ، وأصله من الشمم ، وهو ارتفاع قصبة الأنف .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وبدا : ظهر . وفى ا : « ندى » ، وندى الصوت : ارتفع . يريد إذا ارتفع صوت غاد طالب الغوث . ويروى : « يرى » .

(٣) الجزع : جانب الوادى وما انعطف منه .

(٤) المذكى : الذى بلغ الغاية فى القوة . وصبى السيف : وسطه . والنجاد : حمائل السيف .

(٥) جزع : قطع . والمذاد : موضع . (راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٦١ من هذا الجزء) ويليل : واد ببدر .

(٦) المرة : الشدة والقوة . والشكة : السلاح . ولم ينكل : لم يرجع من هيبة ولا خوف .

(٧) تكنفه : أحاط به : وليس بمؤتل : ليس بمقصر .

(٨) سلع : جبل بسوق المدينة. قال الأزهرى : موضع قرب المدينة (راجع معجم البلدان) . والنكس : الضعيف من الرجال . والأميل : الذى لا رمح معه ؛ وقيل : الذى لا ترس معه .

فاذهبْ علىّ فما ظفِرْت بمثله فخرًا ولا لاقيتَ مثلَ المُعْضِلِ[1]
نفْسِي الفداءُ لفارسٍ من غالبٍ لاقى حِمام الموْت لم يتَحلْحلِ[2]
أعنى الذى جزَع المَدَاد بمُهْرِه طلَبا لثأْرِ معاشر لم يخْــذُلِ

(شعر مسافع فى تأنيب الفرسان الذين كانوا مع عمرو):

وقال مُسافع أيضًا يؤنّب فُرسان عمْرو الذين كانوا معه، فأجلَوْا عنه وتركوه

عمرو بن عبْد والجيادُ يقودُها خيْلٌ تُقاد له وخيلٌ تُنْعَلُ[3]
أجلَتْ فوارسُه وغادر رهْطُه رُكْنًا عظيمًا كان فيها أوّلُ[4]
عجَبًا وإن أعجَبْتُ فقد أبْصرته مهْما تسومُ علىّ عمْرًا ينْزِلُ[5]
لا تبْعَدَنّ فقد أُصِبْتُ بقتْله ولقيتُ قبل الموت أمرًا يثْقُلُ
وهُبيرة المَســلوب ولى مُدْبِرًا عنــد القتال مخافةً أن يُقْتلُوا
وضِرار كان البأسُ منه مُحْضَرًا ولى كما ولّى اللئيمُ الأعزَلُ[6]

قال ابن هشام: وبعضُ أهل العلم بالشعر يُنكرها له. وقوله: «عمرًا ينزل» عن غير ابن إسحاق.

(شعر هبيرة فى بكاء عمرو والاعتذار من فراره):

قال ابن إسحاق: وقال هُبيرة بن أبى وَهْب يعتذر من فراره، ويبكى عمرًا، ويذكر قتل علىّ إياه:

لعَمْرِى ما ولّيْتُ ظهْرِى محمدًا وأصحابه جُبْنًا ولا خيفةَ القتْلِ
ولكنّنِى قلّبت أمْرِى فلم أجِد لسيْفِى غناءً إن ضربتُ ولا نبْلِ
وقفْت فلمّا لم أجِدْ لى مقــدّمًا صددتُ كضِرغامٍ هِزَبْرٍ أبى شِبْلِ[7]

---

(١) المعضل: الأمر الشديد.
(٢) لم يتحلحل: لم يبرح مكانه.
(٣) تنعل: تلبس النعال من الحديد لتقوى.
(٤) أجلت: تفرقت وولت.
(٥) تسوم: تطلب وتكلف.
(٦) الأعزل: الذى لاسلاح معه.
(٧) الضرغام: الأسد. والهزبر: الشديد. والشبل: ولد الأسد.

ثَنَى عِطْفَهُ عن قِرْنِه حين لم يَجِدْ مَكَرًّا وقِدْمًا كان ذلك من فِعْلِي[١]
فلا تَبْعَدَنْ يا عمرو حَيًّا وهالكا وحُقّ لِحُسْنِ المَدْحِ مثلُك من مثلي
ولا تَبْعَدَنْ يا عَمْرو حَيًّا وهالِكا فقد بِنْتَ محمود الثَّنا ماجِد الأصْلِ[٢]
فَمَنْ لِطِرَاد الخَيْلِ تُقْدَعُ بالقَنا وللفَخْر يوما عند قَرْقَرة البُزْلِ[٣]
هُنالك لو كان ابنُ عبدٍ لَزَارَها وفَرَّجها حقًّا فَتى غيرُ ما وَغْلِ[٤]
فعَنْكَ علىّ لا أرى مثلَ موقفٍ وقَفْتَ على نَجْدِ المُقدَّمِ كالفَحْلِ[٥]
فَمَا ظَفِرَتْ كفَّاك فخرًا بمثله أمِنْتَ به ماعِشْتَ من زلَّة النَّعْلِ

(شعر آخر لهبيرة فى بكاء عمرو) :

وقال هُبيرة بن أبى وَهْب يبكى عمرو بن عَبْدِ وُدّ ، ويذكر قَتْلَ علىّ إياه :

لقد عَلِمَتْ عُلْيا لُؤَىّ بن غالب لفارسُها عَمْرو إذا ناب نائِبُ
لفارسها عَمْرو إذا ما يَسُومُه علىّ وإنّ اللَّيْثَ لابدّ طالِب[٦]
عَشِيَّةَ يَدْعوه علىّ وإنّه لفارسُها إذ خام عنه الكتائِب[٧]
فيا لَهْفَ نفسى إنّ عمرًا تركتُه بيَثْرِب لازالت هُناك المصائِب

(شعر حسان فى الفخر بقتل عمرو) :

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عَبْدِ وُدّ :

بَقِيَّتُكم عَمْــرو أبَحْناه بالقَنا بيَثْرِبَ نَحْمِى والحُماة قَليل
ونحن قَتَلْناكم بكلّ مُهنَّــد ونحنُ وُلاة الحَرْب حين نَصُول
ونحن قَتَلْناكم بِبَدْرٍ فأصْبحت مَعاشِرُكم فى الهالكين تَجُول

قال ابن هشام : وبعضُ أهل العلم بالشِّعر يُنْكِرها لحسَّان .

---

(١) العطف : الجانب . والقرن : الذى يقاومك فى شدة أو قتال .
(٢) الثنا : الذكر الطيب . ويروى : الثنا .
(٣) تقدع : تكف . والقرقرة : من أصوات فحول الإبل . والبزل : الإبل القوية . وضربه مثلا للفاخرين إذا رفعوا أصواتهم بالفخر .
(٤) الوغل : الفاسد من الرجال .
(٥) فعنك : اسم فعل بمعنى تباعد . والنجد : الشجاع .
(٦) يسومه : يكلفه .
(٧) خام : جبن ورجع .

قال ابن إسحاق: وقال حسَّان بن ثابت أيضا فى شأن عمْرو بن عبْد وُدّ :

أمْسَى الفتى عمرو بن عبْد يبْتغى بجنوب يثْرب ثأرَه لم يُنْظَرِ[1]
فلقد وَجدتَ سُيوفَنا مشْهورةً ولقد وجدتَ جيادنا لم تُقْصَر[2]
ولقدْ لقيتَ غَداةَ بَدْرٍ عُصْبةً ضَرَبوكَ ضَرْبا غيرَ ضرْب الحُسَّر[3]
أصْبَحت لا تُدْعَى ليوم عَظيمةٍ يا عمْرو أو لجسيمِ أمْرٍ مُنْكَرِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسَّان[4] :

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

ألا أبْلِغْ أبا هِدْم رسولاً مُغَلْغَلَةً تخُبُّ بها المَطِىُّ[5]
أكنتُ وليَّكم فى كل كُرْهٍ وغيرى فى الرَّخاء هو الوَلىّ
ومنكم شاهِد ولقد رآنى رُفِعْتُ له كما احتُمِل الصَّبِىّ

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أُمية الدّيلى ، ويروى فيها آخرها

كَبَبْتَ الخزرجىَّ على يدَيْه وكان شِفاءَ نفسى الخَزْرجىّ

وتُروى أيضاً لأبى أسامة الجُشَمىّ .

(شعر حسان فى يوم بنى قريظة وبكاء ابن معاذ) :

قال ابن إسحاق : وقال حسَّان بن ثابت فى يوم بنى قُريظة يَبْكى سعد بن مُعاذ ويذكر حُكْمه فيهم :

لقد سَجَمت من دَمع عَيْنِى عَبرةٌ وحُقّ لعَيْنى أن تفيض على سَعْد[6]
قَتيل ثوَى فى معركٍ فُجِعتْ بِه عُيُونٌ ذوارِى الدَّمْع دائمةُ الوَجْد[7]

---

(١) لم ينظر : لم يمهل ولم يؤخر .

(٢) لم تقصر : لم تكف .

(٣) الحسر : جمع حاسر ، وهو الذى لادرع له ؛ ويروى . « الخشر » بالخاء والشين المعجمتين ، وهم الضعفاء من الناس ؛ كما يروى : « الخسر » بالخاء المعجمة والسين المهملة ، وهو جمع خاسر .

(٤) وقد بحثنا عنها فى ديوان حسان فلم نجدها .

(٥) المغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد . وتخب : تسرع .

(٦) سجمت : سالت .

(٧) ثوى : أقام . والمعرك : موضع القتال . وذوارى الدمع : تسكبه . والوجد : الحزن .

على مِلَّةِ الرَّحمن وارثَ جَنَّــةٍ ... مع الشُّهداء وَفْدها أكرم الوفد
فان تكُ قد ودَّعْتنا وتركتنا ... وأمْسَيْتَ فى غَــبراء مُظلمة اللَّحد[١]
فأنتَ الذى يا ســعد أُبْتَ بمَشهد ... كَريم وأثْواب المكارم والحَمْد
بحُكْمك فى حَيَّى قُرَيظة بالَّذى ... قَضَى الله فيهم ما قَضَيْت على عَمْد
توافَق حُكمَ الله حُكمُك فيهمُ ... ولم تعفُ إذ ذُكرْت ما كان من عهد
فان كان رَيْبُ الدهر أمْضاكَ فى الأُلَى ... شَرَوْا هذه الدُّنْيا بجنَّاتها الخُلْــد
فنِعْم مَصِــير الصَّادقين إذا دُعوا ... إلى الله يوما للوَجاهة والقَصْــد

(شعر حسان فى بكاء ابن معاذ وغيره):

وقال حسَّان بن ثابت أيضا، يبكى سعد بن مُعاذ، ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

ألا يا لقومى هَلْ لِما حُمَّ دافع ... وهل مامَضَى من صالح العيش راجعُ[٢]
تذكَّرتُ عَصْرًا قد مضَى فتهافتتْ ... بناتُ الحَشَى وانهلَّ منى المَدامع[٣]
صَبابة[٤] وَجْدٍ ذكَّرتْنِى أحِبَّةً[٥] ... وقَتْلَى مضَى[٦] فيها طُفَيل[٧] ورَافع
وسَعْدٌ فأضْحوا فى الجِنان وأوْحَشَتْ ... منازلُــهم فالأرض منهم بلاقع[٨]
وَفَوْا يَوْمَ بَدْرٍ للرَّسُولِ وفَوْقَهم ... ظِلالُ المَنايا والسُّــيوف اللوامع
دَعا فأجابوه بحقّ وكلُّهم ... مُطيــع لهُ فى كلّ أمْرٍ وسامع
فما نكَلُوا[٩] حتى توَلَّوْا جماعــةً ... ولا يقْطَع الآجال إلا المَصارع[١٠]

---

(١) يريد «بالغبراء»: القبر. واللحد: ما يشق للميت فى جانب القبر.

(٢) حم: قدر (بالبناء للمجهول فيهما).

(٣) تهافتت: سقطت بسرعة. وبنات الحشى: القلب وما اتصل به. وانهل: سال وانصب.

(٤) الصبابة: رقة الشوق.

(٥) كذا فى ديوانه. وفى الأصول: «أخوة».

(٦) فى الديوان: «مضوا».

(٧) فى الديوان «نفيع». ولم يسبق له ذكر.

(٨) بلاقع: قفار خالية.

(٩) فى الديوان: «فما بدلوا حتى توافوا جماعة».

(١٠) نكلوا: رجعوا هائبين. والمصارع: أى مصارع القتلى ة

لأنهم يرجون منه شفاعةً ... إذا لم يكنْ إلا النَّبِيُّون شافعُ

فذلك يا خيرَ العباد بلاؤُنا[1] ... إجابتُنا لله والموتُ ناقعُ[2]

لنا القدمُ الأولى إليك وخلفُنا[3] ... لأوّلنا فى مِلَّةِ[4] الله تابعُ

ونعلم أنّ المُلْكَ لله وحدَه ... وأنّ قضاء الله لابدّ واقعُ

(شعر لحسان فى يوم بنى قريظة):

وقال حسّان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قُريظة[5]:

لقدْ لقيتْ قُرَيْظة ما سآها ... وما وَجَدتْ لِذُلّ مِنْ نَصِيرِ[6]

أصابَهُم بَلاءٌ كان فيه ... سِوى ما قد أصاب بنى النَّضِيرِ

غداةَ أتاهُمُ يَهْوِى إليهم ... رسولُ الله كالقمرِ المُنيرِ

له خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعادَى ... بفُرْسانٍ عليها كالصُّقُورِ[7]

تركْناهم وما ظَفِرُوا بشىءٍ ... دِماؤُهُمُ عليهمْ كالغَدِيرِ[8]

فهم صَرْعَى تَحُومُ[9] الطيرُ فيهم ... كذاك يُدانُ[10] ذو العَنَدِ الفَجُورُ[11]

فأنْذِرْ مثلَها نُصْحاً قُرَيْشاً ... مِن الرحمن إن قَبِلتْ نَذِيرى[12]

وقال حسّان بن ثابت فى بنى قُريظة:

لقد لَقِيَتْ قُرَيظةُ ما سآها ... وحَلّ بِحِصْنِها ذُلٌّ ذَليلُ

---

(١) فى الديوان: «ومشيئتنا فى الله».

(٢) بلاؤنا: اختبارنا. وناقع: ثابت.

(٣) القدم الأولى: أى السبق إلى الإسلام. وخلفنا: أى آخرنا.

(٤) فى الديوان: «فى طاعة».

(٥) هذه العبارة: «فى يوم بنى قريظة». ساقطة فى ا.

(٦) ما سآها: يريد ما ساءها، فقلب. والعرب تفعل ذلك فى بعض الأفعال، يقولون: رأى وراء، بمعنى واحد على جهة القلب.

(٧) الخيل المجنبة: هى التى تقاد ولا تركب. وتعادى: تجرى وتسرع.

(٨) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: العبير، وهو الزعفران.

(٩) تحوم: تجتمع حولهم حلقة.

(١٠) كذا فى أكثر الأصول. ويدان: يجزى. وفى ا: «يهين».

(١١) كذا فى أكثر الأصول. والعند: الخروج عن الحق. وفى ا: «كذلك دين ذى العند الفخور».

(١٢) النذير: الإنذار.

وسَعْدٌ كان أنذَرهم بنُصْح ... بأنّ إلهكم ربٌّ جليل
فما برِحُوا بنَقْض العَهْد حتى ... فَلاهم في بلادهمُ الرَّسول[١]
أحاطَ بحِصنهم مِنَّا صُفوف ... له من حرّ وقعتِهم صَليل[٢]

وقال حسَّان بن ثابت أيضا في يوم بني قُريظة :

تَفاقد مَعْشَرٌ نَصَرُوا قُرَيْشا ... وليس لهم ببَلْدَتهم نَصير[٣]
هُم أُوتوا الكِتاب فضيَّعوه ... وهم عُمْى من التَّوْراة بُور[٤]
كفَرتم بالقُرآن وقد أتيتُم ... بتَصْديق الذى قال النَّذير
فهان على سَراة بني لُؤَىّ ... حَريقٌ بالبُوَيرة مُسْتطير[٥]

(شعر أبي سفيان في الرد على حسان) :

فأجابه أبو سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أدام الله ذلك من صَنيع ... وحرّق في طَرائقها السَّعير[٦]
ستَعْلم أيُّنا منها بنُزْه[٧] ... وتعلم أيُّ أرضينا تَضير[٨]
فلو كان النَّخيل بها رِكابا ... لقالوا لا مُقام لكم فسيروا

(شعر ابن جوال في الرد على حسان) :

وأجابه جَبل بن جَوَّال الثَّعلبي أيضا ، وبكى النَّضير وقُريظة ، فقال :

ألا يا سَعْدُ سَعْدَ بني مُعاذ ... لما لقِيَتْ قُريظة والنَّضيرُ
لعَمْرك إنّ سَعْد بني مُعاذ ... غَداة تحمَّلوا لهو الصَّبُور
فأما الخَزْرَجيّ أبُو حُباب ... فقالَ لقَيْنُقاع لا تَسيرُوا

---

(١) فلاهم : قتلهم بالسيوف .
(٢) الصليل : الصوت .
(٣) تفاقد معشر : فقد بعضهم بعضا ، وهو دعاء عليهم . وفي ا : « تعاهد » .
(٤) بور : ضلال ، أو هلكى
(٥) سراة القوم : خيارهم ؛ والبويرة : موضع بني قريظة .
(٦) الطرائق : النواحي . والسعير : النار الملتهبة .
(٧) النزه : البعد .
(٨) كذا في أكثر الأصول . وتضير : تضر . وفي ا « تصير » أي تشق وتقطع .

وبُدِّلت المَوَالى منْ حُضَير أُسَيْداً والدَّوائرُ قد تدُور[١]
وأقْفَرتِ البُوَيْرة من سَلام وسَعْية وابن أخْطب فهى بُور
وقد كانوا بِبَلْدتهم ثِقالا كما ثَقُلت بمَيْطان الصُّخور[٢]
فانْ يَهْلِك أبو حَكَم سَلام فلا رَثُّ السِّلاح ولا دَثُور[٣]
وكلّ الكاهنَيْن وكان فيهم مع اللِّين الخَضارمة الصُّقُور[٤]
وجَدْنا المَجْد قد ثَبَتُوا عليه بمَجْد لا تُغَيِّبه البُدور[٥]
أقيموا يا سراةَ الأوْسِ فيها كأنَّكم من المَخْزاة عُور[٦]
تركْتم قدْركم لا شىءَ فيها وقدْر القَوْم حاميةٌ تَفُور

مقتل سلام بن أبى الحقيق

(استئذان الخزرج الرسول فى قتل ابن أبى الحقيق) :

قال ابن إسحاق[٧] : ولمَّا انقضى شأن الخندق ، وأمْر بنى قُريظة ، وكان سلاَّم بن أبى الحُقَيق ، وهو أبو رافع فيمن حَزَّب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أُحُد قد قَتلت كعب بن الأشرف ، فى عَداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتَحريضه عليه ، استأذنت الخزرجُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى قَتْل سلام بن أبى الحُقَيق ، وهو بخيبر ، فأذِن لهم .

قال ابن إسحاق[٧] : وحدثنى محمد بن مُسْلم بن شهاب الزهرى ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم أن هذين

---

(١) الموالى : الحلفاء . وحضير وأسيد : قبيلتان .
(٢) ميطان : جبل من جبال المدينة مقابل الشوران ، به بئر ماء . (راجع معجم البلدان) .
(٣) الرث : الخلق . والدثور : الدارس المتغير .
(٤) الكاهنان : حيان . والخضارمة : الأجواد الكرماء ؛ الواحد : خضرم .
(٥) البدور : الشهور والدهور .
(٦) عور : جمع أعور .
(٧) هذه العبارة ساقطة فى ا .

الحيين من الأنصار ، والأوس والخزرج ، كانا يتصاولان [١] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ، لاتصنع الأوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء [٢] إلا قالت الخزرج : والله لاتذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الإسلام . قال : فلاينتهون حتى يوقعوا مثلها ؛ وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لاتذهبون بها فضلا علينا أبدا ؛ قال : فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبى الحُقيق ، وهو بخيبر ؛ فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله ، فأذن لهم .

(النفر الذين خرجوا لقتل ابن أبى الحقيق وقصتهم) :

فخرج إليه من الخزرج من بنى سَلِمة خمسة نفر : عبد الله بن عَتيك ، ومسعود ابن سِنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعى ، وخزاعى بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمَّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن عَتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليدا أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خَيْبر ، أتوْا دار ابن أبى الحُقيق ليْلا ، فلم يَدعوا بيتا فى الدار إلا أغلقوه على أهله . قال : وكان فى عِلِّية له إليها عجلة [٣] قال : فأسندوا فيها [٤] ، حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجتْ إليهم [٥] امرأته ، فقالت : من أنتم؟ قالوا : ناس من العرب نلتمس المِيرة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ؛ قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة ، تخوّفا أن تكون دونه مجاولة [٦] تحول بيننا وبينه ، قالت :

---

(١) يتصاولان : يتفاخران ، إذا فعل أحدهما شيئا فعل الآخر مثله .

(٢) غناء : منفعة .

(٣) العجلة : جذع النخلة ينقر فى موضع منه ويجعل كالسلم فيصعد عليه إلى العلالى والغرف .

(٤) أسندوا فيها : علوا .

(٥) فى م ، ر : « إليها » وهو تحريف .

(٦) المجاولة : حركة تكون بينهم وبينه .

فصاحت امرأته ، فنوّهت بنا [١] وابْتَدَرْناه ، وهو على فراشه بأسْيافنا ، فوالله ما يدلنا عليه فى سَواد اللّيل [٢] إلا بياضُه كأنه قُبطيّةٌ [٣] مُلقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منّا يرفع عليها سيفَه ، ثم يذكر نَهْىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكفّ يدَه ، ولولا ذلك لفرغنا منها بلَيْل . قال : فلما ضربناه بأسْيافنا تحامَل عليه عبدُ الله بن أنيس بسَيْفه فى بَطْنه حتى أنفَذَه ، وهو يقول : قَطْنى قَطْنى : أى حَسْبى حَسْبى . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عَتيك رجلا سيّئ البصر ، قال : فوقع من الدَّرجة فوثِئتْ [٤] يده وَثْئًا شديدا — ويقال : رِجله ، فيما قال ابن هشام — وحَملناه حتى نأتى به مَنْهَرًا [٥] من عيونهم ، فندخل فيه . قال : فأوقدوا النيران ، واشتدّوا فى كلّ وجه يَطْلُبوننا ، قال : حتى إذا يئسوا رَجعوا إلى صاحبهم ، فاكتنفوه وهو يَقْضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأنّ عدوّ الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دَخل فى الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المِصْباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعتُ صوتَ ابن عَتيك ، ثم أكذبتُ نفسى وقلت : أنّى ابن عَتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت : فاظ [٦] وإلهِ يهود ؛ فما سمعتُ من كلمة كانت ألذّ إلى نفسى منها . قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلُّنا يدّعيه . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : هاتُوا أسيافكم ؛ قال : فجئْناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

---

(١) نوهت بنا : رفعت صوتها تشهرينا . ويروى : نوحت .

(٢) فى ا : « البيت » .

(٣) القبطية (بضم القاف وكسرها) : ضرب من الثياب البيض تصنع بمصر .

(٤) وثئت : أصاب عظمها شىء ليس بكسر ؛ وقيل : هو أن يصاب اللحم دون العظم .

(٥) المنهر : مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله .

(٦) فاظ : مات .

(شعر حسان فى قتل ابن الأشرف وابن أبى الحقيق) :

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتْل كَعْب بن الأشرف ، وقتل سلاّم بن أبى الحُقَيق :

لِلّه دَرّ عِصابَةٍ لاقيتَــهم يابنَ الحُقَيق وأنت يابن الأشْرفِ[1]
يَسْرون بالبيض الخِفاف إليكمُ مَرَحا كأُسْدٍ فى عَرينٍ مُغْرِفِ[2]
حتى أتوْكم فى محَـلّ بلادِكم فسَقَوْكمُ حتْفا ببِيض ذُفَّفِ[3]
مُسْتَبْصرين [4] لنَصْر دين نَبيِّهم مُسْتَصغرين لكلّ أمْرٍ مُجْحِفِ[5]

قال ابن هشام : قوله : « ذُفَّف » ، عن غير ابن إسحاق .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

(ذهاب عمرو مع آخرين إلى النجاشى) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حَبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى ، عن حبيب بن أبى أوس الثّقفى ، قال : حدثنى عمرو بن العاص مِنْ فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخَنْدق جمعتُ رجالا من قُريش، كانوا يَرون رأيى ، ويَسْمعون منى ، فقلت لهم : تعلمون [6] والله أنى أرى أمرَ محمد يعلو الأمور علوّا مُنْكرا ، وإنى قد رأيت أمرًا ، فما ترَوْن فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نَلْحق بالنّجاشى فنكون عنده ، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنا عند النجاشى ، فإنا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدَىْ محمد وإن ظهر قومُنا فنحن مَن قد عرَفوا ، فلنْ يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأى[7]

---

(١) العصابة : الجماعة .

(٢) البيض الرقاق : السيوف . ومرحا : نشاطا . والعرين : غابة الأسد . ومغرف : ملتف الأغصان .

(٣) ذفف : سريعة القتل .

(٤) كذا فى ا وديوان حسان . وفى سائر الأصول : « مستنصرين » .

(٥) مجحف : يذهب بالأموال والأنفس .

(٦) فى ا : « تعلموا » .

(٧) فى ا : « لرأى » .

قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم [1] . فجمعنا له أدَماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدِمْنا عليه .

(سؤاله النجاشي في قتل عمرو الضمري ورده عليه) :

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عَمْرو بن أُميَّة الضَّمْرى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جَعْفَر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أُميَّة الضَّمْرى ، لو قد دخلتُ على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فاذا فعلت ذلك رأت قُريش أني قد أجزأت عنها [2] حين قتلت رسولَ محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبا بصديقي ، أهديتَ إليَّ من بلادك شيئا ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدما كثيراً ؛ قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رأيتُ رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدوّ لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فانه قد أصابَ من أشرافنا وخيارنا ؛ قال : فغضب ، ثم مدّ يده فضَرب بها أنفَه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره ، فلو انشقَّت لي الأرضُ لدخلت فيها فرَقا منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظنَنت أنك تكره هذا ما سألتكه ؛ قال : أتسألني أن أُعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه النَّاموسُ الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، أكذاك هو؟ قال : ويحك ياعمرو أطِعني واتَّبعه ، فانه والله لعلى الحقّ ، وليَظْهرَنّ على مَنْ خالفَهُ ، كما ظهر موسى على فِرْعون وجُنوده ؛ قال : قلت : أفتُبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبَسط يَده ؛ فبايعتُه على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابي إسلامي .

(اجتماع عمرو وخالد على الإسلام) :

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُسلم ، فلقيتُ خالدَ بن الوليد ، وذلك قُبيل الفتْح ، وهو مُقْبل من مكة ؛ فقلت : أين يا أبا سُليمان ؟

---

(١) الأدم : الجلد .

(٢) أجزأت عنها : كفيتها .

قال : والله لقد استقام المَنْسِم[1] ، وإن الرجل لنبيّ ، أذهبُ والله فأُسلم ، فحتّى متى ؛ قال : قلت : والله ما جئتُ إلا لأُسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوتُ ، فقلت : يا رسول الله ، إنى أبايعك على أن يُغفَر لى ما تقدّم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بايعْ ، فان الإسلام يَجُبُّ[2] ما كان قَبله ، وإن الهجرة تَجبُّ ما كان قبلها ؛ قال : فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلام يَحُتّ[3] ما كان قبله ، وإن الهجرة تَحُتّ ما كان قبلها .

(إسلام ابن طلحة) :

قال ابن إسحاق ، وحدثنى من لا أتّهم : أن عثمان بن طلحة بن أبى طَلْحة ، كان معهما ، حين أسْلما .

(شعر السهمى فى إسلام ابن طلحة وخالد) :

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزِّبَعْرَى السَّهْمى :

أَنْشُدُ عُثمان بن طَلْحَة حِلْفَنا[4] ... ومُلْقَى نِعال القَوْم عند المُقَبَّل[5]

وما عَقَد الآباء مِنْ كُلّ حِلْفه ... وما خالِدٌ مِنْ مِثْلها بمُحَلَّلِ

أَمِفتاحَ بيتٍ غيرِ بيتِك تَبْتَغِى ... وما يُبْتَغَى من مَجْد بيتٍ مُؤَثَّل[6]

فلا تأمَنَنّ خالِداً بعد هذه ... وعثمانُ جاء بالدُّهَيْم المُعَضَّل[7]

---

(١) كذا فى شرح السيرة . وفى الأصول : « الميسم » . قال أبو ذر : « ومعناه : تبين الطريق ووضح . وأصل المنسم : خف البعير ، ومن رواه الميسم ، فهو الحديدة التى توسم بها الإبل وغيرها والمنسم (بالنون) هو الصواب » .

(٢) يجب : يقطع .

(٣) يحت : يسقط .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « خلفنا » .

(٥) يريد « بالمقبل » : موضع تقبيل الحجر الأسود .

(٦) المؤثل : القديم .

(٧) الدهيم : من أسماء الداهية . والمعضل : الشديد .

وكان فتح بنى قُريظة فى ذى القَعدة وصَدْر ذى الحجّة ، وولى تلك الحجّةَ المُشركون [١] .

غزوة بنى لحيان

(خروج الرسول إلى بنى لحيان) :

قال ابن إسحاق [٢] : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجّة والمحرّم وصفراً وشهرَىْ ربيع ، وخرج فى جُمادى الأولى على رأس ستّة أشهر من فتْح قُريظة ، إلى بنى لِحْيانَ يَطلب بأصحاب الرَّجيع : خُبيب بن عدىّ وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشامَ ، ليُصيب من القوْم غِرّة [٣] .

(استعماله ابن أم مكتوم على المدينة) :

فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم ، واستعْمل على المدينة ابنَ أمّ مكتوم ، فيما قال ابنُ هشام .

(طريقه إليهم ثم رجوعه عنهم) :

قال ابن إسحاق : فسلك على غُراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على مَحيص [٤] ، ثم على البَتْراء ، ثم صَفّق [٥] ذاتَ اليَسار ، فخرج على بِيْن [٦] ، ثم على صُخَيرات اليَمام [٧] ، ثم استقام به الطريقُ على المحجّة من طريق مكة ، فأغذّ [٨] السير

---

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الرابع عشر من أجزاء السيرة .

(٢) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك ابن هشام قال حدثنا زياد بن عبد البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال » .

(٣) الغرة : الغفلة .

(٤) كذا فى شرح المواهب ومعجم البلدان . وفى الأصول : « مخيض » وهو تصحيف .

(٥) صفق : عدل .

(٦) بين (بالكسر) كما ضبطه ياقوت فى معجمه ، وبالفتح أو التحريك ، كما ضبطه الزرقانى نقلا عن غيره : واد قرب المدينة .

(٧) صخيرات اليمام : منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر . وهو بين السيالة وفرش . وقد ذكر فى معجم البلدان « صخيرات الثمام » بالثاء ، وأشير فيه إلى هذه الرواية . وذكر الزرقانى بالثاء ولم يشر إلى الرواية الثانية ، وفى رواية بشرح القاموس : « صخيرات » .

(٨) أغذ : أسرع .

سريعا ، حتى نزل على غُرَان ، وهى منازل بنى لِحْيان ، وغُرَان وادٍ بين أمَج وعُسْفان ، إلى بلد يقال له : ساية ، فوجدهم قد حذروا وتمنّعوا فى رءوس الجبال . فلما نزلها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غِرّتهم ما أراد ، قال : لو أنا هبطنا عُسفان لرأى أهلُ مكّة أنّا قد جئنا مكة ، فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان ، ثم بعث فارسيْن من أصحابه حتى بلغا كُراع الغَميم [1] ، ثم كرّ وراح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا [2] .

(مقالة الرسول فى رجوعه) :

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعا : آيبون تائبون إن شاء الله لربّنا حامدون ، أعوذ بالله مِنْ وَعْثاء [3] السَّفر ، وكآبة [4] المُنْقَلَب ، وسوء المنْظر فى الأهل والمال .

(شعر كعب فى غزوة بنى لحيان) :

والحديث فى غَزْوة بنى لِحْيان ، عن عاصم بن عمر بن قَتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك فى غَزْوة بنى لِحْيان :

لو انّ بنى لِحْيانَ كانُوا تَناظَرُوا ... لَقُوا عُصَبا فى دارِهم ذاتَ مَصْدَقِ [5]
لَقُوا سَرَعانا يَمْـلأُ السَّرْبَ رَوْعُه ... أمامَ طَحُون كالمجَرَّةِ فَيْلَقِ [6]

---

(١) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال . (عن معجم البلدان) .

(٢) وذكر ابن سعد أنه حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عسفان بعث أبابكر مع عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم ، فأتوا كراع الغميم ولم يلقوا كيدا . قال الزرقانى : « ويمكن الجمع بأنه بعثهما ثم بعث أبابكر فى العشرة ، أو عكسه » .

(٣) وعثاء السفر : مشقته وشدته .

(٤) الكآبة : الحزن .

(٥) تناظروا : انتظروا . والعصب : الجماعات

(٦) السرعان : أول القوم . والسرب (بفتح السين) : الطريق . والسرب (بكسر السين) : النفس وكلا المعنيين محتمل . والروع : الفزع . والطحون : الكتيبة تطحن كل ما تمر به . والمجرة : نجوم كثيرة يختلط ضوءها فى السماء ، والفيلق : الكتيبة الشديدة .

ولكنَّهم كانُوا وِبارًا تَتَبَّعَتْ شِعابَ حِجازٍ غـير ذى مُتَنَفَّقِ[1]

غزوة ذى قرد

(غارة ابن حصن على لقاح الرسول) :

ثم قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يُقِم بها إلا ليالى قلائلَ ، حتى أغار عُيينة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر الفَزارى[2] ، فى خَيْل من غَطفان على لقاحٍ[3] لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابَة[4] ، وفيها رجلٌ من بنى غِفار[5] وامرأة له ، فقَتلوا الرجلَ ، واحتملوا المرأة فى اللِّقاح .

(بلاء ابن الأكوع فى هذه الغزوة) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قَتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومَنْ لا أَتَّهم ، عن عبد الله بن كَعْب بن مالك ، كلٌّ قد حَدَّث فى غزوة ذى قَرَد[6] بعض الحديث[7] : أنه كان أوّل من نَذَر[8] بهم سَلَمة بن عمرو بن الأكْوع الأسْلمىّ ، غدا يريد الغابة متوشِّحا قَوْسه ونَبْله ، ومعه غلامٌ لطلحة بن عُبيد الله معه فَرَس له يقوده ، حتى إذا علا ثَنِيَّة الوَداع نظرَ إلى بعض خُيولهم ، فأشرف فى ناحية سَلْع ، ثم صرخ : واصباحاه ، ثم خرج يَشْتَدّ فى آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوْم ، فجعَل يَرُدُّهم بالنَّبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا

---

(١) الوبار : جمع وبر ، وهى دويبة على قدر الهرة ، تشبه بها العرب الضعيف . والشعاب : جمع شعب ، وهو المنخفض من الأرض . وحجاز : أرض مكة وما يليها . ويروى : « حجان » بالنون ، أى معوجة ؛ كما روى : « حجار » وهو جمع حجر . وغير ذى متنفق : أى ليس له باب يخرج منه . وأصله من النافقاء ، وهو أحد أبواب جحرة اليربوع .

(٢) وقيل إن الذى أغار هو عبد الرحمن بن عيينة .

(٣) اللقاح : الإبل الحوامل ذوات الألبان

(٤) الغابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام ، فيه أموال لأهل المدينة (راجع معجم البلدان)

(٥) هذا الرجل الغفارى هو ابن أبى ذر ، كما صرح بذلك ابن سعد . واسم امرأته ليلى .

(٦) ذو قرد : ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان ؛ وقيل على مسافة يوم منها .

(٧) بين رجال السير خلاف فى وقت هذه الغزوة عرض له الزرقانى فى شرح المواهب ، فى شىء من التفصيل .

(٨) نذر : علم .

ابن الأكوع ، اليوم يوم الرُّضَّع[1] ، فاذا وُجِّهت الخيلُ نحوه انطلق هاربا ، ثم عارضَهم ، فاذا أمكنه الرَّمْى رَمى ، ثم قال : خُذْها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضَّع ، قال : فيقول قائلهم : أُوَيْكِعنا هو أوّل النهار .

(صراخ الرسول وتسابق الفرسان إليه) :

قال : وبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صِياحُ ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الفَزَع الفَزَع ، فترامت الخيولُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أوّل من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفُرسان : المِقْداد ابن عمرو ، وهو الذى يُقال له : المِقْداد بن الأسْود ، حليف بنى زُهرة ، ثم كان أوّلَ فارس وقَف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المِقْداد من الأنصار ، عبَّاد بن بشر بن وقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء ، أحد بنى عَبْدِ الأشْهل ، وسَعْد ابن زيد ، أحد بنى كَعْب بن عبد الأشهل ، وأُسَيْد بن ظُهَيْر ، أخو بنى حارثة ابن الحارث ، يُشكّ فيه ، وعُكّاشة بن مِحْصَن ، أخو بنى أسَد بن خُزَيمة ، ومُحْرز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خُزَيمة ، وأبو قَتادة الحارث بن رِبعِيّ ، أخو بنى سَلَمة ، وأبو عيَّاش ، وهو عُبيد بن زيد بن الصَّامت ، أخو بنى زُرَيق . فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّرَ عليهم سعدَ بن زَيْد ، فيما بَلَغنى ، ثم قال : اخرُج فى طَلَب القوم ، حتى ألحقك فى الناس .

(الرسول ونصيحته لأبى عياش بترك فرسه) :

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى عن رجال من بنى زُرَيق ، لأبى عيّاش : يا أبا عياش ، لو أعْطيت هذا الفرس رجلا ، هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا أفرس الناس ، ثم ضربتُ الفرس ، فوالله ما جرَى بى خمسين ذراعا حتى طَرَحنى ، فعَجِبت أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أعطيتَه أفرسَ منك ، وأنا أقول : أنا أفرس الناس . فزعم رجالٌ من بنى زُرَيق أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطَى فرس أبى عيَّاش مُعاذ بن ماعص ، أو عائذَ بن ماعص بن قَيس بن خَلَدة ، وكان ثامنا ، وبعض

---

(١) الرضع : جمع راضع ، وهو اللئيم : والمعنى : اليوم يوم هلاك اللئام .

الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أُسيدَ بن ظُهير ، أخا بنى حارثة ، والله أعلم أىّ ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ فارسا ، وقد كان أوّل من لَحق بالقوم على رِجْليه . فخرج الفرسانُ فى طلب القوم حتى تلاحقوا .

(سبق محرز إلى القوم ومقتله) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنّ أوّل فارس لحق بالقوم مُحْرز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خُزَيمة — وكان يُقال لمحرز : الأخْرَم [١] ؛ ويقال له قُمَير [٢] — وأن الفزع لما كان جال فرسٌ لمحمود بن مَسْلمة فى الحائط ، حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرسا صَنِيعا [٣] جامًّا ، فقال نساءٌ من نساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرسَ يجول فى الحائط بجِذْع نخل هو مَرْبوط فيه : يا قُمَير ، هل لك فى أن تركب هذا الفَرس ؟ فانه كما ترى ، ثم تَلْحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطينَه إياه . فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذّ الخيل بجَمامه ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قِفُوا يا معشر بنى اللَّكيعة [٤] حتى يلحق بكم مَنْ وَرَاءكم من أدْباركم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجلٌ منهم فقتله ، وجال الفرس ، فلم يُقْدر عليه حتى وقف على آرِيِّه [٥] من بنى عَبْد الأشهل ، فلم يُقتل من المسلمين غيره .

(رأى ابن هشام فيمن قتل مع محرز) :

قال ابن هشام : وقُتل يومئذ من المسلمين مع مُحرز ، وقّاص بن مُجزِّز [٦] المُدْلجىّ ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب . وفى ا : « الأخزم » .

(٢) فى الاستيعاب : « فهيرة » .

(٣) الفرس الصنيع : الذى يخدمه أهله ويقومون عليه .

(٤) اللكيعة : اللئيمة .

(٥) الآرى : الحبل الذى تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذى تقف فيه الدابة آريا أيضا .

(٦) كذا فى ا والاستيعاب والمشتبه والقاموس . وفى سائر الأصول هنا وفيما سيأتى « محرز » وهو تصحيف .

(أسماء أفراس المسلمين) :

قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللمّة .

قال ابن هشام : وكان اسم فرس سَعْد بن زيد : لاحِق ؛ واسم فرس المِقْداد بَعزَجة[1] ؛ ويقال : سبحة [2] ؛ واسم فرس عُكاشة بن مِحْصن : ذواللِّمة ؛ واسم فرس أبى قَتادة : حزْوة [3] ؛ وفرس عبّاد بن بِشْر : لَمّاع ؛ وفرس أُسَيد بن ظُهير : مَسْنُون ؛ وفرس أبى عيّاش : جلْوة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ من لاأتّهم عن عبد الله بن كَعْب بن مالك : أنّ مُجزّزًا إنما كان على فرس لعُكاشة بن مِحْصن ، يقال له : الجَناح ، فقُتل مُجزّز واستُلبت الجَناح .

(القتلى من المشركين) :

ولما تلاحقت الخيل قَتل أبوقتادة الحارث بن رِبْعى ، أخو بنى سَلمة ، حبيبَ ابن عُيينة بن حِصْن ، وغشّاه بُرْده ، ثم لحق بالناس .

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين .

(استعمال ابن أم مكتوم على المدينة) :

قال ابن هشام : واستعمل علىْ المدينة ابن أمّ مكتوم .

قال ابن إسحاق : فاذا حَبيب مُسَجّى[4] ببرد أبى قَتادة ، فاسترْجع [5] الناس وقالوا : قُتل أبوقتادة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قتادة ، ولكنه قَتيل لأبى قتادة ، وضَع عليه بُرْدَه ، لتَعْرِفوا أنه صاحبه .

وأدرك عُكّاشة بنُ مِحْصن أوْبارًا [6] وابنه عَمْرو بن أوْبار ، وهما على بَعير

---

(١) قال السهيلى : « البعزجة » : شدة جرى فى مغالبة ، كأنه منحوت من « بعج » إذا شق ، و « عز » أى غلب .

(٢) قال السهيلى : « وأما سبحة فمن سبح ، إذا علا علوا فى اتساع ؛ ومنه : سبحان الله » .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . قال السهيلى : « وحزوة : من حزوت الطير ، إذا زجرتها ؛ أوحزوت الشىء ، إذا أظهرته » . وفى ا : « حزورة » .

(٤) مسجى : مغطى .

(٥) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٦) فى الطبقات : « أثار » بضم الهمزة .

واحد ، فانتظمها بالرمح ، فقتلهما جميعا ، واستنقذوا بعض اللقاح ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوما وليلة ؛ وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرحتنى فى مئة رجل لاستنقذت بقية السرح ، وأخذت بأعناق القوم ؟ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : إنهم الآن ليُغْبَقُون [1] فى غَطَفان .

(تقسيم الفيء بين المسلمين) :

فقسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مئة رجل جَزُورا ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قدم المدينة .

(امرأة الغفارى وما نذرت مع الرسول) :

وأقبلت امرأة الغفاريّ [2] على ناقة [3] من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبرَ ، فلما فرغت ، قالت : يارسول الله ، إنى قد نذرت لله أن أنحرها إنْ نجّانى الله عليها ؛ قال : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بئس ما جزيْتِها أن حملك اللهُ عليها ونجّاك بها ثم تنحرينها ! إنّه لانذْر فى مَعْصية الله ولا فيما لا تَمْلكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، فارجعى إلى أهلك على بركة الله .

والحديث عن امرأة الغفاريّ وما قالت ، وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبى الزبير المكيّ ، عن الحسن بن أبى الحسن البَصْريّ :

(شعر حسان فى ذى قرد) :

وكان مما قيل من الشعْر فى يوم ذى قرد قولُ حسّان بن ثابت :

لولا الذى لاقتْ ومَسّ نُسُورَها بجَنوب سايةَ أمسِ فى التَّقْوادِ [4]

---

(١) يغبقون : يسقون اللبن بالعشى .

(٢) هى ليلى امرأة ابن أبى ذر ، وقد تقدم ذكرها .

(٣) اسم هذه الناقة : العضباء . (راجع شرح المواهب) .

(٤) أضمر ذكر الخيل ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لأن الكلام يدل عليها . والنسور : مايكون فى باطن حافر الدابة ، مثل الحصى والنوى . وساية : موضع ، وقد تقدم شرحه .

لَلَقِينَكم يَحْمِلْنَ كُلَّ مُدَجَّجٍ ... حامِى الحَقِيقة ماجِدِ الأَجْدادِ[1]

ولَسَرَّ أَوْلادَ اللَّقِيطة أَنَّنا ... سِلْمٌ غَدَاةَ فَوارِس المِقْدادِ[2]

كُنَّا ثَمانِيَةً وكانُوا جَحْفَلاً ... لَجِبًا فشُكُّوا بالرِّماح بَدَادِ[3]

كُنَّا مِن القَوْم الذين يَلُونَهم ... ويُقَدِّمون عِنانَ كُلِّ جَوادِ

كلا وربِّ الرّاقصات إلى مِنًى ... يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأَطْوادِ[4]

حتّى نُبِيلَ[5] الخَيْلَ فى عَرَصاتكم ... وتَؤُوب بالمَلِكات والأَوْلادِ[6]

رَهْــوًا بكُلِّ مُقَلَّصٍ وطِمِرَّةٍ ... فى كلِّ مُعْتَرَك عَطَفْنَ ورادِى[7]

أَفْنَى دوابرَها ولاحَ مُتُونَها ... يومٌ تُقَاد به ويَوْمُ طِرَادِ[8]

فكَذاك إنَّ جِيادَنا مَلْبُــونةٌ ... والحربُ مُشْعَلَة بريح غَوادِ[9]

وسُيُوفنا بِيضُ الحَدائد تَجْتَلِى ... جُنَنَ الحَدِيد وهامَةَ المُرْتادِ[10]

أَخَــذَ الإلهُ عليهمُ لحَـرامه ... ولعِزَّة الرحمن بالأَسْــدادِ[11]

كانُوا بدارِ ناعِمِــين فبُدِّلُوا ... أَيّامَ ذى قَرَدٍ وُجُوهَ عِبادِ[12]

---

(١) المدجج (بفتح الجيم وكسرها) : الكامل السلاح . والماجد : الشريف .

(٢) أولاد اللقيطة : الملتقطون الذين لايعرف آباؤهم . والسلم (بفتح السين وكسرها) : الصلح .

(٣) الجحفل : الجيش الكثير . واللجب : الكثير الأصوات ، ولا يكون إلا عن كثرة عدده ، وشكوا : طعنوا . وبداد : من التبدد ، وهو التفرق .

(٤) الراقصات : الإبل ؛ والرقص : ضرب من مشيها . والأطواد ؛ : الجبال المرتفعة . والمخارم : الطرق بين الجبال .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . ونبيل : نجعلها تبول . وفى ا : « نثيله » .

(٦) العرصات : جمع عرصة ، وهى وسط الدار . وتؤوب : ترجع : والملكات : النساء يسبين فى الحرب .

(٧) الرهو : المشى فى سكون . ومقلص : مشمر . وطمرة : فرس وثابة سريعة . والمعترك : موضع الحرب . ورواد ، قال أبوذر : من رواه بفتح الراء فمعناه : سريعات ، من ردى الفرس يردى ، إذا أسرع ؛ ومن رواه بكسر الراء ، فهو من المشى الرويد ، وهو الذى فيه فتور .

(٨) دوابرها : أواخرها . ولاح : غير وأضعف . ومتونها : ظهورها ، والطراد : مطاردة الأبطال بعضهم بعضا .

(٩) ملبونة : تسقى اللبن . ومشعلة : موقدة .

(١٠) تجتلى : تقطع . والجنن : جمع جنة ، وهى السلاح . والمرتاد : الطالب للحرب .

(١١) الأسداد : جمع سد ، وهو ما يسد به على الإنسان فيمنعه عن وجهه .

(١٢) كذا فى ا . وعباد : أى عبيد . وفى سائر الأصول : « عناد » .

(غضب سعد على حسان ومحاولة حسان استرضاءه) :

قال ابن هشام : فلمَّا قالها حسَّان غَضِب عليه سعدُ بن زيد ، وحَلَف أن لايكلِّمه أبدًا ؛ قال : انطلَق إلى خَيْلى وفوارسى فجعلها للمقداد ! فاعتذر إليه حسَّان وقال : والله ما ذاك أردتُ ، ولكن الرويّ وافق اسمَ المِقْداد ؛ وقال أبياتا يُرضى بها سعدًا :

إذا أرَدْتُم الأشَدَّ الجَلْدا أو ذا غَناء فعَلَيكم سَعْدا
سَعْد بن زَيْد لا يُهَدّ هَدّا

فلم يقبل منه سعد ولم يُغْن شيئا .

(شعر آخر لحسان فى يوم ذى قرد) :

وقال حسَّان بن ثابت فى يوم ذى قَرَد :

أظَنّ عُيَيْنةُ إذْ زَارها بأن سوفَ يَهْدِم فيها قُصورًا[1]
فأُكذِبْتَ ما كنتَ صَدَّقته وقُلتم سَنَغْنَمُ أمرًا كبيرًا
فَعِفْتَ المَدينةَ إذْ زُرتَها وآنَسْت للأُسْد فيها زَئيرا[2]
فوَلَّوْا سِراعا كَشَدّ النَّعام ولم يكشفوا عن مُلِطٍّ حَصِيرا[3]
أميرٌ علينا رسُولُ المَليك أحْبِب بذاكَ إلينا أميرا
رسُولٌ نُصَدّقُ ما جاءه ويَتْلو كِتابا مضيئا مُنيرًا

(شعر كعب فى يوم ذى قرد) :

وقال كعب بن مالك فى يوم ذِى قَرَد للفوارس :

أتحسَبُ أولادُ اللَّقِيطةِ أنَّنا على الخَيْل لسنا مِثلهم فى الفوارِس
وإنَّا أناسٌ لا نرى القَتل سُبَّةً ولا نَنْثَنِى عند الرِّماح المَداعس[4]

---

(١) زارها ، أى المدينة .

(٢) عفت : كرهت . وآنست : أحسست ووجدت .

(٣) الشد : الجرى . ولم يكشفوا عن ملط حصيرا ، أى لم يصيبوا بعيرا ، ولا كشفوا عنه حصيرا . ويعنى « بالحصير » : ما يكتنف به حول الإبل من عيدان الحظيرة . والملط : من قولهمْ لطت الناقة وألطت بذنبها : إذا أدخلته بين رجليها .

(٤) المداعس : المطاعن ؛ يقال : دعسه بالرمح ، إذا طعنه .

وإنَّا لَنَقْرِى الضَّيفَ من قَمَعِ الذُّرا ... ونَضرب رأسَ الأبْلخ المُتشاوس[1]
نَرُدُّ كُماة المُعْلَمِين إذا انتخَوْا ... بضرْب يُسَلِّى نَخْوة المُتقاعِس[2]
بكُلِّ فَتًى حامى الحَقيقة ماجِد ... كريمٍ كسِرْحان الغَضاة مُخالس[3]
يَذُودون عن أحْسابِهم وتِلادهِم ... ببيضٍ تَقُدُّ الهامَ تحت القَوانِس[4]
فسائِلْ بَنِى بَدْرٍ إذا ما لَقِيتَهم ... بمَا فعَل الإخوانُ يوْمَ التَّمارُس[5]
إذا ما خرَجْتم فاصدُقوا[6] مَن لَقِيتُمُ ... ولا تكْتُموا أخبارَكم فى المجالس
وقُولُوا زَلِلْنا عن مَخالب خادر ... به وَحَرٌ فى الصَّدْرِ ما لم يُمارِس[7]

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « وإنَّا لنَقْرِى الضَّيف » أبوزيد .

(شعر شداد لعيينة) :

قال ابن إسحاق : وقال شدّاد بن عارض الجُشَمى ، فى يوم ذى قَرَد : لعَيينة ابن حِصْن ، وكان عُيينة بن حِصْن يُكْنى بأبى مالك :

فهلاَّ كَرَرْتَ أبا مالك ... وخَيْلُك مُدْبِرة تُقْتَلُ
ذكرتَ الإيابَ إلى عَسْجَر ... وهَيْهات قد بَعُد المُقْفَل[8]
وطَمَّنْتَ[9] نَفْسَك ذا مَيْعة ... مِسَحَّ الفَضاء إذا يُرْسَل[10]

---

(١) القمع : جمع قمعة ؛ وهى أعلى سنام البعير . والذرا : الأسنمة ، والأبلخ : المتكبر والمتشاوس : الذى ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر .

(٢) انتخوا : تكبروا . والمتقاعس : الذى لايلين ولاينقاد .

(٣) السرحان : الذئب ، والغضاة : شجرة ،وجمعها غضى . ويقال : إن أخبث الذئاب ذئاب الغضى وقد وردت هذه الكلمة فى ا « العضاة » .

(٤) يذودون : يمنعون ويدفعون . والتلاد : المال القديم . وتقد : تقطع . والقوانس : أعالى بيض الحديد ؛ الواحدة قونسة .

(٥) التمارس : المضاربة فى الحرب والمقاربة .

(٦) فى ا : « فاكتموا » .

(٧) خادر ، أى أسد خادر ، وهو الذى يلزم أجمته . والوحر : الحقد .

(٨) الإياب : الرجوع . وعسجر : موضع قرب مكة . والمقفل : الرجوع .

(٩) فى ا : « وضمنت » .

(١٠) ذو ميعة : فرس ذو نشاط . والمسح : الكثير الجرى . والفضاء : المتسع من الأرض .

إذَا قَبَّضَتْه إليك الشِّمَا لُ جاشَ كما اضطرمَ المِرْجَل[1]
فلمَّا عَرَفْتم عِبادَ الإلــه لم يَنْظُر الآخرَ الأوّل[2]
عَرفْتم فوارِسَ قد عُوِّدوا طِرادَ الكُماة إذَا أَسْهَلوا[3]
إذا طَرَدُوا الخيْلَ تَشْقَى بهم فِضَاحًا وإن يُطْرَدوا يَنْزِلوا[4]
فيَعْتَصِمُوا فى سَوَاءِ المُقا مِ بالبِيضِ أخْلَصَها الصَّيْقَل[5]

غزوة بنى المصطلق[6]

(وقتها):

قال ابن إسحاق: فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعضَ جمادى الآخرة ورجبا، ثم غزا بنى المُصطلق من خُزاعة، فى شَعْبان سنة ستّ[7].

(استعمال أبى ذر على المدينة):

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغِفاريّ؛ ويقال: نُميلة بن عبد الله الليْثى.

---

(١) جاش: تحرك وعلا. واضطرم: التهب؛ ويروى: اضطرب.

(٢) لم ينظر: لم ينتظر.

(٣) الكماة: الشجعان. وأسهلوا: نزلوا السهل.

(٤) الفضاح: الفاضحة.

(٥) أخلصها الصيقل: أى أزال ما عليها من الصدأ.

(٦) وتسمى أيضا: «المريسيع».

(٧) فى وقت هذه الغزوة خلاف ذكره الزرقانى وعقب عليه بما يأتى: «وقال الحاكم فى الإكليل: قول عروة وغيره إنها كانت سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق؛ قلت: ويؤيده ما ثبت فى حديث الإفك أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة فى أصحاب الإفك، فلو كانت المريسيع فى شعبان سنة ست مع كون الإفك منها، لكان ما وقع فى الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطا، لأنه مات أيام قريظة، وكانت فى سنة خمس على الصحيح، وإن كانت كما قيل سنة أربع، فهو أشد غلطا، فظهر أن المريسيع كانت فى سنة خمس فى شعبان قبل الخندق، لأنها كانت فى شوال سنة خمس أيضا، فيكون سعد بن معاذ موجودا فى المريسيع ورمى بها بعد ذلك بسهم فى الخندق، ومات من جراحته فى قريظة».

(سبب غزو الرسول لهم) :

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة وعبدُ الله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبّان ، كلّ قد حدثني بعض حديث بني المُصطلق ، قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ بني المُصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جُوَيْرية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلّم ؛ فلما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماءٍ لهم[1] يقال له : المُرَيسيع ، من ناحية قُدَيد إلى الساحل ، فتزاحف الناسُ واقتتلوا ، فهزم اللهُ بني المُصطلق ، وقُتل من قُتل منهم ، ونفّل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

(موت ابن صبابة) :

وقد أُصيب رجلٌ من المسلمين من بني كَلْب بن عَوْف بن عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له : هشام بن صُبابة ، أصابه رجل من الأنصار من رَهْط عُبادة ابن الصامت ، وهو يرى أنه من العدوّ ، فقتله خطأً .

(جهجاه وسنان وما كان من ابن أبيّ) :

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردةُ الناس ، ومع عمر بن الخطّاب أجيرٌ له من بني غِفار ، يقال له : جَهْجاه بن مَسْعود يقود فرسه ، فازدحم جَهْجاه وسِنان بن وَبَر[2] الجُهَني ، حليف بني عَوْف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجُهَني : يامعشر الأنصار ، وصرخ جَهْجاه : يا معشر المهاجرين[3] ؛ فغضب عبدُ الله بن أُبيّ بن سلول ، وعنده رَهْط من

---

(١) في ا : « من مياههم » .

(٢) قال السهيلي : « وقال غيره : هوسنان بن تميم ، من جهينة بن سود بن أسلم ، حليف الأنصار » .

(٣) قال السهيلي : « ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعها ، وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما قال : دعوها فإنها منتنة ؛ يعني أنها كلمة خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية . وجعل الله المؤمنين إخوة وحزبا واحدا ، فإنما ينبغي أن تكون الدعوة للمسلمين . فمن دعا في الإسلام بدعوى الجاهلية ، فيتوجه للفقهاء فيه ثلاثة أقوال ، أحدها أن يجلد من استجاب له خمسين سوطا ، اقتداء بأبي موسى الأشعري في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطا ، حين سمع « ياللعامر » فأقبل يشتد بعصبه . والثاني أن فيها —

قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلابيب[1] قريش إلا كما قال الأول : سَمِّن كَلْبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجنّ الأعزّ منها الأذلّ . ثم أقبل على مَنْ حضره من قومه ، فقال لهم : هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوّه ، فأخبره الخبرَ ، وعنده عمرُ بن الخطّاب ، فقال : مُرْ به عبّاد بن بشر فليَقتله ؛ فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فكيفَ يا عمر إذا تحدّث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ! لا ولكن أذّن بالرّحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناسُ .

(اعتذار ابن أبى للرسول) :

وقد مشى عبد الله بن أُبَىّ بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلّغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ماقلت ما قال ، ولا تكلمت به . — وكان فى قومه شريفا عظيما — ، فقال مَنْ حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوْهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حَدَبا على ابن أُبَىّ بن سلول ، ودفْعا عنه .

(الرسول وأسيد ومقالة ابن أبى) :

قال ابن إسحاق : فلما استقلّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أُسَيد بن حُضير ، فحيّاه بتحيّة النبوّة وسلّم عليه ، ثم قال : يا نبىّ الله ، والله لقد رُحتَ فى ساعة مُنكرة ، ما كنتَ تروح فى مثلها ؛ فقال له رسولُ الله

= الجلد دون العشر لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا فى حد . والقول الثالث : اجتهاد الإمام فى ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد » .

(١) جلابيب قريش : لقب من كان أسلم من المهاجرين ، لقبهم بذلك المشركون . أصل الجلابيب : الأزر الغلاظ ، كانوا يلتحفون بها ، فلقبوهم بذلك .

صلى الله عليه وسلم : أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب يا رسول الله قال : عبد الله بن أُبَيّ ؛ قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخرجن الأعزّ منها الأذلّ ، قال : فأنت يارسول الله والله تُخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليلُ وأنت العزيز ؛ ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنّ قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكا .

(سير الرسول بالناس ليشغلهم عن الفتنة) :

ثم مشى[1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومَهم ذلك حتى أمسى ، وليلتَهم حتى أصبح ، وصَدْر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمسُ ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليشغل النّاس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله ابن أُبَيّ .

(تنبؤ الرسول بموت رفاعة) :

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنّاس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النَّقيع ، يقال له : بقعاء . فلما راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هبّت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم وتخوّفوها ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوها ، فإنما هبّت لموت عظيم من عُظماء الكُفّار . فلمّا قدموا المدينة وجدوا رِفاعة بن زَيد بن التّابوت ، أحد بنى قينقاع ، وكان عظيما من عُظماء يهود ، وكهفًا للمُنافقين ، مات فى ذلك اليوم .

(ما نزل فى ابن أبي من القرآن) :

ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أُبَيّ ومَن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأُذن زَيْد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذى أوْفى الله بأُذنه . وبلغ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبَيّ الذى كان من أمر أبيه .

(طلب ابن عبد الله بن أبي أن يتولى هو قتل أبيه وعفو الرسول) :

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصمُ بن عُمر بن قتادة : أن عبد الله أتى رسول الله

---

(١) فى ا : « متن » يعنى أنه سار بهم حتى أضعف إبلهم ؛ يقال : متن بالإبل ، إذا أتعبها حتى تضعف .

صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتلَ عبد الله بن أُبَيّ فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابدّ فاعلا فمُرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرجُ ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعُني نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَيّ يمشى فى الناس ، فأقتله فأقتلَ (رجلا[1]) مؤمنا بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفّق به ، ونُحسن صُحبته ما بقى معنا .

(تولى قوم ابن أبى مجازاته) :

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدثَ كان قومه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويُعنّفونه ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعُمر بن الخطّاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى ياعمر ؛ أما والله لوقتلته يوم قلتَ لى اقتُله ، لأُرْعِدت له آنُفٌ ، لو أمرتها اليوم بقتْله لقتلته ؛ قال : قال عمر : قد والله علمتُ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

(مقيس بن صبابة وحيلته فى الأخذ بثأر أخيه وشعره فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : وقدِم مِقْيَس بن صُبابة من مكة مسلما ، فيما يُظْهِر ، فقال : يا رسول الله ، جئتك مسلما ، وجئتك أطلُب دِيَة أخى ، قُتل خطأ . فأمر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هِشام بن صُبابة ؛ فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرَ كثير ، ثم عدَا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدّا ؛ فقال فى شعر يقوله :

شفَى النفسَ أن قد بات بالقاع مُسْنَدا ... تُضَرِّج ثوْبَيْه دماءُ الأخادِع[2]
وكانت هُموم النَّفس من قبل قتْله ... تُلِمّ فتَحْمِينى وِطاء المَضَاجِع[3]
حَلَلت به وِتْرى وأدركتُ ثُؤْرَتى ... وكنتُ إلى الأوثان أوّل راجع[4]

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) القاع : المنخفض من الأرض . وتضرج : تلطخ . والأخادع : عروق القفا ، وإنما هما أخدعان ، فجمعهما مع ما يليهما .

(٣) تلم : تساورنى وتحل بى . وتحمينى : تمنعنى . ووطاء المضاجع : لينها .

(٤) الوتر : طلب الثأر . والثؤرة : الثأر .

ثَأرتُ به فهرًا وحلت عَقْــله سراةَ بنى النَّجَّار أربابَ فارِع[١]

وقال مِقيَس بن صُبابة أيضا :

جلَّلته[٢] ضَرْبَةً باءت[٣] لها وشَلٌ من ناقع الجَوْف يَعلوه وينْصَرِمُ[٤]

فقُلْتُ والمَوْتُ تَغْشاه أسِرَّته لا تأمَنَنَّ بَنى بَكْرٍ إذا ظُلِموا[٥]

(شعار المسلمين) :

قال ابن هشام : وكان شعار المُسلمين يوم بنى المُصْطلق : يامنصور ، أمِتْ أمِتْ .

(قتل بنى المصطلق) :

قال ابن إسحاق : وأُصيب من بنى المُصْطلق يومئذ ناسٌ ، وقَتَل علىُّ بن أبى طالب منهم رجلَين ، مالكا وابنه ، وقَتَل عبدُ الرحمن بن عوف رجلاً من فُرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أُحَيمر[٦] .

(أمر جويرية بنت الحارث) :

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سَبْيا كثيرًا ، فَشا قَسْمُه فى المسلمين ؛ وكان فيمن أُصيب يومئذ من السَّبايا جُوَيرية بنت الحارث بن أبى ضِرار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بنْ جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما قسَم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المُصْطلق ، وقعتْ جُوَيرية بنت الحارث فى السّهم لثابت بن قيس بن الشَّماس ، أو لابن عمٍّ له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوةً مُلاّحة[٧] ، لايراها أحد إلا أخذت بنَفْسه فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تَسْتعينه فى كِتابتها ؛ قالت عائشة : فوالله ماهو

---

(١) العقل : الدية . وسراة بنى النجار : خيارهم . وفارع : حصن لهم .

(٢) جللته ضربة : علوته بها .

(٣) كذا فى ا . وباءت : أخذت بالثأر ؛ يقال : بؤت بفلان ، إذا أخذت بثأره . وفى سائر الأصول « بانت » .

(٤) وشل قطر ويريد « بناقع الجوف » : الدم . وينصرم . ينقطع .

(٥) الأسرة : التكسر الذى يكون فى جلد الوجه والجبهة .

(٦) هذه العبارة من قوله « وقتل عبد الرحمن » إلى قوله « أو أحيمر » ساقطة فى ا .

(٧) الملاحة : الشديدة الملاحة .

إلا أن رأيتُها على باب حُجرتى فكرِهتها ، وعرَفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيتُ ، فدخلتْ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جُويرية بنت الحارث ابن أبى ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البَلاء ، ما لم يَخْفَ عليك ، فوقعت فى السَّهم لثابت بن قَيس بن الشَّماس ، أو لابن عمٍّ له ، فكاتبتُه على نفسى ، فجئتك أستعينك على كِتابتى ؛ قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوّجك ؛ قالت : نعم يا رسول الله ؛ قال : قد فعلت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد تزوّج جُويرية ابنْة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما بأيديهم ؛ قالت : فلقد أُعتِق بتزويجه إياها مئة أهل بيت من بنى المُصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظمَ على قومها بركة منها [١] .

قال ابن هشام [٢] : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصطلِق ومعه جُويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعةً ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ؛ فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيَّبهما فى شِعب من شِعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فِداؤها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، فى شِعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك محمد رسول الله

---

(١) قال السهيلى : « وأما نظره عليه الصلاة والسلام لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف ، فإنما كان ذلك لأنها امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء . وجائز أن يكون نظر إليها لأنه أراد نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت : إنى قد وهبت نفسى لك يارسول الله فصعد فيها النظر ثم صوب ، ثم أنكحها من غيره . وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام الرخصة فى النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة : لو نظرت إليها ، فإن ذلك أحرى أن يدوم بينكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بثينة بنت الضحاك » .

(٢) هذا الحديث زيادة عن ا .

فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارثُ ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ودُفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت ، وحسُن إسلامها ؛ فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوّجه إياها ، وأصدقها أربع مئة درهم .

(الوليد بن عقبة وبنو المصطلق وما نزل فى ذلك من القرآن) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رُومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليدَ بن عقبة بن أبى مُعيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد همّوا بقتله ، ومنعوه ماقِبَلهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون فى ذكر غزْوهم ، حتى همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبيناهم على ذلك قدِم وفدُهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدّى إليه ما قِبَلنا من الصدقة ، فانشمر[1] راجعا ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنّا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ماجئنا لذلك ؛ فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : « يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ ، فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ » . . . إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثنى من لا أتّهم عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ماقالوا .

---

(١) انشمر : جد وأسرع .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

(سنة ستّ) [١]

قال ابن إسحاق : حدّثنا الزهرى ، عن علقمة بن وقّاص ، وعن سعيد بن جُبير وعن عُروة بن الزّبير ، وعن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، قال : كلٌّ قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعضُ القوم كان أوْعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدّثنى القوم .

(شأن الرسول مع نسائه فى سفره) :

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبدُ الله بن أبى بكر ، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهلُ الإفك ما قالوا ، فكُلٌّ قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا يحدّث بعضهم ما لم يحدّث صاحبه ، وكلٌّ كان عنها ثقة ، فكلّهم حدث عنها ماسمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا أقْرع بين نِسائه، فأيّتهنّ خَرج سهمُها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بنى المُصْطلِق أقْرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سَهْمى عليهنّ معه ، فخرج بى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

(سقوط عقد عائشة وتخلفها للبحث عنه) :

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَق [٢] لم يَهيجْهن [٣] اللّحم فيَثْقلن ، وكنت إذا رُحّل لى بعيرى جلستُ فى هَوْدجى ، ثم يأتى القومُ الذين يُرَحّلون لى ويَحْملوننى ، فيأخذون بأسفل الهَوْدج ، فيرفعونه ، فيَضعونه على ظهر البعير ، فيشدّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فَرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجّه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة

---

(١) زيادة من ا .

(٢) العلق بضم ففتح : جمع علقة ، وهى ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء .

(٣) التهيج : كالورم فى الجسد .

نزل منزلا ، فبات به بعضَ الليل ، ثم أذّن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناسُ ، وخرجتُ لبعض حاجتى ، وفى عُنُقى عِقْدٌ لى ، فيه جَزْعُ[١] ظَفار ، فلما فرغت انسلّ من عُنُقى ولا أدرى ، فلما رجعتُ إلى الرَّحل ذهبتُ ألتمسه فى عُنُقى ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرّحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدْته ، وجاء القوم خلافى ، الذين كانوا يُرَحِّلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودَج ، وهم يظنّون أنى فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ؛ فرجعتُ إلى العسكر وما فيه من داعٍ ولا مُجيب ، قد انطلق الناس .

(مرور ابن المعطل بها واحتماله إياها على بعيره) :

قالت : فتلفّفت بجلبابى ، ثم اضطجعتُ فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتُقِدت لرُجِع إلىّ . قالت : فوالله إنى لمُضطجعة إذ مرّ بى صفوان بن المعطّل السُّلَمى ، وقد كان تخلّف عن العسكر لبَعْض حاجته[٢] ، فلم يبتْ مع الناس ، فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف علىّ ، وقد كان يرانى قبل أن يُضْرَب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنَّا لِلهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ ، ظَعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متلفّفة فى ثيابى ؛ قال : ما خلّفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلّمته ، ثم قرّب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عنّى . قالت : فركبتُ ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعا ، يطلب الناسَ ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدْت حتى أصبحتُ ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجلُ يقود بى ، فقال أهل الإفك ما قالوا ؛ فارتعج[٣] العسكر ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك .

(إعراض الرسول عنها) :

ثم قدِمْنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيتُ شكوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك

---

(١) الجزع : الخرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء ، وينسب إليها الجزع الظفارى .

(٢) كان صفوان على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف . (راجع الروض) .

(٣) ارتعج العسكر : تحرك واضطرب . وفى ر : « ارتج » أى اضطرب .

شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبوىّ لايذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنى قد أنكرتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لُطْفه بى ، كنت إذا اشتكيتُ رَحِمَنى ، ولَطَف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكْواى تلك ، فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىّ وعندى أمى تمرضنى — قال ابن هشام : وهى أم رومان ، واسمها زَيْنَب بنت عبد دُهْمان ، أحد بنى فراس ابن غَنْم بن مالك بن كنانة — قال : كيف تيكم ، لايزيد على ذلك .

(انتقالها إلى بيت أبيها وعلمها بما قيل فيها) :

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وَجدتُ فى نفسى ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيتُ ما رأيت من جفائه لى : لو أذنتَ لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرّضتنى ؟ قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا علم لى بشيء مما كان ، حتى نقَهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عربا ، لانتخذ فى بُيوتنا هذه الكُنُف التى تتّخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، إنما كنّا نذهب فى فُسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كلّ ليلة فى حوائجهنّ ، فخرجتُ ليلةً لبعض حاجتى ومعى أمّ مِسْطح بنت أبى رُهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخْر بن عامر بن كعب بن سَعْد بن تيم ، خالة أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ؛ قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مِرْطها [1] ؛ فقالت : تعس مسْطح ! ومسْطح لقب واسمه عوف ؛ قالت : قلت : بئس لعمر الله ماقلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ؛ قالت : أوما بلغك الخبر يابنت أبى بكر؟ قالت : قلت : وما الخبر؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أوْ قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ماقدرت على أن أقضى حاجتى ، ورجعت ؛ فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيَصْدع [2] كَبِدى ؛ قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ؛ تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ! قالت : أى بنيّة ، خفّضى [3]

---

(١) المرط : الكساء
(٢) سيصدع : سيشق .
(٣) خفضى عليك : هوِّنى عليك .

عليك الشأن ، فوالله لقلّما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلاّ كثّرْن وكثّر الناس عليها .

(خطبة الرسول فى الناس يذكر إيذاء قوم له فى عرضه) :

قالت : وقد قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يَخْطبهم ولا أعلم بذلك ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يُؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غيرَ الحقّ ، والله ماعلمت منهم إلا خيرًا ، ويقولون ذلك لرجل والله ماعلمت منه إلا خيرًا ، وما يدْخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى .

(أثر ابن أبى وحمنة فى إشاعة هذا الحديث) :

قالت : وكان كِبْر[1] ذلك عند عبد الله بن أُبَىّ بن سلولَ فى رجال من الخزرج مع الذى قال مِسْطح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصِينى[2] فى المنزلة عنده غيرها ؛ فأما زينب فعصَمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حَمْنة بنت جَحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادُّنى لأختها ، فشَقيت بذلك .

(ما كان بين المسلمين بعد خطبة الرسول) :

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسَيد بن حُضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نَكْفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمُرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ؛ قالت : فقام سَعْد ابن عُبادة ، وكان قبل ذلك يُرَى رجلا صالحا ؛ فقال : كذبت لعَمْر الله ، لاتضرب أعناقهم ، أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلا أنك قد عرَفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا ؛ فقال أُسَيد : كذبت لعَمر الله ، ولكنّك مُنافق تُجادل عن المُنافقين ؛ قالت : وتساور[3] الناس ، حتى كاد يكون بين هذين

---

(١) الكبر بالضم والكسر : الإثم ، ومعظم الشيء .

(٢) كذا فى الروض . قال السهيلى : « وقول عائشة : لم تكن امرأة تناصينى فى المنزلة عنده غيرها ، هكذا فى الأصل « تناصينى » ، والمعروف فى الحديث : تساميني ، من المناصاة وهى المساواة » .

(٣) وتساور الناس : قام بعضهم إلى بعض ، وفى بعض النسخ : « تثاوروا » .

الحيَّين من الأوس والخزرج شرٌّ . ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل عليّ

(استشارة الرسول لعلى وأسامة) :

(١قالت) فدعا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ؛ فأمّا أُسامة فأثنى عليّ خيرًا وقاله ؛ ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا ، وهذا الكذب والباطل ؛ وأما عليّ فانه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تَستخلف ، وسَل الجارية ، فانها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُريرة ليَسألها ؛ قالت : فقام إليها عليّ بن أبي طالب ، فضَربها ضربا شديدًا ، ويقول : اصدُقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قالت: فتقول والله ما أعلم إلا خيرا ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا ، إلا أنى كنت أعجِن عجينى ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله .

(نزول القرآن ببراءة عائشة) :

قالت : ثم دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحَمِد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : ياعائشة ، إنه قد كان ما قد بلَغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفْت سوءا ٢ مما يقول الناس فتُوبى إلى الله ، فان الله يقْبل التوبة عن عباده ؛ قالت : فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلَص ٣ دمعى ، حتى ما أُحسّ منه شيئا ، وانتظرت أبوىّ أن يُجيبا عنى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلّما قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأنا من أن يُنزل الله فىّ قرآنا يُقرأ به فى المساجد ، ويُصَلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئا يكذّب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يُخبر خبرا ؛ فأمّا قرآن يَنزل فىّ ، فوالله لنَفسى كانت أحقَر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوىّ يتكلّمان ، قالت : قلت لهما : ألا تُجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) قارفت سوءا : دخلت فيه .

(٣) قلص : ارتفع .

قالت : فقالا : والله ما نَدرى بماذا نُجيبه ؛ قالت : ووالله ما أعلم أهلَ بيت دخل عليهم مادخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ؛ قالت : فلما أن استعجما علىّ ، استعبرتُ فبكيتُ ؛ ثم قلت : والله لاأتوب إلى الله مما ذكرت أبدا . والله إنى لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولنّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت مايقولون لاتصدّقوننى . قالت: ثم التمست اسمَ يعقوب فما أذكره ؛ فقلت: ولكن سأقولُ كما قال أبو يوسف : « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ » . قالت : فوالله ما بَرِح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تَغَشَّاه من الله ما كان يتغَشَّاه ، فسُجِّى بثوبه ووُضعت له وسادة من أدَم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فَزِعت ولا باليتُ ، قد عَرَفت أنى بَريئة ، وأن الله عزّ وجلّ غيرُ ظالمى ؛ وأمَّا أبَواى ، فوالذى نفسُ عائشة بيده ، ما سُرِّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننتُ لتخرجنّ أنفسُهما ، فَرَقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ؛ قالت : ثم سُرِّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس ، وإنه ليتحدّر منه مثل الجُمان [1] فى يوم شات ، فجعل يمْسح العَرق عن جبِينه ، ويقولُ : أبْشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله برَاءتك ؛ قالت : قلت : بحمد الله ثم خرج إلى الناس ، فخَطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمِسْطح بن أُثاثة ، وحسَّان بن ثابت ، وحَمْنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفْصح بالفاحشة ، فضُربوا حدَّهم .

(أبو أيوب وذكره طهر عائشة لزوجه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يَسار عن بعض رجال بنى النَّجّار : أن أبا أيُّوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أمّ أيُّوب : يا أبا أيُّوب ، ألا تَسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت يا أمّ أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ماكنتُ لأفعله ؛ قال : فعائشة والله خيرٌ منك .

(ما نزل من القرآن فى ذلك) :

قالت : فلما نزل القرآن بذكر مَنْ قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك

---

(١) الجمان : حب من فضة يصنع فى مثل الدر .

فقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ جاءُوا بالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ ما اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ، والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ » ، وذلك حسّان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا .

قال ابن هشام : ويقال : وذلك عبد الله بن أُبيّ وأصحابه .

قال ابن هشام : والذى تولى كِبرَه عبد الله بن أُبيّ ، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا . ثم قال تعالى : « لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِناتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا » : أى فقالوا كما قال أبو أيّوب وصاحبته ، ثم قال : « إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ، وتَقُولُونَ بِأَفْواهِكُمْ ما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا ، وهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ » .

(عزم أبى بكر بعدم الإنفاق على مسطح ثم عدوله) :

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان ينفقُ على مِسْطح لقرابته وحاجته : والله لا أُنفق على مِسْطح شيئا أبدا ، ولا أنفعه بنَفْع أبدا بعد الذى قال لعائشة ، وأدْخل علينا ؛ قالت : فأنزل الله فى ذلك « وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِى القُرْبَى والمَساكِينَ والمُهاجِرِينَ فِى سَبِيلِ اللهِ ، ولْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ، واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

(تفسير ابن هشام بعض الغريب) :

قال ابن هشام : يقال : كِبْره وكُبْره فى الرواية ، وأما فى القرآن فكِبره بالكسر[1]

قال ابن هشام : « ولا يأتل أولوا الفضل منكم » ولا يألُ أولو الفضل منكم .

قال امرؤ القيس بن حجْر الكِنْدى :

ألا رُبَّ خَصْمٍ فيكِ ألْوَى رَدَدْتُه نصيح على تَعْذاله غيرُ مؤْتَلِ

وهذا البيت فى قصيدة له ؛ ويقال: وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ : ولا يحلف أولو الفضل ، وهو قول الحَسَن بن أبى الحسن البصْرى ، فيما بلغنا عنه .

---

(١) هذه العبارة من قوله « قال ابن هشام » إلى قوله « بالكسر » ساقطة فى ا .

وفى كتاب الله تعالى : « لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ » وهو من الألية ، والألية : اليمين . قال حسّان بن ثابت :

آليْتُ ما فى جميع الناس مُجْتهدًا   مِنّى أَلِيَّةَ برّ غَيْر إفْنادِ[1]

وهذا البيت فى أبيات له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها . فمعنى : أن يؤتوا فى هذا المذهب : أن لا يؤتوا ، وفى كتاب الله عزّ وجلّ : « يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا » يريد : أن لا تضلوا ؛ « وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ » يريد أن لا تقع على الأرض ، وقال ابن مفرّغ الحميرى :

لاذَعَرْتُ السَّوَامَ فى وَضَح الصُّبْـــح مُغيرًا ولا دُعيتُ يزيدا[2]

يوم أُعْطى مخافةَ المَوْت ضَيْمًا   والمَنايا يَرْصُدْنَنى أن أحيدا[3]

يريد : أن لا أحيد ، وهذا البيتان فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إنى لأحبّ أن يَغْفِر الله لى ؛ فرَجع إلى مِسْطح نَفَقته التى كان يُنفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

(هم ابن المعطل بقتل حسان) :

قال ابن إسحاق : ثم إن صَفْوان بن المُعَطَّل اعترض حسّان بن ثابت بالسَّيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسّان قال شعرا مع ذلك يعرّض بابن المعطل فيه ، وبمن أسلم من العرب من مُضَر ، فقال :

أمْسَى الجَلابيبُ قد عَزّوا وقد كثُرُوا   وابنُ الفُرَيْعة أمْسَى بَيْضة البَلدِ[4]

قد ثَكِلت أمه مَن كنتَ صاحِبَه   أو كان مُنْتَشِبا فى بُرْثُن الأسدِ[5]

ما لقَتيلى الذى أعْـدُو فآخُذُه   مِنْ دِيةٍ فِيــه يُعطاها وَلا قَوَدِ[6]

---

(١) الإفناد : الكذب .

(٢) ذعرت : أفزعت . والسوام : المال المرسل فى المرعى . والوضح : البياض .

(٣) الضيم : الذل . وأحيد : أعدل .

(٤) الجلابيب : الغرباء . وبيضة البلد : أى متفردا لا يدانيه أحد ، قال أبو ذر : « وهو فى هذا الموضع مدح ، وقد يكون ذما ، وذلك إذا أريد أنه ذليل ليس معه غيره » .

(٥) ثكلته أمه : فقدته . والبرثن : الكف مع الأصابع ، ومخلب الأسد ، أو هو للسبع كالإصبع للإنسان .

(٦) القود : قتل النفس .

ما البَحْرُ حين تَهبّ الرّيح شاميةً   فيَغْطَئِلُ ويَرْمى العِبر بالزَّبَدِ[1]
يوْما بأغلَب منى حين تُبْصِرنى   ملْغَيْظ أفْرِى كفَرْى العارضِ البَرِد[2]
أمّا قُرَيْشٌ فإنى لن أُسالِمهم   حتى يُنيبوا من الغيَّات للرَّشَدِ[3]
ويتْرُكوا اللاّتَ والعُزَّى بمَعْزِلة   ويَسْجُدوا كلُّهم للواحد الصَّمد
ويَشْهَدُوا أنّ ما قالَ الرَّسولُ لهم   حقٌّ ويُوفُوا بعَهْدِ الله والوُكُد[4]

فاعترَضه صَفْوان بن المُعَطّل ، فضَربه بالسَّيف ، ثم قال : كما حدثنى يعقوب بن عتبة :

تَلَقَّ[5] ذُباب السَّيف عنى فإننى   غُلام إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن ثابت بن قَيْس بن الشَّماس وَثَب على صَفْوان بن المُعطَّل ، حين ضَرب حسَّان ؛ فجمع يَدَيه إلى عُنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ؛ فلقيه عبد الله ابن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبك ضرب حسان بالسَّيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ؛ قال له عبدالله بن رَواحة : هل علِم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ؛ قال : لقد اجترأت ، أطلق الرجل ؛ فأطْلقه ، ثم أتَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسَّان وصفوان بن المُعطَّل ؛ فقال ابنُ المعطَّل : يا رسول الله : آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب ، فضربته ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسَّان : أحسن ياحسان[6] ، أتَشَوَّهْتَ[7] على قومى أن هداهم الله للإسلام ، ثم قال : أحسن يا حسَّان فى الذى أصابك ؛ قال : هى لك يا رسول الله .

---

(١) يغطئل : يجول ويتحرك . والعبر : جانب النهر أو البحر .
(٢) أفرى : أقطع . والعارض : السحاب . والبرد (بكسر الراء) : الذى فيه برد .
(٣) ينيبوا : يرجعوا . والغيات : جمع غية ، من الغى ، وهو خلاف الرشد .
(٤) يريد « بالوكد » العهود المؤكدة .
(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « تلحق » .
(٦) هذه العبارة ساقطة فى .
(٧) أتشوهت على قومى : أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله .

قال ابن هشام : ويقال : أبعد أن هداكم الله للإسلام .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن إبراهيم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضا منها بيرَحاء [١] ، وهى قصر بنى حُديلة اليوم بالمدينة ، وكانت مالاً لأبى طَلْحة بن سَهْل تصدّق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَسَّان فى ضَرْبته ، وأعطاه سيرين ، أمَة قِبْطيَّة ، فولدت له عبدَ الرحمن بن حسَّان ، قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سُئل عن ابن المُعطل ، فوَجدوه رجلا حَصُورا ، ما يأتى النساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيدا .

قال حسَّانُ بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنّ بريبة وتُصْبح غَرْثَى من لُحوم الغَوافِل [٢]
عَقِيلة حَىّ من لُؤَىّ بن غالبٍ كِرَام المَساعى مَجْدُهم غير زَائل [٣]
مُهَذَّبةٌ قد طَيَّبَ اللهُ خِيمَها وطَهَّرَها مِنْ كُلّ سُوء وباطِل [٤]
فان كُنْتُ قد قلتُ الذى قد زَعَمْتُمُ فَلا رفَعتْ سَوْطِى إلىَّ أنامِلى [٥]
وكيفَ ووُدّى ماحَيِيتُ ونُصْرَتى لآل رسولِ اللهِ زَيْنِ المَحافِل
له رُتَبٌ عالٍ على النّاس كُلّهِمْ تَقَاصَرُ عنه سَوْرَةَ المُتَطاوِل [٦]
فإنّ الذى قد قِيلَ لَيْسَ بلائطٍ ولكنّه قَوْلُ امرئٍ بِىَ ماحِلِ [٧]

---

(١) بيرحاء : بكسر الباء ، وبإضافة البئر إلى حاء ، وهو اسم رجل .

(٢) الحصان : العفيفة . والرزان : الملازمة موضعها ، التى لاتتصرف كثيرا . وما تزن : أى ما تتهم . وغرثى : جائعة . والغوافل : جمع غافلة ، ويعنى بها الغافلة القلب عن الشر ، كما قال سبحانه « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات » جعلهن غافلات لأن الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ، ولا خطر على قلوبهن ، فهن فى غفلة عنه ، وهذا أبلغ مايكون من الوصف بالعفاف . ويريد بقوله « وتصبح غرثى من لحوم الغوافل » : أى خميصة البطن من لحوم الناس ، أى اغتيابهم .

(٣) العقيلة : الكريمة . والمساعى : جمع مسعاة ، وهو ما يسعى فيه من طلب المجد والمكارم .

(٤) الخيم : الطبع .

(٥) الأنامل : الأصابع .

(٦) الرتب : ما ارتفع من الأرض وعلا . ويريد به هنا الشرف والمجد . والسورة (بفتح السين) : الوثبة . (وبضم السين) : المنزلة .

(٧) لائط : لاصق . والماحل : الماشى بالنميمة .

قال ابن هشام : بيته : « عقيلة حي » والذى بعده ، وبيته : « له رتب عال » عن أبي زَيد الأنصارى .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبيدة : أن امرأة مدحت بنتَ حسَّان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

حَصَانٌ[1] رزَانٌ ما تُزَنّ بريبةٍ ... وتُصْبِح غَرْثَى من لُحوم الغَوافِل[2]

فقالت عائشة : لكن أبوها[3] .

(شعر فى هجاء حسان ومسطح) :

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسَّان وأصحابه فى فِرْيتهم على عائشة — قال ابن هشام : فى ضرب حسَّان وصاحبيه — :

لقدْ ذاقَ حسَّانُ الذى كانَ أهْلَه ... وحَمْنةُ إذْ قالُوا هَجيرًا ومِسْطَحُ[4]

تعاطَوْا برَجْم الغَيْب زوج نَبيِّهم ... وسَخْطة ذى العَرْش الكريم فأُتْرِحوا[5]

وآذَوْا رسولَ الله فيها فجُلِّلوا ... مَخازِىَ تَبْقَى عُمِّمُوها وفُضِّحوا

وصُبَّتْ عليهم مُحْصَدات كأنَّها ... شآبيبُ قَطْرٍ من ذُرَا المُزْنِ تسْفَح[6]

---

(١) حصان : من الحصن والتحصن ، وهو الامتناع عن الرجال من نظرهم إليها . قالت جارية من العرب لأمها :

يا أمتا أبصرنى راكب ... يسير فى مستحفر لاحب
جعلت أحثى الترب فى وجهه ... حصنا وأحمى حوزة الغائب

فقالت لها أمها :

الحصن أدنى لو تآييته ... من حثيك الترب على الراكب

(٢) الرزان : الثقيلة الحركة . وغرثى من لحوم الغوافل : أى خميصة البطن من لحوم الناس : أى اغتيابهم . وضرب الغرث مثلا ، وهو عدم الطعم وخلو الجوف . وتريد بالغوافل : العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر .

(٣) قال أبو ذر : « يروى أبوها وأباها . فمن قال « أبوها » ، فمعناه . لكن أبوها لم يكن كذلك ؛ ومن قال « أباها » فإنه يعنى أن حسان أبى هذه الفضيلة » .

(٤) الهجير : الهجر وقول الفاحش القبيح .

(٥) الرجم : الظن . وأترحوا : أحزنوا ، من الترح ، وهو الحزن . ويروى « فأبرحوا » بالباء ، وهو من البرح ، أى المشقة والشدة .

(٦) محصدات : يعنى سياطا محكمة الفتل شديدات . والشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر . والذرى : الأعالى . والمزن : السحاب . وتسفح : تسيل .

أمر الحديبية فى آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو

(خروج الرسول) :

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهرَ رمضان وشوّالا ، وخرج فى ذى القعدة معتمرًا ، لايريد حربا .

(نميلة على المدينة) :

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُمَيلة بن عبد الله اللَّيْثى .

(استنفار الرسول الناس) :

قال ابن إسحاق : واستنفر العربَ ومَن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قُريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمَن معه من المهاجرين والأنصار ومن لَحِق به من العرب ، وساق معه الهَدْى ، وأحرم بالعُمرة ليأمن النَّاسُ من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيت ومعظِّما له .

(عدة الرجال) :

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ ، عن عُروة بن الزُّبير عن مِسْوَر بن مَخْرمة ومَرْوان بن الحكم أنهما حدّثاه قالا : خرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحُدَيْبية [1] يريد زيارة البيت ، لايريد قتالا ، وساقَ معه

---

(١) الحديبية (بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء . وقد اختلف فيها ، فنهم من شدد ومنهم من خفف) : قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها ، بينها وبين مكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل . (عن معجم البلدان) .

الهَدْىَ سبعين بَدَنَةً ، وكان الناس سبع مئة رجل ، فكانت كلّ بدنة عن عَشْرة نفر .

وكان جابر بن عبدالله ، فيا بلغنى، يقول : كنّا أصحابَ الحُدَيبية أربعَ عشرة مئة.

(الرسول وبشر بن سفيان) :

قال الزهرى : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعُسْفان[1] لَقيه بشر بن سُفيان الكَعْبى — قال ابن هشام :ويقال بُسْر — فقال : يا رسول الله هذه قُريش ، قد سمعت بمَسيرك ، فخرجوا معهم العُوذ المَطافيل[2] ، قد لَبِسوا جُلودَ النُّمور ، وقد نَزَلوا بذى طُوى[3] ، يُعاهدون الله لاتَدْخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خَيْلِهم قد قَدّموها إلى كُراع الغَميم[4] ؛ قال : فقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا وَيْحَ قُريش! لقد أكلَتْهم الحربُ ، ماذا عليهم لوخَلّوا بينى وبين سائر العرب ، فان هم أصابُونى كان الذى أرادُوا ، وإن أظْهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يَفْعلوا قاتَلُوا وبهم قُوّة ، فما تَظُنّ قريش ، فوالله لاأزال أُجاهد على الذى بَعثنى الله به حتى يُظهره الله أو تَنْفرد هذه السّالفة[5] ، ثم قال : مَنْ رجل يَخْرج بنا على طَريق غير طَريقهم التى هُمْ بها ؟

(تجنب الرسول لقاء قريش) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر : أن رجلا من أسْلم قال : أنا يا رسول الله ؛ قال : فسَلَك بهم طريقا وعرًا أجرَل[6] بين شِعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شقّ ذلك على المُسلمين وأفْضوا إلى أرض سَهْلة عند مُنْقطع الوادى ؛

---

(١) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ؛ وقيل : هى بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ؛ وقيل غير ذلك . (راجع معجم البلدان) .

(٢) العوذ : جمع عائذ ، وهى من الإبل الحديثة النتاج ، والمطافيل : التى معها أولادها يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان ، وهو على الاستعارة .

(٣) ذو طوى (مثلث الطاء وينون) : موضع قرب مكة .

(٤) كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة ، وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال . (عن معجم البلدان) .

(٥) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكنى بانفرادها عن الموت .

(٦) الأجرل : الكثير الحجارة ؛ ويروى : أجرد ، أى ليس فيه نبات .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس: قُولوا نَستغفرالله ونَتوب إليه . فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها لَلحِطّة [١] التى عُرِضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها .

قال ابنُ شهاب : فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظَهْرى الحَمْش ، فى طريقٍ (تُخرجه [٢]) على ثَنيَّة المُرَار مَهْبِط الحُديبية من أسفل مكّة ؛ قال : فسلك الجيشُ ذلك الطريق ، فلما رأت خيلُ قريش قَتَرَة [٣] الجيش قد خالَفوا عن طَريقهم ، رَجعوا راكضين إلى قُريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك ، فى ثَنيَّة المُرار بركت ناقته ، فقالت الناس : خَلأَتْ [٤] الناقة ، قال : ما خلأَتْ وما هو لها بخُلُق ، ولكنْ حَبَسها حابسُ الفيل عن مكة . لاتَدْعونى قريش اليومَ إلى خُطّة يسألوننى فيها صِلَة الرحم إلا أعطيتُهم إياها . ثم قال للناس : انزلُوا ؛ قيل له : يا رسول الله : ما بالوادى ماءٌ ننزل عليه ، فأخرج سهما من كِنانته ، فأعطاه رجلا من أصحابه ، فَنزل به فى قَليب [٥] من تلك القُلُب . فغَرَزه فى جَوْفه ، فجاش [٦] بالرَّواء [٧] حتى ضَرب الناس عنه بعَطَن [٨] .

(الذى نزل بسهم الرسول فى طلب الماء) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعضُ أهل العلم عن رجال من أسْلم : أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُندَب بن عُمير بن يَعمر ابن دارم بن عمرو بن وائلة بن سَهْم بن مازن بن سلامان بن أسْلم بن أفْصى بن أبى حارثة ، وهو سائق بُدْن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الحطة : يريد قول الله تعالى لبنى إسرائيل : « وقولوا حطة » ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٢) زيادة عن ا . وفى رواية « تخرجهم » .

(٣) قترة الجيش : غباره .

(٤) خلأت : بركت . قال أبو ذر : « الخلاء فى الإبل : بمنزلة الحران فى الدواب ، وقال بعضهم : لا يقال إلا للناقة خاصة .

(٥) القليب : البئر .

(٦) جاش : ارتفع .

(٧) الرواء (بفتح الراء) : الكثير .

(٨) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

قال ابن هشام : أقنصى بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى بعضُ أهل العلم : أن البَراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسَهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

(شعر لناجية يثبت أنه حامل سهم الرسول) :

وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجيةُ ، قد ظنّنا أنه هو الذى نزل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جاريةً من الأنصار أقبلت بدَلْوها ، وناجية فى القَليب يميح[1] على الناس ، فقالت :

يأيها المائح دَلْوى دُونكا إنى رأيتُ الناسَ يَحْمَدونكا
يثنون خيرًا ويُمجِّدونكا

قال ابن هشام : ويُروى :

إنى رأيت النّاس يَمدحونكا

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو فى القَليب يَميح على الناس :

قد علمت جاريةٌ يَمانيَــهْ أنّى أنا المائح واسمى ناجيَــهْ
وطَعنةٍ ذات رَشاش واهيَهْ طعنتُها عند صــدور العادِيه[2]

(بديل ورجال خزاعة بين الرسول وقريش) :

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أتاهُ بُدَيل ابن ورْقاء الخُزاعىّ ، فى رجال من خُزاعة ، فكلَّموه وسألوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يُريد حربا ، وإنما جاء زائرًا للبيت ، ومعظّما لحُرمته ، ثم قال لهم نحوًا مما قال لبِشْر بن سُفْيان ، فرَجعوا إلى قُريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تَعْجلون على محمد ، إن محمدا لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائرًا هذا البيت ، فاتهموهم وجبّهوهم[3] وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا عَنْوة أبدا ، ولا تحدّثُ بذلك عنّا العرب .

---

(١) يميح على الناس : يملأ الدلاء .

(٢) الواهية : المسترخية الواسعة الشق . والعادية : القوم الذين يعدون ، أى يسرعون العدو .

(٣) جبهوهم : خاطبوهم بما يكرهون .

قال الزهرى : وكانت خزاعة عَيْبة نُصْح[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مُسْلمُها ومُشْركها ، لا يُخفون عنه شيئا كان بمكة .

(مكرز رسول قريش إلى الرسول) :

قال : ثم بعثوا إليه مِكْرَز بن حَفْص بن الأخْيَف ، أخا بنى عامر بن لؤَىّ ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقبلا قال : هذا رجل غادر . فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلَّمه ، قال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نحوًا مما قال لبُدَيل وأصحابه . فرجع إلى قُريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(الحليس رسول من قريش إلى الرسول) :

ثم بعثوا إليه الحُلَيس بن عَلقمة أو ابن زَبَّان ، وكان يومئذ سيِّد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة ؛ فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألَّهون[٢] ، فابعثوا الهَدْى فى وَجْهه حتى يراه ، فلما رأى الهَدْى يَسيل عليه من عُرْض[٣] الوادى فى قلائده[٤] ، وقد أكل أوْباره من طُول الحَبس عن مَحِلّه[٥] ، رجع إلى قُرَيْش ، ولم يَصِل إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابى لا عِلْم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن الحُلَيس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قُريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أيُصدّ عن بيت الله من جاء معظِّما له ! والذى نفس الحُلَيس بيده ، لتُخلُّنّ بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفْرة رجل واحد. قال : فقالوا له : مَهْ ، كفّ عنا يا حُلَيس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

---

(١) عيبة نصح الرسول ، أى خاصته وأصحاب سره . وليس فى ا كلمة « نصح » .
(٢) يتألهون : يتعبدون ويعظمون أمر الإله .
(٣) عرض الوادى : جانبه .
(٤) القلائد : مايعلق فى أعناق الهدى ليعلم أنه هدى .
(٥) محله : موضعه الذى ينحر فيه من الحرم .

(عروة بن مسعود رسول من قريش إلى الرسول) :

قال الزهرىّ فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عُروة بن مَسْعود الثَّقفى ؛ فقال : يامعشر قريش ، إنى قد رأيت ما يلْقَى منكم مَنْ بعثموه إلى محمد إذ جاءكم من التَّعنيف وسُوء اللّفظ ، وقد عرَفتم أنكم والدٌ [١] وإنى وَلد — وكان عُرْوة لسُبَيعة بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذى نابكم ، فجمعتُ من أطاعنى من قومى ، ثم جئتكم حتى آسيْتكم [٢] بنفسى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتَّهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ، أجمعتَ أوْشاب [٣] الناس ، ثم جئتَ بهم إلى بَيْضَتك [٤] لتَفُضَّها [٥] بهم ، إنها قُريش قد خرَجت معها العُوذُ المطافيل . قد لَبِسوا جُلود النُّمور ، يُعاهدون الله لاتَدْخلها عليهم عَنْوة أبدا . وايْم الله ، لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عَنْك غَدا . قال : وأبوبكر الصدّيق خلْف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ؛ فقال : امصُصْ بظْر اللات ، أنحن نَنْكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قُحافة ؛ قال : أما والله لولا يدٌ كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ؛ قال : ثم جعل يتَناول لِحْية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلِّمه . قال : والمغيرة بن شُعْبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد . قال : فجعل يقْرع يَده إذا تناول لِحْية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكفف يدَك عن وَجْه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ أن لاتصلَ إليك ؛ قال : فيقولُ عروة : ويحك ! ما أفظَّك وأغلظك ! قال : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له عُروة : مَن هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المُغيرة ابن شُعْبة ؛ قال : أى غُدَر ، وهل غَسَلْتُ سَوْءتك إلا بالأمس .

— قال ابن هشام : أراد عُروة بقوله هذا أن المُغيرة بن شُعبة قبل إسلامه قتل

---

(١) والد : أى كل واحد منكم كالوالد ؛ وقيل أى أنكم حى قد ولدنى لأنه كان لسبيعة بنت عبد شمس .

(٢) آسيتكم : عاونتكم .

(٣) الأوشاب : الأخلاط .

(٤) بيضة الرجل : أهله وقبيله .

(٥) تفضها : تكسرها .

ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ؛ من ثقيف ؛ فتهايج الحيَّان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رَهْط المُغيرة ، فودَى عُروة المقتولين ثلاثَ عشرة ديةَ ، وأصلح ذلك الأمر .

قال ابن إسحاق: قال الزهرى : فكلّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوٍ مما كلّم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأتِ يُريد حرْبا .

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابُه ، لايتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبْصق بُصاقا إلا ابتدروه . ولا يسْقط من شعَره شيء إلا أخذوه . فرجع إلى قُريش ، فقال: يامعشر قُريش، إنى قد جئْت كِسْرى فى مُلكه ، وقيصر فى مُلكه . والنَّجاشىَّ فى مُلكه . وإنى والله ما رأيت ملِكا فى قوم قطّ مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيتُ قوما لايُسْلمونه لشىء أبدا ، فرَوْا رأيكم .

(خراش رسول الرسول إلى قريش) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أُميَّة الخُزاعى ، فبعثه إلى قُرَيْش بمكة ، وحمله على بعير له يقال له الثَّعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتْله ، فمنعتْه الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

(النفر القرشيون الذين أرسلتهم قريش للعدوان ثم عفا عنهم الرسول) :

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعضُ من لاأتهم عن عكْرِمة مولى ابن عبَّاس عن ابن عبَّاس : أن قُرَيشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يُطيفوا بعسْكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليُصيبوا لهم من أصحابه أحدًا ، فأُخذوا أخذا ، فأُتِى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلّى سبيلهم ، وقد كانوا رَمَوْا فى عسكر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنَّبْل .

(عثمان رسول محمد إلى قريش) :

ثم دعا عمرَ بن الخطَّاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلِّغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشا على نفسي ، وليس بمكة من بني عديّ بن كَعْب أحد يمنعني ، وقد عرفت قُرَيش عداوتي إياها ، وغلْظتي عليها ، ولكني أدلُّك على رجل أعزّ بها مني ، عثمانَ بن عفَّانَ . فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفَّان ، فبعَثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يُخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ، ومعظِّما لحُرْمته .

(إشاعة مقتل عثمان) :

قال ابن إسحاق : فخرج عثمانُ إلى مكة ، فلقيه أبانُ بن سَعيد بن العاص حين دخَل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلَّغ رسالةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عثمانُ حتى أتى أبا سُفيان وعُظماء قريش ، فبلَّغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تَطُوف بالبيت فطُف ؛ فقال : ما كنتُ لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتَبسْته قُرَيْش عندها ، فبلَغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أنّ عثمان بن عفَّان قد قُتِل .

بيعة الرضوان

(مبايعة الرسول الناس على الحرب وتخلف الجد) :

قال ابن إسحاق : فحدثني عبدالله بن أبي بكر : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أنّ عثمان قد قُتل : لا نَبرح حتى نُناجز القوم ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرِّضْوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايَعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المَوْت ، وكان جابرُ بن عبد الله يقول : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لم يُبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفرّ .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجدّ بن قيس ، أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته . قد ضَبأ [1] إليها ، يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الذى ذُكر من أمر عثمان باطل .

(أول من بايع) :

قال ابن هشام : فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشّعبىّ : أن أوّل من بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بيعةَ الرّضوان أبوسنان [2] الأسدى .

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به عمن حدثه بإسناد له ، عن ابن أبى مُلَيْكة عن ابن أبى عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة

(إرسال قريش سهيلا إلى الرسول للصلح) :

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثت قُريش سُهَيل بن عمرو ، أخا بنى عامر ابن لُؤَىّ ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائت محمدًا فصالحه ، ولا يكن فى صُلْحه إلا أن يرجع عنّا عامه هذا ، فوالله لاتحدّث العربُ عنّا أنه دَخلها علينا عَنْوَةً أبدا . فأتاه سُهيل بن عمرو ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قال : قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سُهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلّم فأطال الكلامَ ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

(عمر ينكر على الرسول الصلح) :

فلما التأم الأمر ولم يبقَ إلا الكتابُ ، وثب عمر بن الخطّاب ، فأتى أبا بكر ،

---

(١) ضبأ إليها : لصق بها واستتر .

(٢) اختلف فى اسم أبى سنان هذا ، فقيل : وهب بن عبد الله ، وقيل : عبد الله بن وهب ، وقيل عامر ؛ وقيل بل اسمه وهب بن محصن بن حرثان ، أخو عكاشة بن محصن ، وهذا الرأى الأخير أصح الآراء . وكانت وفاته فى سنة خمس من الهجرة وهو ابن أربعين سنة . (راجع الاستيعاب) .

فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلام نُعطى الدّنيّة [1] فى ديننا ؟ قال أبو بكر : ياعمر ، الزم غَرْزه [2] ، فانى أشهد أنه رسولُ الله ؛ قال عمر : وأنا أشهد أنه رسولُ الله ؛ ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألستَ برسول الله ؟ قال : بلى ؛ قال : أو لَسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ؛ قال : أو لَيسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعَلام نُعْطَى الدّنيّة فى ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسوله ، لن أُخالف أمرَه ، ولن يُضيّعَنى ! قال : فكان عُمر يقول : ما زِلت أتصدّق وأصوم وأصلى وأُعتق ، مِن الذى صنعتُ يومئذٍ ! مخافةَ كلامى الذى تكلّمت به ، حتى رجوتُ أن يكون خيراً .

(على يكتب شروط الصلح) :

قال : ثم دَعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : اكتبْ : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ قال : فقال سُهَيل : لاأعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللّهمّ ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهمّ ، فكتبها ؛ ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سُهَيل بن عمرو ؛ قال : فقال سُهيل : لوشهدت أنّك رسول الله لم أُقاتلك ، ولكن اكتب اسمَك واسم أبيك ؛ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سُهَيل بن عمرو ، اصطلحا على وَضع الحرب عن الناس عشرَ سنين يَأْمن فيهنَّ الناسُ ويكفُّ بعضُهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قُرَيش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردّوه عليه ، وإن بيننا عَيْبة مكفوفة [3] ، وأنه لاإسلال ولا إغلال [4] ، وأنه من

(١) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

(٢) الزم غرزه - أى الزم أمره . والغرز للرحل : بمنزلة الركاب للسرج .

(٣) أى صدور منطوية على ما فيها ، لاتبدى عداوة ، وضرب العيبة مثلا .

(٤) الإسلال : السرقة الخفية . والإغلال : الخيانة .

أحبَّ أن يدخل فى عقْد محمد وعَهْده دَخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخل فى عقْد قُرَيش وعهدهم دخل فيه .

(دخول خزاعة فى عهد محمد وبنى بكر فى عهد قريش) :

فتواثبت خُزاعة فقالوا : نحن فى عقْد محمد وعَهْده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عَقْد قُريش وعَهْدهم ، وأنَّك ترجع عنَّا عامَك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرَجنا عنك فدَخلْتها بأصحابك ، فأقمتَ بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب ، السُّيوف فى القُرُب ، لاتدْخلها بغيرها .

(ما أهم الناس من الصلح ومجىء أبى جندل) :

فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتابَ هو وسُهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جنَدْل بن سُهيل بن عمرو يَرْسُف فى الحديد ، قد انفلتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لايشُكُّونَ فِى الفَتْح ، لرُؤْيا رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأَوْا ما رأَوْا من الصُّلح والرُّجوع ، وما تحمل عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمرٌ عظيم ، حتى كادوا يهلكون ؛ فلما رأى سُهيل أباجنَدْل قام إليه فضرَب وَجْهه ، وأخذ بتلبيبه ؛ ثم قال : يامحمد ، قد لجَّت [١] القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ؛ قال : صدقتَ ، فجعل ينتره [٢] بتلبيبه ، ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جنَدْل يَصْرخ بأعلى صوته : يامعشر المسلمين ، أأُرَدّ إلى المشركين يفْتنونى فِى دينى ؟ فزاد ذلك النَّاسَ إلى ما بهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جنَدْل ، اصبر واحتَسِبْ ، فان الله جاعِلٌ لك ولمن معك من المُسْتضعفين فرَجا ومَخْرجا ، إنَّا قد عقَدنا بيننا وبين القوم صُلحا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ، وإنَّا لانَغْدِر بهم ؛ قال : فوثب عمر بن الخطَّاب مع أبى جندل يَمْشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فانما هم المشركون ، وإنما دَمُ أحدهم دم كلب . قال : ويُدْنى قائم السَّيف منه . قال : يقول عمر :

(١) لجت القضية : تمت .

(٢) ينتره : يجذبه جذبا شديدا .

رجوتُ أن يأخذ السَّيفَ فيضرب به أباه ؛ قال : فضنّ الرجل بأبيه ، ونفذت القضيّة .

(من شهدوا على الصلح) :

فلما فرغ (رسول الله صلى الله عليه وسلم) من الكتاب أشْهَد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصدّيق ، وعمر بن الخطّاب ، وعبد الرحمن بن عَوْف ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسَعد بن أبي وقّاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومِكْرَز بن حَفْص ، وهو يومئذ مشرك ، وعليّ بن أبي طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

(نحر الرسول وحلق فاقتدى به الناس) :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا في الحِلّ [١] ، وكان يُصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصُّلح قدم إلى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحلَق رأسه ، وكان الذى حلَقه ، فيما بلغني ، في ذلك اليوم خِراش بن أُميّة بن الفضل الخزاعيّ ؛ فلما رأى الناسُ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلَق تواثبوا ينْحَرون ويَحْلِقون .

(دعوة الرسول للمحلقين ثم المقصرين) :

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مُجاهد ، عن ابن عبّاس ، قال : حلق رجالٌ يوم الحُدَيبية ، وقصَّر آخرون . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يَرْحم الله المحلِّقين ، قالوا : والمُقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلِّقين ؛ قالوا : والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلِّقين ؛ قالوا : والمقصِّرين يا رسول الله ؟ قال : والمقصِّرين ؛ فقالوا : يا رسول الله : فلِم ظاهرت [٢] الترحيم للمحلِّقين دون المقصِّرين ؟ قال : لم يشكُّوا .

---

(١) مضطربا في الحل : أي أن أبنيته كانت مضروبة في الحل ، وكانت صلاته في الحرم ، وهذا لقرب الحديبية من الحرم .

(٢) ظاهرت الترحيم : أي قويته وأكدته بتكريرك إياه ؛ والمظاهرة : القوة والمعاونة .

(أهدى الرسول جملا فيه برة من فضة) :

وقال عبدالله بن أبى نَجيح : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهْدى عام الحُدَيبية فى هَداياه جملا لأبى جَهْل ، فى رأسه بُرَةٌ [1] من فضّة ، يغيظ بذلك المشركين .

(نزول سورة الفتح) :

قال الزهرى فى حديثه : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : « إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحا مُبِينا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِك وَما تَأخَّرَ ، ويُتِمَّ نِعْمَتَه عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيَكَ صِراطا مُسْتَقِيما » .

(ذكر البيعة) :

ثم كانت القصّة فيه وفى أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيْعة ، فقال جلّ ثناؤه : « إنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إنَّمَا يُبايِعُونَ اللهَ ، يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِم ، فَمَنْ نَكَثَ فإنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ ، فَسَيُؤْتِيهِ أجرًا عَظِيما » .

(ذكر من تخلف) :

ثم ذكر من تخلّف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفزّهم للخروج معه فأبطئوا عليه : « سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ منَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنا أمْوَالُنا وأهْلُونا » . ثم القصّة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : « سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إذا انْطَلَقْتُمْ إلى مَغانِمَ لِتأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ ، يُرِيدُونَ أنْ يُبَدِّلوا كَلامَ اللهِ ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونا كَذَلِكُمْ قالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ » ... ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ،

---

(١) البرة : حلقة تجعل فى أنف البعير ليذل ويرتاض ، فإن كانت من شعر فهى خزامه ، وإن كانت من خشب فهى خشاش .

عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن الزهرى أنه قال : أولو البأس الشديد حنيفةُ مع الكذّاب .

ثم قال تعالى : « لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ، وأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا. وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها، وكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ ، وكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ، وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا . وأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحاطَ اللهُ بِها ، وكانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا » .

(ذكر كف الرسول عن القتال) :

ثم ذكر محبسه وكفَّهُ إياه عن القتال ، بعدَ الظفر منه بهم ، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفَّهم عنه ، ثم قال تعالى : « وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وكانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا » . ثم قال تعالى: « هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ والهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : المعكوف : المحبوس ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وكأنَّ السُّموط عكَّفه السِّلْـــك بعِطْفَى جَيْداء أُمِّ غَزَالِ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : « وَلَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بغيرِ عِلْمٍ » ، والمعرّة : الغرم ، أى أن تصيبوا منهم (معرّة) بغير علم فتخرجوا ديته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية فى الوليد بن الوليد

(١) السموط : جمع سمط ، وهو ما يعلق من القلادة على الصدر . والسلك : الخيط الذى ينظم فيه . والجيداء : الطويلة الجيد .

ابن المُغيرة ، وَسَلَمة بن هشام ، وعَيَّاش بن أبى ربيعة ، وأبى جَنْدل بن سُهيل ، وأشباههم .

قال ابن إسحاق: ثم قال تبارك وتعالى : « إذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ ، حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ » يعنى سهيل بن عمرو حين حَمِى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : « فأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤْمِنِينَ ، وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى » ، وكانوا أحقّ بها وأهلها : أى التوحيد ، شهادة أن لاإله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : « لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِين لاتخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا » : أى لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمنا لايخاف ، يقول : محلّقين رءوسكم ، ومقصّرين معه لاتخافون ، فعلم من ذلك ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ، صلح الحديبية .

يقول الزهرى: فما فُتح فى الإسلام فتح قبلَه كان أعظمَ منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ؛ فلما كانت الهُدنة ، ووُضعت الحرب ، وآمن الناس بعضُهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمُنازعة ، فلم يكلَّم أحد بالإسلام يَعْقل شيئا إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تَيْنك السَّنتين مثلُ مَنْ كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على قول الزُّهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحُدَيبية فى ألف وأربع مئة ، فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

ماجرى عليه أمر قوم من المستضعفين بعد الصلح

(مجىء أبي بصير إلى المدينة وطلب قريش له) :

قال ابن إسحاق : فلمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بَصير عُتْبة[١] بن أسِيد بن جارية ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزْهَر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهْرَة ، والأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثَّقفى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لُؤَىّ ، ومعه مولى لهم ، فقَدِما على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القومَ ما قد علمتَ ، ولا يصلحُ لنا فى ديننا الغدرُ ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المُستَضْعَفين فرجا ومخرجا ، فانْطَلِق إلى قومك ؛ قال : يا رسول الله ، أتردّنى إلى المشركين يفْتنوننى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلِق ، فانّ الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المُستَضْعفين فرجا ومخْرجا .

(قتل أبي بصير للعامرى ومقالة الرسول فى ذلك) :

فانطلَق معهما ، حتى إذا كان بذى الحُلَيفة[٢] ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بَصير : أصارمٌ سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظُر ، إن شئت . قال : فاستلّه أبو بَصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فزعا ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك ! مالك ؟ قال : قتَل صاحبُكم صاحبى . فوالله ما برَح حتى طلَع أبو بَصير متوشّحا بالسَّيف ، حتى وقف على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وَفَتْ ذِمّتك ، وأدّى الله عنك ، أسلَمتنى بيد القوم وقد امتنعتُ بدينى أن أُفتن

---

(١) وقيل عبيد : (راجع الاستيعاب) .

(٢) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال ، أو سبعة . ومنها ميقات أهل المدينة .

فيه ، أو يُعْبَثَ[1] بي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل امّه مِحَش[2] حرب لو كان معه رجال !

(اجتماع المحتبسين إلى أبي بصير وإيذاؤهم قريشا وإيواء الرسول لهم) :

ثم خرج أبو بَصير حتى نزل العِيصَ ، من ناحية ذى المَرْوة ، على ساحل البحر ، بطريق قُرَيش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المُسْلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : « وَيْلُ امِّه مِحَشّ حَرب لو كان معه رجال ! » ، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضيَّقوا على قُرَيش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تَمُرُّ بهم عِيرٌ إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قُرَيش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم . فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : أبو بصير ثَقَفيّ .

(أراد سهيل ودى أبي بصير وشعر موهب فى ذلك) :

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سُهَيل بن عمرو قتلُ أبي بَصير صاحبَهم العامريّ ، أسند ظهرَه إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظَهْرى عن الكَعبة حتى يُودَى هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السَّفه ، والله لا يُودَى (ثلاثا) فقال فى ذلك مَوْهَب بن رياح أبو أُنَيس ، حليف بنى زُهرة :

— قال ابن هشام : أبو أُنَيس أشعريّ —

أتانِي عَنْ سُهَيْلٍ ذَرْءُ قَوْلٍ[3] فأيقظنى وما بِيَ مِنْ رُقادِ
فإنْ تَكُنِ العِتابَ تُرِيدُ مِنّى فعاتِبْنى فما بكَ من بِعادى

---

(١) فى م ، ر : « يبعث » وهو تحريف .

(٢) محش حرب : موقد حرب ومهيجها ؛ يقال : حششت النار ، وأرثتها ، وأذكيتها ، وأثقبتها ، وسعرتها ، بمعنى واحد . وفى الصحيح : « ويل امه مسعر حرب » .

(٣) كذا فى شرح السيرة . وفى الأصول : « ذرو » . قال أبو ذر : « ذرء قول ، أى طرف قوله ، وهو مهموز ، ويروى : ذرو قول ، بالواو . والصواب المهموز » .

أتُوعِدنى وعبدُ مَنافَ حَوْلى ... بمَخزوم أَلهفًا مَنْ تُعادى[1]
فانْ تَغْمِز قَنَاتى لا تَجِدْنى ... ضَعيفَ العُود فى الكُرَب الشِّداد
أُسامِى الأكْرَمين أبًا بقَوْمى ... إذا وَطِئَ الضَّعيفُ بهم أُرادى[2]
هُمُ مَنَعوا الظَّواهِرَ غيرَ شَكٍّ ... إلى حيثُ البَواطِنُ فالعَوادى[3]
بكُلِّ طِمِرَّةٍ وبكُلِّ نَهْدٍ ... سَوَاهِمَ قَدْ طُوِين من الطِّراد[4]
لَهم بالخَيْف قد عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... رِوَاقَ المَجْدِ رُفِّعَ بالعِماد[5]

(شعر ابن الزبعرى فى الرد على موهب) :

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، فقال :

وأمْسَى مَوْهَبٌ كحِمار سَوْءٍ ... أجازَ ببَلدةٍ فيها يُنادِى
فانّ العبدَ مِثلك لا يُناوى ... سُهَيْلاً ضَلَّ سَعْيُكَ من تُعادى[6]
فاقْصِر يابنَ قَيْنِ السُّوءِ عنْه ... وعَدِّ عن المَقالة فى البِلاد[7]
ولا تذكُرْ عِتابَ أبى يزيدٍ ... فهَيهاتَ البُحورُ من الثِّماد[8]

أمر المهاجرات بعد الهدنة

(هجرة أم كلثوم إلى الرسول وإباؤه ردها) :

(قال ابن إسحاق)[9] : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كُلْثوم بنت عُقْبة بن أبى مُعَيط فى تلك المدة ، فخرج أخَوَاها عُمارة والوليد ابنا عُقْبة ،

---

(١) أتوعدنى : أتهددنى .

(٢) أسامى : أعالى . وأرادى : أرامى ؛ يقال : راديته ، إذا راميته .

(٣) الظواهر : ما علا من مكة . والبواطن : ما انخفض منها . والعوادى : جوانب الأودية .

(٤) الطمرة : الفرس الوثابة السريعة . والنهد : الغليظ . وسواهم : عوابس متغيرة . وطوين : ضمفن وضمرن .

(٥) الخيف : موضع بمنى . والرواق : ضرب من الأخبية .

(٦) لايناوى : لايعادى ، وترك همزه لضرورة الشعر .

(٧) القين : الحداد .

(٨) الثماد : الماء القليل .

(٩) زيادة من أ .

حتى قَدِما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردّها عليهما بالعَهْد الذى بينه وبَين قُريش فى الحُديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

(سؤال ابن هنيدة لعروة عن آية المهاجرات ورده عليه) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزّهرى ، عن عُروة بن الزُّبير ، قال : دخلتُ عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هنيدة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : « يأيُّها الّذِين آمَنُوا إذَا جاءكُمُ المُؤْمناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنّ ، اللهُ أعْلَمُ بإيمَانِهِنّ ، فإنْ عَلِمْتُمُوهُنّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنّ إلى الكُفّارِ ، لاهُنّ حِلٌّ لَهُمْ ، وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنّ ، وآتُوهُمْ ما أنْفَقُوا ، وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنّ إذَا آتَيْتُمُوهُنّ أُجُورَهُنّ ، وَلا تُمْسِكُوا بعِصَمِ الكَوَافِرِ » .

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

— قال ابن هشام : واحدة العِصم : عِصْمة ، وهى الحبل والسّبب . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

إلى المَرْءِ قَيْسٍ نُطِيلُ السُّرَى ... ونأخذ من كُلِّ حَيٍّ عِصَمْ

وهذا البيت فى قصيدة له .

« وَاسْئَلُوا ما أنْفَقْتُمْ ، وَلْيَسْئَلُوا ما أنْفَقُوا ، ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

(عود إلى جواب عروة) :

قال : فكتب إليه عُروة بن الزُّبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قُرَيشا يوم الحُدَيبية على أن يردّ عليهم مَنْ جاء بغير إذن وليّه ، فلما هاجر النساءُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبَى اللهُ أنْ يُرْدَدْنَ إلى المُشْركين إذا هنّ امتُحِنّ بمِحْنة الإسلام ، فعرَفوا أنهنّ إنما جِئْن رغبة فى الإسلام ، وأمرَ بردّ صَدُقاتهنّ إليهم إن احتَبَسْن عنهم ، إن هم ردّوا على المسلمين صداقَ من حُبِسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وردّ الرجال ، وسأل الذى

أمره الله به أن يسأل من صدُقات نساءِ من حُبسوا منهنّ ، وأن يردّوا عليهم مثل الذى يردّون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما ردّ الرجال ، ولولا الهُدنة والعَهْد الذى كان بينه وبين قُريش يوم الحُديبية لأمسك النساء، ولم يردُدْ لهنّ صداقا ، وكذلك كان يصنع بمَنْ جاءه من المسلمات قبل العهد .

(سؤال ابن إسحاق الزهرى عن آية المهاجرات) :

قال ابن إسحاق : وسألت الزُّهْرى عن هذه الآية ، وقول الله عزّ وجلّ فيها : « وإنْ فاتَكُمْ شَىْءٌ مِنْ أزْوَاجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ ، فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أزْوَاجُهُمْ مِثْلَ ما أنْفَقُوا ، واتَّقُوا اللهَ الَّذِى أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ » فقال : يقول : إن فات أحداً منكم أهلُه إلى الكفّار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوّضوهم من فَىْء إن أصبتموه ؛ فلما نزلت هذه الآية : « يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا جاءَكُمُ المُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ » . . . إلى قول الله عزّ وجلّ : « ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ » ، كان ممن طلّق عمرُ بن الخطّاب ، طلّق امرأته قُريبة بنت أبى أُميّة بن المُغيرة ، فتزوّجها بعده مُعاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأمّ كلثوم بنت جرْوَل أمّ عبيد الله بن عمر الخُزاعيّة ، فتزوّجها أبو جَهْم بن حُذَيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما .

(بشرى فتح مكة وتعجل بعض المسلمين) :

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أنّ بعضَ منْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمنا ؟ قال : بلى ، أفعلت لكم مِنْ عامى هذا؟ قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لى جبريل عليه السلام .[1]

(١) إلى هنا ينتهى الجزء الخامس عشر من أجزاء السيرة .

ذكر المسير إلى خيبر

في المحرم سنة سبع

(الخروج إلى خيبر) :

قال محمد بن إسحاق [١] : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحُدَيبية ، ذا الحجة وبعضَ المحرّم ، وولِى تلك الحجّة المشركون . ثم خرج في بقيّة المحرّم إلى خَيبر .

(استعمال نُميلة على المدينة) :

قال ابن هشام : واستعمل على المدينه نُمَيْلَة بن عبد الله الليْثى ، ودفع الراية إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

(ارتجاز ابن الأكوع ودعاء الرسول له واستشهاده) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى عن أبى الهيثم بن نصر بن دُهْر الأسلمى أنّ أباه حدّثه : أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيره إلى خَيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عمّ سَلمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سِنان : انزل يابن الأكوع ، فخُذ لنا من هَناتك [٢] ، قال : فنزلَ يرتجز برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

وَاللهِ لوْلا اللهُ ما اهْتَدَيْنا ... ولا تَصَدَّقْنا وَلا صَلَّيْنا

إنّا إذا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنا ... وإن أرادوا فِتْنة أبَيْنا

---

(١) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال » . وإذا عرفنا أن الجزء السادس عشر من أجزاء السيرة يبدأ بالكلام في هذه الغزوة لم ننكر على أكثر الأصول هذه الزيادة التي تستفتح بها كل جزء .

(٢) هناتك ، أي أخبارك وأمورك وأشعارك ؛ وهي جمع هنة ، ويكنى بها عن كل شيء لا تعرف اسمه ، أو تعرفه فتكنى عنه . وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحداء ، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز .

فأنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنا[1] وثَبِّتِ الأقْدام إنْ لاقينا[2]

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطّاب : وَجبت والله يا رسول الله ، لو أمْتَعْتنا به ! فقُتل يوم خَيبر شهيدا ، وكان قتْله ، فيما بلغنى ، أنّ سيفه رَجع عليه وهو يُقاتل ، فكلمه كلْما شديدًا ، فمات منه ؛ فكان المسلمون قد شكُّوا فيه ، وقالوا : إنما قتله سلاحُه ، حتى سأل ابنُ أخيه سلمةُ بن عمرو بن الأكوع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيدٌ ، وصلّى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

(دعاء الرسول لما أشرف على خيبر) :

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتّهم ، عن عَطاء بن أبى مَرْوان الأسلمى ، عن أبيه ، عن أبى مُعتّب بن عمرو : أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خَيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قِفُوا ، ثم قال : اللهمّ ربَّ السموات وما أظْلَلْن وربَّ الأرضين وما أقلَلْن ، وربَّ الشَّياطين وما أضلَلْن ، وربَّ الرّياح وما أذْرين فإنّا نسألك خيرَ هذه القَرْية وخيرَ أهلها وخيرَ مافيها ، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ مافيها ، أقدِموا بسم الله . قال : وكان يقولُها عليه السلام لكلّ قَرْيةٍ دَخلَها .

(فرار أهل خيبر لما رأوا الرسول) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتّهم عن أنَس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزَا قوما لم يُغرْ عليهم حتى يُصْبح ، فان سَمِع أذانا أمسك ، وإن لم يسمع أذانا أغار . فنزلنا خيبر ليلا ، فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يَسْمع أذانا ، فركب وركِبْنا معه ، فركبتُ خلف أبى طلحة ، وإن قَدَمى لتمسّ قَدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبلَنا عُمّال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم[3] ، فلما رأوا رسول الله ،

---

(١) السكينة : الوقار والتثبت .

(٢) ذكر الزرقانى هذا الرجز وهو يختلف عما هنا فى ألفاظه ويزيد عليه .

(٣) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من الحديد . والمكاتل : جمع مكتل ، وهى قفة كبيرة .

صلى الله عليه وسلم والجيشَ ، قالوا : محمد والخَميس[1] معه ! فأدْبروا هُرَّابا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، خَرِبت خيبر ، إنَّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحُ المُنْذَرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حُميد ، عن أنس بمثله .

(منازل الرسول فى طريقه إلى خيبر) :

قال ابن إسحاق : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خَيْبر سلك على عِصْر[2] ، فبُنى له فيها مَسجدٌ ، ثم على الصَّهْباء[3] ، ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بجيشه ، حتى نزل بوادٍ يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غَطَفان ، ليَحُول بينهم وبين أن يُمِدّوا أهلَ خيبر ، وكانوا لهم مُظاهِرين على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

(غطفان ومحاولتهم معونة خيبر ثم انخذالهم) :

فبلغنى أنَّ غَطَفان لَمَّا سَمِعت بمَنْزِل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبر جمَعوا له ، ثم خرجوا ليُظاهِروا[4] يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلةً[5] سمعوا خَلْفهم فى أموالهم وأهْليهم حِسًّا ، ظَنُّوا أن القَوم قد خالفوا إليهم ، فرَجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وخلَّوا بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

(افتتاح رسول الله الحصون) :

وتدَنَّى[6] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حِصْنا حِصْنا ، فكان أوّل حُصونهم افتُتح حِصْن ناعم ، وعنده قُتل محمود بنَ مسْلمة ،

---

(١) الخميس : الجيش .

(٢) عصر (بالكسر ، ويروى بالتحريك ، والأول أشهر وأكثر) : جبل بين المدينة ووادى الفرع . (عن معجم البلدان) .

(٣) الصهباء : موضع بينه و بين خيبر روحة . (راجع معجم البلدان) .

(٤) ليظاهروا : ليعاونوا .

(٥) منقلة : مرحلة .

(٦) تدنى : أى أخذ الأدنى فالأدنى .

أُلْقِيَت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القَموص ، حِصْن بنى أبى الحُقَيق ، وأصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم سَبايا ، منهن صَفيّة بنتُ حيي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الرَّبيع بن أبى الحُقَيق ، وبنتى عَمّ لها ؛ فاصطفى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صفيّة لنفسه .

وكان دِحْيَة بن خَليفة الكَلْبى قد سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَفية ، فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنتَى عمّها ، وفشت السَّبايا من خَيْبر فى المُسلمين .

(نهى الرسول يوم خيبر عن أشياء) :

وأكل المُسلمون لحُوم الحُمر الأهليّة من حُمرها ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فنَهى الناسَ عن أُمور سمّاها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن عمرو بن ضَمْرة الفَزارى عن عبد الله بن أبى سَليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نَهْىُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عن أكْل لحُوم الحُمر الإنسيّة ، والقُدور تَفُور بِها ، فكَفأناها على وجوهها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مكحول : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذٍ عن أربع : عن إتيان الحبالى من السَّبايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كلّ ذى ناب من السباع ، وعن بيْع المغانم حتى تُقْسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سلاّم بن كِرْكِرة، عن عَمْرو بن دينار ، عن جابر ابن عبد الله الأنصارى ، ولم يشْهَد جابر خَيْبر : أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين نَهَى الناس عن أكل لُحوم الحُمر ، أذِن لهم فى أكل لحوم الخَيْل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تُجيب ، عن حنش الصَّنعانى ، قال : غزونا مع رُوَيفع بن ثابت الأنصارى المغرب ، فافتتحَ قرية من قُرى المغرب يقال لها جِربة [1] ، فقام فينا خطيبا ، فقال : يأيها الناس ، إنى لاأقول فيكم إلا ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فينا يومَ خيبر ، قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : لايحلّ لامرئ يؤْمن بالله واليوم الآخر أن يَسْقى ماؤه زرعَ غيره ، يعنى إتيانَ الحبالى من السَّبايا ، ولا يحلّ لامرئ

---

(١) جربة (بالكسر) : جزيرة بالمغرب من ناحية قابس . (عن معجم البلدان) .

يُؤْمن بالله واليوم الآخر أن يُصيب امرأة من السَّبي حتى يستبرئها ، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَبيع مَغْنَما حتى يقسم ، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابَّة من فَيْء المسلمين حتى إذا أعْجَفَها [١] ردّها فيه ، ولا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يَلْبس ثوبا من فَيْء المسلمين حتى إذا أخلقه ردّه فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبدالله بن قُسَيط ، أنه حدّث عن عُبادة ابن الصامت ، قال : نهانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيبر عن أن نَبيع أو نَبْتاع تِبر الذّهب بالذّهب العين ، وتبر الفضّة بالوَرِق العين ؛ وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالوَرِق العين ، وتبر الفضة بالذهب العين .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتدنّى الحُصون والأموال .

(شأن بني سهم الأسلميين) :

فحدثني عبدُ الله بن أبي بَكْر أنه حدّثه بعضُ أسْلم : أن بني سَهْم من أسْلم أتَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء ؛ فلم يَجِدوا عند رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم شيئا يُعطيهم إياه ؛ فقال : اللهمّ إنك قد عرَفت حالَهم وأن ليْست بهم قوّة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعْظَم حُصونها عنهم غناء ، وأكثرها طَعاما ووَدَكا ، فغدا الناسُ ، ففتح الله عزّ وجلّ حِصْنَ الصَّعْب بن مُعاذ ، وما بخَيبر حِصْن كان أكثر طَعاما ووَدَكا منه .

(مقتل مرحب اليهودي) :

قال ابن إسحاق : ولمَّا افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حُصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ماحاز ، انتهوا إلى حِصْنيهم الوَطيح والسُّلالم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحا ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

---

(١) أعجفها : هزلها وأضعفها .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يا منصور ، أمِت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبدُ الله بن سَهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مَرْحب اليهودىّ من حصنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد علِمَتْ خيبرُ أنّى مَرْحَبْ شاكى السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبْ[1]
أطْعُنُ أحيانا وحِينا أضْرِبْ إذا الليُوث أقبلَتْ تحَرَّبْ[2]
إن حِماى للحِمى لا يُقرب[3]

وهو يقول : من يُبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد علِمت خيبر أنّى كَعْبُ مُفَرِّجُ الغَمّى جَرِىءٌ صُلْبُ[4]
إذْ شبَّت الحربُ تلتها الحربُ معى حُسام كالعَقِيق عَضْبُ[5]
نَطؤُكم حتى يَذِلَّ الصَّعْب نُعْطِى الجَزاءَ أو يفِىءَ النَّهبُ
بكفّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى :

قد علِمَتْ خيبرُ أنّى كَعْبُ وأنّنِى متى تُشَبُّ الحَربُ
ماضٍ على الهَوْل جَرِىءٌ صُلْب معى حُسام كالعَقِيق عَضْبُ
بكَفِّ ماضٍ ليْس فيهِ عَتْبُ ندكُّكم حتى يَذِلّ الصَّعْبُ

قال ابن هشام : ومَرْحب من حِمْير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سَهْل ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : من هذا ؟ قال محمد بن مَسْلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله المَوتور الثائر ، قُتل أخى بالأمس ؛ فقال : قم إليه ؛

---

(١) شاكى السلاح : حاد السلاح .
(٢) تحرب : أى مغضبة .
(٣) زادت (أ) بعد هذا الشطر :
يحجم عن صولى المجرب
(٤) الغمى : الكرب والشدة .
(٥) شبت الحرب : أثيرت . والعقيق : شعاع البرق ، شبه السيف به .

اللهمّ أعِنْهُ عليه . قال : فلما دنا أحدُهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عُمْرية[١] من شجر العُشَر[٢] ، فجعل أحدُهما يلوذ بها من صاحبه ، كلَّما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها ، حتى برَز كلّ واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرَّجل القائم ، ما فيها فَنَن ، ثم حملَ مَرْحبٌ على محمد بن مَسْلمة ، فضربه ، فاتَّقاه بالدَّرَقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضّت به فأمسكته ، وضربه محمدُ بن مَسْلمة حتى قتله .

(مقتل ياسر أخي مرحب) :

قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مَرْحب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ؟ فزعم هشام بنُ عروة أن الزّبير بن العوّام خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفيَّة بنت عبد المطلب : يقتل ابني يارسول الله ! قال : بل ابنُك يقتله إن شاء الله . فخرج الزُّبير فالتقيا ، فقتله الزّبير .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بنُ عروة : أن الزّبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارمًا عَضْبا ، قال : والله ما كان صارما ، ولكني أكرهتُه .

(شأن علي يوم خيبر) :

قال ابن إسحاق : وحدثني بُريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه برايته ، وكانت بيضاء ، فيما قال ابن هشام ، إلى بعض حصون خيْبر ، فقاتل ، فرَجع ولم يك فَتْحٌ ، وقد جهد ؛ ثم بعث الغد عمرَ بن الخطَّاب ، فقاتَل ، ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطينّ الرّايةَ غداً رجلا يحبّ الله ورسولَه ، يفتح الله على يديه ، ليس بفَرَّار . قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليًّا رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتَفَل في عينه ، ثم قال : خذْ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

---

(١) عمرية . قديمة .

(٢) العشر : شجر أملس مستو ضعيف العود .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأنِح [١] ، يُهرول هرْولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركزَ رايته فى رضْم [٢] من حجارة تحت الحصْن ، فاطَّلع إليه يهودى من رأس الحصْن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا علىّ بن أبى طالب . قال : يقول اليهودى : علَوْتم ، وما أُنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يدَيه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن أبى رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برايته ؛ فلما دَنا من الحصْن خرج إليه أهله فقاتَلهم ، فضَربه رجلٌ من يهود ، فطاح تُرْسُه من يده ، فتناول علىّ عليه السلام بابا كان عند الحصْن فترَّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتنى فى نفَر سبعة معى ، أنا ثامنهم ، نجْهد على أن نقْلب ذلك الباب ، فما نقلبه .

(أمر أبى اليسر كعب بن عمرو) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بُرَيدة بن سفيان الأسلمى ، عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليَسر كعْب بن عمرو ، قال : والله إنّا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخَيبر ذات عشيَّة ، إذ أقبلت غنَم لرجل من يهود تريد حِصْنَهم ، ونحن محاصروهم فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَن رجلٌ يُطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليَسر : فقلت : أنا يارسول الله ؛ قال : فافعل ؛ قال : فخرجت أشتدّ مثل الظَّليم [٣] ، فلما نظرَ إلىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مولّيا قال : اللهمّ أمْتِعنا به ؛ قال : فأدركتُ الغنم وقد دخلت أُولاها الحصْن ، فأخذت شاتين من أُخراها ، فاحتضنْتهما تحت يدىَّ ، ثم أقبلت بهما أشتدّ ، كأنه ليس معى شىء ، حتى ألقيتهما

---

(١) يأنح : أى به نفس شديد من الإعياء فى العدو. قال السهيلى : « هو من الأنيح ، وهو علو النفس » .

(٢) الرضم : الحجارة المجتمعة .

(٣) الظليم : ذكر النعام .

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذبحوها فأكلوها . فكان أبو اليَسَر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكا . فكان إذا حدّث هذا الحديث بكى ؛ ثم قال : أُمتِعوا بى . لعمرى . حتى كنت من آخرهم هُلْكا .

(أمر صفية أم المؤمنين) :

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القَموص ، حصن بنى أبى الحُقَيق . أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفيَّة بنة حُيَيّ بن أخْطب ، وبأخرى معها ، فمرّ بهما بلال . وهو الذى جاء بهما على قَتْلى من قَتْلى يهود ؛ فلما رأتهم التى مع صفيّة صاحت ، وصكّت وجهها وحثت التراب على رأسها ؛ فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أعزِبوا [1] عنى هذه الشيطانة ؛ وأمر بصفيَّة فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءَه ؛ فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى ، حين رأى بتلك اليهوديَّة ما رأى : أنزعتْ منك الرحمة يا بلال ، حين تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفيَّة قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، أن قمرًا وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زَوْجها ؛ فقال : ما هذا إلا أنك تمنّين ملك الحجاز محمدًا ، فلطم وجهها لطمةً خضّر عينها منها . فأُتى بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ماهو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

بقية أمر خيبر

(عقوبة كنانة بن الربيع) :

وأُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكِنانة بن الربيع ، وكان عنده كَنْز بنى النَّضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخَرِبة كلّ غداة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكِنانة :

---

(١) أعزبوا : : أبعدوا .

أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال : نعم ؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الزبيرَ بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزند فى صدره ،حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

(مصالحة الرسول أهل خيبر) :

وحاصر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، أهلَ خيبر فى حصنيهم الوطيح والسلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيرهم[1] وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها : الشق ونطاةَ والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ماكان من ذينك الحصنين . فلما سمع بهم أهلُ فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيرهم ، وأن يحقنَ دماءهم ، ويخلوا له الأموال ، ففعل . وكان فيمن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود، أخو بنى حارثة ، فلما نزل أهلُ خيبر على ذلك ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم فى الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها ؛ فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

(أمر الشاة المسمومة) :

فلما اطمأنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينبُ بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم ، شاةً مصليةً[2] ، وقد سألتْ أىَّ عضو من الشاة أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذراع ؛ فأكثرت فيها من السمّ ،

---

(١) يسيرهم : يجليهم .

(٢) مصلية : مشوية .

ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ؛ فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تناول الذّراع ، فلاك منها مُضْغة ، فلم يُسيغها ، ومعه بِشْر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ؛ وأما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلَفَظها ، ثم قال : إن هذا العَظْم ليُخبرنى أنه مَسْموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت ؛ فقال : ماحملك على ذلك ؟ قال : بلغتَ من قوْمى ما لم يَخْف عليك ، فقلت : إن كان مَلِكا استرحتُ منه ، وإن كان نبيًّا فسيُخْبَرُ ، قال : فتجاوزَ عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومات بِشْر من أكْلَته التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مَرْوان بن عثمان بن أبى سَعيد بن المُعَلَّى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ، ودخلت أم بِشْر بنت البَراء بن مَعْرور تعوده: يا أمّ بشر ، إن هذا الأوان وجدتُ فيه [1] انقطاع أبهرى[2] من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخَيبر . قال : فان كان المسلمون لَيُرَوْن أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا ، مع ما أكرمه الله به من النبوّة

(رجوع الرسول إلى المدينة) :

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبر انصرف إلى وادى القُرى ، فحاصَر أهلَه ليالى ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

(مقتل غلام رفاعة الذى أهداه للرسول) :

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مُطيع ، عن أبى هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خَيبر إلى وادى القُرى نزلنا بها أصيلا مع مَغْرِب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له [3] ، أهداه له رِفاعة بن زيد الجذامىّ ، ثم الضُّبَيْبىّ [4] .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٢) الأبهر : عرق إذا انقطع مات صاحبه . وهما أبهران يخرجان من القلب ، ثم يتشعب منهما سائر الشرايين . (راجع لسان العرب مادة بهر) .

(٣) اسم هذا الغلام : « مدعم » (راجع الاستيعاب) .

(٤) كذا فى المشتبه والاستيعاب ، فى إحدى روايتيهما ؛ وفى الرواية الأخرى : « الضبيبى » —

قال ابن هشام : جُذام ، أخو لخم .

قال : فوالله إنه ليضع رَحْل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه سَهْم غَرْب[١] فأصابه فقتله ؛ فقلنا : هنيئا له الجنةُ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، والذى نفس محمد بيده ، إنّ شملته[٢] الآن لتحترق عليه فى النار ، كان غلّها[٣] من فىء المسلمين يوم خَيْبر . قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبتُ شِراكَيْن لِنَعلين لى ؛ قال : فقال : يُقَدّ[٤] لك مثلهما من النار .

(ابن مغفل وجراب شحم أصابه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مُغَفّل المُزنى ، قال : أصبت من فَىْء خَيبر جرابَ[٥] شَحْم ، فاحتملته على عاتقى إلى رَحْلى وأصحابى . قال : فلقينى صاحبُ المَغانم الذى جُعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هَلُمّ هذا نقسمه بين المسلمين ؛ قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ؛ قال : فجعل يُجابذنى الجراب . قال : فرآنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن نَصْنع ذلك . قال : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المَغانم : لا أبا لك ، خلّ بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقتُ به إلى رَحْلى وأصحابى ، فأكلْناه .

(بناء الرسول بصفية وحراسة أبى أيوب القبة) :

قال ابن إسحاق : ولما أعْرس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بصفيّة ، بخَيْبر أو ببعض الطريق ، وكانت التى جمّلتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومَشّطتها

وفى ا : « الضبيبى » . وفى سائر الأصول : « الضبى » . قال الذهبى : « وبمعجمة ثم موحدة الضبيبى نسبة إلى ضبينة بطن من جذام منهم رفاعة بن زيد الضبيبى . وقال بعض المحدثين الضبيبون من الضبيب ابن جذام ، له صحبة وعرض له ابن عبد البر بما لا يخرج عن هذا .

(١) سهم غرب : هو الذى لا يعلم من رماه أو من أين أتاه .

(٢) قال أبو ذر : الشملة : كساء غليظ يلتحف به .

(٣) غلها : اختانها من المغنم .

(٤) يقد : يقطع (بالبناء للمجهول فيهما) .

(٥) الجراب : المزود .

وأصلحت من أمرها ١ أمّ سُلَيم ٢ بنت مِلْحان ، أمّ أنس بن مالك. فبات بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى قُبّة له ، وبات أبو أيّوب خالد بن زيد ، أخو بنى النّجّار متوشّحا سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويُطيف بالقُبّة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خفتُ عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلتَ أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكُفر ، فخفتها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهمّ احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى .

(تطوع بلال للحراسة وغلبة النوم عليه) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى الزُّهرى ، عن سعيد بن المُسيِّب ، قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبَر ، فكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل : مَنْ رجل يحفظ علينا الفَجر لعلّنا ننام ؟ قال بِلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلالٌ يصلى ، فصلى ماشاء الله عزّ وجلّ أن يصلى . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفَجْرَ يَرمُقه ، فغَلَبَتْه عينه ، فنام ، فلم يُوقظهم إلاّ مَسّ الشمس ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولَ أصحابه هَبّ ، فقال : ما ذا صنعتَ بنا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ؛ قال : صدقت ؛ ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره[٣] غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس ؛ فلما سلّم أقبل على الناس فقال : « إذا نَسِيتم الصلاة فصلّوها إذا ذكرْتموها ، فان الله تبارك وتعالى يقول : « أقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِى» .

(شعر ابن لقيم فى فتح خيبر) :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، قد أعطى

---

(١) فى ا « شأنها » .

(٢) اختلف فى اسمها ، فقيل سهلة ، ورميلة ، ورميثة ، ومليكة ، والغيصاء ، والرميصاء . (راجع الاستيعاب) .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

ابن لُقَيم العَبسىّ ، حين افتتح خَيْبر ، ما بها من دَجاجة أو داجن [١] ، وكان فَتح خَيبر فى صَفر ، فقال ابنُ لقيم العَبْسى [٢] فى خَيبر :

رُميتْ نَطاة من الرّسول بفَيْلق شَهْباءَ ذاتِ مَناكب وفقَار [٣]
واستَيْقنت بالذّلّ لما شُيِّعَتْ ورجالُ أسْلَمَ وسْطَها وغِفار [٤]
صَبحتْ بنى عمرو بن زُرْعةَغُدوةً والشّقُّ أظْلَمَ أهلُه بنَهار [٥]
جرّتْ بأبطَحها [٦] الذيول [٧] فلم تدع إلا الدَّجاج تَصيح فى الأسْحار [٨]
ولكلّ حِصْنٍ شاغِل من خَيْلهم مِن عَبْد أشهلَ أو بنى النَّجّار [٩]
ومُهاجِرِينَ قدَ اعْلَمُوا سيماهُمُ فوقَ المَغافر لم ينُوا لفِرار [١٠]
ولقد عَلِمتُ ليَغْلِبنّ محمّد وليَثْوِينّ بها إلى أصْفار [١١]
فرّت [١٢] يهودٌ يوم ذلك فى الوَغَى تحت العَجاج غَمائمَ [١٣] الأبْصار

(١) الداجن : كل ما ألف الناس فى بيوتهم ، كالشاة التى تعلف والحمام .

(٢) قال أبو ذر : « كان ابن لقيم العبسى يعرف بلقيم الدجاج » .

(٣) نطاة : حصن بخيبر ؛ وقيل عين بها . والفيلق : الكتيبة . والشهباء : الكثيرة السلاح تلمع فيها السيوف والأسنة وذات مناكب وفقار : أى شديدة .

(٤) شيعت : فرقت . وأسلم وغفار : قبيلتان .

(٥) الشق (بالفتح وبالكسر) : من حصون خيبر . ويريد « بإظلام أهله » : ما أصابهم من شدة وسوء حال .

(٦) الأبطح : المكان السهل .

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « الذيول » .

(٨) فى ا : « بالأشجار » .

(٩) عبد أشهل وبنو النجار : من الأنصار .

(١٠) المغافر : ما يكون على الرأس وقاية لها فى الحرب ؛ الواحد : مغفر .

(١١) ليثوين : ليقيمن . وأصفار : جمع صفر ، وهو الشهر المعروف .

(١٢) الوغى : الحرب . والعجاج : الغبار .

(١٣) كذا فى أكثر الأصول . قال أبو ذر : « الغمائم ، بالغين المعجمة ، جفون العين . قال ابن سراج : ويصح أن تكون عمائم ، بالعين المهملة : جمع عمامة ، وتكون الأنصار بالنون » . وبهذه الرواية وردت فى ا . وقال السهيلى : « وهو بيت مشكل ، غير أن فى بعض النسخ ، وهى قليلة ، عن ابن هشام ، أنه قال : فرت : فتحت ، من قولك : فرت الدابة ، إذا فتحت فاها ، وغمائم الأبصار ، هى مفعول فرت ، وهى جفون أعينهم . هذا قول . وقد يصح أن يكون فرت من الفرار ؛ وغمائم الأبصار ، من صفة العجاج —

(تفسير ابن هشام لبعض الغريب) :

قال ابن هشام : فرّت : كشفت ، كما تفُرّ الدّابة بالكشف عن أسنانها ؛ يريد كشفت عن جفون العيون غمائم الأبصار ، يريد الأنصار [١] .

(شهود النساء خيبر وحديث المرأة الغفارية) :

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نِساء من نساء المسلمين ، فرَضَخ لهنّ [٢] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الفىء ، ولم يضرب لهنّ بسهم .

قال ابن إسحاق : حدثنى سليمان بن سُحَيم ، عن أُميَّة بن أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غِفار ، قد سمّاها لى ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نِسْوة من بنى غِفار ، فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيْبر ، فنُداوى الجرْحى ، ونُعين المسلمين بما استطعنا ؛ فقال : على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حدَثة ، فأردفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رَحْله . قالت : فوالله لنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصُّبح وأناخ ، ونزلت عن حقيبة رَحْله ، وإذا بها دَمٌ منى ، وكانت أوّلَ حَيْضة حِضْتها ، قالت : فتقبّضت إلى الناقة واستحييت ؛ فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بى ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نُفِست [٣] ؛ قالت : قلت : نعم ؛ قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خُذى إناء من ماء ، فاطرحى فيه مِلْحا ، ثم اغْسلى به ما أصاب الحقيبة من الدمّ ، ثم عودى لمرْكبك .

قالت : فلما فتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، رضَخ لنا من الفىء ،

— وهو الغبار ونصبه على الحال من العجاج وإن كان لفظه لفظ المعرفة فهو نكرة ، لأنه لم يرد الغمائم حقيقة ، وإنما أراد مثل الغمائم ، فهو مثل قول امرئ القيس : « بمنجرد قيد الأوابد هيكل » .

(١) كذا وردت هذه العبارة فى أكثر الأصول . وهى فى ا كما يأتى : « قال ابن هشام فرت ، يريد كشفت الجفون عن العين ، كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها » .

(٢) رضخ لهن : أعطاهن عطاء يسيرا ، لم يصل إلى نصيب السهم .

(٣) نفست : حضت .

وأخذ هذه القِلادة التى تَرَيْن فى عنقى فأعطانيها ، وعلَّقها بيده فى عُنُقى ، فوالله لاتُفارقنى أبدا .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تُدْفن معها . قالت : وكانت لاتطهَّر من حيضة إلا جعلت فى طَهُورها مِلْحا ، وأوصت به أن يجعل فى غُسلها حين ماتت .

(شهداء خيبر من بنى أمية) :

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استُشهد بخيبر من المسلمين ، من قُرَيش ، ثم من بنى أُميَّة بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سَخْبرة [1] بن عمرو بن بكير [2] بن عامر بن غَنْم بن دُودان بن أسد ، وثَقِيف بن عمرو ، ورفاعة ابن مَسْروح .

(من بنى أسد) :

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى : عبد الله بن الهُبَيْب ، ويقال : ابن الهَبيب ، فيما قال ابن هشام ، ابن أُهيب بن سُحَيم بن غِيرة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

(من الأنصار) :

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرور ، مات من الشاة التى سُمَّ فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وفُضَيل بن النعمان . رجلان .

(من زريق) :

ومن بنى زُرَيق : مسعود بن سَعْد بن قيس بن خَلَدة بن عامر بن زريق .

(من الأوس) :

ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مَسْلمة بن خالد بن عدىّ بن مَجْدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

---

(١) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « صخبرة » .

(٢) كذا فى الاستيعاب . وفى الأصول : « لكيز » .

(من بنى عمرو) :

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضَيَّاح[1] بن ثابت بن النُّعمان بن أميَّة بن[2] امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ؛ والحارث بن حاطب ؛ وعروة بن مُرَّة ابن سُراقة ؛ وأوس بن القائد ؛ وأنيف بن حبيب ؛ وثابت بن أثلة ؛ وطلحة[3] .

(من غفار) :

ومن بنى غِفار : عُمارة بن عُقبة ، رمى بسهم .

(من أسلم) :

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ؛ والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعى من أهل خَيبر .

(من بنى زهرة) :

وممن استُشهد بخَيبر فيما ذكر ابن شهاب الزّهرىّ ، من بنى زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارَة .

(من الأنصار) :

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف : أوس بن قتادة .

أمر الأسود الراعى فى حديث خيبر

(إسلامه واستشهاده) :

قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى ، فيما بلغنى : أنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حُصون خيبر ، ومعه غَنَم له ، كان فيها أجيرًا لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض علىّ الإسلام ، فعَرَضه عليه ، فأسلم — وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يَحقر أحدًا أن يَدْعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه — فلما أسلم قال : يا رسول الله ، إنى كنت أجيرا لصاحب

---

(١) فى الطبرى : «أبو ضياح النعمان بن ثابت بن النعمان بن أمية بن البرك» .

(٢) اسمه النعمان ؛ وقيل عمير . (راجع الاستيعاب) .

(٣) هو طلحة بن يحيى بن مليل بن ضمرة . (راجع شرح السيرة) .

هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وُجوهها ، فإنها ستَرْجِع إلى ربها — أو كما قال — فقال الأسود ، فأخذ حَفْنة من الحصى[١] ، فرَمَى بها فى وُجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك ، فوالله لاأصحبك أبدًا ، فخرجت مجتمعة ، كأنّ سائقا يسوقها ، حتى دخلت الحِصْن ، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليُقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قطّ ؛ فأُتِىَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوُضع خلفه ، وسُجِّى بشَمْلَة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا : يارسول الله ، لِمَ أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زَوْجَتَيه من الحور العين .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نَجيح أنه ذُكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلّت (له)[٢] زَوْجتاه من الحُور العين ، عليه تَنْفُضان التّراب عن وجهه ، وتقولان : تَرّب الله وجهَ من تربّك ، وقتلَ مَنْ قتلك .

أمر الحجاج بن علاط السلمى

(حيلته فى جمع ماله من مكة) :

قال ابن إسحاق : ولما فُتحت خيبر ، كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحجّاجُ بن عِلاط السُّلمى ثم البَهْزى ، فقال : يا رسول الله ، إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أمّ شَيْبة بنت أبى طلحة — وكانت عنده ، له منها مُعْرِض بن الحجاج ومالٌ متفرّق فى تجّار أهل مكة ، فأْذن لى يارسول الله ؛ فأذن له ، قال : إنه لابدّ لى يارسول الله من أن أقول ، قال : قل . قال الحجّاج : فخرجتُ حتى إذا قدمت مكة وجدت بثَنيّة البيضاء[٣] رجالا من قريش يتسمّعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قَرْية الحجاز ، رِيفا ومَنَعة ورجالا ، فهم يتحسّسون الأخبار ، ويسألون

---

(١) فى ا : « الحصباء » .

(٢) زيادة عن (ا) .

(٣) قال ياقوت : « والبيضاء : ثنية التنعيم بمكة ، لها ذكر فى كتاب السيرة » .

الركبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط ــ قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى عنده والله الخبر ــ أخبرنا يا أبا محمد ، فانه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ؛ قال : قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم ؛ قال : فالتبطوا بجنبى ناقتى[1] يقولون : إيه ياحجاج ؛ قال : قلت : هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقُتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسرا ، وقالوا : لانقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم ، فيُقتل بين أظهُركم . قال : قلت : أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فانى أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من فَلّ[2] محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ماهنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فىء محمد .

(العباس يستوثق من خبر الحجاج ويفاجئ قريشا) :

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحث[3] جمع سمعت به . قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عندها مال موضوع ، لعلى ألحق بخيبر ، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ، قال : فلما سمع العباس ابن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ماهذا الخبر[4] الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك ؟ قال : نعم ؛ قال : قلت : فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فانى فى جمع مالى كما ترى ، فانصرف عنى حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ على حديثى يا أبا الفضل ، فانى أخشى الطلب ثلاثا ، ثم قل ماشئت ،

---

(١) التبطوا بجنب ناقتى : مشوا إلى جنبها ملازمين لها ، مطيفين بها ، كمشى العرجان ، لازدحامهم حولها .

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

(٣) كأحث : كأسرع .

(٤) هذه الكلمة « الخبر » ساقطة فى ا .

قال : أفعل ؛ قلت : فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم ، يعنى صفيَّة بنت حُيىّ ، ولقد افتتح خَيْبر ، وانتثل [١] ما فيها ، وصارت له ولأصحابه ؛ فقال : ماتقول يا حجاَّج ؟ قال : قلت : إى والله ، فاكتم عنى ، ولقد أسلمتُ وماجئت إلا لآخذ مالى ، فرَقا من أن أغلب عليه ، فاذا مضت ثلاثٌ فأظهر أمرك ، فهو والله على ماتحبّ ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لَبس العباس حلة له ، وتخلَّق [٢] ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلُّد لحرّ المصيبة ؛ قال : كلا ، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خَيبر وتُرِك عروسا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحتْ له ولأصحابه ؛ قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مُسْلما ، فأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ؛ قالوا : ياللعباد الله ! انفلت عدوّ الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ؛ قال : ولم يَنْشَبوا [٣] أن جاءهم الخبر بذلك .

(شعر حسان فى يوم خيبر) :

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسَّان بن ثابت :

بِئْسَمَا قاتلَتْ خَيَابر [٤] عمَّا جَمَعُوا من مَزارع ونخيل
كَرِهُوا المَوْتَ فاستُبيحَ حِماهُم وأقرّوا فِعْلَ اللّئيم الذَّليل
أمِنَ المَوْتِ يَهْرَبُونَ فإنَّ الـ ـموت مَوْتَ الهُزَال غيرُ جميل

(شعر حسان فى عذر أيمن لتخلفه عن خيبر) :

وقال حسَّان بن ثابت أيضًا ، وهو يعذر أيمن بن أمّ أيمن بن عُبيد ، وكان قد تخلَّف عن خيبر ، وهو من بنى عوف بن الخزرج ، وكانت أمه أمّ أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى أمّ أسامة بن زيد ، فكان أخا أُسامة لأمه :

---

(١) انتثل : استخرج .

(٢) تخلق : تطيّب بالخلوق ، وهو ضرب من الطيب .

(٣) لم ينشبوا : لم يلبثوا غير قليل .

(٤) خيابر : جمع خيبر ، وبريد أهل خيبر .

على حينَ أن قالتْ لأيمنَ أمُّه جَبُنْتَ ولم تَشْهَد فوارسَ خَيْبَرِ
وأيمنُ لم يجْبُن ولكنَّ مُهْرَه أضَرَّ به شُرْبُ المَديدِ المُخَمَّرِ[1]
ولولا الذى قد كان من شأن مُهْرِه لَقاتَل فيهم فارسا غير أعسرِ[2]
ولكنَّه قد صدَّه فعلُ مُهْرِه وما كان منه عندَه غيرِ أيْسَرِ[3]

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك، وأنشدنى:

ولكنَّه قد صدَّه شأنُ مُهْرِه وما كانَ لولا ذاكمُ بمُقَصِّرِ

(شعر ناجية فى يوم خيبر):

قال ابن إسحاق: وقال ناجية بن جُنْدُب الأسلمىّ:

يا لِعِبادِ اللهِ فيمَ يُرْغَبُ ما هُوَ إلا مأكلٌ ومَشْرَبُ
وجَنَّةٌ فيها نَعيمٌ مُعْجِبُ

وقال ناجية بن جُنْدَب الأسلَمىّ أيضا:

أنا لِمَنْ أنكرَنى ابنُ جُنْدَبِ يا رُبَّ قِرْنٍ فى مَكَرِّى أنْكَبِ[4]
طاحَ بمَغْدَى أنْسُرٍ وثَعْلَبِ[5]

قال ابن هشام: وأنشدنى بعض الرواة للشعر قوله: «فى مَكَرِّى»، و«طاح بمَغْدَى».

(شعر كعب فى يوم خيبر):

وقال كعب بن مالك فى يوم خيبر، فيما ذكر ابن هشام، عن أبى زيد الأنصارى:

---

(١) المديد (بدالين)، قال أبو ذر «هو الدقيق يخلط مع الماء، فتشربه الخيل. والمخمر: الذى ترك حتى يختمر». قال السهيلى: «ألفيت فى حاشية الشيخ عن ابن دريد: المزيد، بزاء، والمريس أيضا، وهو تمر ينقع ثم يمرس».

(٢) الأعسر: الذى يعمل بالشمال، ولا يعمل باليمين.

(٣) صده: منعه. والأيسر، قال أبو ذر: هو «الفرس المصنوع المنظور إليه»، أى الذى يعنى به صاحبه، ويحسن القيام عليه.

(٤) القرن: الذى يقاوم فى قتال أو شدة. والمكر: الموضع الذى تكر فيه الخيل فى الحرب. والأنكب: المائل إلى جهة.

(٥) طاح: ذهب وهلك. ومغدى: بالدال، من الغدو، أو بالذال، المنعجمة من الغذاء. وأنسر: جمع نسر، وهو الطائر المعروف؛ وكان من حقه أن يقول وثعالب، فوضع الواحد موضع الجمع.

ونحنُ وَرَدْنا خَيْبَرًا وفُرُوضَهُ ... بكلِّ فتًى عارِى الأشاجعِ مِذْوَدِ[1]

جَوادٍ لدى الغايات لاواهنٍ القُوَى ... جَرِيءٍ على الأعداءِ فى كلِّ مَشْهَدِ[2]

عظيمِ رَمادِ القِدْرِ فى كلِّ شَتْوَةٍ ... ضَرُوبٍ بنصلِ المَشْرَفِيِّ المُهَنّدِ[3]

يَرى القتلَ مَدْحًا إنْ أصابَ شَهادةً ... مِنَ اللهِ يَرْجُوها وفَوْزًا بأحمدِ

يَذُودُ ويَحْمِى عَنْ ذِمارِ محمدٍ ... ويَدْفَعُ عنه باللِّسانِ وباليدِ[4]

ويَنْصُرُه مِنْ كلِّ أمْرٍ يَرِيبُه ... يَجُودُ بنَفْسٍ دونَ نفْسِ محمّدِ

يُصَدِّقُ بالأنْباءِ بالغَيبِ مُخْلِصًا ... يُرِيدُ بذاكَ الفوزَ والعزَّ فى غدِ

ذكر مقاسم خيبر وأموالها

(الشق ونطاة والكتيبة) :

قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر : على الشَّقِّ ونطاةَ والكَتِيبة فكانت الشَّقُّ ونَطاةُ فى سُهْمان المسلمين ، وكانت الكَتِيبَة خُمْسَ اللهِ ، وسهم النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذوى القُرْبَى واليتامى والمساكين ، وطُعْمَ أزواج النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وطُعْمَ رجالٍ مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فَدَكَ بالصلح ؛ منهم مُحَيِّصَة بن مَسْعود ، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وَسْقًا[5] من شعير ، وثلاثين وَسْقًا من تمر ، وقُسِمت خيبرُ على أهل الحُدَيْبية ، مَنْ شهد خيبر ، ومَن غاب عنها ، ولم يَغِبْ عنها إلا جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، فقَسَم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كَسَهْمِ مَنْ حضرها ، وكان واديَاها ، وادى السُّرَيْرة ، ووادى خاص[6] ، وهما اللذان قُسِمت عليهما خيبر ، وكانت نَطاة والشَّقُّ ثمانيةَ عشرَ سهمًا ، نَطاة من ذلك خمسةُ أسهم ،

---

(١) الفروض : المواضع التى يشرب منها من الأنهار . والأشاجع : عروق ظاهر الكف . ومذود : مانع .

(٢) الواهن : الضعيف .

(٣) المشرفى : السيف . والمهند : المصنوع فى الهند .

(٤) يذود : يمنع ويدفع . والذمار : ما تجب حمايته .

(٥) الوسق (بالفتح ويكسر) : ستون صاعا ، أو حمل بعير .

(٦) كذا فى الأصول ومعجم البلدان ، وذهب السهيلى إلى أنه تحريف وصوابه « خلص » .

والشَّقُّ ثلاثةَ عَشَرَ سهما ، وقُسِمت الشَّقُّ ونَطاةُ على ألف سهم ، وثمان مِئة سهم .

(عدة من قسمت عليهم خيبر) :

وكانت عِدَّة الذين قُسِمت عليهم خَيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمان مِئة سهم ، برجالهم وخيلهم ، الرجال أربع عشرة مئة ، والخيل مئتا فارس ، فكان لكلّ فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكلّ راجل سهم ، فكان لكل سهم رأسٌ جُمِع إليه مئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهما جُمع .

قال ابن هشام : وفى يوم خَيبر عَرَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم العربىّ من الخيل ، وهَجَّن الهجين .

(قسمة الأسهم على أربابها) :

قال ابن إسحاق : فكان علىّ بن أبى طالب رأسا ، والزُّبير بن العوّام ، وطلحةُ ابنُ عبيد الله وعُمر بن الخطَّاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عَدىّ ، أخو بنى العَجْلان ، وأُسَيْدُ بن حُضَير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عُبيد[1] ، وسهم بنى حَرام من بنى سَلمة ، وعُبَيْد السِّهام .

قال ابن هشام : وإنما قيل له عُبَيْد السِّهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عُبَيْدُ بن أوْس ، أحدُ بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوْس .

قال ابن إسحاق : وسهم ساعدة ، وسهم غِفار وأسْلَم ، وسهم النَّجار وسهم حارثة ، وسهم أوْس . فكان أوّل سهم خرَج من خَيْبر بنَطاةَ سهم الزُّبير بن العوّام ، وهو الخَوَع[2] ، وتابعه السُّرَيْر ، ثم كان الثانى سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم أُسَيْد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف

---

(١) فى م ، ر : « عبيدة » .

(٢) الخوع : موضع قرب خيبر .

ابن الخَزْرج ومُزَيْنة وشُركائهم ، وفيه قُتِل محمود بن مَسْلمة ؛ فهذه نَطاة .

ثم هبطوا إلى الشَّقّ ، فكان أوّل سهم خرج منه سهم عاصم بن عَدِى ، أخى بنى العَجْلان ، ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن ابن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجّار ، ثم سهم علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طَلْحة بن عُبيد الله ، ثم سهم غِفار وأَسْلَم ، ثم سهم عمر بن الخطّاب ، ثم سهما سَلَمَة بن عُبَيْد وبنى حَرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عُبَيْد السّهام ، ثم سهم أَوْس ، وهو سهم [١] اللفيف ، جمعت إليه جُهَيْنة ومن حَضر خيبر من سائر العرب ؛ وكان حَذْوَه [٢] سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدىّ .

ثم قسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الكَتيبة ، وهى وادى خاص [٣] ، بين قرابته وبين نسائه ، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مئتى وَسْق ، ولعلىّ بن أبى طالب مئة وَسْق ، ولأُسامة ابن زيد مئتى وَسْق ، وخمسين وسقا من نوًى ، ولعائشة أمّ المؤمنين مئتى وَسْق ، ولأبى بكر بن أبى قُحافة مئة وَسْق ، ولعَقيل بن أبى طالب مئة وَسْق وأربعين وَسْقا ، ولبنى جعفر خمسين وَسْقا ، ولربيعة بن الحارث مئة وَسْق ، وللصَّلْت بن مَخْرَمة وابنيه مئة وَسْق ، للصَّلْت منها أربعون وَسْقا ، ولأبى نَبِقة [٤] خمسين وَسْقا ، ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وَسْقا ، ولقَيْس بن مَخْرَمة ثلاثين وَسْقا ، ولأبى القاسم ابن مَخْرَمة أربعين وَسْقا ، ولبنات عُبَيْدة بن الحارث وابنة الحُصَين بن الحارث مئة وَسْق ، ولبنى عُبيد [٥] بن عبد يزيد ستين وَسْقا ، ولابن أَوْس بن مَخْرمة ثلاثين وَسْقا . ولمِسْطَح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وَسْقا ، ولأُمّ رمَيْثة

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «ثم سهم . . . إلخ» .

(٢) حذوه : بإزائه .

(٣) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٤٩ .

(٤) هو علقمة بن المطلب ، ويقال : عبد الله بن علقمة ، وقيل غير ذلك . ومن ولده أبو الحسين المطلبى ، وكان إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . (راجع الروض) .

(٥) فى م ، ر : «عبيدة» .

أربعين وَسْقا . ولنُعَيْم بن هند ثلاثين وَسْقا ، ولبُحَيْنة بنت الحارث ثلاثين وَسْقا ، ولعُجَيْر بن عبد يزيدَ ثلاثين وَسْقا ، ولأمّ حكيم [١] (بنت الزّبير بن عبد المطّلب [٢]) ثلاثين وسْقا ، ولجُمانة بنت أبي طالب ثلاثين وَسْقا ، ولابن [٣] الأرقم خمسين وَسْقا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وَسْقا ، ولحمْنة بنت جحْش ثلاثين وَسْقا ، ولأُمّ الزبير أربعين وَسْقا ، ولضُباعة بنت الزُّبير أربعين وَسْقا ، ولابن أبي خُنَيْس ثلاثين وَسْقا ، ولأمّ طالب أربعين وَسْقا ، ولأبي بصْرة [٤] عشرين وَسْقا ، ولنُمَيْلة الكلبي خمسين وَسْقا ، ولعبد الله بن وَهْب وابنتيه تسعين وَسْقا ، لابنيه منها أربعين وَسْقا ، ولأمّ حبيب بنت جحْش ثلاثين وَسْقا ، ولمَلْكُو بن عَبْدَة ثلاثين وَسْقا ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبعُ مئة وَسْق .

قال ابن هشام [٥] : قمحٌ وشعير وتمر ونَوًى وغير ذلك ، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى عبد المطّلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم

(عهد الرسول إلى نسائه بنصيبهن فى المغانم) :

ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من قمح خَيْبر [٦] :

قسم [٧] لهنّ مئة وسْق وثمانين وَسْقا ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) كذا فى الروض . وفى الأصول : « أم الحكم » . قال السهيلي : « . . . والمعروف فيها أنها أم حكيم ، وكانت تحت ربيعة بن الحارث . وأما أم حكم فهى بنت أبي سفيان ، وهى من مسلمة الفتح ، ولولا ذلك لقلت إن ابن إسحاق إياها أراد ، لكنها لم تشهد خيبر ، ولا كانت أسلمت بعد » .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) فى ا : « ولأم الأرقم » .

(٤) فى م ، ر : « ولأبى نضرة » وهو تصحيف .

(٥) هذه العبارة المروية عن ابن هشام ساقطة فى ا .

(٦) فى م ، ر : « فتح خيبر » .

(٧) زادت م ، ر قبل هذا هذه العبارة : « قسمه على قدر حاجاتهم ، فكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب خاصة ، فلذلك أعطاهم أكثر » . وهى تكرار لما سبق .

خمسةَ وثمانين وسْقا ، ولأُسامة بن زيد أربعين وَسْقا ، وللمِقْداد بن الأسود خمسةَ عشَر وَسْقا ، ولأمّ رُمَيْثَة [١] خمسة أوْسُق .

شهد عثمانُ بن عفَّان وعباسٌ وكتب .

(ما أوصى به الرسول عند موته) :

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كَيْسان ، عن ابن شهاب الزُّهْرى ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : لم يُوصِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث [٢] ، أوصى للرَّهاويين [٣] بجادَّ مئة وَسْق من خيبرَ ، وللداريين [٤] بجادَّ مئة وَسْق [٥] من خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجادَّ مئة وَسْق من خيبر . وأوصى بتَنْفيذ [٦] بعث أُسامة بن زيد بن حارثة ؛ وألاَّ يُترك بجزيرة العرب دينان .

أمر فدك فى خبر خيبر

(مصالحة الرسول أهل فدك) :

قال ابن إسحاق : فلما فرَغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبرَ قذف الله الرُّعْب فى قلوب أهل فَدَك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النصف من فَدَك ، فقدمت عليه رُسُلُهم بخيبر ، أو بالطائف [٧] ، أو بعد ما قَدِم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فَدَك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يوجَف [٨] عليها بخيل ولا ركاب

(١) قال السهيلى : « ... ولا تعرف إلا بهذا الخبر وشهودها فتح خيبر » .

(٢) فى م ، ر : « بست » .

(٣) الرهاويون : نسبة إلى رهاوة (بالضم وبالفتح) : قبيلة باليمن . قال أبو ذر : « ويقال فيها رهاء ، وهو الأصح » .

(٤) الداريون : نسبة إلى الدار بن هانىء ، وسيأتى ذكرهم بعد خبر فدك .

(٥) بجاد مئة وسق : أى ما يجد منه مئة وسق ، أى يقطع .

(٦) فى ا : « بتنفيل » .

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بالطريق » .

(٨) لم يوجف : لم يجتمع .

تسمية النفر الداريين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر

(نسبهم) :

وهم بنو الدار بن هانئ بن حَبيب بن نُمارة بن لَخم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : تميم بن أوس ونُعَيم بن أوْس أخوه ، ويزيد ابن قَيْس ، وعرفة بن مالك ، سماه رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن.

ــ قال ابن هشام : ويقال : عَزّة بن مالك : وأخوه مُرّان [1] بن مالك .

قال ابن هشام : مَرْوان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نُعْمان ، وجَبَلة بن مالك ، وأبو هِنْد بن بَرّ ، وأخوه الطيِّب بن بَرّ ، فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

(خرص ابن رواحة ثم جبار على أهل خيبر) :

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، يبعث إلى أهل خَيْبر عبدَ الله بن رَواحَة خارصا [2] بين المسلمين ويهود ، فيَخْرُص عليهم ، فإذا قالوا : تعدّيت علينا ؛ قال : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السمواتُ والأرض .

وإنما خَرَص عليهم عبدُ الله بن رَواحَة عاما واحدًا ، ثم أصيب بمُؤْتة يرحمه الله ، فكان جبَّار بن صخر بن أُمية بن خَنْساء ، أخو بني سَلِمة ، هو الذي يَخْرُص عليهم بعد عبد الله بن رَواحة .

(مقتل ابن سهل ودية الرسول إلى أهله) :

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأسا في معاملتهم ، حتى عَدَوْا في عَهْد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سَهل ، أخي بني حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

---

(١) في م ، ر : « مروان » .

(٢) الخارص : الذي يحزر ما على النخل والكرم من ثمر ، وهو من الخرص أي الظن ، لأنه تقدير بظن .

قال ابن إسحاق : فحدثني الزّهريّ عن سهل بن أبي حَثْمة ؛ وحدثني أيضا بُشَيْر بن يَسار ، مولى بني حارثة ، عن سهل بن أبي حَثْمَة ، قال : أُصيب عبد الله بن سهل بخَيبر ، وكان خرج إليها في أصحاب له يمتار [١] منها تمرًا ، فوُجِد في عَيْن قد كُسِرَتْ عُنُقُه ، ثم طُرِح فيها ؛ قال : فأخذوه فغيّبوه ، ثم قَدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له شأنه ، فتقدّم إليه أخوه عبدُ الرحمن ابن سهل ، ومعه ابنا عمّه حُوَيِّصَةُ ومُحَيِّصَة ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنًّا ، وكان صاحبَ الدم ، وكان ذا قَدم في القوم ، فلما تكلّم قبل ابنَي عمّه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكُبْرَ الكُبْرَ [٢] .

قال ابن هشام : ويقال : كَبِّرْ كَبِّرْ — فيما ذكر مالك بن أنس — فسكت ؛ فتكلّم حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة ، ثم تكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلَ صاحبهم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أتُسَمُّون قاتلكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنُسْلِمه إليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف على ما لانعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يمينا ماقتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرءون من دمه ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، مافيهم من الكفر أعظمُ من أن يحلفوا على إثم . قال : فوداه [٣] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده مئة ناقة .

قال سهل [٤] : فوالله ما أنسى بَكْرَةً منها حمراء ضربتني وأنا أحُوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيميّ [٥] ، عن عبد الرحمن ابن بُجَيْد بن قَيْظِيٍّ ، أخي بني حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وايم الله ، ما كان سهل بأكثر علما منه ، ولكنّه كان أسنّ منه ؛ إنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أوْهَمَ ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، احلفوا على

---

(١) يمتار التمر : يجلبه .

(٢) الكبر الكبر ، أى قدموا الأكبر للكلام ، إرشادا إلى الأدب في تقديم الأسن . (راجع النهاية لابن الأثير) .

(٣) وداه : أعطاهم ديته .

(٤) كذا في الأصول وسهل بن أبي حثمة راو الخبر . وأما صاحب الدية فهو عبد الرحمن بن سهل .

(٥) في م ، ر : « التيمي » . وهو تحريف .

مالا علم لكم به ، ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار : إنه قد وُجِدَ قتيل بين أبياتكم فَدُوه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ماقتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا . فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بُجيد ، إلا أنه قال في حديثه : دُوه أو ائذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ، فوداه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

(إجلاء اليهود من خيبر أيام عمر) :

قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهريّ : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبرَ نخلَهم ، حين أعطاهم النخل على خرْجها ، أبَتَّ ذلك لهم حتى قُبِض ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرني ابنُ شهابٍ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خَيبر عَنْوةً بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عزّ وجلّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خمسها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقَسَمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارُها بيننا وبينكم ، وأُقِرُّكُمْ ما أقرّكمُ اللهُ ، فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رَوَاحة ، فيقسم ثمرَها ، ويعدل عليهم في الخَرْص ، فلما توفّى الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، أقرّها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المُعاملة التي عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تُوفى ؛ ثم أقرّها عمر رضي الله عنه صدرا من إمارته . ثم بلغ عُمرَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وَجَعه الذي قبضه الله فيه : لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان ؛ ففحص عُمرُ ذلك ، حتى بلغه الثَّبْتُ ، فأرسل إلى يهودَ ، فقال : إن الله عزّ وجلّ قد أذن في جلائكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به ، أُنْفِذْه

له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليتجهَّز للجلاء ، فأجْلَى عُمَرُ من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم.

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزُّبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمْنا تفرّقنا فى أموالنا ، قال : فعُدِىَ علىَّ تحت الليل ، وأنا نائم على فراشى ، ففُدِعَتْ[1] يداىَ من مِرْفقىَّ ، فلما أصبحت استصرخَ علىَّ صاحباى ، فأتيانى فسألانى : من صنَع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ؛ قال : فأصلحا من يدىَّ ، ثم قدِما بى على عمر رضىَ الله عنه ؛ فقال : هذا عمل يهودَ ، ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامَل يهودَ خيبر على أنَّا نخرجُهم إذا شئنا ، وقد عَدَوْا على عبد الله بن عمر ، ففدَعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عَدْوهم[2] على الأنصارىّ قبله ، لانشكّ أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدوّ غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فانى مُخرج يهودَ ، فأخرجهم.

(قسمة عمر لوادى القرى بين المسلمين)

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مكْنَف ، أخى بنى حارثة ، قال : لمَّا أخرج عمرُ يهودَ من خيبرَ ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبَّار بن صخر بن أميَّة بن خنساء ، أخو بنى سلَمة ، وكان خارصَ أهل المدينة وحاسبَهم — ويزيدَ بن ثابت ، وهما قسَما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السُّهْمان ، التى كانت عليها .

وكان ما قسَم عمر بن الخطَّاب من وادى القُرَى ، لعثمانَ بن عفَّان خطَرٌ ، ولعبد الرحمن بن عوف خطَرٌ ، ولعمرَ بن أبى سلَمة خطَرٌ ، ولعامر بن أبى ربيعة خطَرٌ ، ولعمرو بن سُراقة خطَرٌ ، ولأُشَيم خطَر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خطَر ، ولمُعَيْقيب خطَر ، ولعبد الله بن الأرقم خطَرٌ ، ولعبد الله وعُبَيْد الله خطَرَان ، ولابن عبد الله

(١) فدعت يداه : أى أزيلت مفاصلها من أماكنها . (النهاية لابن الأثير) .

(٢) فى ا : « عدوتهم » .

ابن جَحْش خَطَرَ ، ولابن البُكَيْر خَطَرَ ، ولمُعْتمر خَطَرَ[1] ، ولزيد بن ثابت خَطَرَ ، ولأُبَىّ بن كَعْب خَطَرَ ، ولمُعاذ بن عَفْراء خَطَرَ ، ولأبى طلحة وحَسَن خَطَرَ ، ولجبَّار بن صخْر خَطَرَ ، ولجابر بن عبد الله بن رئاب خَطَرَ ، ولمالك بن صَعْصَعَة وجابر بن عبد الله بن عَمْرو خَطَرَ ، ولابن حُضَيْر خَطَرَ ، ولابن سَعْد بن مُعاذ خَطَرَ ، ولسَلامة بن سَلامة خَطَرَ ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خَطَرَ ، ولأبى عَبْس بن جَبر خَطَرَ ، ولمحمَّد بن مَسلمة خَطَرَ ، ولعبادة بن طارق خَطَرَ .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق : ولجَبْر بن عَتِيك نِصْفُ خَطَرَ ، ولابنى الحارث بن قَيس نصف خَطَرَ ، ولابن حَزَمَة والضحاك خَطَرَ ، فهذا ما بلغنا من أمر خَيبر ووادى القُرَى ومقاسمها .

قال ابن هشام : الخَطَرَ : النَّصيب . يقال : أخطَرَ لى فلان خَطَرًا .

---

(١) فى ا : « ولابن البكير ولمعتمر خطر » .

Bibliotheca Alexandrina
0394890